

د. ثابت الأحودي

ماذا يعني انتمائي لليمن؟



تقديم: معمر بن مطهر الإرياني

ماذا يعني انتمائي لليمن؟

د. ثابت الأحمدى

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: ماذا يعني انتمائي لليمن؟

الكاتب: د. ثابت محمد راشد الأحمدي

حساب المؤلف على تويتر: <https://twitter.com/thah71>

الناشر: وزارة الإعلام والثقافة والسياحة ومركز نشوان الحميري للدراسات والإعلام

الجمهورية اليمنية، هاتف: ٧٧٧١١٣٦٣٤ - ٧٧٧٠٣٣٣٢٢

البريد الإلكتروني:

info@nafsam.org

الموقع الإلكتروني: www.nafsam.org

رقم الإيداع بدار الكتب اليمنية: (١٩) ٢٠٢١ - المكتبة العامة - مأرب

الطبعة: الأولى أغسطس ٢٠٢١ م

ماذا يعني انتمائي لليمن؟

تأليف:

د. ثابت الأحمدى

تقديم:

معمر بن مطهر الإرياني

الناشر

وزارة الإعلام والثقافة والسياحة ومركز نشوان الحميري للدراسات والإعلام

٢٠٢١

الإهداء

إلى الشعب اليمني العظيم..
أرضًا وإنسانا

ثابت

الفهرس

١١	تقديم
١٥	المقدمة
١٩	الفصل الأول: اليمن قبل الإسلام
٢١	الجزيرة العربية واليمن
٢١	أولا الجزيرة العربية
٢٦	ثانيا: اليمن
٢٩	أصل اليمنيين
٣٠	العمالة
٣٠	عاد الأولى
٣١	عاد الثانية
٣٢	ثمود
٣٢	يعرب بن قحطان
٣٤	جرهم الأولى والثانية
٣٥	عمان وحضرموت
٣٩	اليمن في التوراة والقرآن
٣٩	أولا اليمن في التوراة
٤٥	ثانيا اليمن في القرآن الكريم
٤٧	الدين في الحضارة اليمنية القديمة
٤٨	١- الديانة البدائية
٤٩	٢- الديانة الكوكبية
٥٠	الشمس
٥٢	القمر
٥٥	الإله تألّب ريام
٥٦	عثر
٥٩	المعابد والشعائر الدينية
٥٩	المعابد
٦١	حرمة المعابد
٦٣	الشعائر الدينية
٦٣	الصلاة
٦٤	الحج
٦٧	التوبة والاعتراف بالذنب

٦٧	النذور
٦٩	الترتيب الهرمي لرجال الدين
٦٩	المكرب
٧٠	الكبير
٧٠	الرشو
٧٠	القين
٧١	الشوع
٧١	الكاهنة
٧٢	٣- الديانة التوحيدية السماوية "التوحيد اليماني"
٧٧	حنييفة الملك تبع أسعد الكامل
٩٣	النظم السياسية في الحضارة اليمنية القديمة
٩٦	دولة سبأ ومؤسوسها الأوائل
٩٩	الملوك المتتابعة
١٠٣	الملوك المتكاربة
١٠٦	ملوك سبأ
١٠٦	ملوك سبأ وذو ريدان
١٠٧	ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت
١٠٨	راية الدولة وشعارها
١٠٩	السلطة التشريعية
١١٣	القوانين والعقود
١١٧	- وثائق تعاملات مالية
١١٨	وصايا الملوك
١١٨	وصية قحطان
١١٩	وصية يعرب بن قحطان
١٢١	وصية يشجب بن يعرب
١٢٢	وصية حمير بن سبأ
١٢٤	النظام العسكري في الحضارة اليمنية القديمة
١٢٤	القوة البشرية
١٢٤	المشاة
١٢٥	الهجانة
١٢٦	الرماة
١٢٦	الفرسان
١٢٧	لباس الجنود
١٢٧	الشعار
١٢٨	القيادة
١٢٨	المباني العسكرية

١٣٠	الحملة العسكرية اليمنية إلى خارج اليمن
١٣٢	الحملة العسكرية اليمنية إلى الحبشة
١٣٥	الصناعة في الحضارة اليمنية القديمة
١٣٧	صناعة النسيج
١٤٥	الملابس النسائية
١٤٧	الطي والأحجار الكريمة
١٤٨	دباغة الجلود
١٤٩	صناعة السيوف
١٥٤	الزراعة في الحضارة اليمنية القديمة
١٥٤	العلوم الزراعية والفلكية
١٥٨	القوانين الزراعية
١٦٣	التجارة في الحضارة اليمنية القديمة
١٦٧	السلع التجارية
١٧٠	الطرق التجارية
١٧٠	أولا الطرق البرية
١٧٢	ثانيا الطرق البحرية
١٧٤	القوانين التجارية
١٧٥	القوانين التجارية المعينية
١٧٦	القوانين التجارية القتبانية
١٨٠	العشور وأنصاف العشور
١٨٢	الضرائب
١٨٢	المعفيون من الضرائب
١٨٢	مقادير ضريبية أخرى
١٨٣	عائل السوق
١٨٤	التجارة الخارجية
١٨٦	الجوانب الاجتماعية في الحضارة اليمنية القديمة
١٨٨	الرفاه الاجتماعي
١٩٢	اللباس والزينة
١٩٤	تسريحات الشعر
١٩٧	النعال
١٩٨	غطاء الرأس
١٩٩	العمارة والبناء
٢٠٢	المرأة في الحضارة اليمنية القديمة
٢٠٤	بلقيس ملكة اليمن
٢٠٩	زواج الملكة بلقيس بابن عمها لا بالنبي سليمان
٢١٠	برأت.. الكاهنة

٢١٢ أسماء بنت شهاب الصليحي
٢١٤ الملكة أروى بنت أحمد الصليحي
٢١٨ التشريعات في الحضارة اليمنية القديمة
٢٢٠ القوانين الحميرية
٢٢٣ اليهودية والمسيحية في الحضارة اليمنية القديمة
٢٣٣ مدخل عام
٢٣٧ أولا اليهودية
٢٤٠ ثانيا المسيحية
٢٤٥ ذو القرنين في الحضارة اليمنية القديمة
٢٥٥ معالم مدنية في الحضارة اليمنية القديمة
٢٥٧ القلم والكتابة
٢٥٨ الكتابة في اليمن
٢٦٤ تشبيد السدود والطرق والحواجز المائية
٢٦٤ أول سد في التاريخ
٢٦٩ بناء الهياكل والقصور
٢٦٩ قصر غمدان
٢٧٣ سلحين.. القصر العتيق
٢٧٣ إرم.. لم يخلق مثلها في البلاد
٢٧٥ ناعط.. القصر المشيد
٢٧٧ عرش بلقيس
٢٧٨ معبد بلقيس
٢٨٠ الفنون العامة
٢٨٠ النحت والزخرفة
٢٨٨ الغناء
٢٩٤ النُفُود والعملات
٢٩٨ التقويم التاريخي
٣٠٤ التحنيط
٣٠٧ الفصل الثاني: اليمن بعد الإسلام
٣٠٩ اليمن في صدر الإسلام
٣١٤ اليمنيون والدعوة المبكرة للإسلام
٣١٥ دحية بن خليفة الكلبي.. سفير النبي
٣١٦ شرحبيل بن حسنة.. كاتب سر النبي ووجيه وفتح الأردن وأمير فلسطين
٣١٧ عمار بن ياسر العنسي
٣١٧ فروة بن مسيك المرادي
٣٢٠ قيس بن المكشوح المرادي

٣٢٢	العلاء بن الحضرمي الصدفي.....
٣٢٤	عمرو بن معدى كرب
٣٢٧	معاوية بن حديج السكوني
٣٢٩	جرير بن عبدالله البجلي.....
٣٣٢	أبو موسى الأشعري.....
٣٣٧	الربيع بن زياد الحارثي.....
٣٣٩	الردة اليمنية.. حقيقتها ودوافعها
٣٤٥	دور اليمنيين في القضاء على الردة
٣٤٩	الدور اليمني في معركة اليرموك
٣٥٢	الدور اليمني في معركة نهاوند.....
٣٥٣	الدور اليمني في معركة القادسية.....
٣٥٣	١- موقعة الجسر
٣٥٤	٢- موقعة المذار
٣٥٧	الدور اليمني في معركة القادسية
٣٦٧	اليمنيون في العصر الأموي.....
٣٧٩	اليمنيون في مصر وشمال أفريقيا.....
٣٨٣	دور القبائل اليمنية في مصر
٣٨٩	الولاية اليمنية في شمال أفريقيا
٣٩٢	اليمنيون في أرمينية وخراسان وبلاد السند
٣٩٢	عياض بن غنم الأشعري
٣٩٣	الأشعث بن قيس الكندي
٣٩٤	عدي بن عدي الكندي.....
٣٩٤	الجراح بن عبدالله الحكمي المذحجي.....
٣٩٦	الحسن بن قحطبة الطائي
٣٩٧	جعفر بن حنظلة البهراني.....
٣٩٨	جبريل بن يحيى البجلي.....
٣٩٩	معيوف بن يحيى الهمداني.....
٣٩٩	العباس بن جعفر الخزاعي.....
٤٠٠	عبدالله بن طاهر الخزاعي.....
٤٠٠	المهلب بن أبي صفرة الأزدي.....
٤٠١	راشد بن عمرو الجديدي.....
٤٠٢	عبدالرحمن بن الأشعث الكندي.....
٤٠٣	خالد بن عبدالله القسري.....
٤٠٥	اليمنيون في العصر العباسي
٤٠٥	الدور اليمني في التمهيد للعصر العباسي

٤٠٧الدور اليمني بعد قيام الدولة العباسية
٤١٢الولاة اليمينيون في العصر العباسي في العراق ومصر
٤١٤الدور اليمني في الأندلس
٤١٤دور اليمانيين في فتح الأندلس
٤١٨خولان وهمدان ويحصب ومراد
٤٢٠الدور السياسي لليمنيين في الأندلس
٤٢٢الثورات اليمنية في الأندلس
٤٢٣ثورة رزق بن النعمان الغساني
٤٢٤ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي
٤٢٥ثورة سعيد اليحصبي المطري
٤٢٦ثورة أبي الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي
٤٢٨ثورة حيوة بن ملامس الحضرمي
٤٣٠ثورة سليمان بن يقظان الكلبي
٤٣٢المنصور بن أبي عامر المعافري
٤٣٦وفاته
٤٣٧الدولة الرسوليّة
٤٣٧مدخل عام
٤٤١معالم العهد الرسولي
٤٤١الأسس السياسية والعسكرية
٤٤٤العلاقات الخارجية
٤٤٦الزراعة
٤٤٩المعالم الثقافية والعلمية
٤٦٣قائمة المصادر والمراجع

تقديم

بقلم / معمر بن مطهر الإيراني *

حين نتوقف عند تاريخ اليمن القديم فإننا - حتمًا - نتوقف أمام واحدة من أعرق الحضارات الإنسانية في التاريخ، جنباً إلى جنب مع الحضارة الفرعونية في وادي النيل، ومع الحضارة البابلية في العراق، ثم الأشورية شمال بلاد الرافدين، هذا على مستوى حضارات المنطقة، إلى جانب حضارة الصينيين والهنود وبيزنطة وغيرهم، وقد فصلها جميعاً باستقصاء وتحليل المؤرخ والفيلسوف البريطاني المعاصر "آرنولد توينبي" في موسوعته التاريخية الشهيرة "دراسة للتاريخ" في اثني عشر مجلداً، قضى في تأليفها ما يزيد عن أربعين عاماً، توقف عند كل حضارة من الحضارات التاريخية، متأملاً نهوضها وسقوطها، وصولاً إلى الحضارة الغربية التي استقرأ نهوضها، وتوقف عند ذلك، لأنها لا تزال قائمة، وخرج بعد هذا التأمل بنظريته الشهيرة "التحدي والاستجابة" التي اعتمد فيها على علم النفس التحليلي، غير أنه لم يسهب القول كثيراً فيما يتعلق بالحضارة اليمنية القديمة، كما لم يفعل غيره من كبار الباحثين والمؤرخين؛ ذلك لأن اليمن كنز مهملاً لم يُكتشف بعد، ولا تزال أثارها ومآثرها الحضارية سرّاً من أسرار التاريخ، حتى يأتي الجيل الذي ينقب عن أجداد آبائه وأجداده، ومنها يستلهم نهوضه الجديد؛ لأن دراسة التاريخ القديم لا تعني العودة إليه، ولكن الانطلاق منه.

صحيح أن الآثاريين والباحثين - وأغلبهم من الأجانب - اكتشفوا حتى الآن آلاف النصوص المسندية؛ كما خرج كلٌ منهم بقائمه الخاصة في سرديته التاريخية التي هداه إليها جهده، غير أن ما تبقى أكثر. ومثل هذه الأعمال تحتاج لجهود كبرى، ووقت

أطول، فلا يزال المصريون منذ ما يزيد عن مئتي عام يكتشفون الجديد من حضارتهم الفرعونية كل يوم.

"ما ذا يعني انتمائي لليمن"؟ جديد الباحث الدكتور ثابت الأحمدى، توقف فيه أمام معالم اليمن الحضارية في التاريخ القديم، حتى الدولة الرسولية التي مثلت أزهى عصر يمني بعد الإسلام، وهو إلى العمل الموسوعي الشامل أقرب منه إلى العمل المتخصص في جزئية ما؛ كونه تناول مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، المدعمة بالمصادر والمراجع، القديمة والحديثة.

هذا الكتاب يقدم صورة حضارية شاملة عن اليمن وحضارتها التاريخية، في مختلف المجالات، على الأقل في الوقت الحالي، وقد تُستجد أبحاث ودراسات أخرى مع المستقبل، ستكون إضافة إلى ما سبقها. وجميعها تمثل - فيما تمثل - مرجعية معرفية في طريق استعادة الذات اليمنية الغائبة/ المغيبة بفعل التخثر المعرفي والثقافي الذي أصاب بعض أبناء اليمن، جراء حكم الكهنوت الإمامي البغيض الذي نال من اليمن، مجدا وتاريخا وحضارة، واهمًا أنه سيحل محل هذا الإرث الكبير، وقد تسربل بالدين زورا وبهتانا.

إنَّ النهوض الحضاري لأي شعب لا بد وأن يستند إلى نَهضة معرفية وثقافية، تعيد ضبط بوصلته من منطلق جذوره التاريخية، ليستعيد بموجبها ذاته الحضارية، وما أحوجنا اليوم للوقوف على معالم حضارتنا التاريخية، لا للغرق في تفاصيلها أو التوقف عند معالمها؛ ولكن للبناء عليها والانطلاق من روحها الجمعية، كما أشرنا آنفا..!

نقفُ - ونحن نتأملُ في أسفار حضارتنا التاريخية - بخشوعٍ هتانٍ أمام سطورٍ ولوحات من الجلال والجمال سطرها ورسمها ملوكنا الأقدمون، ملتحمين بالأرض التي استوحوا من ترابها وصخورها كبرياءهم الأزلي، فتوسعوا شرقا وغربا، ولا تزال مآثرهم إلى اليوم في كثير من أصقاع الأرض، شاهدة على أمجادهم العريقة، سواء في التاريخ القديم قبل الإسلام أم بعده.

" ما ذا يعني انتمائي لليمن". جهدٌ عظيمٌ بذله المؤلف، فيما يزيد عن خمس سنوات من العمل، كما ذكر في مقدمته، مُتَهِمًا في تفاصيل وجزئيات تلك المعالم التاريخية التي تبعث على الشموخ والاعتزاز، وقد ألمَّ بجزء كبير منها من خلال قراءته واطلاعه في تاريخ اليمن القديم والمعاصر.

التحية والتقدير لجهد خمس سنوات من البحث والتنقيب بذله الباحث؛ منقَّبًا بين صفحات التاريخ، حتى خرج بهذا السِّفَر الشامل، الذي قدم صورة كاملة لليمن في مختلف جوانبها، وهي الميزة الرئيسية في هذا العمل؛ ذلك أن ثمة باحثين ومؤرخين كُثُر، من يمنيين وغير يمنيين قد كتبوا عن اليمن، ولكن كلاً منهم تناول جزئية معينة من تاريخ اليمن، فيما هذا العملُ كان وافياً وشاملاً لمختلف الجوانب، كما سيجد القارئ ذلك بين ثنايا السطور القادمة؛ وذلك في طريق استعادة الذات، وتعزيز الهوية الحضارية للشعب اليمني العظيم.

• وزير الإعلام والثقافة والسياحة

المقدمة

يقال: "إن عظمة الإنسان مرتبطة بعظمة المكان، فحيثما التقيا يولد التاريخ العظيم". هنا/ هناك، وفي تلك الزاوية القصية من جنوب الجزيرة العربية وغربها ولد التاريخ العظيم في بواكير فجره الأولى. ومنها انسل النور شمالا وشرقا، يذرع الأرض في رحلة لا تزال تفاصيلها حديثا يُتلى حتى اليوم. تفاصيل مرقومة على الصخر، لا منتورة في بطون صفحات الإخباريين المتزدين؛ لأن التاريخ بعضه ظن، وبعضه من صنع الهوى، وأصدقه ما كُتب على الحجر، بحسب ول ديورانت. وما نطق به الحجرُ كثير حتى اليوم، إلا أن هذا الكثير قليل، قياسًا إلى ما تبقى مما لم تستنطقه مباحث الآثاريين أو عدساتُ المكتشفين.

قبل توحيد الكلمة عرف اليمانيون كلمة التوحيد، في الوقت الذي كان غيرهم يقدس الوثن الأصم. وفي الوقت الذي كان الناس قبائل متفرقة، كان اليمانيون شعوبًا متمدنة، أسسوا القوانين المكتوبة.. سَكُّوا العملة المتداولة.. كتبوا بالقلم.. تعاملوا بالتقويمات التاريخية القمرية والشمسية.. اشتغلوا بالفنون، والفنون سياسة الأمم المتقدمة، مثلما أن السياسة فنُّ الأمم المتخلفة، كما كانت لهم اتصالاتهم التجارية والاجتماعية مع بقية الأمم الأخرى في أرجاء المعمورة.

اليمن سفرٌ مهمل وكنزٌ مطمور، تحت كل حجر وشجر منه حديث ينطق بالعظمة والجلال، وكم تنن بلادنا من عقوق أبنائها وفجورهم جيلا بعد جيل، وكم تنزى حرقا وهي تشيم الدم سيالا والصراع جاريا لم يتوقف منذ أمدٍ طويل.

ماذا يُسِرُّ لسفح الربوّة الحجرُ كأن كل حصاة هاهنا خبرُ
هاتيك تعطس تاريخًا وبقلةً وتلك تلعن من جاؤوا ومن عبروا
هل تجرحين شذا التاريخ؟ أي شذا هذا الصفا حميرٌ هذا الصفا مضرٌ

وماذا جرى؟؟

لمتسائل أن يتساءل: ما الذي جرى بعد ذلك؟

نقول: - وأصل الفكرة هنا لابن خلدون في استقراره لصيرورة الدول والحضارات - أن عمر الدول والحضارات كعمر الإنسان، يبدأ طفلاً، فشاباً، فرجلاً مكتمل الرجولة، فكهلاً عجوزاً آيلاً للسقوط، فإذا دب الهرمُ للدولة صعب عليها أن تعود. وهذا ما جرى مع حضارة اليمن، التي تُعتبر من أولى الحضارات الإنسانية، إن لم تكن أولها جميعاً. وقد ترنّحت على مراحل:

- تَمَسَّيحتْ أوروبا بعد "توثُّبها" فكانت أولى القاصمات على الصعيد الاقتصادي، بعد أن استغنت عن اللبان والبخور والمر الذي كان يباع بسعر الذهب، وكان يأتي لها من أرض اليمن، وشرق أفريقيا؛ لأن المسيحية تدفن أمواتها بطقوس دينية، لا تستخدم فيها اللبان أو البخور، كما يستخدمه الوثنيون.

- انهار السد، وانهاره نتيجة فساد سياسي واقتصادي ضرب بنية الدولة، ففرقوا، حتى صاروا مثلاً يُضرب: "تفرقت أيدي سبأ".

- غارت شمس حضارة اليمن بغرق قوائم خيل ذي نواس في ضحضاح البحر، في هزيمة عسكرية، هي نتيجة لا سبب.

- مع بداية صدر الإسلام نزحت أغلب القيادات السياسية والعسكرية والاجتماعية الفاعلة في موكب الدعوة الجديدة في مهمة رسالية أكبر، فاستوطنوا البلاد التي فتحوها، ولم يعودوا. في الوقت الذي نرح إلى بلاد اليمن بعد ذلك شر جماعة استزرعت بذور الشر معها، فكانت ثلاثة الأثافي في القضاء على ما تبقى من معالم الحضارة اليمنية القديمة.

هكذا أخبروا لأن بلادي خنجر الآخرين وهي العقيرة

رحل النبع من جذوري فهيا يا هشيم الغصون نتبع خريه

هكذا ما جرى لأن بلادي ثروة الآخرين وهي الفقيرة

هذا الكتاب استقرأ تاريخي لمعالم حضارة اليمن ومظاهرها منذ فجر التاريخ، وحتى عصر الدولة الرسولية، وهو العصر الذي تلاشت في آخره البقية الباقية من معالم تلك الحضارة، بأدواتي القاصرة، فلست مؤرخاً، وإن كنت مُحباً للتاريخ، ومحباً أكثر لليمن، وذلك

ما قد يشفع لي لدى القارئ الكريم تجاه أي زلل أو خطأ أو تقصير غير مقصود. استغرقت فيه خمس سنوات وأكثر من البحث والكتابة، ولعل هذه هي أكبر مدة لعمل لي يستغرق هذا الوقت كله، وعادتي في أي عملٍ بحثي السرعة لا البطء. فما أن أنقطع عنه لعمل آخر حتى أعود إليه، وما أن أستغرق من الوقت في عملٍ آخر إلا كان لهذا العمل فيه نصيب، وهمي واهتمامي يكمن في كيفية عرض معالم حضارتنا لجيلنا اليمني القادم، وقد عمدت الإمامة على تشويبه وتغييبه، في خطوة أولى من أجل استعادة الذات الحضارية والهوية اليمنية، وهي المهمة التي أراها مقدسة، أو شبه مقدسة في زمن الشتات ولحظات التيه التي فصّمت ماضي الإنسان عن حاضره، ناهيك عن مستقبله.

إنها رحلة ممتعة، لا تخلو من الشقاء، أو رحلة شاقة لا تخلو من المتعة، ونحن نتنسم مع كل حرف ذواتنا وهويتنا التاريخية، لا بغرض العودة إلى الماضي، إنما لنعبر من خلال هذا الموروث إلى المستقبل، مزودين بروح الانتماء للأرض، وعقيدة الإخلاص للشعب وللأمة.. رحلة أحسستُ خلالها أنني في مهمة وطنية مقدسة، تجاه وطني الذي سقاني حبه صغيراً، ولا زلت مفتوناً به، وسأظل بحبه عاشقاً مُستهماً؛ وتلك قرابيني إليه حياً وميتاً. تأتي في إطار المحاولة لسد الخلل المعرفي والثقافي الذي تركه جيل الرواد الأوائل من ثورة ٢٦ سبتمبر، فنشأ جيل لا يعرف - في غالبه - إلى أي حضارة ينتمي، أو إلى أي مجد ينتسب؛ وذلك خللٌ في موازين الانتماء للأرض، ومقاييس المحبة للأوطان. ومن هنا تتعثر خطى الأمة، وتكبو انطلاقتها، ذلك أن أساس التعمير للأوطان هو المحبة المنطوية على المعرفة بجميع أبعادها ومضامينها.

إن للأمم والشعوب عقائدها الوطنية، كما لها عقائدها الدينية، وإن الشرك بعقائد الأوطان كالشرك بعقائد الأديان، ومن هنا نشأ أدب الملاحم التاريخية لكل أمة من الأمم، فلإغريق الإلياذة والأوديسا، وللهنود المهابهارتا، وللصينيين قوسار، ولليابانيين الهائيكي، وللفرس الشهنامة، وللكرد ميم وزين، وهي ملاحم صيغت من دم ولحم هذه الشعوب، أو قل من روحها الجمعية المتشكلة من وعيها العام والمشارك في هوية وطنية واحدة، تحتل كينونة هذا المواطن الذي يجد نفسه فيها، كما تحتل قصة وجوده الأزلي على تربة وطنه

الأم. وكم هي قداسة الانتماء في روح ووجدان الأفراد والشعوب!. ويمثل النشيد الوطني اليوم لأي دولة من الدول التجلي الأصدق لحقيقة الانتماء للوطن، بما هو ذاتٌ وكيونة ووجدان. والله در الحكيم اليماني مطهر الإرياني حين قال:

أيا وطني جعلت هواك دينا وعشت على شعائره أمينا
إليك أذف من شعري صلاة ترتل في خشوع القانتينا
وفي الإيمان بالأوطان برّ وتقدیس لرب العالمينا

وبالنسبة لنا فإن دامغة الهمداني قديما هي ملحمة الإنسان اليماني التي تختصر ذاته الحضارية وروحه الجمعية، خاصة وقد حاك نسيجها بروح المجدد المخلص لهويته الحضارية في أسوأ لحظات التحولات السياسية من تاريخنا المجيد؛ واضعًا معها أولى لبنات النضال الوطني الذي لا تزال فصوله تتوالى وحلقاته تتواصل في أطول مسيرة نضالية تكلفت بثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م التي زلزلت عرش الكهنوت الطاغية، ودكت وكره الخبيث، على ما أعقب هذا الفعل من هزات مضادة خلال العقود الأخيرة، ولم يكن الحدث الأشأم في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م إلا إحدى الموجات الارتدادية للكيان الإمامي الغاصب، في محاولة يائسة لاستعادة مزعوم حكم إلهي تنزل من السماء..!

لا أنسى هنا ملحمة المجد والألم للقبيل اليماني الأصيل مطهر الإرياني التي تعتبر امتدادا لدامغة الهمداني وتجديدا موضوعيا لها بلغة العصر، استنطق فيها أديب اليمن الكبير معالم الروح اليمانية الباذخة على كل رابية وسفح، وفوق كل تل وجبل، بروح المؤرخ الحصيف ولغة الشاعر الشفيف.

المجد لليمن.. البقاء للشعب.. التحية للجمهورية.. الوفاء للوحدة.. التقدير للشهداء والجرحي.

ثابت الأحمدى

يوليو ٢٠١٩م

**الفصل الأول:
اليمن قبل
الإسلام**

الجزيرة العربية واليمن

أولا الجزيرة العربية

حين نتكلم عن اليمن هنا، فإننا نتكلم عن اليمن التاريخية.. اليمن القديم، بحضارته العريقة، وامتداداته الفسيحة، التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين القدماء من يونان ورومان وفرنس وعرب، وغيرهم، وأيضا ما أشارت إليه الكتب السماوية، وخاصة التوراة، والقرآن الكريم، تصريحا أو تلميحا..

وقبل أن نتكلم عن اليمن - كجزء من الجزيرة العربية - نود الإشارة أولا إلى أن الجزيرة العربية في التاريخ القديم، من وجهة نظر الجيولوجيين والآثارين من بعدهم كانت متصلة بالقارة الأفريقية، حتى فصل بينهما الأخدود الطويل في الزمن الجيولوجي الثالث؛ نتيجة صدع أصاب القشرة الأرضية، لينشأ عنه البحر الأحمر الذي فصل شرق أفريقيا عن غرب الجزيرة العربية، التي هي اليوم: السودان وأرتيريا وأثيوبيا والصومال وجيبوتي. وما خلف هذه الدول من أواسط وجنوب أفريقيا.

يقول المؤرخ الدكتور جواد علي: "وشكل البحر الأحمر شكل يلفت النظر، يظهر وكأنه خط ممتد من الشمال نحو الجنوب على هيئة ثعبان منتصب ذي قرنين؛ أما باقي جسمه فإنه البحر العربي؛ أما هذا الثعبان فقد كان أرضا في الأصل، خسفت على هذه الصورة في الزمن الثالث من الأزمنة الجيولوجية، فابتعدت بذلك بلاد العرب عن أفريقيا إلا من ناحية الشمال، حتى لا تكون هناك قطعة تامة، وارتفعت بذلك السواحل الغربية نتيجة انخساف الأرض، فسالت إلى الأرض المنخسفة مياه البحر العربي، ولو تم الخسف وامتد إلى طور سيناء فشطرها لما كانت هناك حاجة إلى قيام الإنسان فيما بعد بإتمام

العمل الذي لم تكمله الطبيعة، وهو إيصال البحر الأحمر إلى البحر الأبيض بقناة السويس".^١

مضيفا: "وهناك من يرى أن البحر الأحمر كان بُحيرة في الأصل، وكانت أفريقيا والعربية الجنوبية قطعة واحدة عند جنوب هذه البحيرة، أي عند ما يسمى بمضيق باب المندب في الزمن الحاضر، ولكن خسفا وقع، أدى إلى انفصال أفريقيا عن العربية الجنوبية الغربية، فاتصل المحيط الهندي بالبحيرة، وتكون البحر الأحمر، وقد كان الناس قبل وقوع هذا الانفصال يتنقلون برا، وكأن أفريقيا وجزيرة العرب قطعة أرض واحدة، ومن هنا كانت الهجرات".^٢

وترى الباحثة ميس كاتون تومبسون أن انفصال جنوب غربي بلاد العرب عن أفريقيا الشرقية حدث في حقبة البلستوسين، قبل مليون عام على أقل تقدير، وأنها تعتقد أن "حجر الصوان" التي عُثِرَ عليها في حضرموت تشبه كثيرا حجر الصوان التي عثر عليها الباحثون في شرقي أفريقيا.^٣، كما يدل على ذلك أيضا تشابه الصخور على جانبي البحر، وعمقي الجانبين المتساويين.

والجزيرة العربية عند المؤرخ الدكتور جواد علي يجدها الخليج العربي، المعروف عند اليونان باسم الخليج الفارسي، وما زال يعرف بهذه التسمية المأخوذة عن اليونانية في المؤلفات المعاصرة، أما قدماء أهل العراق فقد عرف عندهم بالبحر الجنوبي والبحر الأسفل والبحر التحتاني، وبحر الشروق، والبحر المر، والبحر المالح. ويجدها من الجنوب المحيط الهندي.. أما حدها الغربي فهو البحر الأحمر، بحر "القلزم" في الكتب الحديثة.^٤

ويرى الباحثة الدكتور سليمان حُزَيْن أن بلاد العرب هي الأقدم من بلاد أفريقيا، وأن الثقافة قد انتقلت منها في العصور الحجرية القديمة إلى شرق أفريقيا، وهو ما أشار إليه

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، د. د. ط: ٢، ١٩٩٣م، ١/١٤١.

٢- نفسه، ١/١٤٢.

٣- CatonThomposon, Climate, Irrigation and Early man in the Hadhramout, Geographical Journal 93, 18- 19 and 29- 35, January 1939.

٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/١٤١.

الدكتور أحمد فخري حين ذهب إلى وجود تشابه بين الثقافتين العربية وثقافة أفريقيا، وأيضا ثقافة سوريا والعراق، مع وجود بعض التباين منذ العصر الحجري القديم.^١

وشبه جزيرة كبيرة، تقع إلى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتبلغ مساحتها ثلاثة ملايين كيلو مترا مربعا، أي ضعف مساحة إيران، وستة أضعاف فرنسا، وعشرة أضعاف إيطاليا، وثمانين ضعف سويسرا.

ويحدها من الشمال فلسطين وصحراء الشام، ومن الجنوب المحيط الهندي والبحر العربي وخليج عدن، ومن الشرق الحيرة ودجلة والفرات والخليج العربي، ومن الغرب البحر الأحمر.

وقد تم تقسيمها في القديم إلى ثلاثة أقسام:

١ - القسم الشمالي والغربي ويسمى بالحجاز.

٢ - القسم المركزي والشرقي ويسمى بصحراء العرب.

٣ - القسم الجنوبي ويسمى باليمن.

أما عند اليونانيين فتقسيم الجزيرة العربية على النحو التالي:

١. العربية السعيدة

٢. العربية الصخرية

٣. العربية الصحراوية

وتوجد داخل شبه الجزيرة صحارى كبيرة، ومناطق شاسعة رملية حارة، وغير قابلة للسكنى في أغلب هذه الصحارى، ومن هذه الصحاري صحراء "بادية السماوة" التي تسمى اليوم بصحراء "النفوذ" وصحراء أخرى واسعة الأطراف، تمتد إلى أطراف الخليج العربي، تسمى بصحراء الربع الخالي، وقد كان يسمى القسم الأكبر من هذا الصحارى

١- دراسات في تاريخ الشرق القديم. د. أحمد فخري، مكتبة الانجلو المصرية، ط:٢، ١٩٦٣م، ١٢٦.

سابقا بالأحقاف، ويسمى القسم الآخر بالدهناء. وقد سكنتها الأقباط البادية التي أشار إليها القرآن الكريم، وبه سميت إحدى سوره الكريمة.

ومناخ شبه الجزيرة العربية متغير على الدوام، فالهواء في الصحارى والأراضي المتوسطة حارٌ وجافٌ جداً، وفي السواحل حار مع قليل من الرطوبة التي تطفء الجو قليلاً. وتشكل هذه الصحارى ما يقارب ثلث مساحة شبه الجزيرة العربية، وأراضيها خالية من الماء والعشب وغير قابلة للسكنى، عدا المياه التي تأتي من الأمطار، وقد كانت تمثل منتجعا للرعى سابقا.

وتوجد في هذه الجزيرة سلسلة جبال تمتد من الجنوب الى الشمال، يقارب ارتفاعها ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر. وأغلبها في الجنوب والجنوب الغربي منها.

قال الهمداني: "وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرافها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق، حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة، وامتد إلى عبادان، وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرباً مطيفا ببلاد العرب، منعطفا عليها، فأتى منها على سفوان وكاظمة، ونفذ إلى القطيف وهجر، وأسياف البحرين، وقطر وعمان والشحر، ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية عدن وأبين ودهلك. واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعك، ومضى إلى جدة، ساحل مكة، والجار ساحل المدينة، وساحل الطور وخليج أيلة وساحل راية "كورة من كور مصر البحرية" حتى بلغ قُلزم مصر وخالط بلادها، وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان، مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين، فمر بعسقلان وسواحلها، وأتى على صور، ساحل الأردن... فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها، وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب، وفي أشعارها: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، ذلك أن جبل السُّرّة، وهو من أعظم

جبال العرب وأذكرها أقبلى من قعرة اليمىن؁ حتى بلع أطراف بوادي الشام؁ فسمّته العرب حجازا؁ لأنه حجز بين الغور؁ وهو هابط؁ وبين نجد وهو ظاهر؁ فصار ما خلف ذلك الجبل في غريبه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها؁ ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها؁ وغار من أرضها الغور؁ غور تامة؁ وتامة تجمع ذلك كله..^١

والعرب - سابقا - يضيفون إلى جزيرتهم برة سيناء وفلسطين وسوريا "فهى عندهم تشتمل على شبه جزيرة سيناء وفلسطين وسوريا؁ وذلك أقرب إلى التحديد الطبيعي؛ لأن الأصل في الحدود أن تكون أنهرا أو أبجرا أو جبالا عالية. على أننا إذا أردنا بجزيرة العرب البلاد التي كان يسكنها العرب على الإطلاق؁ فنرى حدودها تختلف باختلاف الأعصر والدول؁ فقد كانت في الزمن القديم تمتد من ضفاف الفرات غربا إلى ضفاف النيل؛ لأن بعض قبائلهم كانت على عهد الفراعنة تضرب خيامها في البداية بين النيل والبحر الأحمر. وكان المصريون من قديم الزمان يعتبرون كل ما هو شرقي بلادهم إلى حدود بابل بلادا واحدة يسكنها العرب.."^٢

والجزيرة العربية - حسبما يرى الجيولوجيون - كانت من أولى المناطق التي بدأ ينحسر عنها الجليد قبل حوالي مائة ألف سنة تقريبا؁ وبعضهم يقول أقل من ذلك؁ بينما لا تزال أغلب مناطق الكرة الأرضية مغطاة بالجليد في عصره الرابع؁ وغير قابلة للسكنى.

وقد جاء اعتدال مناخ الجزيرة العربية؁ لكونها قريبة من خط الاستواء في أغلب أجزائها؁ حتى أن صحاراها اعتمرت بعد ذلك بالسكان؁ وكانت سهولا وغابات؁ فنمت فيها الواحات والأدواح؁ ومنها صحراء الربع الخالي وما جاورها شمالا وجنوبا؁ فسكنها الإنسان الأول؁ وظلت لفترات طويلة كذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حين تكلم عن السبعيين؁ وجنتهم "عن يمينين وشمال" وهو ما يؤكد أن الإنسان الأول على

١ - صفة جزيرة العرب؁ لسان اليمىن؁ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني؁ تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي؁ مكتبة الإرشاد؁ صنعاء؁ ط: ١؁ ١٩٩٠م؁ ٨٤.

٢ - العرب قبل الإسلام؁ جورجى زيدان؁ دار الهلال؁ د. ت. د. ن. ٣٧.

هذه الأرض قد وجد أولاً على هذا الجزء من الكوكب. كما تذكر بعض الأحاديث النبوية "لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"^١

ثانياً: اليمن

يعتقد بعض الباحثين والمؤرخين أن الحضارة اليمنية أم الحضارات جميعاً، مستدلين بعدد من الشواهد التاريخية والعلمية التي تسند آراءهم، ونعتبرها كذلك بحق، فالإنسان الأول لعله قد وجد في الجزيرة العربية قبل مئة ألف سنة كما يرى المؤرخ الشماحي؛ حيث يقول: "ولقد كان نهر الدواسر من أعظم أنهر الجزيرة، ينبع من جبال اليمن الشرقية والشمالية ماراً بالأحقاف، منحنيًا نحو الشمال، مخترقاً الربع الخالي إلى شواطئ الخليج الفارسي. وذلك يجعلنا نفترض أن الإنسان الأول الحق قد وجد في الجزيرة من قبل مئة ألف سنة، وبدأ يضع براعم المجتمع الإنساني ونظمه البدائية، ويفكر - فيما نتخيل - في التفاهم إلى جانب الإشارات بأي لغة وواسطة، وفي سن قواعد فجة للعلاقات الاجتماعية... تكونت أول أسرة وجماعة قبييلة فأمة لها شرائعها وعاداتها وأساطيرها وعقائدها من قبل مئة ألف سنة، حفظت لنا منها القليل المجلد أخبار تتناقلها الأجيال، منها قصة نوح - عليه السلام - والطوفان والسفينة، ومنها العمالقة وعظمتهم، وأن اليمن كانت موطن العمالقة الأولى، وأنهم من العرب البائدة، وسلفاً لمن تلاهم من عاديين، ومن تلاهم من كلدانيين وعدنانيين وقحطانيين وغيرهم من أمم حدثتنا عنهم الأخبار، وأيدتها الكتب المقدسة والآثار في أحيان كثيرة. ولقد كان خصب الجزيرة واعتدال مناخها المبكر من عوامل قيام هذا الإنسان على تربتها قبل غيرها.. ثم لتعرضها للجفاف المبكر."^٢

١ - المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاکم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٩٩٠م، ٤/٥٢٤.
٢ - اليمن الإنسان والحضارة، عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي، منشورات المدينة، بيروت - لبنان، ط: ٣، ١٩٨٥م ٢٥.

مضيفاً: " .. يكون اليمن هو الحقل الذي نبت عليه الإنسان الأول قبل مئة ألف سنة، حين كانت أوروبا بغيرها، ومعظم الكرة الأرضية في غلاف الجليد الرابع الرهيب الذي لم يجعل الإنسان أن يتبرعم على أرض فرنسا وأسبانيا إلا بعد سبعين ألف سنة"^١ مفترضا أن المسيرة الأولى للإنسانية قد ابتدأت من فوق تربة اليمن نحو مدينة العالم القديم، ومشيرا إلى أن معبودات قوم نوح - عليه السلام - تحمل أسماء يمنية. أما قصة ابنه سام من بعده فهي أكثر وضوحا من حيث مسرحها وجغرافيتها.

وقد عثرت البعثات الأثرية الاستكشافية مؤخرا على مجرى نهر عظيم ظل متدفقا إلى الألف السادس قبل الميلاد من مارب والجوف عبر رملة السبعين إلى وادي حضرموت، التي تعتبر اليوم صحارى قاحلة.

وقد ذكر المؤرخ ابن الجاور أن أودية تهامة اليمن كانت المصدر الرئيسي لأخشاب العمارة والسفن "الأودية التي تقطع منها الأخشاب لأجل العمارات من معاملة ذؤال، ووادي نبع ووادي ريمان ووادي عرم ووادي جابية والممدارة، وفي وادي زبيد سخمل والفائشي، وغاية شجرة الاسحل والسيسبان... وفي أودية الشام^٢ وادي رماع ووادي الكدراء ووادي سررد ووادي مور، وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة"^٣

إن حد اليمن في عرف بعض العلماء من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء، وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان، إلى عدن أبين، وما يلي ذلك من التهائم والنجد.^٤

وقد كانت عند اليونانيين أوسع من ذلك، لأن بعض مؤلفاتهم ذكرت الجزيرة بلفظ اليمن، وذلك راجع إلى أن المجد السبئي اليمني قد تزامن مع ازدهار الحضارة اليونانية؛

١ - نفسه، ٣٥.

٢ - شام تهامة.

٣ - تاريخ المستنصر، ابن الجاور، مراجعة وضبط: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ٦٣.

٤ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، سابق، ١/١٧١.

لأن اليمنيين كانوا يحكمون الجزيرة العربية كاملة، بل ويمتد نفوذهم الاقتصادي إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى وفاق تام مع الفينيقيين في الشام، الذين هم أيضا من أصول يمنية خالصة، ووقفوا معا ضد الهجمات الاحتلالية التي قام بها اليونان فالرومان فالفرس، كما ذكر ذلك المؤرخون.

وهي عند "غلاسير" النمساوي، كل المنطقة الجنوبية لجزيرة العرب، من عسير إلى المحيط الهندي، ومن البحر الأحمر إلى الخليج.

وعند الهمداني في صفة جزيرة العرب: "سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعا إلى المغرب، ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة، فإلى حدود الهجيرة وتثليث، وأنهار جرش وكنتنة، منحدرًا في السراة على شعف عنز، إلى تهامة على أم جحدم، إلى البحر حذاء جبل يقال لهم كدمل بالقرب من حَمَضَة.."^١

ويقول المؤرخ جورجي زيدان: "يراد باليمن في التاريخ القديم ما يسميه اليونان: "Arabia flex" أي العربية السعيدة، ولعلها ترجمة اليُمن، من البركة لكثيرة خيراتها بالنظر إلى البادية في الشمال كأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الحضر. ويحدها عندهم خليج العجم من الشرق، وبحر العرب من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب، ويسمونه خليج العرب، وأما من الشمال فتحده البادية، وهي بادية الشام والعراق والعربية الحجرية . بلاد بطرا ويدخل في بلاد اليمن على هذا التحديد اليمن وحضرموت والشحر وعمان والعروض ومعظم الحجاز وتهامة ونجد وغيرها"^٢.

١- صفة جزيرة العرب، سابق، ٩٠.

٢- التمدن الإسلامي، جورجي زيدان، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٢٢م، ١٠٣.

أصل اليمانيين

تكلمنا سابقا عن الجزيرة العربية بشكل عام، واليمن بشكل خاص، كجزء منها، جغرافيا، وفي المبحث الآتي نتكلم عن اليمن من حيث الأصل الإنساني لها، وكيف تكونت وانتشرت سلالاتها في بقاع الأرض.

مما لا شك فيه أن اليمانيين ينتسبون إلى قحطان بن هود عليه السلام، الذي عاش في الألف الرابع قبل الميلاد، كما يذهب إلى ذلك المؤرخ الشماحي في كتابه "اليمن الإنسان والحضارة" وهو أصح وأوثق ما توصل له المؤرخون في غالبهم، وليس أمام الباحث إلا التسليم بصحة هذا التاريخ حتى تأتي حقائق علمية جديدة، مستندة على أدلة لا يتطرق إليها الشكوك أو تعترها الظنون.^١

وقحطان - يقطان كما في التوراة - هو قحطان بن عابر، وعابر هو النبي هود عليه السلام، وهو ما رجحه لسان اليمن الهمداني ونشوان بن سعيد الحميري وابن خلدون، ونحى منحاهما المؤرخ المعاصر محمد حسين الفرج، مستندا لما ذكره الشعراء في شعرهم من قديم الزمن، كقول حسان بن ثابت، شاعر الرسول:

ويعرب ينميه لقحطان ينتمي لهود نبي الله فوق الحبائك

يمانون عاديون لم تختلط بنا مناسب شابت من أولي وأولئك

وقال الهمداني في دامغته:

سوانا آل قحطان بن هود لأنا للخلائق قاهرونا

وقال نشوان الحميري:

أفأين هود ذو التقى ووصيه قحطان زرغ نبوة وصلاح

١ - انظر: اليمن الإنسان والحضارة، سابق، ٤٩. وبعض الإخباريين والمؤرخين يعزو قحطان إلى الألف الثامن قبل الميلاد.

ويقول المتنبي:

إلى الثمر الحلو الذي طيء له

فروع وقحطان بن هود لها أصل

وبمجمال هذه الأدلة فإنها تدحض الرأي الذي ذهب إليه المؤرخ جواد علي في أن اليمنيين ادعوا الانتساب لنبي الله هود عليه السلام، بدافع العصبية بينهم وبين العدنانيين الذين تفاخروا بنسبهم الذي كان منه الأنبياء. ويكفي شعر حسان بن ثابت، شاعر الرسول الذي لم يكذبه أحد أو يخطئه فيما ذهب إليه. وهو يثبت بالدليل القاطع أن اليمنيين كانوا على علم بأصولهم الأولى في بداية صدر الإسلام. وأنهم فعلا ينتسبون لقحطان بن هود عليه السلام، وغيره الكثير.

العمالقة

يعتبر العمالقة أقدم وأصل العرب العاربة، موطنهم الأول هو اليمن، انساحوا بعد فترة من الزمن في بلاد كثيرة غير اليمن، وفيها سادوا حتى بادوا، وخلفهم نسلهم بعدهم. وقد نُسجت حولهم الأساطير والأحجيات، سواء مما له أصل منها أو مما لا صحة له البتة، إلا أنها بمجمالها تقرر عظمة هؤلاء القوم وسؤددهم.

عاد الأولى

تلا العمالقة عادُ الأولى التي ورثتهم في الأحقاف من بلاد حضرموت، وامتازوا بضخامة الجثث وقوة البطش، كما امتازوا بالتصنيع والبناء والزراعة، حتى بلغوا مبلغا لا حدود له من القوة الباطشة، ومن ثم أخذهم الغرور، فقالوا: من أشد منا قوة؟! وقد خاطبهم الله بقوله: (وإذا بطشتم ببطشتم جبارين..). فكان الطغيان بعد الاستغناء..

وقد اشتغلوا بالزراعة وتربية الماشية وبناء القلاع والحصون، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: (واتقوا الذي أمركم بما تعلمون..). وأيضا: (أتبون بكل ريع آية تعبثون..).

"وقد تزعمت عاد كافة قبائل الأمة الأولى من العرب العاربة في أرجاء اليمن إلى مناطق تم استيطانها في مكة، ومواقع من الطريق إلى الشام منذ الألف التاسع ق.م. وكانت حضارة عاد هي أقدم وأول حضارة في تاريخ الإنسانية بعد طوفان نوح، ويدل على ذلك قول الله تعالى: (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح..)^١

وحين تغول طغيانهم كان لا بد أن يلاقوا مصيرهم النهائي،

وفي هذه الأثناء دب الجفاف إلى المنطقة ولم تعد صالحة للسكنى^٢

عاد الثانية

من ملوكهم الذين ورد ذكرهم في مرويات الإخباريين: شداد بن عاد، ولقمان بن عاد، والهمل بن عاد، والحارث بن همال. وهي مرويات لا يستطيع الباحث الجزم بصحتها، لعدم وجود ما يثبت ذلك بالقطع وعلى سبيل التواتر، كما لا يستطيع. أيضا ردها، لعدم وجود ما ينافيها. ويذكر ابن خلدون في تاريخه أن شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب بعضا من القبط، وغلب على أسافل مصر، ونزل الإسكندرية، وبني بها حينئذٍ مدينة مذكورة في التوراة، يُقال لها: أون، ثم هلك في حروبهم، وجمع القبط إخوتهم من البربر والسودان وأخرجوا العرب من ملك مصر.^٣

١- الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، محمد حسين الفرح، وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤م، ٢٩/١.
٢- اليمن الإنسان والحضارة، سابق، ٤٥ فما بعدها. وهو يقول عن هذه الفترة: وهذا التحول تقره البحوث العلمية الجيولوجية والتاريخية، وتكاد تحدد معنا أن عادا حكمت في الألف الثامن قبل الميلاد، والأحقاف قد بدأت تتعرض لغزو الجفاف البيئي الذي لم تأت ضربته الحاسمة إلا في الألف السابع قبل الميلاد الذي انتهت فيه عاد الأولى، وانتهت فيه الحياة الصالحة في الأحقاف التي تحولت بعد قرون إلى صحراء رملية تبتلع الانتقال، تكاد تشارك الكتلة القمرية في الخلو من الحياة، فقد دب إليها الموت دبيب الخنافس والسلاحف، ويمكن أن يكون آخر عهدها بالحياة الصالحة - كما قدرنا - هو الألف السابع قبل الميلاد، والذي بدأت فيه عاد الثانية تتكون.

٣- تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، د.ط. ٢٢/٢.

وهؤلاء هم الذين أرسل الله إليهم نبيه هودا عليه السلام، وحين عصوا واستكبروا حقاً عليهم العذاب، وفارقهم نبيهم هود ومن آمن معه إلى شرق وادي حضرموت، وقبره إلى اليوم معلوم ومزور. قال تعالى: (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق..)

ثمود

تلا عادا الثانية ثمود الذين استوطنوا بلاد عسير وحضرموت، وقد استمروا فترة من الزمن، ثم نزحوا باتجاه الشمال، واتخذوا أكثر من مكان مسكنا لهم، مجاورين لمن تبقى من العمالقة الأوائل الذين هاجروا المنطقة قبلهم. وآثارهم إلى اليوم في بلاد عسير وفي أطراف حضرموت.

يعرب بن قحطان

هو يعرب بن قحطان بن عبد شمس، الملقب بـ "سبأ" بدأت فترته من الألف الرابع قبل الميلاد، وكان فترة مختلفة كثيرا عما قبلها، إذ استعاد عظمة العمالقة وعادا الأولى والثانية؛ حيث غزا بلاد بابل، وسبا الكثير فيها، وفيها قال الشاعر:

ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
له ملك قحطان بن هود وراثته عن أسلاف صدق من جدود وأب

ويعرب أول ملك حياه الناس تحية الملك "أبيت اللعن" و " أنعم صباحا"، وإليه تنسب العربية؛ لأنه أول من هذبها في طورها الثاني، وقد قال فيه حسان بن ثابت، مخاطبا قريش، ومفاخرا إياهم:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أئينا فصرتم معربين ذوي نفرٍ

وكنتم قديما ما لكم غير عجمة كلام، وكنتم كالبهائم في القفر

وقد بدأ يعرب ببسط كامل نفوذه على الجزيرة العربية، فولى أحد إخوانه على الحجاز، وولى الأخ الآخر، واسمه "عُمان" على ما بعد حضرموت وإليه نسبت. كما ولى عامر

بن قحطان بلاد حضرموت، فأكثر من الحروب فيها والقتل، وكان مجرد حضوره يعني الموت، فلُقب بحضرموت، وإليه نُسبت. وعلى الأرجح فقد تحدر المعينيون منه، لأن ثمة نصا بابليا يعود تاريخه إلى العام ٣٧٥٠ قبل الميلاد ذكرهم وذكر علاقتهم بالبابليين، وفي هذه الفترة وما بعدها بزمن يسير تكونت جرهم الثانية في مكة.^١

وذكر ابن خلدون نسبة إلى مسند الإمام أحمد أن رجلا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قيل هو فروة بن مسيك المرادي - من سبأ؟ أرجل هو؟ أو امرأة؟ أم أرض؟ فقال: بل رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة؛ فأما اليمانيون فمدحج وكندة والأزد والأشعر وأمار وحمير؛ وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان. وثبت أن أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية، ولقنها عن الأجيال قبله، فكانت لغة بنيه، ولذلك سُموا العرب المستعربة، ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام إليه من يتكلم العربية".^٢

ووفقا لما ذهب إليه المؤرخ محمد حسين الفرح، استنادا لما رجحه ابن خلدون، وإلى نتائج البعثة الأثرية الإيطالية، فإن قيام أول دولة يمنية اقترنت بيمن بن يعرب بن قحطان، حيث كشفت البعثة أطلال مدينة في موقع وادي يناعم في الأعروش بخولان، يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد. ومواقع أخرى في مناطق حولها، ومن ضمن المكتشفات في تلك المواقع أدوات مصنوعة من البرونز والنحاس والمعادن.^٣

مضيفا في سياق حديثه عن اليمن وحضارتها الأولى: " .. هذا البلد لم يكن له اسم جامع، وإنما كل منطقة تسمى باسم القبيلة التي تسكنها، فلما توحدت البلاد والقبائل بزعامة يمن يعرب بن قحطان سمي البلد باسمه يمن، وسميت الدولة دولة يمن يعرب،

١- اليمن الأرض والإنسان، سابق، ٤٩. ونسبة يعرب إلى قحطان نسبة اتصال بالنسب الأصل، لا بالنسب المباشر.

٢- تاريخ ابن خلدون، سابق، ٣٦.

٣- يمن هو الاسم الحقيقي للملك يعرب، اللقب الذي اشتهر به، واسمه في الأصل: يمن أو يامن بن قحطان، كما ذكر ابن خلدون وابن هشام، وهو مثل الألقاب التي لازمت أسماء بعض الملوك من بعده، مثل: ياسر يهنعم و شمر يهرعش. كذا قال ابن الديبع في: قرّة العيون في تاريخ اليمن الميمون.

فأصبح يمن هو الاسم الجامع لهذا البلد الممتد من ساحل المخا والمعافر بالبحر الأحمر غرباً، إلى ظفار عمان شرقاً، وإلى مكة شمالاً، وقد قيل - أيضاً - أن اليمن سُمي يمناً لأنه يقع بمين الكعبة، وذلك أن اليمن يمتد إلى يمينا الكعبة؛ أما السبب الأساسي للاسم فهو قيام أول وأقدم دولة في التاريخ بزعامة الملك يمن يعرب بن قحطان، فسميت الدولة باسمه، دولة يمن يعرب، وسمي البلد باسمه يمن. وهو أول وأقدم اسم جامع لهذا البلد؛ لأنه اسم أول وأقدم دولة في التاريخ، وهي دولة اليمن اليعربية القحطانية".^١

جرهم الأولى والثانية

وهما من أصل قحطاني، وقد وليا بلاد الحجاز، بعد القضاء على ما تبقى من بقايا العمالقة المهاجرين هناك، وأيام جرهم الثانية كانت دعوة نبي الله إبراهيم، ذي الجنس الكلداني بعد هجرته إليهم، وفيهم نشأ ابنه إسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم، وتعلم منهم العربية التي كانت لسان أبنائه العدنانيين من بعده. وسموا بعد ذلك بالعرب المستعربة، وظلوا في حكمهم حتى سلبتهم إياه خزاعة التي انخرعت من بلاد الشام، وهي من أصول قحطانية.^٢ وظل الحكم فيهم حتى تغلبت عليهم قريش في وقت متأخر أيام قصي بن كلاب الذي أصهر إليهم، ثم استطاع أن يسلبهم الملك والحكم.

١- الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، سابق، ١/٣٥.

٢- اليمن الأرض والإنسان، سابق، ٥٢.

عمان وحضرموت

قال ابن خلدون:

وقد هاجر إليها الأزد، والأزد اسم وادٍ في مارب، هاجر منه أهله بعد خراب السد، وصاروا يعرفون باسم أزد عمان، ويذكر الخزاعي أنهم "هبطوا تهامة على ذؤال" ويبدو أنهم انقسموا قسمين أو أكثر، فقسم هاجر إلى بلاد عمان، وهنا سُموا أزد عمان، وقسم آخر إلى تهامة اليمن، وهناك عرفوا أزد شنوءة. وقد حكموا في عُمان، وظلوا محافظين على أنسابهم، حتى جاء الإسلام، وسادة عمان يومها عُبيد وجيفر ابنا الجلندي، فأسلموا مع الرسول . صلى الله عليه وسلم . بعد أن وفد إليهم عمرو بن العاص، ونشرا الإسلام في عمان، عدا الفرس الذين كانوا هناك فقد قاطعوا الدعوة الجديدة، ثم رحلوا إلى بلاد فارس؛ أما حضرموت فقد سبقت الإشارة إليه، وتكونت مملكته بعد هجرة من تبقى من الأحقاف إلى حضرموت. وفيها من الآثار اليوم الكثير.

ولا شك أن اليمن هي الموئل الأول للإنسانية جمعاء، حسبما تذكر الدراسات؛ حيث ذكر تقرير للبعثة الأمريكية عام ١٩٨٥م إلى اليمن أن زمن البقايا الإنسانية المعثور عليها في وادي الجوبة بمارب يعود إلى ما قبل ستمئة ألف سنة.^٢

أما تنقيبات البعثة الروسية فيما بين ٨٣ - ١٩٨٣م في مناطق متفرقة من حضرموت ولحج فقد كشفت عن أدوات أثرية استعملها الإنسان اليمني الأقدم في أزمنة الباليوليتيك، وجاء في نص التقرير: "إن وجود هذه الآثار يعطينا اليقين الأساس بأن الناس عاشوا على أرض اليمن منذ مليون سنة وحتى الآن..^٣"

١- وصايا الملوك، أبو علي دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق: نزار أباطة، دار صادر بيروت، ط:١، ١٩٩٧م، ١٣٣.

٢- انظر: الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، سابق، ١/٢٤.

٣- مجلة الحكمة، العدد ١٠٨، سبتمبر ١٩٨٣م، تاريخ الشرق القديم، دار التقدم، من تقرير البعثة الأمريكية. انظرها في الكتاب السابق، ١/٢٤.

وأسفرت أبحاث أثرية ألمانية عن أن الإنسان قد عاش في منطقة "قاع جهران" في ذمار منذ أكثر من مئة وعشرين ألف سنة مضت.^١، كما أسفرت تنقيبات وأبحاث بعثات أثرية ألمانية وإيطالية في مناطق الحدا في ذمار والمسنة في البيضاء والأعروش بخولان عن العثور على أدوات أثرية تعود إلى زمن الباليوليتيك الأوسط: (١٢٠٠٠٠ - ٣٥٠٠٠) ق. م. وزمن الباليوليتيك الحجري الأعلى أو المتأخر: (٣٥٠٠٠ - ٨٠٠٠) ق. م. وتدل على أن إنسان العصور الحجرية القديمة في اليمن مارس كل النشاطات البشرية الموجودة حينذاك.. فالمواقع المكتشفة في خولان وذمار والحدا وغيرها تؤكد أن الإنسان اليمني له جذور قديمة بدأت منذ أن دبت الحياة على سطح كوكب الأرض^٢

وخلال هذا العصر كانت مرحلة الطوفان، وكانت بداية انتشار الحياة في جنوب الجزيرة العربية، ونشوء الطبقة الأولى من العرب العاربة الساميين. وفي هذا قال ابن خلدون: "هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثارا في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه؛ لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليهم لتطاول الأحقاب ودروسها، إلا ما يقصه علينا الكتاب أو يؤثر عن الأنبياء.."^٣

وقد صرح البروفيسور آدموند بوخنر رئيس معهد الآثار الألماني سنة ١٩٨٦م بقوله: "إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية، نظرا لوجود أقدم الحضارات فيها، وكان اعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في العالم هي مصر وبلاد الرافدين، أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم المراكز الحضارية في العالم".^٤

١- صحيفة الثورة، بتاريخ ١٢/٤/١٩٨٦م، مقال بعنوان: مسار الحضارة اليمنية، عثمان خليفة. انظرها في الكتاب السابق. ١/٢٥.

٢- الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، سابق، ١/٢٥.

٣. تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د. ط. ٢٠٠٠م، ٢/٥٤. فما بعدها.

٤- صحيفة الثورة ١٢/٤/١٩٨٦م. تصريح آدموندبوخنر. وانظرها في: الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير.

ولعل من الأدلة التي يصح أن تُساق على أصلية المنزل الجنوبي وأقدميته أن الآثار والوقائع أثبتت أن مآثر الجنوب السياسية والاجتماعية والعمرانية هي الأسبق والأقدم، وأن الانسياح إلى الخارج كان منه قبل غيره.^١

ويرى المؤرخ طه باقر أن هجرات متتالية بدأت من الجزيرة العربية، منذ نهاية العصور الجليدية، والعصور الحجرية القديمة، فاستوطنت بقاع الشرق الأدنى، مدفوعة بدوافع الجذب، مشيرا إلى أن هؤلاء الأقوام قد ساهموا في إنشاء أولى الحضارات البشرية التي هي الحضارة السومرية من وجهة نظره.^٢

ويضيف: "وإذا لم يكن بوسعنا أن نفصل الكلام عن الحضارة التي قامت في اليمن، فإننا نذكر هنا بعض الأمور البارزة، فمن ذلك رأي يخص علاقات الجزيرة بسائر بلدان الشرق الأدنى بوجه عام، وبلاد الرافدين بوجه خاص، وهي هجرة الساميين من جزيرة العرب التي يرجح بعض الباحثين أن مصدرها من الجزء الجنوبي من بلاد العرب. والواقع أن الحقائق التاريخية تشير إلى أن الدول التي قامت في اليمن - ولاسيما المعينيين والسبئيين - قد أقاموا لهم مناطق تجارية ومقار مهمة، امتدت إلى شمالي الجزيرة، وشملت الحجاز، وكان من أشهر ذلك تيماء والعلا وغيرها. ويُرجح أن أكثر السبئيين الذين ورد ذكرهم في المصادر المسماوية هم السبئيون المنتشرون في هذه الجهات...".^٣

ونستطيع أن نختتم هذه الفترة بعشرة ملامح حضارية عامة تميزت بها اليمن خلال هذه المرحلة، كما أشار إلى ذلك الفرّح، وهي:

١. تأسيس وقيام أول دولة عرفت بدولة اليمن اليعربية القحطانية
٢. وقوع الهجرات السامية الأولى من اليمن، لتأسيس ممالك في الشمال

١ - تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: ١، ٢٨.

٢ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، دار الوراق للنشر، ط: ١، ٢٠٠٩م، ١/٢١٥.

٣ - نفسه، ٢/٢١٨.

٣. صناعة واستخدام البرونز والنجاس والمعادن
٤. الزراعة وإنتاج المحاصيل الزراعية
٥. تشييد أقدم السدود في التاريخ
٦. تربية واستخدام الحيوانات
٧. الإنتاج الجماعي لأدوات تحويل منتجات الحبوب
٨. صناعة الأواني الفخارية وتطويرها
٩. تشييد أوائل المدن في التاريخ
١٠. بناء المعابد الدينية

اليمن في التوراة والقرآن

أولاً: اليمن في التوراة

لا توجد بلد ذكرتها التوراة والقرآن كاليمن، عدا فلسطين في العهد الجديد فقط؛ حيث مسرح الرسالة المسيحية، وهو ما يستوجب التوقف هنا لاستغوار واستكناه الحقائق والمدلولات الخفية منها والظاهرة وراء هذه الإشارة؛ إذ ليس الأمر مجرد مصادفة عابرة؛ بل للمكانة التاريخية والعظيمة التي احتلتها هذه البلاد قديماً، ومن زمن غابر.

ورد الحديث عن مملكة سبأ، وأحياناً لفظة "شبا" في العهد القديم "التوراة"^١، في معرض الحديث عن الأصل الإنساني، والأمم المتحدرة من نوح عليه السلام، ففي سفر التكوين، الإصحاح العاشر، الفقرة ٢١ فما بعدها: "وأنجب سام، أخو يافث الأكبر أبناء، ومنه تحدر جميع بني عابر. أما أبناء سام فهم: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام. وأبناء أرام عوص وحول وجاثر وماش. وأنجب أرفكشاد شالخ، وولد شالخ عابر. وولد لعابر ابنان: اسم أحدهما فالج، ومعناه انقسام، لأن أهل الأرض انقسموا في أيامه، واسم أخيه يقطان. وأنجب يقطان الموداد وشالف وحضرموت ويارج، وهديرام وأوزال ودقله وعوبال وأبيمايل وشبا واوفير وحويلة ويوباب. وهؤلاء جميعهم أبنا يقطان. وقد استوطنوا في الأراضي الواقعة بين ميشا والتلال الشرقية من جبل سفار. هؤلاء هم المنحدرون من سام، حسب قبائلهم ولغاتهم وبلدانهم وشعوبهم. هذه هي القبائل المنحدرة من أبناء نوح حسب شعوبهم، ومنهم انتشرت الأمم في الأرض بعد الطوفان"^٢

١- التوراة جزء من العهد القديم، وليست كل العهد القديم. والمقصود بها الأسفار الخمسة المعروفة،
٢- التوراة، سفر التكوين، الإصحاح العاشر، الفقرات ٢١ : ٣٢. ويقطان هو قحطان، كما ذكر ابن خلدون في تاريخه. ١١.

ولأن النصوص التوراتية ظنية الثبوت - وفقا لمعتقدنا الإسلامي - فإن الجزم بصحة ما ذكر سابقا أمرٌ فيه نظر. إنما تبقى في حكم المستأنس به، خاصة إذا ما عضد هذا النص نصوصاً أو شواهد أخرى. والواقع فإن نصوصاً توراتية كثيرة قد عضدتها نصوص قرآنية من كتابنا الكريم، وبالتالي اكتسبت الصحة، وهي كثيرة، الأمر الذي يجعلنا نأخذ في الاعتبار بعضاً من بقية النصوص التوراتية التي لم يُشر إليها القرآن الكريم لا نفياً ولا إيجاباً، ومنها هذا النص..

وقد فسر هذا النص الباحث في الأمم السامية حامد عبدالقادر، بقوله: "المراد من ميشا حتى سفار، أي المقاطعات الواقعة في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب، وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان تنحدر تقيم بتلك المقاطعات، ومنها حضرموت التي سميت بلاد حضرموت بها، وأوفير، وكانت تسكن مرفأً بحرياً اشتهر في التاريخ القديم، وحويلة، والمراد بحويلة بلاد الأحقاف والبلاد الرملية، وكانت إقليمياً يحيط به نهر تسميه التوراة فيشون، وقبيلة شيبا، وهي سبأ التي تنتسب إليها الدولة السبئية"^١ وإلى هذه السلالة التي ذكرناها آنفاً تنتسب العرب جميعاً، سواء ما عرف بالعرب العاربة أو البائدة، أم العرب المستعربة لاحقاً، إذ ينتسب إليها كل من جديس وطسم وأميم وجرهم والعماليق، وأمم أخرى لا نعلمهم، الله يعلمهم. وما عدا هؤلاء فهم من العرب المستعربة لاحقاً، أو ممن عرفوا بعرب الحجاز، ويعزوههم بعض المؤرخين إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد قيل بشأنهم كلام كثير، حتى إن البعض نزع عنهم أرومتهم المتصلة بالعرب، وهو كما يبدو غير صحيح، إذ العدنانية "الشمالية" فرع عن القحطانية "الجنوبية" التي ينتسب إليها كل العرب، مهما قيل في ذلك..

١- الأمم السامية مصادرها وتاريخها وحضارتها، حامد عبد القادر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ط. د. ت. ٨٤، وانظرها في الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير. ٣١.

وقد قال المؤرخ الشهير فيلبي: إنني أعتبر بلاد العرب الجنوبية، ومن ضمنها اليمن، هي الوطن الأصلي لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين، وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم العربية

وقد أيد فيلبي فيما ذهب إليه في كلامه السابق، الخبير الأثروبولوجي هنري فيلد، مشيراً إلى "أن اليمن وعدن كانتا مأهولين بالسكان في العصر النيولوثي - وهو العصر الحجري الحديث المحدد بين ٧٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م. - هاجر منهم إلى عمان والخليج، وآخرون إلى الصومال وكينيا وتنجانيقا، وفريق ثالث إلى نجران وسيناء وفلسطين.

وقال جواد علي عن فيلبي في إطار الحديث عن عرب الجنوب والهجرات السامية:

أما فيلبي فذهب في دراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب إلى أن الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين، وفي هذه الأرضين نبتت السامية، ومنها هاجرت بعد اضطرارها إلى ترك مواطنها القديمة لحلول الجفاف بها الذي ظهرت بوادره منذ عصر الباثوليتيك، هاجرت في رأيه في موجات متعاقبة، سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت إلى المناطق التي استقرت فيها. هاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة، حملت معها آلهتها، وأولها الإله "القمر"، وحملت معها ثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الأقلام، ومنه القلم الفينيقي، وطبعت تلك الأرضين الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع السامي الذي ما زال باقيا حتى اليوم.. فاليمن في رأي فيلبي وجماعة آخرين من المستشرقين هي مهد العرب ومهد الساميين، منها انطلقت الموجات البشرية إلى سائر الأنحاء، وهي في نظر بعض المستشرقين أيضا مصنع العرب، وذلك لأن بقعتها أمدت الجزيرة بعدد كبير من القبائل، قبل الإسلام بأمد طويل وفي الإسلام، ومن اليمن كان "نمرود"، وكذلك جميع الساميين.^١

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، سابق، ١/٢٣٢.

مضيفا: "إننا نرى أن جزيرة العرب قد أمدت العراق وبلاد الشام بالسكان، وأن القبائل الضاربة في الهلال الخصيب قد جاءت من جزيرة العرب".^١

وحسب جوستاف لوبون، فالعرب واليهود والفينيقيون والعبريون والسوريون والبابليون والآشوريون الذين استوطنوا جزيرة العرب وآسيا الصغرى حتى الفرات، من أصل واحد، ويطلق على هذا الأصل اسم الأرومة السامية.^٢

كما أشار العهد القديم في معرض الحديث عن التجارة والملك والازدهار، كتجارة اللبان والمر والذهب والأحجار الكريمة إلى اليمن بقوله على لسان حزقيال، مخاطبًا "صُور" التَّاجرة: "وتاجر معك أيضا تجار شبا ورعمة، فقايضوا بضائعك بأفخر أنواع الطيب والحجارة الكريمة والذهب. ومن المتاجرين معك. أيضا. أهل حُران وكنة وعدن وشبا، وأشور وكلمد. هؤلاء قايضوا بضائعك بنفائس الأردية الأسمانجونية والمطرزة، وبسجاجيد ملونة، مبرومة الخيطان، ومصفورة بإحكام"^٣

ويقول أيضًا في موضع آخر: ".. وعندما سمعت ملكة سبأ بشهرة سليمان قدمت إلى أورشليم بموكب حافل، وجمالٍ مُحمَّلة أطيابًا وذهبًا وفيرا وحجارةً كريمة.."^٤

وأيضًا: ".. وأهدته مئة وعشرين وزنا من الذهب، "نحو أربعة آلاف وثلاثمئة وعشرين كيلو جراما" وأطيابا كثيرة، وحجارة كريمة، ولم يوجد ما يماثل الطيب الذي أهدته ملكة سبأ للملك سليمان"^٥

"ويُرجع بعضُ المستشرقين وجود الكتابات العَرَبِيَّة التي بالمسند في جزيرة "ديلوس" من جزر اليونان التي يعود تاريخها إلى القَرْن الثاني قبل الميلاد، وفي وجود الكتابات المعينية في هذه الجزيرة إلى علاقة تجاريَّة، واتصال تجاري بين العَرَب الجنوبيين، وبين اليونان،

١- نفسه، ١/٢٣٤.

٢- حضارة العرب، د. جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١، ٢٠١٢م، ٦٤.

٣- الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال، الإصحاح ٢٧، الفقرات: ٢٢ - ٢٤.

٤- العهد القديم، سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح التاسع الفقرات: ١ - ٩.

٥- نفسه.

وكذلك ما عُثر عليه من المسند في مصر والسُودان، وأن جالية يمنية كانت تُقيم في هذه
البلدان..^١

وقد كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت الرومان يفكرون بغزو اليمن، هو السيطرة
على طريق التجارة العالمي من قبل الرومان ومنافسة اليمن في ذلك، نتيجةً للثروة المهولة
التي كان عليها اليمنيون نتيجة لهذا السبب، ما أطمع القيصر الروماني هذه الحال، وقال:
إنه يريد أن يتعامل مع العرب كأصدقاء أغنياء، أو أن يُسيطر عليهم كأعداء أغنياء،
كما ذكر ذلك "استرابون" مؤرخ تلك الحملة.^٢

وإلى جانب هذه الإشارة فقد ذكر العهد القديم أيضا قصة الملكة بلقيس مع نبي الله
سليمان، كما ورد في النصوص السابقة، ونصوص أخرى أيضا.^٣
وهناك بعض الباحثين المتأخرين من رأى أن مسرح التوراة هي بلاد اليمن أصلا،
معتمدا على العديد من الأدلة والشواهد التي تعزز رأيه.

وما يهمنا هنا هو الإشارة إلى الفترة الزمنية الأولى لدخول اليهودية إلى اليمن، أو
حتى تكونها إن صحت الرؤية التي ذكرناها آنفا، وإن كان ذلك مما يصعب تحديده على
سبيل القطع واليقين؛ لأن الآراء متعددة ومتضاربة، وأغلبها غير يقينية، فبينما يرى بعض
أن أول اتصال يهودي يمني كان عقب زيارة الملكة بلقيس لنبي الله سليمان عليه السلام
إلى فلسطين، وعودتها إلى اليمن بعد أن حملت منه، لتقوم هذه الجماعة بتربية المولود
تربية يهودية خالصة^٤ يرى المؤرخ استرابون أن أول دخول لليهود إلى بلاد اليمن كان مع
الحملة الرومانية التي على جنوب الجزيرة العربية سنة ٢٤ ق.م. حيث كان من ضمن

١- اليمن الخضراء مهد الحضارة، محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الجيل الجديد، ط: ٢، ١٩٨٢م، ٢٤١.

٢- هذه هي اليمن، عبدالله الثور، دار العودة، بيروت، ط: ٢، د.ت. ١٤٥.

٣- التوراة، سفر الملوك الأول، الإصحاح العاشر.

٤- انظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك، الإصحاح العاشر.

الحملة جماعة يهودية تخلف أفراد منها في اليمن.١، مع أن هناك من رأى أن هجرة اليهود إلى الجزيرة العربية لأول مرة كان عقب خراب الهيكل عام ٥٨٦م.

ويرى آخرون أن اليهودية قد دخلت اليمن لأول مرة على يد الملك الحميري "ابكرب أسعد" المعروف بأسعد الكامل، في فترة متأخرة، وتحديدًا في القرن السادس الميلادي عقب زيارته ليثرب من أرض الحجاز، والتقاءه لأحبار اليهود هناك، فاعتنق اليهودية، ومن ثم عاد متهودًا ومعه حبران يعلمانه اليهودية. وقد خاض جدلاً مع قومه الذين رفضوا التهود أولاً؛ لكنهم تمودوا بعد ذلك لأسباب تضاربت بشأنها المرويات.. وهناك مرويات أخرى ترى أن تمود اليمنيين جاء عن طريق القوافل التجارية التي كانت بين الشام وجنوب الجزيرة العربية في تلك المرحلة. وما هو في حكم المرجح هو أن الملك يوسف أسار ذو النواس الحميري ملك يهودي، حكم اليمن، وإن كانت الآراء متضاربة حول زمن اعتناقه اليهودية، هل صغيراً على يد أمه التي كانت من سبايا الحروب أم اعتنقها متأخراً؛ لكنه اعتنق اليهودية بعد أن كان مسيحياً، ثم نكل بالمسيحيين وأحرقهم في الأخدود، وقد روى القرآن الكريم قصته في سورة البروج، وبسبب هذه الواقعة تم غزو اليمن من جهة الحبشة بإيعاز من الإمبراطورية البيزنطية التي تدمرت لخرق أبناء ملتها ظلماً، وبهذه الحملة، ومنذ ذلك اليوم تكون الدولة الحميرية قد ارتكست وانتهت، وزال ملكها إلى اليوم. ومنذ ذلك اليوم وإلى اليوم واليهودية مستمرة في اليمن، وإن كانت هذه الفئة اليوم في حكم الجماعة المنقرضة التي لم يتبق منها إلا أشخاص قليلون.

١- التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، د. نورة بنت عبدالله علي النعيم، الرياض، ٢٠٠٠م،

ثانيا: اليمن في القرآن الكريم

كما كانت اليمن مادة أساسية في التوراة، فإنها كذلك في القرآن الكريم، وبذات الوصف والمكانة والعظمة؛ بل لقد سُميت سورٌ بأسماء يمنية: هود، سبأ، الأحقاف، ياسين، كما أشار القرآن الكريم إلى قصص كثيرة مسرحها اليمن، كقصة سام بن نوح عليه السلام بعد الطوفان، ومن بعده بنوه الذين تفرقوا في بقاع أخرى، وأيضا قصة بلقيس مع سليمان، وقصة بلاد سبأ، والأخدود، وأصحاب الجنة، وعاد، وثمود، وتبع، والبئر المعطلة والقصر المشيد، وذو القرنين.. إلخ.

فمن عاد الأولى والثانية ومعها ثمود . وهم من الأقوام البائدة . قال الله تعالى عنهم: (لم يُخلق مثلها في البلاد) وأيضا: كانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارحين، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون. والمصانع هي القلاع على قمم الجبال والآكام. وآثارهم شاهدة إلى اليوم في أكثر من مكان في اليمن، وغير اليمن، لأن بعضهم استقر باليمن، والبعض الآخر هاجر إلى الشام والعراق وإيران وأفريقيا، ومنهم جاءت سلالات السومريين والكلدانيين.

وإلى جانب الأمم البائدة أيضا الملكة بلقيس وقصتها مع سليمان، وقد كانت على عز باذخ وملك شامخ؛ حيث اكتملت في عهدها الحضارة اليمنية، اكتمالا لا نظير له يومها، فكانت حديث الشرق والغرب، وقد وصف الله عز وجل عرشها بقوله: (ولها عرش عظيم) ولك أن تتخيل العظمة من كافة جوانبها، وتتخيل أن الوصف أيضا قد جاء من عظيم؛ بل من أعظم العظماء.

وفي سياق المقارنة بين قريش الدعية للمجد والعظمة قرع الله ادعاءهم ودحض منطقتهم حين قال (أهم خير أم قوم تبع)؟! مع أن قريشا إلى أيام البعثة النبوية قد قطعت شوطا

١- تُبَع: تبع أسعد أبو كرب الحميري.

إيجابيا في المدينة والتحضر، متأثرة بعواصم الحضارات التي حولها من سبئية وبابلية وأشورية، وعلى الرغم من ذلك فالاستفهام هنا إنكاري تقريري. بمعنى أنهم ليسوا على الخيرية في شيء، وأن تُبَعَّ أعظم منهم.

أما ذو القرنين ففيه خلاف كبير بين الباحثين، فمنهم من يقرر يمئيته، ومنهم من يدحضها، والواقع أنه يعني بدلائل كثيرة ليس هذا مجال عرضها. وتكفي الإشارة الضمنية في سورة الكهف عن رحلته من الشرق إلى الغرب، ولو كان ذو القرنين هو الاسكندر المقدوني كما يرى البعض، لجاء الحديث عن رحلته عكسا لما هو عليه الحال في السورة؛ إذ ابتدأت رحلة ذي القرنين من مشرق الأرض إلى مغربها، أما الاسكندر المقدوني فقد ابتدأت رحلته من المغرب إلى المشرق. وهو ما ينفي أن يكون ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم هو الاسكندر المقدوني. وسنبسط الحديث عنه في مبحث خاص بذلك لاحقا.

وباختصار.. فهذه صورة اليمن في القرآن الكريم:

قوم عاد: (التي لم يُخْلَقْ مثلها في البلاد)

قوم تبع: (أهم خير أم قوم تبع)؟!)

عرش بلقيس: (ولها عرش عظيم)

بلاد سبأ: (بلدة طيبة ورب غفور)

ملكة سبأ: (أوتيت من كل شيء)

ذو القرنين: (إنا مكنا له . في الأرض)

أما في السنة النبوية فقد وردت المئات من الأحاديث عن اليمن وأهلها، وعن فضائلهم، ومكانتهم، وقد أفرد لها المحدثون كتبا خاصة.^١

١- انظر اليمن مكانتها في القرآن والسنة، عبد الملك الشيباني، مكتبة خالد بن الوليد، عالم الكتب اليمنية، د. ط، ٢٠٠٣م،

الدين في الحضارة اليمينية القديمة

حين اكتشف الإنسان في أولى مراحل حياته البدائية حالة الضعف التي تعتريه والظروف القاسية التي لا يستطيع مواجهتها بمفرده في عالمه الدنيوي لجأ إلى التفكير عن مثال أعلى يمكن أن يشكل له ملجأً وحامياً إزاء قسوة الطبيعة التي لا ترحم، فارتبط لا شعورياً بالسماء، معتقداً بها، وبقوى خفية فوق الجميع، تستطيع أن تنتقم للضعيف من القوي إن عاجلاً أو آجلاً، كما تستطيع. أيضاً. أن تحميه من مكروهات الطبيعة التي تهدده، بما في ذلك ما يلاقيه الإنسان من أخيه الإنسان نفسه.

ومع مرور الزمن زاد اعتقاده بها أكثر حين رأى أغلب بني جنسه قد تهيؤوا هذا المثال "الخفي" الذي يحمي الناس من شرور الطبيعة وشرور بعضهم البعض. فمثلت للجميع حلاً مؤقتاً على الأقل قبل تنزل الرسالات السماوية التي أكدت الاعتقاد وربطت الناس بالسماء أكثر، من خلال منظومتها الروحية وتعاليمها السماوية.

ومن معالم السماء وأعلامها اتخذ آلهته التي يراها متجسدة أمامه، خاصة وقد اعتقد فيها السطوة التي لا تُقهر، كسطوة الشمس على تبديد ظلمة الليل، وكذا القمر ومثله الزهرة، مطمئناً إلى هذه القوة والجبروت التي تقهر أعداءه كلما زاد إيمانه بها حد اعتقاده. وتاق إلى القرب منها أكثر، فتوصل إلى الترميز لها ببعض المجسمات المنحوتة لأشكال استطاع تصويرها في المخيال الديني على نحو يقترب من المثال الأعلى في السماء؛ لتكون هذه المجسمات أكثر قرباً منه، وبجواره، ثم ببعض الحيوانات في فترة لاحق. وقد سادت هذه الثقافة أغلب الحضارات القديمة بلا استثناء، ومنها حضارة جنوب الجزيرة العربية التي كانت لها آلهتها الخاصة.

وقد ذكر موسكاتي أن النقوش العربية الجنوبية تشتمل على طائفة كبيرة من أسماء الآلهة وألقابها. وهذا يوحي بوجود نظام للآلهة بالغ التعقيد. ويزيد من الصعوبات التي يلاقيها الباحث الطابع المحلي لمعظم الآلهة، والإشارة إليها عادة دون ذكر أسمائها، أو بذكر ألقابها، ولكن لا ريب في وجود أفكار عامة معينة، يمكن تجميع جمهرة الآلهة حولها.^١

وبشكل عام، فقد مرت الحالة الدينية اليمنية قديما بثلاثة أطوار أو ثلاثة مراحل، وهي:

١. الديانة البدائية

ذكر الهمداني في الإكليل أن اليمنيين القدامى قدسوا المرتفعات الجبلية والشواهد العالية، ومن هذه الجبال: جبل حضور وجبل ضين ورأس أهنوم في صنعاء، ورأس التعكر في إب ورأس جبل صبر في تعز، وفي رؤوس هذه الجبال مساجد مباركة مأثورة.^٢

وهناك أيضا معابد أخرى كثيرة تم بناؤها على قمم الجبال مع المرافق المتعلقة بها، كالبرك والأسوار والأحجار المنصوبة والطريق المرصوفة من القيعان والسهول إلى أعالي هذه الجبال التي اندرست اليوم واندثرت، ولم يبق إلا آثارها؛ بل لقد طمر منها الكثير. وهذه هي الحالة الأولى لكل الديانات في مختلف الحضارات، سواء اليمنية أو غيرها.

"وفي هذه المرحلة البدائية من الفكر الديني قدس اليمنيون عناصر البيئة، مثل الحجارة والأشجار والآبار والمياه، وذلك لاعتقادهم أن فيها قوى كامنة ومؤثرة في حياة الإنسان. وتمثل تقديس المياه بالاعتسال بها أو شربها طلبا للشفاء والخصوبة؛ أما الأشجار فقد اتخذت كآلهة في الديانات السامية بشكل عام، كما قدست تلك الظواهر لإيمانهم بوجود

١ - الحضارات السامية القديمة، سبتينو موسكاتي، ترجمة: السيد يعقوب بدر، دار الكاتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦م، ١٩٤.

٢ - الإكليل، الهمداني، أبي محمد الحسن الهمداني، دار الكلمة، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٢١/٨.

أرواح فيها، وكانت تُقصد لذاتها، ثم ما لبثت أن أصبحت وسائط للآلهة بعد أن تطور الفكر الديني والتفكير في وجود قوة إلهية أعلى، ومن هنا لم تعد هذه الظواهر تُقدس لذاتها، وإنما بما لها من صلة للآلهة، وبشكل عام كان الإله في هذه المرحلة ماديا، تمثل في هيئة ظاهرة من الظواهر الطبيعية، ثم ما لبث بعد ذلك في المراحل المتقدمة أن أصبح معنويا، وأصبحت الكواكب السماوية عبارة عن شخصيات تحمل المثل العليا".^١

وعموما - ووفقا لما ذهب إليه موسكاتي - فقد دخل دينُ العرب الجنوبيين كل صورة من صور حياتهم، ولما كانوا يرون أنه لا بد من حماية الآلهة لتوفيق كل حي ونجاح كل عمل، فقد كان للقبائل والأسر؛ بل للدول والجماعات الزراعية والتجارية أيضا آلهة تحميها، وكانت تُقام عند أداء أي عمل له أهمية ما احتفالات لاسترضاء الآلهة وتكريس ذلك العمل لها، وكانت المعابد والقنوات والقوانين ومراسيم الدولة وأنصاب القبور توضع كلها في رعاية الآلهة، وكان على الآلهة أن تنتقم من كل من ينتهك تلك الأشياء أو يدنسها.^٢

٢. الديانة الكوكبية

يعتبر الباحثون المتخصصون في تاريخ الأديان اليمنية القديمة أن الديانة الكوكبية أو الفلكية هي المرحلة الثانية في طور الأديان التي عرفها اليمني، وقد ذكرتها نصوص المسند منذ وقت مبكر قبل الألف الأول من الميلاد، وارتبط بهذا الثالوث الكوكبي العشرات من الرموز الدينية التي رمزت لها.

ليست عند اليمنيين فحسب؛ بل أيضا عند الحضارات الأخرى، ومنها البابلية، وإلى هذه العائلة الثلاثية أشار القرآن الكريم في سورة الأنعام في معرض الحديث عن قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام.

١ - انظر: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، من ١٥٠٠ ق.م، إلى ٦٠٠ ميلادية، منير عبدالجليل العريقي، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م، ط: ١، ٣٦.
٢ - الحضارات السامية القديمة، سابق، ١٩٥.

(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) سورة الأنعام.

الشمس

تعتبر الشمس من أشهر المعبودات القديمة لدى اليمينيين وغير اليمينيين، وفي مختلف الحضارات، نظرا لعلو مكانتها ولتأثيرها الواسع والكبير ولفوائدها الجمة للناس، وقد عبدها السومريون والأكاديون واعتبروها إله الحق والعدالة. كما اتخذت أكثر من رمز واسم لدى اليمينيين القدماء، مثل الدائرة، والنسر الذي يُعتبر ملك الطيور مثلما الأسد ملك الغابة، وكان الخيل هو الحيوان المقدس الذي ينوب عن الآلهة الشمس، فيرمز لها به. وسميت لاحقا بـ "ذات حميم"، إشارة إلى الشمس الحارة، و "ذات بعدان" إشارة إلى الشمس الباردة. أو شمس الصيف وشمس الشتاء. وبعدان اليوم إحدى مناطق اللواء الأخضر إب. وقد بني لها معبد خاص بها في مارب، ولا يزال إلى اليوم يعرف باسم معبد الشمس، كما أن لها معبدا، هو من أشهر معابدها في منطقة المعسال من البيضاء، وإلى كلمة شمس، ينتسب سبأ الأكبر الملقب بعبد شمس. وثمة قصيدة يمنية قديمة اسمها "ترنيمة الشمس" ترجمها الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله، ومضمونها يشيد بالشمس ويعدد مناقبها. وكانت تنصب الأصنام في بعض المعابد التي يطلق عليها "ذو شمس". كمعبد "حقة" في همدان.

وقد ذكر القرآن الكريم في سياق الحديث عن الملكة بلقيس وقومها أنهم كانوا يعبدون الشمس. (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ) سورة النمل: ٢٤. وذكر الهمداني في الإكليل أنه في أحد القصور صورة للشمس والهلال، وأن الملك كان إذا خرج من قصره ووقع بصره عليهما يعظمهما، بأن يضع راحته على ذقنه، ثم يجر بذقنه عليهما.^١

ومن الألقاب التي خلعت عليها لاحقا لقب "تنوف" وتعني في اليمينية القديمة: أنعم. من النعمة، وفي اللغة العربية الفصحى يأتي الجذر نوف بمعنى الزيادة في الشيء من واحد إلى ثلاث، وناف: ارتفع، وتدل على الرفعة وعلو المقام.^٢

ومن أسماء الشمس أيضا: "فشخت"^٣ وفي مملكة حضرموت "مولم" وفي معين "نكرح"^٤ وفي قتبان "ذات صنتن"^٥ و "ذات ظهين"^٦. و "أثرة"^٧ وأشهر ألقاب الشمس "أم عثر"^٨.

أما أهم الرموز التي رمز اليمينيون بها للإله الشمس فهي الأسد، ولذا تكثر الرسومات الصخرية للأسد وبأشكال متعددة. وكذا الخيل، والخيل من الحيوانات التي تم رسمها سابقا، وله حضور كذلك في مختلف النقوش لدى بقية الحضارات. وأيضا رمز الكروم.

١ - الإكليل، سابق، ١٢٩، وانظر أيضا: الفكر الديني عند قدماء اليميين، د. أسهان سعيد الجرو، ١٤٥.

٢ - الفن المعماري، سابق، ٦٩.

٣ - تعني في اليمينية القديمة البهجة أو السرور أو الفرح

٤ - تعني الكامل

٥ - من الصون، وهو الحماية.

٦ - إشارة إلى قوة الإشراق. وهي أشد ما تكون إشراقا في الظهيرة.

٧ - ربما من الأصل "أشرت" في العبرية، وتعني للمعان القوي.

٨ - انظر: الفن المعماري، سابق، ٧٠.

القمر

اكتسب القمر أهميته لدى الحضارة الجنوبية وغير الجنوبية من المواسم الزراعية وشهور البذر والحصاد ومن علو مكانته ومقاومة ظلمة الليل، وربما كانت أهميته في اليمن أكثر لسببين:

الأول: لارتباط الحضارة اليمنية بالزراعة كثيرا، فقد اعتمدت عليه في التقويم القمري المرتبط بالزراعة، ولذا فمن صفات القمر لدى القتبانيين "ذي ديمة" والديمة هي السحابة الممطرة، وترد أحيانا بمعنى المطر، وأيضا "ذي رجاو" الرياح، المرتبطة بهطول الأمطار.

الثاني: لارتباط اليمنيين أيضا بالبحار والملاحة وكذا القوافل التجارية البرية فقد كان القمر مصدر هداية لها في البحر وأيضا في البحر.

ولهذا فقد اتخذوا له أكثر من اسم فهو لدى السبئيين "إل مقه"^١، وفي مملكتي أوسان ومعين "ود"^٢، وفي مملكة قتبان "عم"^٣، وعُرف في مملكة حضرموت باسم "سين"، وهو الاسم الذي عرف به إله القمر في العراق وبلاد الشام منذ الألف الثالث قبل الميلاد.^٤ ولهذا بنوا له المعابد في مختلف المدن اليمنية. ويذكر البعض أنه احتل المكانة الأولى في الديانة اليمنية القديمة.^٥ وتنتشر معابد الإله "سين" في كل المناطق الحضرمية، وكان كل معبد منها يعرف في كل منطقة باسم محلي معين، ففي شبوة العاصمة الملكية كان يسمى

١ - تعددت تفسيرات المتخصصين لهذا اللفظ حد توهان القارئ، ويفسره الباحث في علم الآثار الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله بأنه "إل مقه" تعني إله الأمر، أو الإله الأمر.

٢ - أشار الباحث منير عبد الجليل العريقي إلى أن نصوص المسند تقرر أن الإله ود كان من أقدم الآلهة التي عبدت في مملكة سبأ، قبل أن تظهر مملكة معين ككيان سياسي، فقد كان يُعظم في عدد من المناطق وتقدم له القرابين، وكانت أوصافه في مملكة سبأ تدل على معنى الحافظ أو الحارس..

٣ - من الأسماء السامية القديمة المنتشرة. وقد ذكر جواد علي أن القتبانيين سمو إلههم الرئيس "عم" تيمنا بالعم أخي الوالد الذي يُعتبر في مقام الوالد عند العرب، والمراد من ذلك هو التقدير، وهي من الأسماء التي تدل على تقرب العبد من المعبود والتواضع له والشعور بالضعف أمامه.

٤ - انظر: دولة سبأ مقوماتها وتطوراتها السياسية من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، نعمان أحمد سعيد العززي، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، ٢٠٠٦م، ١٧.

٥ - انظر: تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، عبدالعزيز صالح، القاهرة، ١٩٩٢م. ٥٧. وأيضا: دولة سبأ.. مقوماتها وتطورها السياسي، سابق، ٤٤.

معبد الإله سين "اليم" ويسمى في منطقة باقطفة "حلسم" وفي منطقة حريضة يسمى "سين ذو مضيم"

ونرى أن اسم "ياسين" المتداول اليوم في اليمن، لا يتعد عن هذا الأصل التاريخي، تبركا به؛ وقد أضيفت إليه ياء النداء، خاصة مع وجود سورة في القرآن الكريم أيضا تسمى سورة "ياسين" التي كتبت بالحروف المبهمة التي لا يستطيع أحد من المفسرين الجزم بمعانيها، كغيرها من نظائرها من السور القرآنية التي ابتدأت بهذه الرموز مثل "آم" و "آمص" و "آلر" وغيرها..

وترى الدكتورة أسمهان سعيد الجرو أن المقه المعبود القومي لسبأ، وكان يُعد من الآلهة الرئيسية الاتحادية، انتشر بانتشار السبئيين، إلى حد أنه تجاوز اليمن القديم إلى خارجها، حيث نقل السبئيون معبودهم القومي إلى الهضبة الأثريرية، وكان له دور كبير وفاعل في توحيد القبائل اليمنية، خاصة بعد أن بنوا له المعابد، ويعتبر معبد "أوام" في مارب من أهم معابد المقه.^١

ويذكر المؤرخ عبدالله حسن الشبية أن اليمنيين قد نقلوا عبادة هذا الإله إلى الحبشة في وقت مبكر من الألف الأول قبل الميلاد، ودلت على ذلك نقوش عثر عليها في منطقة "يحا"؛ حيث وجدت بقايا معابد هذه الآلهة هناك.^٢

"وكان المعينيون يقيمون له أماكن لتقديم القرابين خارج حدود مملكتهم، فقد وجدت نقوش بخط المسند واللغة اليونانية تذكره في جزيرة ديلوس اليونانية في بحر إيجه؛ حيث

١ - انظر: الفكر الديني عند قدماء اليمنيين، أسمهان سعيد الجرو، نسخة إلكترونية، على الرابط: https://www.google.com.sa/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=2&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwiy_IWRpYPjAhVFzBoKHbV_BlwQFjABegQIAxAC&url=https%3A%2F%2Fwww.res.earchgate.net%2Fprofile%2FAsmahan_AI-

٢ - عبدالله حسن الشبية، مجلة الإكليل، صنعاء، "إسهام عرب الجنوب في قيام تطور أكسوم: عدد: ٤ للسنة السابعة، ١٤١٠هـ-، ١٩٨٩م، ٣٣.

أقام عدد من التجار المعينين مائدة قرابين له ولعدد من آلهة معين في تلك المنطقة، ويرجع النقش إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد^١.

ومن الرموز الأرضية التي استخدمت للإله القمر "الثور" ويقال أن السبب في ذلك يرجع إلى قرنيه اللذين يمثلان القمر في إحدى مراحلها، أو للقوة والقدرة التي يتمتع بها، واعتباره رمزا للخصوبة، كما يذكر جواد علي، علما أن للثور بقايا من هذه الرمزية الدينية إلى اليوم في بعض المجتمعات الزراعية في اليمن. وقدما نحت رأس الثور على العملات اليمنية.

وإلى جانب الثور من الرموز الحيوانية للإله القمر أيضا "الوعل" ذو القرون المشابهة لقرون الثور، وهو رمز للخصوبة والتكاثر، وإذا كان قرن الثور يمثل القمر هلالا في بدايته فإن قرون الوعل تمثله بدرا مكتملا. ولقرون الوعل صور على محربشات صخرية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، مترافقة مع الشعائر التعبدية. وهو من أكثر الحيوانات التي تم تصويرها ورسمها قديما^٢.

ومن الحيوانات التي رمزت للقمر في مملكة حضرموت أيضا النسر، وتم تصويره على العملات النقدية القديمة التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد^٣.

وفي مملكة قتيبان رُمز له بالثعبان، ونحت على أعمدة المعابد وواجهاتها، بل "وفي الفترة الإسلامية استمر تقديس الأفاعي الحية في اليمن، فقد كان يُقدم إليها الطعام في الصدوع التي تعيش فيها في المناطق الجبلية، كما اعتبرت سيدة الجداول؛ حيث كان المريض المسحور يُغمر فيها طلبا للشفاء، وتواصل تقديس الثعبان في عدد من المناطق اليمنية حتى الوقت الحاضر؛ حيث ما زال يُنحت على جدران المباني كتميمة وتعويدة لحفظ البناء أو المنزل من الأرواح الشريرة والكوارث"^٤.

١ - الفن المعماري، سابق، ٥٣.

٢ - نفسه، ٦٠.

٣ - نفسه، ٦١.

٤ - نفسه، ٦٢. رمز السبتيون والقتبانين أيضا للقمر بالسيف والخنجر.

ليس ذلك فحسب؛ بل ربما مثلت هذه البداية الأولى لتقديس الإله القمر وإجلاله سواء لدى الحضارة اليمنية القديمة أو الحضارات الأخرى المنطلق الأساس والخلفية الثقافية والفنية للرمزية الدينية اليوم؛ حيث " اتخذ الهلال الذي يُحف بالنجمة شعارا للإسلام؛ ولذلك صُوّر على عدد كبير من أعلام الدول الإسلامية كتونس وتركيا والجزائر وباكستان ومصر في عهد الأسرة الخديوية، وليبيا في عهد الأسرة السنوسية، ويُرجح أن انتشار ذلك الرمز بشكل واسع يرجع إلى أنه تمثيل بسيط ومفهوم يمكن رؤيته بالعين المجردة، ويحاكي شكل القمر، كما هو في الطبيعة".^١

الإله تآلب ريام

وهو الإله الخاص بقبيلة همدان، كانت عبادته تنتشر في نطاق إقليم اتحاد قبائل سمعي، فثمة نقوش عدة تتحدث عن هذا الإله "تآلب ريام" وأهميته المقدسة بين تلك القبائل؛ و "تآلب" تعني الوعل، أما "ريام" فهي تعود إلى الجذر "رام" وتعني الارتفاع أو العلو، وعادة ما كانت تبني المعابد في الجبال المرتفعة والأماكن العالية، وقد عُبد في مدن: حاز وناعط وشبام الغراس وأكانط وبيش دغيش وريام وأتوه؛ أما تفسير كلمة "تآلب" فتعني "الوعل"، كما ذكرنا، ومعروف أن الوعول كانت من الحيوانات المقدسة عند عرب الجنوب. وذكرت النقوش أسماء عدد من معابد الإله "تآلب ريام" في أكثر من مدينة، كما ذكرت النقوش آلهة أخرى، يقترن اسمها بالاسم "تآلب ريام" هي الآلهة "نوشم" مما

يوحى بأنها قرينته.^١ كما وصف في نقش آخر بأنه "المنان". أي الإله المنان بالخيرات على البشر.^٢

وكان للإله "تألب" معبد على جبل "ريام/ ريم" في أرحب منذ زمن قديم، قريبا من معبد عثر ذييان. وقد كانت منطقة "ريام/ ريم" هي نقطة الانطلاق لعبادة "تألب". وتتوزع كلمات عدة مشتقة من الجذر اللغوي "ري م" الذي يعني: علا وأشرف وارتفع في أكثر من منطقة من مناطق اليمن، مثل: ريام عمران، ومريمة وريمان ويريم في إب، ومريمة محافظة معروفة، وتريم في حضرموت، وغيرها.. كما كان للإله "تألب" معبد في جبل "ذ ع ر ن" و "ع د ف".^٣

عثر

يكاد الإله "عثر" منتشرا في كل المناطق اليمنية تقريبا، إذ لا تزال كثير من الأماكن تسمى بهذا الاسم حتى اليوم في مختلف مناطق اليمن.^٤، وعادة ما يضاف إلى صفة بعده "عثر شرقن" الشارق. وهو "الزهرة" النجمة الشارقة صباحا. ويبدو أن عبادة هذا الإله قد توسعت شمالا وشرقا من الجزيرة العربية، ولم تقتصر على اليمن فحسب؛ إذ عرف الاسم "عشتار" في حضارة بابل بالعراق، وعند العبريين "عشتروت" وعند

١ - الفكر الديني عند قدماء اليمنيين، أسهان سعيد الجرو، ١٤١. وما تجدر إليه الإشارة هنا هو وجود ثلاث مناطق متقاربة في عزلة بني أحمد محافظة ريمة، تحمل أسماء هذه الآلهة المقدسة، وقد تحور بعضها عن أصله، وهي: "تولب" كما ينطقها العامة، وعلى مقربة منها "النشام" ويبعد عن المنطقتين منطقتان أخريتان تحمل أحدهما اسم: "الريم" وأخرى "ريم". كما توجد قرى ومناطق أخرى قريبة منها تحمل الطابع الحميري القديم، وهي: ذي عمران، ذي عرقش، ذي خالقة، ذي شمس، وأيضا الرحمانية "رحمن" "حول" الإله الحضرمي، وربما وجدت أيضا قرى أخرى لا تحضرنا أسماؤها الآن. وربما أن كلمة "ذي عرقش" قد تحورت أو تطورت عن اللفظة "ت ر ع ت" التي ترد في بعض النقوش مقرونة بالإله "تألب" وتعني: اسم معبد أقيم للإله تألب. (ت أ ل ب/ ر ي م/ ب ع ل / ت ر ع ت). ويوجد في بني ظبيان معبد "ت ر ع ت" للإله "تألب". كما يوجد معبد "مريضن" للإله تألب في ظفار، كما أشار إلى ذلك الفحطاني في كتابه: آلهة اليمن القديم، ص: ٦٠.

٢ - آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي، دراسة أثرية تاريخية "أطروحة دكتوراه" جامعة صنعاء، محمد سعد عبده حسن الفحطاني، ١٩٩٧م، ٥٨.

٣ - نفسه، ٦٩.

٤ - تعرض الاسم للتحوير الصوتي وصار كل اسم يختلف نسبيا عن الآخر حتى ليخيل للقارئ أن كل اسم من هذه الأسماء لا علاقة لها بغيرها من الأسماء المشابهة.

الكنعانيين "عشتريت" ويسمى في السريانية "أثر" و "عثر" وفي اللغة المهرية "كويكب نوير" أي الكوكب المنير. ولعله "النجم الثاقب" الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الطارق (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) ويعتبر بمثابة الابن للمعبودين السابقين الشمس والقمر.^١

ولإله "عثر" أكثر من معبد لدى المعينيين، وقد رمزوا له بالوعل، وهو الحيوان المشترك بينه وبين القمر، إلا أنه إلى الإله الزهرة "عثر" أقرب منه إلى الشمس. وأيضا الغزال والنعام

وأیضا يعوق التي كانت لهمدان في قرية حَيَّوان من أرض اليمن، وخيوان: بطن من همدان. وأما نسر: فكان لحمير لآل ذى الكلاع في أرض حمير. وهما من المعبودات التي ذكرها القرآن الكريم في سورة نوح، وكانت أصناما جلبها إلى الجزيرة العربية عمرو بن لحي الخزاعي.

وإليه أشار القرآن الكريم في معرض الحديث عن معبودات قوم نوح عليه السلام، فقال تعالى: (ولا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواع ولا يعوق ونسرا) وقد اتخذت كل قبيلة من القبائل إلهة معينا لها وقدسته حتى جاء الإسلام فتركت القبائل كل هذه المعبودات واتجهت نحو الإسلام بصورة جماعية، كما كانت تدخل سابقا في الأديان قبل الإسلام بصورة جماعية أو شبه جماعية. وفي ذلك دليل على الوعي الحضاري الذي كان سائدا لدى اليمنيين القدامى.

ويذكر جواد علي أن عبد كلال وضع نصا تاريخيا سنة ٤٥٧ - ٤٥٨ م يذكر فيه اسم "الرحمن" مشيرا إلى ظهور فكرة التوحيد على لسان ملوك اليمن وزعمائها.^٢ بل لقد أشار إلى أن ثمة كتابات مؤرخة في النصوص الصفوية والشمودية واللحيانية، إلا أن هذا التاريخ مبهم وغير مكتمل.^٣

١ - انظر الفن المعماري، سابق، ٧٥. وقد ترجمه الإغريق إلى "فينوس" وتعني كوكب الزهرة، رمز الحب والخصب.

٢ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، سابق، ١/٥٠.

٣ - نفسه، ١/٥٢..

هذه لمحة مختصرة عن اليمن في مرحلة الديانات ما قبل السماوية، "اليهودية - المسيحية - الإسلام" مثلت تجربة روحية وحضارية لليمنيين؛ ابتدأت بمراحلها البدائية، ثم تطورت إلى المرحلة الكوكبية، في طريقها إلى الارتباط بالديانات السماوية المنزلة من عند الله. ولم يقتصر بناء المعابد على المدن الرئيسية فقط؛ بل تعداها إلى المدن الصغيرة، ونالت من الاهتمام والعناية ما لم تنله حتى بيوتات المكارب والملوك أنفسهم، فأبدعوا في تصاميمها وبنائها، وغالوا في زخرفتها وتجهيزها والعناية بها، ليس ذلك فحسب؛ بل لقد شرعوا لها من القوانين والتشريعات التي تضمن حمايتها وتبجيلها ما لم يحظ به الملوك أنفسهم، وهو دليل على مدى تغلغل الظاهرة الدينية في الوجدان اليمني قديما، وتأثيرها على ثقافة الناس وسلوكهم. وقد شكلت تلك المعابد حالة من الوثام وحافظت على السلم الاجتماعي، باعتبارها المرجعية العليا المقدسة التي يصعب تجاوزها من قبل أحد مهما كان؛ لاسيما والطقوس الدينية - بما لها من رهبة وإجلال - ترافق الإنسان منذ مولده إلى مماته، في أفراحه وأتراحه، ولا يكاد ينفك عنها. ومن أشهر المعابد الدينية اليمنية قديما معبد أوام^١ الذي يُعتبر المعبد القومي العام للشعب السبئي كاملا. ويسمى: محرم بلقيس.

١ - يقابله في مملكة حضرموت "ذي أليم" وتعني مكان الاجتماع.

المعابد والشعائر الدينية

حين نتأمل في طبيعة الطقوس والشعائر الدينية لدى اليمنيين القدامى من قبل تنزل الأديان السماوية ومعرفتهم بها، نجد أنها قد مثلت الصيغة الأولى للطقوس والشعائر التي جاءت في الشرائع السماوية الإبراهيمية، على تفاوت بينها، وهي تعكس فيما تعكس الروح الحضارية لهم ومدى تغلغل الروح الدينية في وجدانهم كما أشرنا آنفا. وقبل أن نتطرق إلى تفاصيل تلك الشعائر الدينية لدى اليمنيين القدماء، نتكلم أولا عن المعابد الدينية من حيث هندستها وتقديسها والاعتناء بها.

المعابد

المعابد: جمع معبد، وهو المكان المخصص لممارسة الطقوس/ الشعائر الدينية؛ حيث اكتسب قدسيته منها، ونال الكثير من الاهتمام مكانا وتصميما وعناية.

وقد أُطلق على المعبد اليمني قديما - كما جاء في النقوش - الاسم حرم أو محرم الذي هو بمعنى المقدس. وقد ورث العرب جميعا في جزيرتهم فيما بعد هذا الاسم من قدماء اليمنيين، حتى غدا في العصور المتأخرة واللاحقة وفي كنف الإسلام بالذات وصفا يُلازم أماكن العبادة المشهورة، ويُطلق على الرحاب الإسلامية المقدسة، وعلى أربعة أشهر بعينها من السنة الهجرية، وهي محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. فهذا التنزيل الحكيم يطلق على مكة المكرمة وما حولها "حرما" (أو لم تمكن لهم حرما آمننا يُجبي إليه ثمرات كل شيء). كما وصف الكعبة المشرفة بالبيت الحرام، والبيت المحرم (عند بيتك المحرم) وتارة يصفها مع الحرم المكي عموما بالمسجد الحرام (فول وجهك شطر المسجد الحرام).^١

١ - الفكر الديني عند قدماء اليمنيين، سابق، ١٥١.

ولأهمية المعبد وقدسته فقد كانت العناية به من حيث اختيار مكانه خارج سور المدينة أو القرية في مكان نظيف ومرتفع، وله سور يحيط به، تجلب إليه الهدايا والعطايا، ويتم بناؤه بصورة فريدة عن بناء البيوت والمساكن، حتى أصبح أشد تركيباً وأجمل تشييداً وأوفر جمالا، كما استجابت هندسة البناء لمتطلبات الطقوس والشعائر الدينية المختلفة؛ إذ راحوا يقيمون الأعمدة الفخمة حتى صار المعبد في تصميمه البنائي وشكله الهندسي مربعا أو مستطيلا، وإذا به يغدو في هيئته الفنية شكلا معماريا آخر في نهاية المطاف.^١ وترتبط بالمعبد ملحقات عدة، بعضها جزء رئيسي منه مثل قدس الأقداس "المحراب" وبعضه ملحق ثانوي، على النحو التالي:

١- مختن، وهو الموضع الذي كان يُمارس فيه نوعٌ من الطقوس الدينية الأساسية في المعبد.

٢- صرح/ صرحت، وهو جزء مهم وأساسي من المعبد، ولعله كان موضعا واسعا مهيبا، يتصدر المعبد من الداخل، يجتمع فيه الناس لتأدية الشعائر الدينية بصورة جماعية ومهيبية.

٣- بيت، ويعني معبدا خاصا بكهنة المعبد، أو مستوطنة الكهنة في المعبد.

٤- مسأل، وهو المكان الذي يتلقى فيه المؤمن الوحي من الآلهة في المعبد.

٥- محراب، وهو أقداس أقسام المعبد الأخرى على الإطلاق، وأخصها بعبادة الإله فيه، ولذلك كان يُطلق عليه "قدس الأقداس".

٦- مذبح، وهو الموضع المخصص في المعبد لذبح الأضاحي التي توهبُ قرابين للاله.

٧- مطهر، هي بركة ذات ماء نقي، دائما ما كان بناؤها يُطلبى بالنحاس؛ أما موقعها فغالبا ما كان يقع وسط المعبد، وكان المتعبدون يلجأون إليها لممارسة الطهارة القدسية فيها، وإزالة ما يعلق بهم من أدران وأوساخ، ليتمكنوا بعد ذلك من أداء شعائرهم الدينية،

وهم على الطهارة المثلى، ولذلك أطلقوا عليها "المطهر"^١. وقد توارث اليمنيون طريقة تصميم البرك الملحقة بالمساجد من تلك الحقبه إلى اليوم في كثير من مناطق الريف اليمني.

ولا غرو في أن أهمية المعبد لم تكن عندهم لتكمن فحسب في كونه مكانا مقدسا للعبادة وممارسة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة، وإنما كانت المعابد تقوم بوظيفة المراكز الإدارية؛ إذ كانوا يحتفظون فيها بالسجلات الخاصة بالعقارات ومساحات الأراضي، وبسندات تحصيل ضريبة العشر المقدس، وبنسخ من المراسيم والعقود العامة والخاصة التي نراها منحوتة التدوين على جدران المعابد.^٢

حرمة المعابد

كان للمعابد حرمتها المقدسة التي لا يجوز لأحد تجاوزها أو إتيان ما يخل بهيبتها وإجلالها، باعتبارها بيت الإله، ومن ارتكب ما لا يليق فثمة عقوبات تطبق عليه فورا. ومن ذلك تحريم أخذ شيء من أموال المعبد كالطيب أو البخور أو مال الوقف المخصص له وقد وردت لفظة السرقة في النصوص التشريعية بلفظ "يغل" وهي لفظة قرآنية وردت في ذات المعنى.^٣ وهذه هي النصوص التي تقرر عقوبة المخالفات من أي شخص كان: - من زار معبدا حاملا سلاحا يدفع غرامة مالية يدفع خمس قطع نقدية من نوع "حي أليم".^٤

١ - انظر: أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، منال سعد سالم محمد، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠١م، ٥١، وانظر أيضا: الديانة عند قدماء اليمنيين، أسمهان الجرو، ٣٢٧.

٢ - نفسه، ١٦١.

٣ - وردت في سورة آل عمران في قوله تعالى: (وَمَنْ يَغْلُكْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. ١٦١).

٤ - وحدة نقدية متعامل بها آنذاك. ويلاحظ أن نجاسة الدم لا تقتصر على المرأة في دم حيضها أو نفاسها فحسب؛ بل أي دم يسيل، كما هو الشأن في تعاليم الدين الإسلامي.

- من زار معبدا حاملا سلاحا ملطخا بالدماء يدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع نقدية من نوع "حي أليم".

- من زار معبدا وملابسه ملطخة بالدماء يدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع من نوع "حي أليم".

- من ارتكب جهالة في وسط المعبد يُطرح أرضا ويجلد، ويدفع غرامة قدرها عشرين قطعة نقدية بلطية.

- أمر ديني صادر من الإله بتقديم نذر عند زيارة المعبد، وإلا فإن الكاهن سوف يؤخر حضوره.

- تحريم ممارسة العلاقات الجنسية في الأماكن المقدسة.

- منع دخول من كان نجسا لدخول المعبد.

- منع الحيوانات والجمال من تجاوز أو عبور مخازن المعبد.

- لا يحق شرعا دخول إناث الماشية والضأن إلى حصن "ذي محرم" إلا في يوم الضأن الذي يأتي مرة كل عام.^١

كما يُحرم على مرتادي المعبد الشغب وإثارة الفوضى في بيوت الآلهة؛ فالنقش CIH548 يتحدث عن عقوبة من يثير الشغب في الحرم. ومن يعمل ذلك يقدم ثورا قربانا وينفق المأكولات. وهذا يذكرنا بلزوم إطعام الفقراء والمساكين والأيتام في الإسلام عقب إهمال فرض من فروض العبادة.^٢

١ - الفن المعماري، ١٦٦. ولعل يوم الضأن هنا يوم النحر المعروف في شعائر الحج الإسلامي.

٢ - الفكر الديني عند قدماء اليمنيين، سابق، ١٧٦.

الشعائر الدينية

الصلاة

ذكر موسكاتي أن لعرب الجنوب صلواتهم الدينية التي لم يحدد هيأتها، وإنما أشار إلى أن هناك صلاة لا ترتبط بوظائف دينية أو أوقات محددة كانت منتشرة انتشارا واسعا. وكان الغرض منها قبل كل شيء استجداء حماية الآلهة حتى يتحقق الخصب للأرض والرواج للتجارة والخلاص من الفقر والمرض. وكان انتهاك مبدأ الطهارة يستدعي الاعتراف علنا به، وكانت الطهارة ركنا هاما من أركان الطقوس.^١

وقد أشارت نصوص المسند إلى نوع معين من الصلاة لدى اليمنيين القدماء، وهي صلاة الاستسقاء التي مارسها عرب الجنوب قديما، للتقرب من الآلهة، من أجل نزول الأمطار عندما تُصاب المنطقة بجفاف يهدد حياة السكان، فيقدمون الهدايا للآلهة، ويخرجون بالأضاحي إلى العراء لذبحها، ويردد السكان الأدعية والأناشيد الجماعية. وهناك نقش، عبارة عن دعاء عثر عليه بوادي قانية "محافظة البيضاء" وهو موطن قبيلة آل معاهر "أقيال ردمان خولان" في ذلك الموقع شوهدت صخرتان، نقش عليهما كتابات ومخربشات بخط المسند ورسوم حيوانية وآدمية كصور الوعل، وصور شخص يحمل رمحا، واللافت للنظر أنه في خاتمة كل سطر يوجد حرفان مكرران "الحاء والكاف"، وبعد فك رموزها وجد أنها قصيدة مكونة من ٢٧ سطرا، والقصيدة في مضمونها عبارة عن نشيد يتقرب فيه المواطنون إلى آلهة الشمس، آلهة المطر لديهم، كما يحتوي النص على الابتهاال والاستسقاء، وكأنه أنشودة للمطر.^٢

١ - الحضارات السامية القديمة، موسكاتي، ١٩٦.

٢ - أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، ٦٤.

وقد أقر الإسلام هذه الصلاة، وتوارثها اليمنيون إلى اليوم، كما توارثها كل المسلمين؛ حيث يؤدون صلاة الاستسقاء مصحوبة ببعض الأدعية والتوسل لله - عز وجل - بالسقيا والغيث.

ويشير النقش Ja 653 إلى صورة من صور التبعد الديني، ممثلا في صلاة الاستسقاء، وهو كما يلي:

١- ش ع ب ن / س ب أ / ك ه ل ن / ه ق ن ي و " إ ل م ق ه".

٢- أ ث ه و ن ب ع ل أ و م / ص ل م ن ه ن / ذ ذ " ب ن".

أتباع قبيلة سبأ كهلان قدموا للإله "إمقه" ثهوان بعل أوام تمثالين من البرونز. وذلك شكرا بما منحهم في طلب وتوكل طلبوه من سيدهم إمقه بعل أوام، قبل سقوط أمطار سنة ودد إ ل بن حزفر الثالثة، وتفاءلوا من المقه، ليمنحهم سقيا وفيرا لمأرب وأوديتها ومراعيها بيوم الرابع من شهر ذو مليت من هذا العام، وفي اليوم الذي طلبوا من إمقه فمنحهم مطرا وسقاية الذي أرضى أتباعه، حتى العشر الأواخر من شهر ذو مليت..^١

الحج

الحج إحدى الشعائر الدينية المقدسة لدى اليمنيين القدامى التي تتم في وقت محدد من السنة وأماكن محددة أيضا، لا يجوز مخالفتها، كما لا يجوز مخالفة أي شعيرة من شعائر الحج، ومن خالف فإنه يُعاقب بعقاب وفقا لما ارتكب من المخالفة أو الجرم. وجاء ذكر الحج في نصوص المسند، بصيغة: "ح ج ت".^٢

١- الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش، خلدون هزاع عبده نعمان، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، د. ط، ١٦٦.

٢- انظر المعجم السبئي، بيستون، أ. ف، وآخرون، منشورات جامعة صنعاء، ودار نشر بيترز، لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ٦٦.

وهناك شهر من شهور التقويم السبئي اسمه "ذو حجتن" هو الشهر الذي يتم فيه الحج على الأرجح للمعبود "إل مقه" بمارب في معبد أوام بالنسبة للسبئيين، وعند القتبانيين فإنه الحج "أنباي"^١، وأشار الهمداني إلى الحج الذي يقام سنويا للإله "تالب ريام" في رأس جبل "أتوه" من همدان. وذكر نصٌ مسندي "إرياني" الحج في حضرموت نهاية القرن الثالث، أو بداية القرن الرابع الميلادي في عهد الملك الحميري شمر يهرعش، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت؛ حيث يشير النقش إلى الحج الذي كان يُقام للإله سين في شبوة. وهو يشير إلى أن الملك شمر يهرعش، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت قد أوفد "مقتويا" للذهاب إلى مدينة شبوة، وتقديم القرابين إلى الإله "سين" في موسم الحج الذي كان يُقام في معبده "أليم". ومع نهاية القرن الرابع الميلادي - والتي هي فترة دخول الديانة التوحيدية - كانت النقوش التي عثر عليها في مدينة شبوة تشير إلى إقامة الحج على شرف الإله الرحمن، ويوضح ذلك انتهاء عبادة الإله "سين" في مدينة شبوة مع نهاية القرن الرابع الميلادي.^٢

وإلى هذه الآلهة جميعا تُقدم القرابين في أيام محدودة من السنة، وفقا للأوامر المقدسة، وفيها يتم الذبح وتقديم الولائم^٣، وكان يقدمها ضيوف الحج "ضيوف رحمان" ونفقاتها من العشر الذي يقدمونه من التجارة، وخاصة من تجارة البخور التي كانت قافلتها تمر قريبا من المعبد، ولا تعبر إلا بعد أن تدفع العشر له. كما يقيم الملوك المكاربة أيضا الولائم على نفقاتهم، وتحت إشرافهم، ويتوارثونها جيلا بعد جيل، وتُعتبر الولائم أو المآدب الدينية التي يتم إقامتها من أهم شعائر طقس الحج في ديانة اليمن القديم^٤؛ حيث يعتبرونها إلى

١ - لفظة "أنباي" تستخدم اليوم في تهامة في إطار الرد على خبر مدهش أو مستغرب، وربما كانت بمثابة: يا إلهي!. التي يرددها الغربيون في ذات الدلالة.

٢ - انظر: الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دراسة من خلال النقوش والآثار، جمال محمد ناصر عوض الحسني، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٦م، ١٣٦.

٣ - اشتق المعبد اسمه "أليم/ ألم" من الوليمة التي اشتهر بها.

٤ - انظر: الإله عم وآلهة قنبان ٧٠٠ق.م، - ١٧٠م، جمال محمد ناصر عوض الحسني، أطروحة دكتوراه، جامعة طنطا، ٢٠١٢م، ٣٢٥.

جانب كونها شعيرة دينية، فهي أيضا تظاهرة سياسية تشير إلى اتحاد جميع القبائل تحت الملك الواحد.

وقد أعد كهنة المعبد ورجال الدين قائمة بالتعاليم الدينية المقدسة التي يجب على الجميع الالتزام بها أثناء الحج، وعدم مخالفة أي منها، ومن خالف أي شعيرة تلمزمه الكفارة. وهذه التعاليم:

١. وجوب الطهارة البدنية وطهارة الملبس عند دخول المعبد
٢. تحريم المعاشرة الجنسية غير المشروعة
٣. تحريم الجماع في زمن الحيض والنفاس
٤. وجوب الاغتسال بعد الحدث الأكبر
٥. نجاسة الثياب التي دُنست بالمني
٦. تحريم الجماع في أيام الحج
٧. وجوب الطهارة عند ملامسة المياه المقدسة المخصصة للمعبودات
٨. وجوب الطهارة عند ملامسة المياه المقدسة المخصصة للمعبودات
٩. وجوب الطهارة عند تجاوز أو عبور حرم المعبود
١٠. وجوب طهارة الملبس
١١. لا يجوز مخالفة أوامر المعبود
١٢. لا يجوز أكل ما يصدر رائحة كريهة كالبصل والثوم عند دخول المعبد.^١
١٣. لا يجوز النزاع داخل المعبد، لأنه يتسبب في غضب المعبود
١٤. لا يحق للكاهن رفض طلب إنسان للوساطة بينه وبين المعبود^٢

١ - ورد في الحديث النبوي الشريف: "من أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربن مسجدنا..".
٢ - انظر: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، د. نورة بنت عبدالله بن علي النعيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ١٧٨، فما بعدها.

التوبة والاعتراف بالذنب

كثيرة هي النقوش التي أشارت إلى مسألة الخطيئة والذنب في حياة الناس، وكيفية التخلص من عقدة الشعور بالذنب في المعبد، وذلك بالاعتراف العلني للإله، وتقديم القرابين والكفارات.

وكانت خطايا الجانب الأخلاقي هي الأبرز في هذه الاعترافات التي سجلتها نصوص المسند، سواء للرجال أم للنساء، مصحوبة بمبالغ من المال للمعبد وللكهنة، للتبري من هذه الخطيئة وطلب الغفران. كارتكاب ما لا يليق بين الذكر والأنثى من طريق غير شرعي، أو الدخول إلى المعبد على غير طهارة، أو إسالة الدم أو إحداث أي شغب داخل المعبد أو في حرمه.

الندور

تعتبر الندور من أكثر الشعائر التعبدية التي مارسها اليمينيون قديما، خاصة ندور المعابد؛ حيث تم تعيين الجبايات والندور والوقف لها من أئمن وأغلى ما يمتلكه الناس؛ لأهميتها الروحية والتي بدورها تقوم بإعادة هذه الأموال في بناء المشاريع العامة التي تعود بالنفع على الناس أجمع. وكان كل معبد يتمتع بنذريات كبيرة، سواء من الأراضي الخصبة، أو من عشور التجارة، أو من الهدايا العينية التي يهديها الناس لها، إلى حد إهداء المعابد النفس والولد؛ معتقدين أن هذه الإهداءات والأوقاف تصرف عنهم رزايا الزمن وصروف الدهر، وأيضا تمنحهم البركة في المال والأنفس، أو تكسبهم النصر في المآزلات الحربية. وقد بينت نصوص المسند كثيرا من هذه العينات التي يهديها الناس

وينذرونها للمعابد، كالحبوب، والبخور واللبن، والذهب، والنفس، والولد، وأشجار
البلح، والتمثيل، وتدون هذه الهدايا على ألواح خاصة في المعبد^١
ويقدم الناذرون العشر من عائداتهم، سواء من المحاصيل أو من التجارة للمعبد، كما
وردت الإشارة إلى ذلك في نقوش معبد بلقيس، وتعود إلى عهد الملك نشاكرب يهنعم
يهرجب، وتعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد.^٢

١ - انظر: الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دراسة من خلال النقوش والآثار، سابق، ١٣٩، فما بعدها.
٢ - آلهة سبأ كما ترد في نقوش معبد بلقيس، إبراهيم صالح عامر صدقة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م، ٧٨.

الترتيب الهرمي لرجال الدين

المكرب

المكرب من "كرب" التي تعني الحشد والتجمع، وهو متحد كل القبائل في اتحاد واحد يكون على رئيسها. واستخدم هذا اللقب في سبأ وقتبان وحضرموت. وعادة ما يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية معاً؛ لكنها ليست سلطة بمعنى الكهنوت الذي ساد في الكنيسة الغربية، و"بالتالي فقد كان عبارة عن لقب شرقي استخدمه الحاكم لإعطاء الشرعية لحكمه، وكذلك حتى يمكن قبوله كحاكم لاتحاد القبائل من قبل الناس المنخرطين في ذلك الاتحاد، ومن ذلك نلاحظ أن المعنى ارتبط بالجانب المدني السياسي أكثر من الجانب الديني".^١

ويحاول البعض إيجاد تفسير للفظ "مكرب" من لفظه اللغوي المقارب، "مقرب" أي المشرف على القرابين، أو الوسيط المقرب بين الشعب ومعبوداته، وهو رأي قد يكون فيه من الصحة ما فيه، لكنه لا ينطبق بأي حال من الأحوال على كل المكارب، وربما انطبق على المكارب الأولين فقط، أما حين تطور المجتمع وتطورت التشريعات فقد انصرف اللفظ عن المدلول الديني إلى المدلول المدني الخالص.

ويذكر "ريكمانز" أن لفظة "كرب" تعني الموحد. وفي المعجم السبئي جاءت لفظة كرب فعلاً في النقش الموسوم بـ RES ٣٩٦٠ بمعنى نفذ والتزم، وتقييد بـ "واجب" وكذلك توجيهات أو أوامر، ويأتي اسم مكرب لقباً لرئيس حلف قبلي في الفترة المتقدمة، وفي عهد التوحيد اسماً، كما في النقشين الموسومين بـ ٢/١٥٢ + CIH ١٥١ بمعنى معبداً وبيعة وداراً وندوة.. أما عن كيفية ظهور حكم المكاربة فلا توجد لدينا نصوص توضح

١ - الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، ١٠١.

ذلك، كل ما نعرفه أن كرب إل وتر وهو ابن كرب إل علي كان مكربا في سبأ. وقد جاء نعته بمكرب في النصوص المتقدمة والمدونة في أول عهده؛ أما في النصوص المتأخرة من أيامه، فقد نعت نفسه فيها بلقب ملك، واستنطق من ذلك أنه شرع في الحكم مكربا، ثم ختمه ملكا، نابذا اللقب القديم، والسبب قد يكون استصغار لقب مكرب، وتفضيله لقب ملك عليه.^١

الكبير

لفظة ترد في النصوص، من أصل " ك ب ر " وهي وظيفة تالية من حيث الأهمية لوظيفة المكرب، إلا أنها تبدو دينية أكبر منها سياسية. فهو المشرف على أموال المعبد وجامع أعشارها، وهو من يترأس الطقوس الدينية في المعبد، وكان يتم اختياره بالترشيح من قبل العامة من الناس لمدة سبع سنوات فقط، يغادر المعبد بعدها نهائيا، ليليه "كبير" آخر يقوم بنفس الوظيفة..^٢

الرشو

موظف ديني دون مرتبة "الكبير" السابقة، وعادة ما يقوم باستقبال النذور والقرايين، وتفسير وحي الإله، والإشراف على أموال المعبد.^٣

القين

وهي وظيفة مدنية، أشبه ما تكون بالمدير التنفيذي للمعبد، أو الناظر الإداري للإله "إل مقه".^٤

١ - الثالوث الإلهي في الأساطير اليمنية القديمة، دكتور جواد مطر الموسوي، P D F متوفر على النت. ص: ٥٤.

٢ - نفسه، ١٠٣.

٣ - نفسه، ١٠٥.

٤ - نفسه، ١٠٧.

الشوع

على الأرجح هي "السادن" أو "القيم" مأخوذة من الجذر "شوع" وقد اقترن ذكر الشو بالرشو في كثير من النقوش، ومن معانيه أيضا المرافق.^١

الكاهنة

كانت المرأة على قدر معقول من الحضور الديني والاجتماعي في المجتمع اليمني القديم، مشاركة للرجل في كثير من الأعمال، ومنها الجانب الديني، وهذا يدل على نضج المجتمع ورفيه الحضاري الذي يكرم المرأة ويتعامل معها بندية.

وقد اشتغلت بالمعابد، كما اشتغلت بالتجارة والسياسة، ومن ضمن الوظائف التي اشتغلتها في المعابد هي وظيفة الكهانة، وخدمة المعبد والانقطاع لذلك. وقد لعبت المرأة هذه الوظيفة أكثر في المعابد المصرية القديمة، وتخصصت بعضهن في عزف الموسيقى في المعبد.^٢ وهناك أيضا سدنة وخدم آخرون للمعابد كمتطوعين في مختلف الأعمال التي يكلفهم بها الكبير أو القين أو الرشو..

١ - نفسه، ١٠٩. ولعل كلمة "شوعة" التي تنتشر كثيرا في المجتمع اليمني بمعنى: شنيع، أو كرهه أخذت من هذا الأصل، كون خدم المعابد وسدنته "الشوع" لم يكونوا يهتمون بهيئاتهم أو بلباسهم..
٢ - نفسه، ١١٠.

الديانة التوحيدية السماوية "التوحيد اليماني"

ينتسب اليمانيون إلى قحطان بن هود عليه السلام بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وهو وارث العرب العاربة من قوم عاد الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية في صحراء حضرموت.

وقبل أن نتكلم عن وحدانية قحطان بن نبي الله هود عليه السلام، نود الإشارة أولاً إلى أن دعوة أبيه هي دعوة التوحيد بالله عزو وجل والإيمان به، وله سورة في القرآن الكريم سميت باسمه، وفيها فلسفة دعوته الإلهية التي دعا بها قومه:

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَهٌ مُّفْتَرُونَ. يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ. وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ. قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِن تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. مِن دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَعْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ. وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ). هود: ٥٠:

.٥٨

كما يخاطبهم أيضا:

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ* قَالَ يَا قَوْمِ

لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ * وَادُّكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً * فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
الأعراف: ٦٥ : ٦٩.

وقبر نبي الله هود - عليه السلام - مشهود مَرُورٌ إلى اليوم في حضرموت. وهو رابع الأنبياء بعد آدم أبي الإنسانية، فإدريس، فنوح، ثم هود.

كذلك أيضا كانت دعوة نبي الله صالح - عليه السلام - (وإلى ثمودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ). هود: ٦١.

وقد ورث ابنه قحطان عنه دعوة التوحيد ذاتها، حيث تذكر المصادر التاريخية أن قحطان بن هود وصى بنيه قائلا: "إنكم لم تجهلوا ما نزل بعادٍ دون غيرهم حين عتوا على ربهم واتخذوا آلهة يعبدونها من دونه، وعصوا أمر نبيهم هود، وهو أبوكم الذي علمكم الهدى، وعرفكم سواء السبيل، وما بكم من نعمة فمن الله، وأوصيكم بذى الرحم خيرا، وإياكم والحسد فإنه داعية القطيعة فيما بينكم، وأخوكم يعرب أمني عليكم وخيلفتي بينكم، فاسمعوا له وأطيعوا، واحفظوا وصيتي واعملوا بها، واثبتوا عليها تُرشدوا".^١

وتؤكد نصوص المسند أن اليمينيين كانوا موحدين "ذي سموي" و "الإله رحمن" من قبل أن تصل اليهودية والمسيحية إلى اليمن، وله معبد في منطقة "السوا" بالمعافر "الحجرية". ويبدو أنهم اهتموا للتوحيد من تلقاء أنفسهم، بعد أن مروا بالديانة الوثنية البدائية، فالديانة الكوكبية التي تُعتبر المرحلة الثانية من مراحل التدين التي مر بها الإنسان

١ - تاريخ العرب قبل الإسلام، الأصمعي، سابق، ٦. تذكر النقوش اليمنية القديمة العين الحاسدة التي رمزت لها ب: "ش ص ي"، وتعني حمل الضعينة على أحد، وتشير النقوش إلى دعاء الناس للإله ليجنبهم شرور كل عدو وحاسد. انظر: الحياة السياسية والدينية في اليمن القديم والحجاز، من القرن الرابع حتى السادس الميلاديين، علي صالح الكهالي، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٢م، ٨١.

وقد تطور عقله وإدراكه أكثر، وصولاً إلى التوحيد وتعظيم "إله السماء" الواحد الأحد، كمرحلة أخيرة توصل لها الإنسان، وقد قطع أشواطاً من الشك، كما هو الشأن مع نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي آله القمر أولاً فالشمس، وأخيراً آمن بالله عز وجل إلهها واحداً لا شريك له.

وقد وردت نصوص مسندية ورد فيها اسم الإله "ذي سموي" التي تعني "صاحب السماء" أو "ذو السماء" المتفرد في أمره ونهيه. والواقع أن الاسم "ذي سموي" كان قد عرفه اليمانيون القدماء واستعملوه بما يدل عليه من معنى "الوحدانية" في فترة متقدمة هي أبعد زماناً في قدمها من زمان ظهور الديانات السماوية التوحيدية، وهذا يؤيده إثباتاً ما توافر لدينا واطلعنا عليه من النصوص النقشية، ومن ذلك:

١- ما عثر عليه في منطقة همدان من نقوش، تروي نصوصها أن أصحابها إنما راحوا من خلالها يتقربون إلى الإله "ذي سموي"، وكان تدوين هذه النصوص قد تزامن مع تدوين نصوص نذرية أخرى، وُهبّت للإله "تألب ريام" الخاص بهمدان، وذلك في فترة لم تكن عقيدة التوحيد قد ظهرت بعد، أو انتشرت في الأصقاع المترامية الأخرى، أو أن ملامح فكرتها - على الأقل - لم تكن قد عُرفت في الآفاق البعيدة.

٢- ذلك النقش المدون على لوحة برونزية صغيرة، عثر عليها في موضع "هجر بن حميد" الواقع نطاق دولة قتبان، ومن دراسة وتحليل هذه اللوحة من نص نقشي اتضح أنها كانت قد صنعت في حوالي القرن الأول الميلادي، أي قبل أن تظهر الديانات التوحيدية السماوية في اليمن بثلاثة قرون.^١

وكشفت نصوص المسند في بعض المواقع الأثرية عن بعض أسماء الله الحسنى التي عرفها اليمانيون من قبل الأسماء، مثل "سميع" و "عليم"، وذلك في نقش توسل وتضرع، نصه: "بحق عثتر وهوبسن والمقه وعليم وسميع، وبحق ذات بعدان، وبحق شمس الملك

١ - الفكر الديني عند قدماء اليمنيين، سابق، ١٤٦.

تنوف".^١، كذلك وجد الاسم "حكيم/ حوكم" وهو من أسماء الله الحسنى. وجاء ذكر الإله "س م ع" في عدد من النقوش اليمنية القديمة من دون لقب، فيُنعتُ به أو متبوعاً، ونظراً لخلو خط المسند من التشكيل فيمكن أن يُقرأ اسم هذا الإله "سَمْع، سَمِيع، سامع، سماع، ويعني: شهادة/ وثيقة. وفي الجعزية نفس المعنى؛ لذا فاسم الإله يعني الشاهد أو الشهيد المطلع على كل شيء، وهي مادة لغوية، تعرفها كل اللغات السامية، وعلى الأرجح أنه كان يُدعى سميع.^٢

وقد انتشرت ديانة التوحيد هذه في الربع الأخير من القرن الرابع، وذلك بعد حوادث سياسية هامة، جرت في جنوب الجزيرة العربية، فلم يأت القرن الرابع الميلادي إلا وجنوب الجزيرة العربية قد توحدت بقيادة شمر يهرعش، أول من حمل اللقب الملكي الطويل "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات"، وكان لا بد أن يرافق هذا التوحيد السياسي توحيداً ديني، والذي ظهرت مؤشرات في عهد "أبي كرب أسعد الكامل"، ولكن الطبيعة المختصرة للنقوش اليمنية القديمة لا تسمح لنا أن نقرر نهائياً ما إذا كانت هذه الديانة التوحيدية هي اليهودية أو المسيحية.^٣

وانفرد قدماء اليمنيين بعبادة هذا الإله "الرحمان" الذي لم يكن معروفاً بهذا الاسم لدى عرب الشمال إلا في وقت لاحق، ما يشهد بأن هذا "المعبود" نابع من أفكار دينية ذات طابع توحيدي ما، يمنية المنشأ، فقد بدأت عبادة هذا الإله في اليمن القديم قبل الميلاد واستمرت حتى نهاية عصر الحضارة اليمنية قبل بزوغ فجر الإسلام. ويبدو أن هذه الخصوصية اليمنية لكلمة "الرحمان/ الرحمن" قد ظلت عالقة في الأذهان إلى ظهور الإسلام، ولهذا جادل بعض المشركين الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب ذكره للرحمن، فأُنزل الله عليهم في الرد: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعو فله الأسماء

١ - نفسه، ١٤٨. وانظر: نقوش مسندية وتعليقات، مطهر علي الإيراني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط: ٢، ١٩٩٠م، ١٢٣ فما بعدها.

٢ - انظر: آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي، سابق، ٥٠.

٣ - ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل، بيوتروفسكي، م. ب، ترجمة: شاهر جمال آغا، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٤م، ٦٨.

الحسنى) ولقد ظل لكلمة الرحمن تمييز خاص في القرآن الكريم والمأثور الشريف، وهو أمر لا يخفى على المتضلعين في العلوم الإسلامية.^١

إذ ظلت بالرسم الحميري الذي يسقط حرف العلة من وسط الاسم حتى اليوم. وفي صحيح البخاري أن كفار قريش يوم الحديبية لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لعلي أكتب باسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. وقد نزلت هذه الآية ردا عليهم: (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) سورة الرعد: ٢٠٣.

وهكذا فإن عبادة "الرحمن" تعتبر شكلا من أشكال التوحيد، كانت واحدة من مظاهر التوحيد ضد الشرك وعبادة الأصنام وتعدد الآلهة والدعوة إلى إله واحد "الرحمن" .. وبهذا يكون من الصعب علينا أن نرجع عبادة الرحمن إلى اليهودية أو المسيحية، فعلى الرغم من ارتباط هاتين الديانتين السماويتين بالرحمن، إلا أن الرحمن ظهر في نقوش لم تتصل بهما، وبذلك تكون عبادة الرحمن حسبما جاء في نقوش جنوب الجزيرة عبادة مستقلة عن اليهودية والمسيحية.^٣

١ - نقوش مسندية وتعليقات، سابق، ٤١٧، وانظر أيضا، تطور الحياة الفكرية لليمنيين، ٢١٠.
٢ - يرى البعض أن هذه الكلمة قد وجدت بتأثير من اليهودية، وبعضهم يذكر أن لقب مسيلمة في الإمامة هو "رحمن" وبعضهم ينسب هذه الكلمة إلى أشعار جاهلية وجدت قبل الإسلام.
٣ - انظر: الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى السادس الميلادي، ذكرى عبدالملك المطهر، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م، ٢٦ فما بعدها.

حنيضة الملك تبع أسعد الكامل

هو الزعيم أبو كرب أسعد الكامل^١، ذُكر اسمه ولقبه في عشرين نصا مسنديا بصيغة: "أبي كرب أسعد، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ومانت وأعراهم طودا وتھامت" وبحسب نصوص المسند فإنه أول الموحدین الملوك، لأن النصوص التي قبله ارتبطت بالآلهة الوثنية، أما النصوص التي في زمنه فقد كانت توحيدية، بل لقد صار التوحيد هو العقيدة الرسمية للملك وللشعب حسبما ذكر المستشرق الآثاري د. بيوترو فسكي^٢، فنقوش عصر أبي كرب أسعد وخلفائه تنطق بالتوجه إلى إله واحد، هو ذو السموات (ذ ي/ س م و ي) وهو سيد السماء والأرض (مرا/ سمين/ وأرضن^٣.

وهو الذي أشار الله إليه في القرآن الكريم في سياق المفاضلة بينه وبين قريش، فقال: (أهم خير أم قوم تبع)؟!!

قال الإمام القرطبي القرطبي: هَذَا اسْتَفْهَامٌ إِنْكَارٍ، أَيِ إِيْتِمُّ مُسْتَحْجُونَ فِي هَذَا الْقَوْلِ الْعَذَابَ، إِذْ لَيْسُوا خَيْرًا مِنْ قَوْمٍ تَبَعَ وَالْأُمَّمُ الْمُهْلِكَةِ، وَإِذَا أَهْلَكْنَا أَوْلِيكَ فَكَذَا هَؤُلَاءِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَظْهَرُ نِعْمَةً وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا أَمْ قَوْمٌ تَبَعَ. وَقِيلَ: أَنَّهُمْ أَعَزُّ وَأَشَدُّ وَأَمْنَعُ أَمْ قَوْمٌ تَبَعَ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِتَبَعَ رَجُلًا وَاحِدًا بَلِ الْمُرَادُ بِهِ مُلُوكُ الْيَمَنِ، فَكَانُوا يُسَمُّونَ مُلُوكَهُمُ التَّبَاعَةَ. فَتَبَعَ لَقَبٌ لِلْمَلِكِ مِنْهُمْ كَالْحَلِيفَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَسَرَى لِلْفَرَسِ، وَقَيْصَرَ لِلرُّومِ.

١ - قال المؤرخ محمد حسين الفرح: يخلط البعض - توهما - بين أبي كرب أسعد المذكور هنا، والمشار إليه في القرآن الكريم، وبين تبع الأصغر، عمرو بن حسان، صاحب الحبرين الذي اعتنق اليهودية في فترة لاحقة. وقد أشار إلى ذلك الهمداني في الإكليل، ٨/٢٢٠. وربما كان من وجوه الخلط والتوهم يعود إلى أن كليهما قد كسبا الكعبة؛ أما الدكتور يوسف محمد عبدالله فقد قال بأنه هو نفسه تبع صاحب الحبرين، وقد حكم اليمن آخر القرن الرابع الميلادي، وبداية الخامس، قبل ظهور الإسلام بحوالي مئتي سنة، وحكم معظم الجزيرة العربية.

٢ - ملحمة أسعد الكامل، د. بيوترو فسكي. ٦٨.

٣ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ٢/٦٥٠.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَبَعًا لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالتَّبَاعَةُ مُلُوكُ الْيَمَنِ، وَاحِدُهُمْ تُبَّعٌ.^١

وقد كان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصديقي، وكان كاهنا، فأقام عنده، فلما أراد توديعه قَالَ تبع: ما بقي من علمك؟ قَالَ: بقي خير ناطق، وعلم صادق، قَالَ: فهل تجد لقوم ملكا يوازي ملكي؟ قَالَ:

لا إلا الملك غسان.^٢

شهدتُ على أحمد أنه رسول من الله باري النسَم
فلو مُد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وألزمت طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم
وهو أحمد سيد المرسلين وأمة أحمد خير الأمم

قال نشوان بن سعيد الحميري: "وكان أسعد تبع بن ملكي كرب ملكاً عظيماً.. وكان مؤمناً بالله، وهو الذي نهى النبي عن سبه، وأخبر وبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم."^٣

وأسعد تبع أول من أمر بإخلاء ساحة الحرم الشريف من الأصنام والتماثيل، وتطهير بيوت الله، وحسب المستشرق بيوترو فسكي: "أحدث أسعد بعض البدع في مكة؛ إذ دعا إلى تقديس الكعبة، وأمر بإلقاء الأصنام خارج ساحة الحرم، ومنع إراقة الدماء"^٤ وفي تاريخ الأمم والملوك للطبري: وأن "الشعب من المطابخ إنما سمي هذا الاسم لئصبه

١ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢، ١٩٦٤م، ١٦/١٤٤.

٢ - تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط: ٢، ١٣٨٧هـ-، ٢/١١١.

٣ - ملوك حمير وأقيال اليمن، قصيدة نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، ط: ٢، ١٩٧٨م، ١٢٢. وقد ذكر أن أمه الفارعة بنت موهبيل من خمر، وأن أباه من قبله قد اعتنق دين التوحيد، ثم رحل بعد ذلك إلى ظفار إب وعمره عشر سنوات، تحت رعاية جده لأمه موهبيل، بعد هلاك والده، وهناك عرف باسم "أسعد بن تبان" ودرس الفلك والهندسة والنجوم والشعر وعلوم الدين، وأجاد الكتابة، وتولى الحكم وعمره خمس وعشرون سنة، في العام ٧٠٣ قبل الميلاد، ٥١٧ للتقويم السبئي، بعد ثورة قام بها ضد الملك السابق.. وانظر هذا أيضاً في: الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، محمد حسين الفرح، ٢/٦٤٥. فما بعدها.

٤ - ملحمة أسعد الكامل، سابق، ١١٣. وانظرها أيضاً في الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير. ٢/٦٥٣.

المطابخ في ذلك الموضع وإطعامه الناس، وإن أجيادا إنما سمي أجيادا، لأن خيله كانت هنالك، وإنه قدم يثرب فنزل منزلا يقال له منزل الملك اليوم، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكاية من شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار، وإنه وجه ابنه حسان الى السند".^١

وهذا مما كان سائدا من المعتقدات اليمنية خلال تلك الفترة، حيث "يذكر نقش مسند عثر عليه في مارب أن امرأة قدمت قربانا إلى الإله ذي سموي . ذي السموات . لأنها دخلت بيته وهي حائض ولم تغتسل، فكان أن لزمته كفارة، وامرأة أخرى تضرعت إلى الإله ذي سموي ليغفر لها خطيئتها ويتوب عليها، لأنها أخطأت في حق بيته، فقد ذهبت إليه وهي غير طاهر"^٢

وورد في النقش رقم ٣٩٥. ربر توار. من الجوف أن رجلا دخل معبد الإله ذي سموي بملابس متسخة . غير طاهرة. فدفعت فدية لأنه ارتكب إثما. وورد في النقش رقم ١٠٥٢. جلازر. من الجوف أن رجلا اتصل بامرأة، ثم دخل المسجد بملابسه التي كان يلبسها حين اتصل بها، فدفعت فدية . كفارة . عن ذلك لأنه ارتكب إثما. وتعكس تلك النقوش قدسية بيوت الإله بحيث يستوجب على القاصدين إليها غسل أجسادهم وملابسهم، وتحريم الممارسة الجنسية، وتحريم إراقة الدماء، حرمة وتقديرا لتلك البيوت"^٣

وهناك عشرات النصوص الأخرى المشابهة، في أكثر من مكان..

قال نشوان بن سعيد الحميري: "وأسعد أول من كسا البيت، وذلك أنه عند رجوعه من غزاته هذه مر بالبيت فكساه الأنطاع المذهبة اليمنية، فرأى في المنام قائلا يقول: زد في كسوة البيت، فكساه المعافري، فرأى في المنام قائلا يقول: زد في كسوة البيت، فكساه

١ - تاريخ الرسل والملوك، سابق، ١/٦٣١.

٢ ، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، د. يوسف محمد عبدالله، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط: ٢، ١٩٩٠م، ٢/١٥٤. وأنظرها أيضا في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ٢/٦٥٣.

٣ - الديانة عند قدماء اليمنيين، د. أسهان الجرو، مجلة دراسات يمنية، العدد: ٤٨، أكتوبر، ١٩٩٢م. وانظرها في الجديد، سابق في تاريخ وحضارة سبأ وحمير، ٦٥٣.

الوشى.. ونحر بمكة سبعين ألف بُدنة، وطاف وسعى، وعمل له بابا ومفتاحا، لم يكونا له قط. ١، وفي ذلك قال:

وجعلت إقليدا لجانب بابيه وجعلت بابيه صفيح المسجد

وأسعد تبع هو أول من ينسب إليه لفظة "أمين" التي نردها عقب الانتهاء من سورة الفاتحة، حيث ذكر المؤرخ محمد حسين الفرخ نسبة إلى مطهر الإرياني أنه "قد تم العثور في موقع مسجد تنعم بخولان على نقش مكتوب في سطر وأحد بطول دعامة، وأول النقش مدفون تحت الأرض، أما الجزء الظاهر من النقش فمكتوب فيه: هذا/ بيتن/ مسجد/ آمين/ آمين. وقد يكون النقش عن بناء ذلك البيت، بيت الله، ثم دعاء: ليرع الله هذا البيت/ المسجد، آمين". ٢.

وكذلك جاء لفظ "أمين" في النقش رقم ٧١ إرياني عن بناء أحد القصور: " .. برءء/ ال ن/ ذي بسمين/ أي: بعون الله ذي بالسماء. وينتهي النقش بدعاء، وبكلمة آمين. ٣ وفي الشعر المنسوب إلى أسعد تبع في كتاب الإكليل للهمداني ما يدل دلالة واضحة على توحيد الخالص، ومنه:

الحمد لله والبقاء له كل إلى "ذي السماء" مفتقر

وأيا:

وكسوت بيت الله أعظم كسوة أرجو الثواب ويرحم الرحمن

وفي سيرة ابن هشام: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان، وأمج، أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد، فقالوا له: أيها الملك، ألا ندلك على بيت مال دائر أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى. قالوا:

١ - ملوك حمير واقبال اليمن، سابقا، ١٣٤.

٢ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ٢/٦٥٢.

٣ - نفسه، وانظر أيضا نقوش مسندية وتعليقات، النقش رقم ٧١ إرياني.

بيت بمكة يعبد أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده؛ فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتا لله اتخذ في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا؛ قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالوا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذل له، حتى تخرج من عنده؛ قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما والله إنه لبيت أئبنا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهرقون عنده، وهم نجس أهل شرك - أو كما قالوا له - فعرف نصحبهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس، ويطعم أهلها ويستقيهم العسل، ثم أري في المنام أن يكسو البيت أحسن من ذلك، فكساه الخصف؛ ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافري؛ ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل، فكان تُبَع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ولا ميتة ولا مثالة - وهي المحايض - وجعل له بابا ومفتاحا.^١

وتمتد الفترة التي يمكن أن يطلق عليها مرحلة الديانة السماوية بين عامي ٤٩٣ - ٦٦٩م، حيث لم تعد النقوش اليمينية الرسمية تذكر أسماء الآلهة الكوكبية، واختفت صيغ الدعاء لتلك الآلهة، وحل محلها صيغ توحيدية تذكر آلهة جديدة هي "رب السماء والأرض" والرحمن "رحمن" وقد استخدمت كل من الديانتين اليهودية والنصرانية نفس أسماء الآلهة، وفي منتصف القرن الرابع الميلادي كان قد تم بناء عدد من الكنائس إحداها في مدينة ظفار، عاصمة مملكة سبأ وذي ريدان.^٢

١ - السيرة النبوية لابن هشام، تعليق وتخریج: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٠م، ١/٣٩.
٢ - الفن المعماري والفكر الديني، سابق، نقلا عن ريكنمز، ٩١.

وعثر على نقش في منطقة بئر حيمة في نجران يبارك فعل الملك "يوسف أسار" بهذا النص: "البارك الإله الذي له السماوات والأرض الملك يوسف أسار يثأر".^١ وصيغة النص تدل على الصيغة التوحيدية الخالصة، خلافاً لبقية النصوص التي وجدت في الفترات السابقة وهي خليط من الوثنية مع التوحيدية.

لقد كانت الحياة الدينية لجنوب الجزيرة تتميز في جملتها بطابع حضارة مستقرة، بالغة الشأن، لها شخصيتها البارزة، واستقلالها في نطاق بيئتها. وهي تختلف عن أحوال العرب البدو في الشمال اختلافاً كبيراً من عدة وجوه.^٢

إن في شعر قس بن ساعدة الإيادي النجراني روح التوحيد الخالص قبل الإسلام، ولا شك أن فكر وثقافة قس بن ساعدة جزء من ثقافة مجتمعه، وأن صوته الشعري هنا تعبير عن ثقافة سائدة، إذ يقول:

يا باكي الموت والأموات في جدث عليهم من بقايا خزهم حرق
دعهم فإن لهم يوماً يُصاح بهم كما ينبه من نوماته الصدق
حتى يجيئوا بحالٍ غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا

أما خطبته الشهيرة فهي أشهر من أن نعيد تكرارها هنا. وهي ناطقة بالتوحيد والإيمان والبعث والنشور. وقس بن ساعدة الإيادي النجراني اليماني هو أول من أظهر التوحيد في مكة قبل البعثة النبوية.

وقد انتشرت الحنيفية^٣ في أرجاء الجزيرة العربية كاملة قبل الإسلام، يقول أمية بن أبي الصلت:

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية زور

١ - نفسه، ٩١.

٢ - الحضارات السامية القديمة، سابق، ١٩٦.

٣ - اختلفت الآراء حول الحنيفية والحنيفي، فقيل: هو من اختتن وحج البيت، وقيل: إن ذلك لا يكفي؛ بل لا بد أن يضاف إلى ذلك الاستقامة على نهج إبراهيم عليه السلام، وقيل من استقبل القبلة، وقيل غير ذلك، علماً أن الحنيفية ليست يهودية أو مسيحية، بل إبراهيمية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاتجاه في أكثر من موضع.

وهذا زهير بن أبي سلمى يشير صراحة إلى التوحيد والبعث والحساب في معلقته الشهيرة:

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نُفُوسِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ
يُؤَخَّرَ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلَ فَيُنْقَمَ

وأيا ما كان الأمر فإن التيارات التوحيدية ظهرت في بلاد العرب، في القرن السادس الميلادي بوضوح، وعلى الرغم أن اليهودية والنصرانية قد أوجدتا الشك في صحة الديانة الوثنية، فإنهما لم تفلحا في إدخال تغيير جوهري في النظم الدينية، وبقيت بلاد العرب تموج بهذا التعدد في الديانات إلى أن ظهر سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففضى على كل أثر للوثنية، وقدر له نجاح بعيد المدى في القضاء عليها.^١

وقد أورد الأصمعي عن إيمان اليمانيين وتوحيدهم ما يعزز هذا كله، فقال: إن ياسر بن نعم ولي الملك بعد أبيه التبع بن زيد بن ربيعة بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة بن ذي المنار بن الرائش، وثبت على وصايا أبيه وأجداده، وحفظها وعمل بها في سياسة الملك ما بينه وبين الناس، ولم يتعد سيرة أسلافه وسنن أوائله. وبلغني يا أمير المؤمنين أنه وصى ابنه شمر ذا الجناح، فقال له: يا بني دبر الملك فإن التدبير ثباته، والإحسان أساسه، والعدل قوامه، والرجال عزه، والمال نجاته.. وسبب عطلان هذه الفترة التي من عزّ فيها بزّ من هو دونه ظهور نبي يعز الله به دينه، ويخصه بالكتاب المبين على ناس من المرسلين، رحمة للمؤمنين، وحجة على الكافرين، فليكن ذلك عندكم وعند أبنائكم قرنا فقرنا، وجيلا فجيلا، لتتوقعوا ظهوره، ولتؤمنوا به، ولتجتهدوا في نصره على كافة الأحياء، حتى يفيء الناس إلى أمر الله، وأنشأ يقول:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارئ النسمة
فلو مدّ دهري إلى دهره لكن وزيرا له وابن عم

١ - جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، د. أحمد أمين سليم، دار المعرفة الجامعية، د. ط. ١٩٩٧م، ٢٥٠.

فألزمت طاعه كل من على الأرض من عرب وعجم
فأحمدنا سيد المرسلين وأمته ويك، خير الأمم
هو المرتضى وهو المصطفى وأكرم من حملته القدم

فبلغني يا أمير المؤمنين أن الملوك وأبناء الملوك من حمير وكهلان لم تزل تتوقع ظهور
النبي - صلى الله عليه وسلم - وتبشر به، وتوصي بالطاعة له، والإيمان به والجهاد معه،
والقيام بنصره من ذلك العصر إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا له
حين بعث من أحرص الناس على نصره وطاعته، فمنهم من سمع له وأطاعه وآمن به
قبل أن يراه، ومنهم من وصله كتابه فسمع وأطاع وآمن وصدق، ومنهم من آواه ونصره
وأيده وجاهد في سبيل الله دونه حتى أتاه اليقين..^١

ولعل فيما أورده ابن هشام في سيرته من توحيد عبدالله بن الثامر ما يؤكد حقيقة
"التوحيد اليماني" من قبل الإسلام، يقول ابن هشام في سياق حديثه عنه: "فجعل
عبدالله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال: يا عبدالله، أتوحد الله،
وتدخل في ديني، وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله
ويسلم، ويدعو له فيُشفى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره،
ودعا له فعوفي... إلخ.^٢

ولأن عقيدة التوحيد تقتضي - فيما تقتضي - الإيمان باليوم الآخر، وبالبعث والنشور
والجزاء والحساب. "ويُعتبر تحنيط الموتى، وما عُثر عليه بالمقابر من أدوات حضارية أدلة
واضحة على ذلك الاعتقاد، فقد عولجت جنث الموتى بشكل جيد من أشكال
التحنيط، وكفنت بلفائف كتانية وجلدية، وكان المتوفى يحنط ويُدفن لابسا نعليه".^٣

١ - تاريخ العرب قبل الإسلام، عبد الملك بن قريش الأصمعي، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية،
ط: ١، ١٩٥٩م، ٤٢.

٢ - السيرة النبوية، لابن هشام، سابق، ١/٤٩.

٣ - عبدالحليم نور الدين، ملامح الفن اليمني القديم، مجلة اليمن الجديد، العدد: ٧، ١٩٨٥م، ٦٤.

هذه بعض من ملامح ومعالم التوحيد اليماني في عهده القديمة، المسماة عند البعض العهد البائد، مع أن ما وصلنا من فكر وموروث هذه المرحلة هو الشيء القليل جدا، سواء مزبورا على الأحجار في نصوص مسندية، ومخرشات أثرية، أو من أخبار الرواة وأحاديث المؤرخين. ولا شك أن الكثير من الدلائل والأسانيد الأثرية قد تعرضت للاندراس بفعل تقادم الزمن، وبعضها لا يزال مطميا، ورهن الإهمال حتى الآن.

وإذا كانت قد برزت بعض الوثنيات العقائدية بين عهد وآخر من عهود التاريخ، فإنما يعود ذلك إلى طبيعة الانحرافات الدينية التي تطال الأديان، كل الأديان بلا استثناء، سواء الأرضية أو السماوية، بفعل اجتهادات "الأخبار والرهبان" الذين يجعلون من أنفسهم ممثلين للسماء، ولكل دين أحباره ورهبانه؛ بل وفقهاؤه الذين أسأؤوا للدين من حيث أرادوا له النفع، ولذا تتالت الأديان، وكل دين ينسخ ما قبله ليؤسس لشرعة جديدة، بعيدة عن تحريفات المبطلين وتزييفات الواعظين، وإلا لاكتفت الأمة عبر تاريخها بديانة واحدة فقط. وقد تعرضت المعتقدات والأفكار اليمانية سابقا لبعض التزييفات والتحريفات عن أصلها "الوحداني" لكنها سرعان ما تعود إلى أصلها الحقيقي؛ لذا لا غرابة حين تنزلت شريعة الإسلام التي صدح بها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم أن هب اليمانيون زرافات ووحدانا أول القوم مستجيبين، لأنها معتقدتهم الأصل، ولم تكن فكرة التوحيد غريبة عنهم، في الوقت الذي كانت غريبة على بعض مجتمعات عرب الشمال الذين استغربوا مندهشين (أجعل الآلهة إلها واحدا)!!

ويعزو الدكتور جواد علي أن ظهور الشرك وتعدد الآلهة بين فينة وأخرى في بعض المجتمعات راجع إلى عوامل طبيعية وتاريخية وسياسية واجتماعية متفرقة زمانا ومكانا، مشيرا إلى أننا نجد وجهة نظر الشعوب عن الآلهة أو الإله تختلف باختلاف ثقافتها ومستواها الاجتماعي، وللوضع السياسي دخل كبير في الشرك وفي عدد الآلهة وفي شكل

الدين.. كذلك عامل الجوار والاتصال الثقافي الذي يؤدي إلى اقتباس الآلهة المجاورة، وقد تطغى الآلهة الجديدة على الآلهة القديمة.^١

وإلى هذا أشار المؤرخ أحمد شرف الدين في كتابه تاريخ اليمن الثقافي أن عبادة المقه دون أن يشرك به شيئاً بعد إسلام الملكة بلقيس لم تلبث إلا يسيراً حتى عادت سبأ إلى التمسك بآلهتها الأولى كمعبودات وثنية، ومنها عثر "الزهرة" وذات حميم "الشمس" وذات بعدان "القمر"، وغيرها، وربما كان من باب قوله تعالى: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).^٢

فالتوحيد فكرةً وشعيرةً وما استتبعه من بعض التشريعات الدينية كالندور والكفارات والصلاة والزكاة والحج بجميع أركانه، كل هذه طقوس وممارسات شائعة عرفها اليمنيون من قبل أن يتنزل الإسلام، كما أشرنا آنفاً، بصرف النظر عن بعض الأخطاء التي رافقتها أو الهيئات التي عرفت بها، إضافة إلى منظومة التشريعات السياسية والاجتماعية الأخرى. ولذا فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". والتميم استيفاء في نقص وليس خلقاً من عدم.

لقد حاول اليمنيون أن يرجعوا الكثرة في الآلهة إلى مفهوم الوحدانية لها، فكان التدرج الذي تم في عبادة الإله من شتات عديدة في الإله، بلغ أكثر من مئة اسم، رغم أن جزءاً كبيراً منها نعت وصفات للإله إلى حصر لها في كواكب ثلاث ذات تأثير على الإنسان إلى مفهوم لإله جديد هو "بعل سمين" إلى إله سمي ذي سمي، أي "رب السماء" ويبدو أن اللفظة متطورة من "بعل سمن"، كما أن فكرة جديدة قد وردت في اللفظة الجديدة، فكما يذكر علماء اللغة أن الرب هو الله، وهو رب كل شيء، أي مالكة، وليس فقط رب ومالك لقطعة أرض صغيرة أنذرت له وباسمه، وأن هذا الرب له حق الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الأرض والسماء كلها.. كما وردت

١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، سابق، ٦/٤٢.

٢ - انظر: تاريخ اليمن الثقافي، أحمد شرف الدين، ٢/١٤٤. وذات بعدان في نظر بعد المؤرخين هي شمس الشتاء، وليست القمر كما ذهب المؤرخ هنا.

في نصوص المسند كلمة "الرحمن" وهي صفة لرب السماء، "ذي سموي" حتى أن أبرهة الحبشي قد استعملها في نص سد مارب الشهير.. كما وردت في نصوص قتبانية كلمة "إل تعالی" ومعناها حسب تفسير علماء الآثار والتاريخ "الله تعالی".^١

لقد هُضم اليمينيون حقوهم المعنوية، كما هُضمت حقوهم المادية منذ ترنحت حضارتهم وأفل مجدهم التاريخي، ولم يلتفت لمآثر اليمينيين أحد إلا ما ندر من وقت مبكر، حين بدأ نجم قريش في السطوع؛ أما مع مجيء الدعوة الإسلامية فقد كان لتنقل عواصم الخلافات الإسلامية العربية أثره "غير الإيجابي" على اليمن، حيث توزعت عواصم الدولة الإسلامية فيما بين مكة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقيروان والقاهرة؛ بل والأندلس، في الوقت الذي كان اليمينيون يسابقون الزمن لبناء هذه العواصم مع إخوانهم المسلمين والعرب، وأيضاً في الفتوحات شرقاً وغرباً، فيما تفرغت لهدم اليمن عصابة حاكمة استغلت صلابة الجغرافيا وبعُد اليمن عن المراكز الحضارية، ممثلة في يحيى حسين الرسي، مؤسس النظرية الهادوية "الكهنوتية" في اليمن التي أهلكت الحرث والنسل، ولا تزال. أضف إلى ذلك أن الصراع بين عرب الشمال وعرب الجنوب أيضاً قد لعب دوراً إضافياً إلى جانب دور عصابة آل الرسي والأبناء من قبله، كل هذا صادف فترة الترنح الحضاري لليمن بعد طول عز ومنعة، فذهبت حضارة هي من أعرق الحضارات الإنسانية أدراج الرياح، ولم تحض ببعض الاهتمام ولو متأخرة، كما هو الشأن مثلاً مع الحضارة المصرية التي مثلت لها حملة نابليون بونابرت حالة إنقاذ من الاندثار والطمس، وكانت مجهولة قبل ذلك، كما هو الحال عليه اليوم بالنسبة للحضارة اليمينية.

لقد كان الدين - بما في ذلك التوحيد أهم مفرداته - رافعة حضارية للبناء والإبداع عند اليمينيين القدماء، وكان الدين لغة الحياة العامة، من أجل شحذ الهمم وجمع كلمة الأمة التي حققت "الإبداع الجمعي" ببناء حضارة، هي من صنع المجتمع المتكاتف والمتآلف، المجتمع الذي ينتمي للفكرة الواحدة، بزعامة القائد الذي يمثل الخيط الناظم

١ - ثريا منقوش، مجلة المؤرخ العربي، صادرة عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، العدد التاسع، ٤٩.

للـكـل، خـلـافـا لـلـمـجـتـمـعـات البـدائـيـة الـتي تـعـيـش مـمـزقـة الأـوصـال، و لا تـعـرف الـاجـتـمـاع أو الإبداع الجمعي؛ لأن للعقلية البدوية تفكيرها المختلف عن العقلية الحضرية، أي لقد كان الدين وسيلة للوحدة بالتوحيد، من أجل البناء وتحقيق الرفاه الاجتماعي، لا هدفا لذاته يتصارع حوله الناس، فتلك المعالم والمآثر اليمينية العظيمة تقرر - بما لا يدع مجالاً للشك - أنها من صنع الجهد الجماعي الذي بنته وأشرفت عليه دولة مركزية قوية، لا مجرد إبداع فردي من صنع شخص أو قرية أو حتى قبيلة ما بمفردها. وبحسب ابن خلدون فإن الهياكل العظيمة جدا لا تستقل بنائها الدولة الواحدة، والسبب في ذلك حاجة البناء إلى التعاون، ومضاعفة القدر البشرية، وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة.. فيبتدئ الأول منهم بالبناء، ويعقبه الثاني والثالث، وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الأيدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل، ويكون ماثلاً للعيان، يظنه من يراه من الآخرين أنه بناء دولة واحدة، وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مارب وأن الذي بناه سبأ بن يشجب، وساق إليه سبعين واديا، وعاقه الموت عن إتمامه، فأتمه ملوك حمير من بعده..^١

إن ازدهار الحضارة اليمينية والتي قامت على الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي بالدرجة الأولى، والذي كان يتطلب نوعين من العلاقات، علاقة الناس بالطبيعة، وعلاقة الناس ببعضهم البعض، كان لابد من أن يحدد بصورة مركزية، سواء أكان في رب السماء، كمثل للطبيعة، أو في شخص الملك كمثل للمجتمع من جهة، ومن جهة أخرى ممثل لرب السماء الواحد، فتم الإيمان بالإله الواحد الكلي القدرة بعد تلك الآلهة الكثيرة العدد كانعكاس لذات الواقع الطبيعي والاجتماعي، وتمكنت هذه الفكرة من حل التناقض الذي كان بين الإنسان اليميني وبين قوى الطبيعة من ناحية، وبين الإنسان اليميني والدولة من ناحية ثانية.^٢

١ - مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ٤٣١.

٢ - نفسه، ٣٦.

وبحكم العلاقات الاقتصادية التجارية المتبادلة بين شعبي جنوب الجزيرة العربية وشمالها، حيث عاش الأراميون هناك، والذين ينتمي إليهم إبراهيم الحنيف فقد حدثت تأثيرات متبادلة، سواء أكانت اجتماعية أو فكرية أو سياسية، وتأثر الأراميون بفكرة التوحيد اليمانية، فاحتضنها وتبناها إبراهيم الحنيف، وأريد أن أعرج هنا تعريحا طفيفا على كلمة حنيف وأصلها التاريخي، كما وردت في كتب التاريخ، يرى بعض المستشرقين أن لفظة حنيف أُطلقت على القائلين بالتوحيد في الجزيرة، وقد ظهروا أول ما ظهروا في اليمن، ونادوا للتسليم برب السماء، ودعوا إلى عبادة الرحمن، وقد تأثرت اليهودية والنصرانية بهذه الديانة اليمانية.^١

أي أن إبراهيم - عليه السلام - قد سعى من وقت مبكر لتأسيس مشروع وحدوي أممي كبير، يتمثل في توحيد أمة الجزيرة العربية وما حولها تحت راية واحدة، تنضوي تحتها كل الدويلات والقبائل؛ لاسيما وقد كان خبيرا بتفاصيل جغرافيتها، وتاريخها، وخبيرا كذلك بمصالحها التجارية؛ كونه تاجرا كبيرا، من أغنياء القوم، إذا ما اعتمدنا العهد القديم مصدرا لهذه المعلومة؛ حيث يقول يذكر سفر التكوين ما نصه: "فصعد إبرام من مصر إلى صحراء النقب، هو وامراته ولوط، وكل ما يملك، وكان إبرام غنيا جدا بالماشية والفضة والذهب.."^٢.

علما أن فكرة التوحيد السماوية ليست جديدة، فقد سبقه اليمانيون قبل ذلك، وكما يقول المفكر الإسلامي عباس محمود العقاد: "فالتوحيد لم يكن مجهولا قبل عصر إبراهيم، وكذلك ميزان العدل الإلهي، وكذلك عبادة الحق.."^٣، وهنا نستطيع القول أنه كما كانت اليهودية والمسيحية والإسلام امتدادا لحنيفية إبراهيم عليه السلام (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ

١ - ثريا منقوش، سابق، ٥٠.

٢ - العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ١٣، الآية: ٣. وإبرام، هو إبراهيم نفسه قبل أن يأخذ الله منه العهد والختان، وبعد أن بلغ التاسعة والتسعين من عمره، كما يذكر الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين نفسه، وهو ذات الشأن مع زوجته ساراي/ سارة بعد ذلك.

٣ - إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د، ت، ٨.

يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿سورة آل عمران آية ٦٧.

فإن حنيفية إبراهيم نفسها امتداد للتوحيد اليماني قبل ذلك الذي صدح به كل من هود عليه السلام وبنوه من بعده وكذا نبي الله صالح، في حضرموت من اليمن، وكل هؤلاء كانت دعوتهم التوحيد والإسلام قبل أن تظهر دعوة إبراهيم عليه السلام بقرون، وهي دعوة التوحيد وعبادة الله:

فهود عليه السلام يخاطب قومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٦٥]
ويخاطب نبي الله صالح قومه بذات اللهجة والخطاب: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٧٣]

إن دعوة الأنبياء واحدة، هي الإسلام، وهم إخوة كما في الحديث الشريف: " الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحدٌ وأمهاؤهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبي: رواه البخاري. ^١

ولهذا خاطب الله نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم -: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]

فالدين واحد وإن تعددت الشرائع، و"لقد جاء القرآن مؤيداً لما تقدمه من الكتب المنزلة والشرائع المتقدمة معلناً تصديقها والإيمان بها وجميع رسل الله الكرام، شاهداً لهم بأنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة إلى أممهم، وأنهم كانوا أمناء صادقين، وأنه لزاماً على كل مسلم أن يصدق هذا ويؤمن به؛ لأن القرآن لم يأت بنسخ أصول الدين، والدين واحد، وإنما جاء مؤيداً لذلك الفصل الواحد الذي لا ينقسم ولا يعمل بغيره، وكما تقدم لم ينسخ القرآن إلا ما لم تبق له الحاجة داعية، من أحكام المعاملات، واختلاف قوالب

١ - العلات: الضرائر، ويقال: إخوة لعلات، أي أبوهم واحد، وأمهاؤهم شتى.

العبادة إلى ما هو أسمى وأرفع، وأصلح للبشرية وأنفع، حسبما اقتضت القدرة الإلهية والعناية الربانية"^١

وقد بقيت الأمم على دين الحنيفية الإبراهيمية موحدين حتى فترة قريبة من بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم تدخل الوثنية إلى جزيرة العرب إلا قبيل البعثة النبوية بقليل عن طريق الشام التي جلبت إليه عقب السيطرة الرومانية على بلاد الشام وبعض أجزاء من جزيرة العرب، كما أن ملامح الوثنية العقدية التي برزت في اليمن حالة طارئة، نتيجة انحرافات طرأت، كما تطرأ بعض الانحرافات الدينية بين الحين والحين على بعض الأديان، ثم يقيض الله من يصلح اعوجاجها ويعيد قومها إلى جادة الصواب.

جاءت شريعة الإسلام لتهدم الأوثان والأصنام التي انتشرت في الجزيرة العربية وما حولها، بفعل الغزو الروماني، وعقيدته الوثنية قبل أن ينتقل إلى المسيحية، ولتقرر مبدأ الوحداية والعبادة لله وحده، ولتكمل اللبنة السابقة التي وضعها الأنبياء من قبل محمد، صلى الله عليه وسلم، كما يقول هو عن نفسه: "مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ جِئْتُ فَحَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ"^٢

كما أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على بعض من قوم موسى وعلى كتابهم "التوراة" بأنها هدى ونور. (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِّيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ..) [المائدة: ٤٤]

١ - أنظر: دين الله واحد، عبدالله علي الحكيمي، مؤسسة الثورة للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠٠٠م. ص ١٧.

٢ - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ٧/٦٥. باب ذكر كونه خاتم النبيين، حديث رقم: ٦١٠٣.

وأثنى على إنجيل عيسى - عليه السلام - بعد ذلك بقوله: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) [المائدة: ٤٦]

وهكذا تشكلت عقيدة التوحيد منذ بدء الخليقة وحتى اليوم على هذا النحو، لذا لا
غرابة أن يقرر الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق حقيقة
تاريخية دينية هي حقيقة التوحيد، بكل ما يستتبعها من مفردات، حين قال: "الإيمانُ
يمانٌ والحكمةُ يمانية". وفي رواية لمسلم: "جاء أهلُ اليمنِ همُ أرقُّ أفئدةً، الإيمانُ يمانٌ
والفقهُ يمانٌ والحكمةُ يمانية".

فالإيمان - وعموده التوحيد - كان يمانيا فعلا من قديم الزمان، وكذلك الشأن مع
الفقه، بما هو منظومة تشريعية اجتماعية، وكل ذلك عرفه اليمنيون من قديم الزمن،
وإليهما اشار النبي بهذا القول. ولعل قادم الأيام قد تكشف عن المزيد من نصوص
المسند التي لا تزال رهن الطمي، ورهن الإهمال والعبث، فتضيف جديدا إلى ما تم
اكتشافه في هذا المجال، ولا شك أن ما تبقى الكثير والكثير، في أرجاء اليمن التي لا
تزال بكرًا، ولما تُكتشف بعد.

النظم السياسية في الحضارة اليمينية القديمة

النظام السياسي جزء من النظام العام للدولة/ الحضارة، إلى جانب الأنظمة الأخرى من عسكرية واقتصادية وأمنية وثقافية وغيرها. ويمثل النظام السياسي العمود الفقري الذي تتعلق به كل هذه الأنظمة.

نستعرض هنا طرفا من الحالة اليمينية التي كانت عليها قبل الإسلام، "سياسيا" حسبما ذكرت المصادر التاريخية، مع الجزم أن ما غاب واختفى من مظاهر الحضارة والرقى المدني والسياسي أكثر مما ظهر وبرز حتى الآن؛ لأن اليمن لا تزال بكرا، ولما يتم نفص التراب عن كنوزها الخفية بالصورة التي يجب، وهي كثيرة، على الرغم مما تمثله هذه الكنوز من قيمة مادية ومعنوية كبيرة، مع أن هذا الموروث قد تمت الإساءة إليه من خلال تعامل البعض معه بطريقة تقليدية، خارج سيطرة الدولة ورجالات الاختصاص في هذا الشأن. وقد ذكر المستشرق "هاليفي" أن منطقة الجوف أغنى بقعة في الجزيرة العربية بالآثار، وله فيها وحدها ثمانون نقشا معينيا.^١ وأنها أيضا رمز لمجد الدولة المعينية الغابرة..

ففي الوقت الذي عاشت فيه كثير من البلدان نمطا من الحياة البدوية والقبلية البدائية في تاريخها القديم، عاش اليمينيون حالة من المدنية والتحضر، بما في حياة المدنية من نظام وتشريعات وتقنيات، تنظم العلاقة بين الحكام والمحكومين، بحيث لا يطغى طرف على طرف فتختل المعادلة وتضطرب الحياة..

وقد تكلم المؤرخون والرواة عن حضارة اليمن الكثير، مقارنين إياها ببقية الحضارات، فهذا المؤرخ العربي الدكتور عدنان ترسيبي، يقول: "وإننا وإن كنا نجهل الشيء الكثير عن المراحل السابقة التي مرت بها الحضارة اليمينية قبل وصولها إلى تلك الحقبة المتطورة

١ - اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط:٢، ١٩٦٤م، ٥٥.

بعهد ملكة سبأ التي خَلد ذكرها القرآن الكريم، فإننا نعلم من الخطوط العريضة التي اطلعنا عليها، والخاصة التي عرفها العرب في اليمن تُعتبر من أقدم الحضارات العالمية، وأن بني قحطان من الساميين، وكانوا من قادة الحياة المتطورة في بداية معرفتنا للتاريخ، كما أن بعضهم وصل إلى سدة الحكم، وأصبح من الأسر المالكة في العهد الفرعوني القديم بوادي النيل. وفي عهد حمورابي في بلاد ما بين النهرين، ولا تزال الأسر المالكة في بلاد الحبشة تنتسب إلى ذرية سليمان وبلقيس حتى يومنا هذا^١

و ذكر المؤرخ جورجي زيدان في كتابه "التمدن الإسلامي" أن التمدن العربي القديم هو أصل التمدن المصري القديم، وأن عرب اليمن القحطانية قد تمدنوا تمدنا لا تزال آثاره مطمورة تحت الرمال، من قبل أن تتمدن الإسماعيلية، كما كان المعينيون والسبئيون والحميريون واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب^٢.

وقال البحاثة الأثري المستشرق "سانس": إن اليمن سابقة في تمدنها على مصر وبابل، وإنها هي البلاد التي هاجر منها إلى مصر الفراعنة العظام، وحملوا معهم العلم والحكمة والزراعة^٣.

ويقول المستشرق عبدالله فيلبي^٤: "إن مشاركة أهل بلاد العرب الجنوبية في بناء الحضارة الإنسانية أمر لا يكاد يمكن في وصفه المغالاة.. وقد يحسن بنا أن نذكر أن بلاد العرب الجنوبية على أقل تقدير طوال ألفي عام السابقة لظهور محمد قوة من القوى العظمى على الأرض، لها أعمالها التجارية والفكرية، ثم غدت بعد ذلك من قُطب الرحي من امبراطورية عالمية عظمى، تم لها بوحى الإسلام ومتابعته، فحملت مشعل المعرفة، متوقدة في عهود كان يغمر فيها الظلام في أوروبا، ولكنها قد نسيت ماضيها، أو انصرفت عن تقدير ما قامت بإنجازه من أعمال في قديمها العتيده^٥.

١ - اليمن وحضارة العرب، الدكتور عدنان ترسيبي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. د.ن. ٩.
٢ - انظر تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت. ١/١٦. فما بعدها..
٣ - اليمن الخضراء مهد الحضارة، سابق، ١٩٨٢م، ٢٠٤.
٤ - اسمه الحقيقي جون فيلبي، ولتحويل اسمه إلى عبدالله قصة سياحية مرتبطة بالملك عبد العزيز بن سعود.
٥ - اليمن الخضراء، سابق، ٢٠٤.

وتذكر الباحثة المتخصصة في التاريخ القديم الدكتور نورة النعيم أنه ثبت أثريا وجود استيطان سكاني في جنوب غرب الجزيرة منذ الألف السادس قبل الميلاد، وثبت أن الإنسان سكن جنوب غرب الجزيرة منذ هذه الفترة، وتركز وجوده في المرتفعات الوسطى، وفي السفوح الشرقية، وفي سهول تهامة، واستمر هذا الاستيطان حتى الألف الخامس قبل الميلاد. وفي الألف الرابع حدث تحول اقتصادي في المنطقة، فبدلا من الصيد والالتقاط اتجه الإنسان فيها إلى الاستقرار وإنتاج الطعام عن طريق الزراعة، ولم يتم هذا التحول فجأة؛ بل تم ببطء وتدرج، وكانت بداية هذا الاستقرار في سهول تهامة والمرتفعات الشرقية، وتشير الدلائل الأثرية إلى أن بداية هذا الاستقرار كان بداية لظهور القرى الزراعية التي ازدهرت خلال الألف الثالث قبل الميلاد.^١

وقال فيليب حتى، يصفُ تشريعاتِ حَضَارَةِ الْيَمَنِ الْقَدِيمِ، مفضِّلا إياها على تشريعات "حمورابي" وتشريعات موسى وشرائع الحثيين: ". أما شرائعُ عرب الجنوب فتمتازُ بصفات النُّضجِ الشَّرْعِيِّ، والبلوغِ السِّياسِيِّ، وتدُلُّ على نظامِ دولة تلوح من خلاله أوضاعُ الحكمِ النِّيابِيِّ، وربما لم يكن في آثارِ القِدَمِ السَّحِيقَةِ ما يُدَانِيهَا رُقيًا"^٢

لقد كان اليمنيون أول ملوك الأرض طُرًّا، بشهادة النصوص المسندية، وكتابات المؤرخين الغربيين، إضافة إلى ما تناقله الإخباريون، وقد ذكر الأصمعي المؤرخ واللغوي المعروف أن اليمنيين أهل مُلْك؛ فقحطان بن هود أول ملك في الإنسانية لبس التاج.^٣ فاليمينيون أهل ممالك واسعة من قديم الزمن، في الوقت الذي لم تكن تعرف بقية الأمم وخاصة في الجزيرة العربية غير الإمارات الصغيرة المتناثرة، أو النظام القبلي البدائي.

وفي قحطان هذا قال حسان بن ثابت الأنصاري اليماني، وهو شاعر الرسول:

فنحن بنو قحطان والملك والعلا ومننا نبي الله هود الأخير

١ - التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، د. نورة النعيم، سابق، ٦٥.

٢ - اليمن وحضارة العرب، سابق، ٧٣.

٣ - انظر تاريخ العرب قبل الإسلام، الأصمعي، ٤. ويرى اليعقوبي في مروج الذهب أن أول من يعد من ملوك اليمن هو سبأ بن يشجب. ٢/٧٤.

وصالح والمرحوم يونس بعدما آلات به حوت بأخلب زاهر
شعيب وإلياس وذو الكفل كلهم يمانون قد فازوا بطيب السرائر

دولة سبأ ومؤسسوها الأوائل

قامت دولة سبأ الأولى في العام ٣٥٠٠ قبل الميلاد، بزعامة الملك سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان،^١ وشملت اليمن كلها، وامتدت هذه الدولة إلى العام ١٥٠٠ قبل الميلاد، وفي عصر هذا الملك الأول تم تأسيس سد مأرب لأول مرة، وهو نفسه الملك الذي سار إلى بابل والجزيرة الفراتية والشام ومصر وأوطن في كل منها قبائل ممن كانوا معه. وقبل ذلك كان قد وحد الممالك اليمنية المختلفة كلها تحت قيادته هو، بعد أن وصلت إلى ثلاثة عشر ولاية، وقد قال نشوان الحميري فيه: "قام سبأ بن يشجب فجمع بني قحطان وبني هود".^٢

قال ابن خلدون: مَلِكٌ بعد يشجب ابنه عبدشمس، وقيل اسمه عامر، وسمي سبأ، لأنه - فيما قيل - أول من سبى، وبني مدينة سبأ وسد مأرب".^٣

ويرى المؤرخ محمد حسين الفرخ أن الأصوب أن سبأ بن يشجب هو أول من سبى، أي: غزا، وأن اسم سبأ مأخوذ من كلمة "سبأتن" وتعني: الغزو. مستشهداً بما أورده الدكتور محمد يوسف عبدالله بقوله: أن الاسم سبأ ليس من السبي كما يذكر الإخباريون؛ حيث قيل أن عبدشمس ولي أمر بني قحطان، وسار إلى أرض بابل وأرمينية وأرض الشام والفرات ومصر ورجع إلى اليمن وقد سبى خلقاً كثيراً، فسمي: سبأ؛ بل إن الاسم سبأ

١ - النسبة إلى يعرب بن قحطان نسبة اعتزاز فوقية، وليست نسبة اتصال مباشر، كما ينتسب أي يمني اليوم إلى حمير أو كهلان أو الهميسع، أي أن بينهما قروناً متطاولة من الزمن.

٢ - ملوك حمير وأقبال اليمن، سابق، ١١.

٣ - تاريخ ابن خلدون، ٢/٤٨.

أي: غزا، و "سبأتين" أي الغزوة، ونون الآخر هي أداة التعريف، ورسم المسند للكلمة يثبت أن الاسم مهموز الآخر، وهو كثير في النقوش.^١

والملك سبأ بن يشجب هو الذي قام بتوجيه القبائل القحطانية بالتوجه شمالا نحو شمال الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام ومصر للسكنى، بعد أن ازدحمت بلاد اليمن بالسكان، وتعتبر هذه الهجرة هي الثانية بعد الهجرة الأولى التي كانت في الألف الخامس قبل الميلاد، وتبعتها هجرات أخرى. وذكر ابن خلدون في تاريخه نسبة إلى صاحب التيجان أن سبأ هذا غزا الأقطار، وبنى مدينة عين شمس بإقليم مصر، وولى عليها ابنه بابلون، وكان لسبأ من الولد كثير، وأشهرهم حمير وكهلان اللذان منهما الأمتان العظيمتان من اليمنية أهل الكثرة والملك والعز، وملك حمير منهم أعظمه، وكان منهم التبابعة، كما يذكر في أخبارهم، وعد ابن حزم في ولده زيدان وابنه نجران بن زيدان، وبه سميت البلد.^٢

وفي هذه الفترة كانت أولى هجرة من أطلق عليهم الفراعنة المصريين من اليمن إلى بلاد النيل حسبما يذكر بعضهم المؤرخين الذين يرون أن الفراعنة هاجروا من اليمن إلى مصر، مستدلين بما ورد من إشارات في بعض المصادر، ومنها قصة الحضارة، حيث يقول: ول ديورانت: ".. وقد لفت "شوينفرت" أنظار العلماء إلى تلك الحقيقة الطريفة العظيمة الخطر، وهي أن الشعير والذرة الرفيعة والقمح، وتأنيس الماشية والمعز والضأن، وإن ظهرت كلها في مصر وبلاد ما بين النهرين من أقدم العهود المدونة لا توجد في حالتها البرية الطبيعية في مصر؛ بل في بلاد آسيا الغربية، وبخاصة في بلاد اليمن، وبلاد العرب القديمة، وهو يستدل من هذا على أن الحضارة - وهي هنا زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة - قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة في بلاد

١ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، محمد حسين الفرح، ٤٩/١. وانظر أيضا: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، سابق، ٢٠٢.

٢ - تاريخ ابن خلدون، سابق، ٥٣/٢. وأيضاً ملوك حمير وأقيال اليمن، نشوان الحميري، ١١. وفي القرن العاشر قبل الميلاد، وفي عهد ياسر يهنعم حصلت موجة تجديد للمستوطنات اليمنية التي كانت في بلاد النوبة.

العرب، ثم انتشرت في صورة مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين: سومر وبابل وأشور وإلى مصر".^١

وقد توفي المؤسس الثاني للدولة اليمنية سبأ بن يشجب بعد قحطان بن هود في سنة ٣٤١٦ قبل الميلاد، كما ذكر ذلك اليعقوبي، ولا يزال السد في طور البناء ولما يكتمل بناؤه بعد، وإن كان بعض المؤرخين يعتبر سبأ بن يشجب هو المؤسس الأول، وأول ملوك اليمن.

وقد ورث الملك عنه ابنه حمير "العرنجج" الذي أجلسه عن يمينه، وكان يُعرف بالملك المتوج؛ لأنه أول من وضع التاج الذهبي على رأسه من ملوك اليمن، واستمر حكمه زهاء خمسين سنة، ليتسلم الحكم بعده أخوه كهلان، ثم أبناؤه من بعده الذين استمر حكمهم ثلاثمئة سنة؛ وهنا تبدأ دورة جديدة من دورات الحكم في آل الهميسع بن حمير فيما بين: ٢٧٥٠ إلى ٢١٢٠ قبل الميلاد. وقد مات الملك الهميسع بن حمير سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد.^٢، ثم بقي أبناء العم في شقاق على الملك، حتى توافقوا على ذي القرنين بعد ذلك فترة طويلة، ليستقر الملك كما كان سابقاً، أيام "عاد الثانية" في القرن التاسع عشر، بزعامة شمس عاد بن الملك الملطاط سين مبلاط، ذكره الهمداني في الإكليل: أبو شداد عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبدشمس. وعاد الثانية هذه هي غير عاد الأولى التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: (وأنه أهلك عاد الأولى وثمود فما أبقى) النجم: ٥٠. أما الثانية فقد تخللت دولة سبأ؛ بل هي جزء منها، وإلى ذلك أشار نشوان الحميري شعراً:

وملوك حمير ألف ملك أصبحوا في الترب رهن ضرائح وصفاح
آثارهم في الأرض نخبونا بهم والكتب من سير تقص صحاح
ملكث ثمود وعاد الأخرى معا منهم ملوك لم تكن بشحاح

١ - قصة الحضارة، ول وإيريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، بيروت، تونس، د. ت. ٢/٤٣.
٢ - الهميسع تعني الرجل القوي، ومن أولاد الهميسع: يامن وأيمن ومهيسع والهاسع ولحج ومتبع والمختسع وأقرع.

وقد حكم هذا الملك ٣٤ عاماً، فيما بين: ١٨١٥ إلى ١٧٨١ قبل الميلاد.^١ ثم خلفه ابنه شداد بن شمس عاد، وهو بحسب الهمداني الذي بلغ أقصى المشرق، لا يقف له أحد إلا هلك، ثم مضى على أرمينية، ثم سار إلى الشام، ثم إلى المغرب، حتى بلغ البحر المحيط، وهو بيني المدن ويتخذ المصانع، فأقام في المغرب فترة، ثم قفل إلى المشرق.^٢

وفي عهد شداد بن عاد تم تأسيس مدينة إرم التي ذكرها الله في القرآن الكريم بقوله: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) الفجر: ٣.٨. ويذكر البعض أن هذه المدينة في عدن، وأنه الذي فتح باب عدن البري، المعروف إلى اليوم بباب عدن، وهو آية في الخلق والإبداع.

الملوك التبابعة

ابتدأ تاريخ الملوك التبابعة في العام ١٤٨٨ قبل الميلاد، وأولهم الملك التبع الحارث الرائش الأول الذي وحد البلاد جميعها وقد كانت بدأت في التمزق. والتبع: تعني الملك المتبع، وقيل سُموا كذلك لتتابع بعضهم إلى بعض، وهو لقب ملوكي، يشبه لقب الفرعون في مصر، وقيل لأنهم يُتبعون. ولم يكن يسمى التبع تبعاً إلا إذا دانت له جميع البلاد، وإلا سمي ملكاً. وقيل: كان ملك اليمن لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير.^٤

وقد استمر عصر التبابعة من العام ١٤٨٨ قبل الميلاد إلى العام ٥٩٣ للميلاد، تعاقب على هذا الفترة سبعون تبعاً، أولهم الحارث الرائش الأول، وآخرهم معديكرب بن سيف بن ذي يزن. وفيهم قال الشاعر:

١ - انظر الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، سابق، ١/١٠٥.
 ٢ - الإكليل، الهمداني، ٨/١٨٣. والمقصود بالمغرب في الجملة الأولى: الغرب.
 ٣ - الإرم العَلَم من الحجارة تنصب في المفازة.
 ٤ - انظر: الجديد في تاريخ ١/١٢٩.

لنا من بني قحطان سبعون تبعا أطاعت لها بالخرج منها الأعاجم

وقال نشوان الحميري:

تباع الأملاك من حميرٍ عدتهم سبعون لا تقصر
من ولد الرائش جمهورهم من حمير الأصغر، ما حمير؟

وُعتبر الملكة بلقيس التابع الثالث عشر في سلسلة الملوك التبابعة، فيما بين: ٩٦١ إلى ٩٢٤ قبل الميلاد، وقد عاصرت النبي سليمان عليه السلام، كما ذكرت التوراة والقرآن الكريم. وامتد حكمها إلى الحبشة، ولم يقتصر على حكم اليمن فحسب؛ كما تذكر المصادر التاريخية، فقد كانت الحبشة جزءا من الممالك السبئية، وأن ملكة سبأ كانت تحكم البلدين معا، ولهذا يعتبر ملوك الحبشة أنفسهم من سُلالة سليمان وبلقيس عليهما السلام.^١

ذكر المؤرخ الفرخ نقلا عن ممتاز العارف عن كتاب "إيسينا" لريتشارد جرينفلد، وكتاب "اثيوبيا" لديفيد باكستون ما يلي:

- "في حوالي العام ألف قبل الميلاد قامت أعداد غير قليلة من قبائل جنوب الجزيرة العربية بغزو جماعي للأجزاء الشمالية من الحبشة، بما في ذلك أرتيريا، كما اندفعت بعض تلك القبائل عبر مضيق باب المندب إلى هضبة هرر في القسم الشرقي من الهضبة، وبحكم تفوقهم الحضاري فرضوا أنفسهم على سكان بلاد الحبشة - الحاميين - وأدخلوا لهجتهم وحضارتهم السبئية، بما في ذلك الخط المسند ومهاراتهم العمرانية والزراعية إلى الحبشة، وزرعوا بذور حضارتهم بين السكان الأصليين الذين لم يكونوا قد تجاوزوا طور الحياة البدائية.. وبذلك الغزو والاستيطان السبئي الأول للحبشة بدأ تاريخ حضارة أكسوم ذات المنشأ السبئي السامي العريق".^٢

١ - أساس هذه الفكرة يهودية، وهو يثبتونها في كتبهم، وفي كتاب "الشيطان والعرش" ما يثبت هذه الفكرة من جهة نظر اليهود الذين يعتقدون أن السلالة التي حكمت الحبشة إلى عهد الامبراطور هيلسلاسي كانت من سلالة منليك بن سليمان عليه السلام من زوجته من بلقيس، مع أن بلقيس لم تتزوج سليمان عليه السلام أساسا.

٢ - الأحباش بين مارب وأكسوم، ممتاز العارف، ٩، في الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ١/٢٩٨.

وقد عبروا على موجات متعاقبة، وكان بعضهم يستقر على ساحل ارتيريا، ثم يتوغل إلى الداخل، مغتصبا أقاليم كاملة من السكان الكوشيين، وبسرعة اتجهت أنظارهم إلى الهضبة الخصيبة؛ حيث أخذوا في توطيد أقدامهم عليها، وكان من بين من هاجر إلى تلك الهضبة مجموعة من النازحين، يسمون أنفسهم "الحبشات" وقد أطلق اسمهم على البلاد كلها، فصارت تدعى الحبشة.^١

- إن نقوش المسند العربية الجنوبية التي تم العثور عليها في منطقة "أكسوم"، وفي "بجا" وإلى الشرق حيث يمتد الطريق من ميناء عدول تبين سعة انتشار النفوذ السبئي بالحبشة قبل وحتى القرن السادس قبل الميلاد.^٢

وذكرت الدكتورة أسهان سعيد الجرو أن اليمينيين قد أدخلوا عبادة الإله "المقه" منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى الهضبة الارتيرية وأكسوم، فكل أسماء الآلهة التي وردت في النقوش التي وجدت في الحبشة تذكر أسماء الآلهة السبئية.^٣

وذكر العالم الألماني "فورك" في ترجمته لنبا زيارة الملك الصيني مو - تشو لجنوب الجزيرة العربية في القرن العاشر قبل الميلاد بالنصوص الصينية القديمة بالنصوص الصينية القديمة أنه: كانت ملكة جنوب الجزيرة العربية تحكم بلاد العربية السعيدة وإقليم الحبشة "كولو" .. وأنها كانت ملكة سبأ وهضبة الحبشة. مضيفا: وهي الملكة العظيمة الشهرة، بلقيس ملكة سبأ التي عاصرت سليمان".

مضيفا: وقد تم استعمار الحبشة بشكل خاص من قبل الحميريين الذين هم من أقارب السبئيين. وهناك إثباتات على أن أفريقيا الشرقية كانت مستعمرة حميرية سبئية في القرن الرابع قبل الميلاد.^٤

١ - الساميون ولغاتهم، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٠م، ١٦٠.

٢ - الأحباش بين مارب وأكسوم، سابق.

٣ - د. أسهان سعيد الجرو، الديانة عند قدماء اليمينيين، مجلة دراسات يمنية، العدد: ٤٨ ١٩٩٢م.

٤ - بلقيس امرأة الألفاز وشيطانة الجنس، زياد منى، رياض الرئيس للكتب والنشر، ط: ٢، ١٩٩٨م، ٣٠٢.

وهناك نظائر دينية للمسميات اليمنية كشفت عنها النصوص في الحبشة؛ إذ عُثر على أسماء آلهة مثل أوم وعتشر وذو ميم والمقه.^١

ولم يقتصر حكم بلقيس على اليمن والحبشة فحسب؛ بل لقد امتد أيضا شمالا وشرقا من الجزيرة العربية نفسها، وهو امتداد توارثته منذ عهد الحارث الرائي، أول التبابعة، يقول المؤرخ حامد عبدالقادر: "وقد قامت دولة سبأ بعد انقراض الدولة المعينية في القرن العاشر قبل الميلاد، وكانت أملاكها تمتد إلى شمال الجزيرة العربية في عهد "تجلات بل عزر" و "سرجون الثاني" الآشوريين. وكانت حدودها من الشمال تتاخم مُلك سليمان من جهة الجنوب في عهد بلقيس ملكة سبأ التي ذكرت في القرآن".^٢

وفي كتاب التيجان في ملوك حمير: "فلما وليت بلقيس الملك جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكة، فاعتمرت، وتوجهت إلى أرض بابل، فغلبت على من كان بها من الناس، وبلغت أرض نْهاوند وأذربيجان، ثم قفلت إلى اليمن".^٣

قال ابن خلدون عن التبابعة اليمينيين: وكان هؤلاء التبابعة ملوكا عدة في عصور متعاقبة، وأحقاب متطاولة، لم يضبطهم الحصر، ولا تقيدت منهم الشوارد، وربما كانوا يتجاوزن ملك اليمن إلى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة، ويقتصرون على يمنهم أخرى.^٤

ومن أبرز الملوك التبابعة الملك أفريقيش الذي قال عنه ابن خلدون في تاريخه: قال ابن حزم هو أفريقيش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائي، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقيا، وبه سميت، وساق البربر إليها من أرض كنعان.. ويقال أنه الذي سمى البرابرة بهذا الاسم، لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم، قال: ما أكثر بربرتهم، فسموا البرابرة، والبربرة في لغة العرب: اختلاط أصوات غير مفهومة، ومنه بربرة الأسد^٥

١ - الملكة بلقيس التاريخ والأسطورة والرمز، د. بلقيس الحضرائي، ١٦١.

٢ - الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها، حامد عبدالقادر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت. ٨٤.

٣ - كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، د. ت، ١٦١.

٤ - تاريخ ابن خلدون ٢/٥٧.

٥ - تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٩.

الملوك المكاربة

اختلف العلماء في تعريف لفظة المكرب، فقيل: من الجذر "كرب" ويعني الحاشد، الجامع، والمكرب: المجمع، وهو الذي يجمع تحت إمرته العديد من القبائل.^١ وقال آخرون: إنه من المقرب: أي المتقرب إلى الإله؛ لأن المكرب كان يجمع السلطة الدينية والسياسية. وكرب كروبا: أي دنى، وكل دان قريب هو كارب، والملائكة الكروبيون هم أقرب الملائكة إلى العرش.

وقد عرفت الدولة اليمنية النظام الديني/ السياسي معا، كما عرفت نظام الملكية الخالصة، فيما بين القرن التاسع إلى القرن السابع قبل الميلاد، وقيل ما بين القرن الثامن والقرن الخامس، مع الإشارة إلى أن النظام الديني الذي ساد آنذاك ليس نظاما ثيوقراطيا/ كهنوتيا كبقية الأنظمة التي سادت بعض الحضارات القديمة أو حتى أوروبا في مرحلة لاحقة في عصورها الوسطى وحتى العصر الحديث. النظام الديني الذي امتزج بالسياسي كان لجعل الدين رافعة حضارية وقيمة أخلاقية في البناء والعمران، وحقا كان كذلك.

وقد قال بعض الباحثين أن الملوك المكاربة حين انتحوا هذا الاتجاه إنما جاء بناء على رغبة الحاكم الديني/ المكرب في الارتفاع بنفسه عن مستوى رئاسة الكهنوت إلى مستوى الملكية ذات السلطات الشاملة، هربا من منافسة كبار الكهنة الذين يشاركونه السلطة باسم الدين، ومنهم من يرى أن هؤلاء الحكام أرادوا أن يتشبهوا بغيرانهم ملوك الدول المعاصرة، ويمكن القول أن هذا التحول نتيجة تطور النظام الإقليمي والحاجة إلى تعزيز سلطة الحاكم للسيطرة على الوضع الداخلي والخارجي للدولة.^٢

١ - انظر: اليمن في عهد المكرب السبئي كرب إل وتر بن زمر علي، القرن السابع قبل الميلاد، "أطروحة دكتوراه" ١٩٩٨م، جمال عبدالواسع قاسم الشرجبي، جامعة بغداد، ٣٠.

٢ - المجتمع اليمني القديم دراسة من خلال المناظر والنقوش، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، وائل فتحي مرسي، ٢٦.

ويتجلى المفهوم المدني للمكرب بجانب المفهوم الديني في مملكة سبأ أكثر من غيرها من الممالك الأخرى القديمة؛ حيث استخدم من قبل الحاكم نفسه لتعريف هويته في بداية النقوش التي كان يأمر بكتابتها، وبالتالي فقد كان عبارة عن لقب شرقي، استخدمه الحاكم لإعطاء الشرعية لحكمه، وكذلك حتى يمكن قبوله كحاكم لاتحاد القبائل من قبل القبائل المنخرطة في ذلك الاتحاد^١، ويرجع البعض بداية هذا النظام إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

وكانت مهام الملك/ المكرب تنقسم إلى قسمين: القسم المدني السياسي الخالص، متمثلاً بقيادة الجيوش وخوض الحروب، وإصدار القوانين السياسية أو إقرارها بعد مجالس المسود، وإقامة المشاريع الزراعية وبناء المدن، وقد أشارت نصوص المسند إلى ذلك، كما أشار إلى ذلك نقش النصر: RES 3954 وأيضاً النقش: RES 4401 للملك كرب ال بين؛ حيث يشير النص إلى أن الملك قد قام بتوزيع الأراضي على الفلاحين، لاستغلالها زراعياً، والنقش: RES 4404 والذي يشير إلى قيام الملك "سمة علي ينف" الذي يشير إلى تأسيس أعظم مشروع زراعي في تاريخ اليمن قديماً وحديثاً، وهو بناء سد مارب، عرف آنذاك بسد "رحب" في العام ٦٥٠ قبل الميلاد. إضافة إلى عشرات النقوش التي أرخت ووثقت قيام الملوك بتأسيس المشاريع العمرانية والزراعية وتعبيد الطرق، وغيرها؛ أما القسم الآخر فالديني، المرتبط أيضاً بالأول، فمن مهامه بناء المعابد الدينية والتوسع في بناء القديمة منها أو ترميمها، وتخصيص الأراضي وأيضاً حفر الآبار الخاصة بها، وتدشين وتروؤس عملية الصيد المقدس التي تتم مرة كل سنة، وهي عادة دينية منذ الألف الأول قبل الميلاد، يقودها المكرب/ الملك بنفسه مع كبار القوم ومنهم رجال الدين، لصيد الحيوانات، ومن ثم تقديمها قرباناً للإله.

وفيما يتعلق بالحفاظ على الأمن الداخلي فنجد أن الملك قد أوكلت إليه مهمة حفظ الأمن، ووضع قوانين وعقوبات للخارجين عليه، ومثال على ذلك القانون الذي سنه

١ - الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، سابق، ١٠١.

"يدع إل بين" ملك سبأ، نقش: CIH 126 بشأن تنفيذ عقوبة الإعدام على المجرمين المخالفين للقانون، وكذلك يثبت لنا النقش: RES 3878 قانونا جزائيا حدد فيه عقوبة الإعدام لمرتكب جريمة القتل.^١

وقد كان على رأس مملكة سبأ في هذا العصر ثلاثة عشر مكربا، من العام ٨٥٠ إلى العام ٦٢٠ ق. م. أو ٦٥٠، على خلاف بين المؤرخين، لتنتهي في هذا التاريخ فترة المكاربة، وتبدأ فترة الملوك، ويعتبر كرب إل وتر، آخر مكرب وأول ملك. ويرى جواد علي أن عدد المكاربة سبعة عشر مكربا، كانوا يقيمون في عاصمة سبأ القديمة "صرواح" وأول هؤلاء المكاربة "سمة علي".^٢

وخلال هذه الفترة وحتى العام ٥٤٠ ق. م. ازدهرت مملكة قتبان الموالية لسبأ، والتي تعتبر من أرقى الممالك اليمنية، وعاصمتها "تمنع" في بيحان من شبوة.

وقد ازدهرت القوانين والتشريعات في عهد الدولة القتبانية كثيرا، عكست الحالة المدنية التي وصلت إليها البلاد في تلك الفترة، والتي سنشير إليها لاحقا.

من العام ٦٢٠ أو ٦٥٠ إلى العام ١١٥ ق. م. تبدأ فترة الملوك؛ حيث كان الملك يلقب ملك سبأ. بدلا عن مكرب سبأ.

ومن العام ١١٥ ق. م. إلى العام ٣٠٠ بعد الميلاد كان اللقب: ملك سبأ وذو ريدان.

ومن العام ٣٠٠ إلى العام ٥٢٥ بعد الميلاد كان اللقب: ملك سبأ وذو ريدان، وحضرموت ويمنات وأعرابهم طودا وتهامة.

ويعتبر نقش النصر - أكبر نص مُسندي - الإعلان الأكبر لتأسيس الدولة المدنية ذات المساحة المترامية الأطراف على يد الملك كرب إيل وتر، في القرن السابع قبل الميلاد.

١ - المجتمع اليمني القديم دراسة من خلال المناظر والنقوش، سابق، ٣١.

٢ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، سابق، ٢/٢٦٩.

جاعلا ولاء الأمة اليمنية للوطن أجمع لا للقبيلة، وقد كانت مملكته من حضرموت وعدن جنوبا إلى نجران شمالا وتهامة غربا، مشيرا إلى استراتيجيته الجديدة في البناء والتعمير واستصلاح السدود والأراضي الزراعية التي هي عماد القوة في العهد الجديد، بعد أن وحد كل الممالك اليمنية، شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، وبعد خوضه لعدة معارك حربية في سبيل ذلك، كانت نتيجتها قتل ما يربو على ثلاثين ألف شخص، وأسر ثلاثة وسبعين ألفا، كانوا هم عماد النهضة الزراعية الجديدة. وأيضا غنيمة أربعمئة وخمسين ألف رأس من الغنم.^١

ملوك سبأ

يبتدئ عصر الملوك من المكرب سابقا، الملك كرب إل وتر الذي تلقب بالملك وترك لقب مكرب الذي يحمل صبغة دينية، من الفترة ٦٥٠ قبل الميلاد على تقدير "هومل" كما أشار إلى ذلك جواد علي، وامتد حتى سنة ١١٥ قبل الميلاد، وبعضهم يرى إلى العام ١٠٩ قبل الميلاد. وكان آخر ملوك هذه الفترة هو الملك الشرح يحضب بن فرعم ينهب، وفقا لقائمة فيلبي، وعدد ملوك هذه الفترة خمسة وعشرون ملكا، وفي هذه الفترة انتقلت العاصمة من صرواح إلى مارب العاصمة الجديدة، متخذين من قصر "سلحين" مركزا للحكم.

ملوك سبأ وذو ريدان

تبدأ هذه الفترة من ١١٥ قبل الميلاد، وسميت بملوك حمير، وإن كانت في الواقع امتدادا سبئيا، حفاظا منهم على وحدة الأراضي السبئية كاملة، وعلى تطبيق نمط فيدرالي مبكر من الحكم، جعل من البلاد كلها فيدراليتين: الأولى سبئية، عاصمتها مارب، والثانية ريدانية "حميرية": عاصمتها ظفار القريبة من يريم بمحافظة إب حاليا. وإن كان مفهوم اليمن الكبير كله يطلق عليه البلاد السبئية، نسبة إلى الأصل. وهناك من الباحثين

١- اليمن.. الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية، محمد الشعيبي، ط: ١، ٩٨م، ٣٤.

من يشير إلى وجود صراعات سياسية لاحقة بسبب التسمية التي تصارعها الطرفان؛ إذ كان ملوك "حمير" في ظفار يلقبون أنفسهم ملوك سبأ وذي ريدان، كما كان ملوك سبأ في مارب أيضا يلقبون أنفسهم بهذا اللقب، ويرون أنفسهم الأحق به، فيما ملوك ظفار فرع عنهم، فنشبت المعارك بين الطرفين.

يقول بافقيه: ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن قيام نظام سبأ وذي ريدان الذي يرمز إليه اللقب المزدوج إنما تم منذ البداية على أساس حلف أو اتحاد من هذا القبيل، ولعله عند ذلك اتخذ الرمز المونجرامي الشهير الذي يشبه نخلة زخرفية، والذي زينت به العملات المضروبة باسم القصر ريدان، كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقباهم.^١

ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

تبدأ هذه الفترة من العام ٣٠٠ ميلادية، على وجه التقريب، وقد انضمت "حضرموت" التي كان لها وقعات مع سبأ قبل ذلك، كما انضمت أيضا "يمنت" ويمينات وردت مقرونة دائما في النقوش بكلمة "شامت" التي تعني الشمال، وهي بهذا تعني المناطق الجنوبية الساحلية كما يرى بافقيه.^٢ الذي ذكر أن الإضافة الملوكية الرسمية "وأعرابهم طودا وتامة/ وأعرابهم طودم وتهمت". وهي - بحسب بافقيه - التهائم والهضاب الممتدة والضاربة في قلب الحجاز، ولعل أبرز دليل على شمولية هذا اللقب هو نقش "مأسل الجمح" إلى الجنوب من نجد، وهو يثبت - حقا - وصول الملك أبكرب أسعد وابنه حسان يهامن قد زارا ذلك الموضع في ركب من أعراب كندة.^٣

وقد لقب أبرهة الحبشي نفسه بهذا اللقب بعد غزو اليمن كما دل على ذلك النقش

م: ٥٤١ بمارب.

١ - في العربية السعيدة، دكتور محمد عبدالقادر بافقيه، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م، ٦٨.

٢ - نفسه، ١٣٧.

٣ - نفسه، ١٥١.

راية الدولة وشعارها

الراية والشعار من المراسيم المعروفة عن الممالك والدول من قديم الزمان، إذ يتخذ كل ملك أو سلطان أو أمير شعارا ورمزا خاصا بدولته، في إشارة إلى رسم الملامح الأولية والخطوط العامة لهوية الدولة، وفي اليمن القديم كانت راية الدولة اللون الأصفر، وهو رمز للنصر والغلبة؛ أما شعارهم فالنسر رمز القوة والسرمدية. وعملتهم من الذهب أو الفضة أو البرونز، منقوش عليها صور الملوك وبعض من الرموز السياسية أو الدينية كالنسر أو رأس الثور، رمز الخصب والبركة، أو رمز الهلال أو غيره. وظهر النسر كشعار ورمز ديني في بعض ممالك اليمن، مثل حضرموت التي خلدت صورته على واجهات العمارات وعلى العملات النقدية، وأيضا عثر على منحوتات للنسر في لقي مملكة ظفار في إب. علما أن صورة النسر قد وجدت في كل الحضارات القديمة غير اليمنية أيضا، ولا تزال هناك من الآثار والتحف القيمة التي تكشف عن كثير من التفاصيل تحت أنقاض الخرائب ورهن الطمي والعبث، وخاصة في الجوف ومارب وحضرموت، وأيضا في إب، وفي كل بقعة من بقاع اليمن، بل تحت كل شبر منها أثر يحكي مجدا ضائعا وكنوزا مهملة. يقول هاليقي: وليس في كل بلاد العرب مكان ينافس الجوف في كثرة ما فيه من آثار وخرائب عادية، ولذلك فإن الباحثين عن القديم يرون فيه أملا عظيما وكنزا ثمينًا، وقد يكشف لهم عن صفحات مطوية من تاريخ تلك البلاد، وربما يكشف عن تاريخ بلاد أخرى كانت لها صلات وعلاقات باليمن، وفيه مدن مهمة، كان لها شأن وصيت في تاريخ العالم القديم.^١

١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، سابق، ٢/٧٥.

السلطة التشريعية

تعددت طبيعة النظام السياسي الحاكم في مختلف العهود السبئية، ما بين ملكية دينية، إلى ملكية شوروية، "ملئية" وهو السائد في أغلب فترات عهود الحكم السبئية الحميرية. لقد كان الملك ذات صلاحية واسعة، خاصة الملوك المكاربة؛ لكن مع هذا كانوا محاطين بمجلس تشريعي على مستوى كل قبيلة، فلم يكن مطلق الصلاحيات، وكان هذا المجلس الأعلى - الذي يضم مندوبين أو ممثلين عن هذه المجالس واسمه "المسود" في سبأ وقتبان، و "مزود" في معين - بيده التشريعات والتقنيات التي يصادق عليها الملك. وقد اتخذ الملوك وكبار موظفي الدولة ألقاباً رسمية مثل التَّبَع، وهو الملك الذي تدين له كل البلاد، فالقيل الذي هو في المقام الثاني بعد الملك، يقود الجيوش ويوجه الناس، وثالثهم: الذو. مفرد أذواء. وهو دون القيل مرتبة.^١، وعرف الأقبال أنهم مثل المرابزة عند الفرس، يولونهم على الولايات العظيمة، ولا يكلم الملك غيرهم، وقيل: إن الأذواء فوقهم، وإن الملوك كانوا يلون الجهات الست، فتنسب إليهم، فيقال: ذو رعين، وذو أصبح، والأقبال بعدهم، وهم بمنزلة الأمراء والقواد، ولهم أوضاع مستحسنة في ترتيب مراتبهم.^٢

وفي المعجم السبئي: القيل أحد أفراد بيت رئاسة في شعب.^٣

وقد دلت قصة بلقيس على طبيعة النظام السياسي، وكشفت عن جزء منه، في الإشارة إلى أنه كان لها مجلس استشاري، تستشير به في القضايا الكبرى، ولا تقطع أمراً دونهم، كغيرها من الملوك الذين لا يستطيعون القطع في أمر ما من الأمور الكبيرة حتى يرجعوا إلى المجلس الاستشاري (قالت يا أيها الملاء افئوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً

١ - يرى البعض أن هذا التقسيم كان في الفترة الحميرية، وهناك تقسيمات أخرى بمسميات غير هذه في الفترات التي قبلها.
٢ - نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: دز نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ٩٣
فما بعدها.

٣ - المعجم السبئي، سابق، ١٠٩.

حتى تشهدون) النمل ويتكون المجلس الاستشاري - كما أشرنا - من الأقبال والأدواء وهم كبار القوم وصفوة الرجال في المجتمع متمثلاً في مجلس المسود "م س و د ن"

وتعكس التشريعات بقوانينها وأنظمتها ومجالسها حالة الرقي الاجتماعي والفكري الذي توصلت إليه المجتمعات اليمنية في تاريخها القديم، وحالة الرفاه الاجتماعي وطبيعة الحياة التي ينشدها المجتمع، فمنظومة التشريعات اليمنية القديمة كانت عبارة عن قوانين مكتوبة، توارثها اليمنيون منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد يكون قبل ذلك، وعملوا على تطويرها جيلاً بعد جيل، مكتسبة الهيبة والاحترام لدى عامة الناس؛ كونها صدرت عن الإله، أو عن إرادة الإله، فكان انعكاسها المباشر على سلوك الناس ونمط حياتهم الجماعية، لا الفردية.

ودلت نصوص المسند على وجود مؤسستين سياسيتين شورويتين، هما:

١- مجلس "الأقوال الثمانين" وكان بمثابة برلمان سبأ، وسلطة الأملاك الثمانية "الأسبئين". وبحسب الهمداني فإن مجلس "الأقوال" يتكون من ثمانين قبلاً من وجوه حمير وكهلان، فإذا حدث بالملك حدث كانوا الذين يقيمون القائم من بعده، ويعقدون له العهد، وكانوا إذا لم يرتضوا بخلف الملك تراضوا لخيرهم، وأدخلوا مكانه رجلاً ممن يلحق بدرجة الأقوال، فيتم الثمانين، ولم يكن هذا إلا مرات يسيرة؛ لأن الملك لم يكن يعدو آل الرئاش، إلا أن يتوفى الملك وأولاده صغاراً أو يكمل، فيُفعل ذلك حتى يُتدبر في سواه من آل الرئاش".^١

وقد كشفت تنقيبات البعثة الأثرية الأمريكية في البنيان السبئي المشهور باسم محرم بلقيس في مارب سنة ١٩٥٢م أن محرم بلقيس يضم "معبد إل مقه بعل أوم" ويضم أيضاً مبنى قاعة لم تدرك البعثة ماهيتها، وهي مقر مجلس الأقوال الثمانين، فقد وصفها رئيس البعثة الأمريكية بأنها: قاعة كبيرة معقدة الشكل، فيها بقايا بنايات، تقع في ثمانية صفوف طويلة. وكان السقف على جوانب القاعة محمولاً على ٣٢ عموداً، وتوجد في

١ - الإكليل، ٢/١١٥. والجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ١/٢٣٤.

جدار القاعة سلسلة مثيرة للاهتمام من النوافذ الاصطناعية، يبلغ عددها ٦٤ نافذة، وكان للقاعة بابان، أحدهما يؤدي إلى المعبد، والثاني يؤدي إلى باب كبير، ذي ثلاث قطع، مقام بين عمودين كبيرين، ويفضي إلى قاعة خارجية، وكانت الأبواب والإطارات والمدخل بأكمله والدرجات مغطاة برقائق من البرونز.^١

وقد فسر ماهية هذه القاعة المؤرخ الفرع بقوله: فإذا تأملنا ذلك الوصف للقاعة يمكن إدراك أن بقايا البناء التي تقع في ثمانية صفوف طويلة هي بقايا ثمانية صفوف من الكراسي الحجرية، أو الحجرية الرخامية، كل صف لعشرة أشخاص على الأقل ٨ في عشرة = ٨٠ أو ٨ في ١١ = ٨٨. فهي قاعة مجلس الأقوال الثمانين "برلمان دولة تبابعة سبأ" ومعهم الأملاك الثمانية "أسبتن" المذكورين في النقوش المعثور عليها في محرم بلقيس.^٢

٢- الأملاك الثمانية "أسبتن". وهم ثمانية من كبار الأذواء من بني حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن سبأ الأصغر، كان يُقال لهم: الأملاك الثمانية أو مئامنة الملوك، وقد جاء ذكرهم في النقوش بلفظ "أسبتن". وقال الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه: إن الأسبوء "أسبتن" يقصد بهم مئامنة الملوك، وهم ثمانية أبيات سبئية.^٣

وذكر نشوان الحميري أن الملك لم يكن يصلح لمن يملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية، وإن اجتمعوا على عزله عزله.^٤

أي أن اختيار ملك هو من مجلس الثمانين "الأقوال" أما عزل أي ملك فهو من اختصاص المئامنة.

١ - كنوز مدينة بلقيس مدينة سبأ الأثرية، ويندل فليبس، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٤٢.

٢ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ١/٢٣٤.

٣ - في العربية السعيدة، بافقيه، ج ٢. وهؤلاء المئامنة هم: ذو حزر، ذو ثعلبان، ذو جدن، ذو سحر، ذو فيشان، ذو عكلان.

٤ - السيرة الجامعة، نشوان الحميري، ١٥٧.

وقد وجدت بعض النقوش المسندية التي أشارت إلى تحديد مدة الوالي الذي يعينه الملك على ولاية ما، كما في النقش SH 31 الذي يتحدث عن أحد السفراء المبتعثين خارج مملكة سبأ:

العودة بالسلامة والأمان
من كل البعثات التي أرسلها فيها سيده
والعرفان على
عودته بالسلامة من مدينة صعدة
بأرض خولان؛ حيث عينه سيده
شمر يهرعش ليدبرها أربع سنوات.^١

فهذا جزء من النص يشير إلى أن الملك قد منح "ريمان" أربع سنوات لحكم صعدة، بعد أن أدى وظيفته الدبلوماسية في الخارج، إلى شيخ شرق الجزيرة العربية، والتي أشار إليها بقية النص المذكور. وهي المدة التي تُمنح اليوم لحكام الولايات أو المحافظات في البلدان المتقدمة.

ورغم الانحدار الذي شهدته الدولة الحميرية في فترات المتأخرة إلا أنها استطاعت أن تصد أعتى قوة جبارة على وجه الأرض في العام ٢٣ قبل الميلاد متمثلاً في الحملة العسكرية الرومانية التي ابتلعت بلاد الشرق كاملة، بما في ذلك الشام ومصر، ولما أرادت السيطرة على طريق البخور في اليمن مرقتها القوات اليمينية شر ممزق، وهزمتها شر هزيمة حتى ولت الأدبار على أطراف مارب، واعتبرت عودة بعض قواتها سالمة. بعد أن فرت من أرض المعركة. غنيمة في حد ذاتها!

١ - الموظف والدبلوماسي السبئي، المستغرب السوفيتي: أ. ج. لوندن، ترجمة: قائد محمد طربوش، مراجعة: د. محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، العدد: ٢، ١٩٨٦م، ٢٠.

القوانين والعقود

لأن الحالة الاجتماعية هي الأصل للحالة السياسية للدولة أو الحضارة فسنستعرض هنا طرفا من تشريعات وأعراف هذه الحالة التي ساهمت في صياغة بنية الدولة وصولا إلى الحضارة..

١. القانون المعيني القاضي بتنظيم الزواج بين المعينين والديدانيين، ونص هذا القانون: "أي سيدة معينة تقترن برجل من ديدان، وكذا أي سيدة من ديدان تقترن برجل من معين فإن أبناءهم وبناتهم وزوجاتهم يصبحون معينين، وكل ولد تلده السيدة المعينية.."^١

٢. القانون الثاني: "لا يحق شرعا زواج بنات مدينة مطرة من خارجها".^٢

إن إصدار مثل هذه القوانين آنذاك تشبه اليوم ما يسمى "قانون الهجرة والجنسية" الذي يحافظ على حقوق الفرد الخاصة، كما يحافظ على حقوق الدولة العامة المتمثلة في الضرائب المدفوعة ممن تم تجنيسهم؛ خاصة إذا كانوا من التجار أو ملاك الأراضي. ويبدو أن القانون الثاني "قانون مطرة" يأتي في سياق الحفاظ على التجارة ورأس المال من تسربه إلى خارج المدينة؛ والحفاظ على الشريحة السكانية القوية للإبقاء على قوتها الاقتصادية؛ لاسيما وأن المرأة قد شاركت الرجل في التجارة وفي مختلف الأعمال آنذاك، كما أشارت الباحثة.^٣

٣. ثمة العديد من الوثائق التاريخية التي نظمت حياة الناس وتعاملاتهم العامة من رعي وري وزراعة وملكية عامة، دلت عليها النصوص، ووثائق النذور والأوقاف وعشور

١ - التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير. سابق، ٢١٤. "جزء من النص مفقود" حسب إشارة الباحثة. ودادان او ددن مملكة فيدرالية/مقاطعة تابعة لمملكة معين، قامت في مستوطنة دادان وتيماء ومدائن الاسود وجبل عكمة وخيبر غرب ما يعرف اليوم بالسعودية كانت تسمى في الفترة الاولى دادان ودامت دادان في مرحلتها الأولى في الفترة (٦٠٠ ق.م - ١٠٠ ق.م) وفي مرحلتها الثانية سميت لحيان في الفترة الممتدة بين سنة ١٠٧م و١٥٠م.

٢ - نفسه، ٢١٥.

٣ - نفسه، ٢١٦.

التجارة والزراعة. وهي تعكس . فيما تعكس . حالة من الرقي المدني والحضاري، كما سنشير إلى ذلك. ونص هذه القوانين:

- وثيقة تحديد أراضٍ زراعية

نص الوثيقة:

"هذا نصب الأرض التي وهبا ومنحا وبادلا وقايضا كل من هوف عم يهنعم بن سمة وتر، ويدع أب يجل بن ذمر علي ملكي قتبان، لشعب آدم بالواديين آخر وبرم، ورضيا تبادل الأرض، ودونت الوثيقة. وكون مساحة الأرض جميعها في القيمة والمساحة ثلاثون قطعة من جهة، وسبعة وعشرون قطعة من جهة أخرى. ويجرم الواديين آخر وبرم من أي زيادة في حدودهما، سواء عن طريق حراثة أو زراعة، وكون الوثيقة بناء على أوامر وتشريعات المعبود عم والمعبود أنباي، وبناء على الشرائع التي سنت لبرم سنوات طويلة التي فيها اتفق يدع أب مع قتبان، ويمتنع كل فرد من زيادة أو نقص هذه الأرض المحددة في الوثيقة الواضحة، سواء كان الملك شخصا أو الشعب. ومن يقدم على زيادة أو تجزئة تلك الأرض، أو من يقدم على زيادة أو نقص محتويات أسطر تلك الوثيقة، سواء من قتبان أو أولاد عم أو آدم وقبائلهم ليكن هو وأولاده في عالم النسيان".^١

والملاحظ أن هذه الوثيقة "صك ملكية" بين طرفين، أحدهما الملك، والآخر مواطنون عاديون، وهي - بحسب الباحثة نورة النعيم - تحذر من العبث بهذه الحدود زيادة أو نقصانا؛ لاسيما وعلى هذا الصك مسحة مقدسة من الآلهة القتبانية عم وأنباي اللذين جاءت الوثيقة وفقا لتعاليمهما. ونص الوثيقة على أن أي زيادة أو نقص في محتوياتها من قبل أحد سيكون عالم النسيان يعني الحرمان والهلاك.

- وثيقة ملكية أرض زراعية

نص الوثيقة:

"ذمر يدع بن معد كرب بن ملحن بنى قنواته المسماة تلط قناة مزرعة نخلة المسماة سقم، سور كل مزرعته سقم، ولا يحق شرعا مطالبة أو منازعة ذمر يدع حقه بالمزرعة وبالقناة التي تجلب له الماء والري، القناة المسماة "لغت" التي تجلب الماء على محميته".^١ والوثيقة تنص على ملكية صاحبها لمزرعة النخيل وقناة الماء التابعة لها، محذرة أي منازع لهذه الملكية.

- وثيقة تملك لمنشآت ري

نص الوثيقة:

"لحي عثت والعز أبناء يذكر إل من بني ثمد، شيذا وأحاطا طلف قناة مزرعتيهما، مزرعتي نخيلهما المسميتان لبخو وجوبل، ولا يحق شرعا لأحد مطالبتهما، أو الادعاء بقناتهما ومجريها التي ملكاها بسلطة المعبود المقه"^٢

والوثيقة تقرر ملكية قناة ري لملكها، وتحذر من أي اعتداء عليها أو منازعة مالكيها لها.

- وثيقة تملك منزل

نص الوثيقة:

"هوف عم بن ثوبن اشترى وامتك، وحفر وأعد حجارة ونور بيته المسمى يفش، ومخزنه وديوانه وأروقتة وحجرتيه العلويتين اللتين في هذا البيت، وبرجين من الأساس، وحتى أعلاه جميعها، استنادا لقانون المعبود أنباي، والمعبود الأعلى، وبسلطة عثتر، وبسلطة عم، وأنباي وذات صنتم وذات ظهران، وبسلطة سيد يدع اب غيلان بن فرع كرب، ملك قتيان"^٣

١ - نفسه، ٢٢٦.

٢ - نفسه، ٢٢٦.

٣ - نفسه، ٢٣٦.

والإشارة في هذا النص إلى أهمية وجود صك شرعي قانوني بامتلاك منزل يشير إلى حالة متقدمة من الوعي والتحضر الذي وصلت إليه البلاد في تلك الفترة، إذ ليس من عادات البدو أو المجتمعات البدائية توثيق عقود البيع والشراء، ناهيك عن عقود تملك منازل. ومثل هذه العقود أيضا نصوص تثبت صكوكا خاصة بالإذن ببناء منزل بعد إذن السلطة، وحسب نظام المعبود "آنباي"، ووثيقة أخرى تثبت عملية شراء منزل، وأخرى تثبت عملية تملك قبر.. إلخ.^١

١- نفسه، ٢٣٧.

- وثائق تعاملات مالية

نص الوثيقة:

"أمضى وصدق الشرح وأبناؤه بنو يحمن الصرواحيون للمعبود المقه بعل الوعول كل مال وريح في وثيقة دين شرعية وثيقة طالب بها المقه بني يحمن؛ حيث شهد حيون بن يحمن الصرواحي بالتزامه بها، وليبتلي الإله المقه من يمتنع... تلك الوثائق والسند لبني يحمن، لتكن شاهدا عند حدوث اعتراض، ولتثبت. دونت هذه الوثيقة والسند في شهر ذي نسور في بداية إمارة يقه ملك بن اب عم كبير خلل".^١

والوثيقة بحسب الباحثة نورة النعيم وثيقة دين بين الشرح وأبنائه من جهة، والمعبود المقه سيد الوعول من جهة أخرى. يتعهد فيها الشرح بدفع الدين وريجه، ملتزما بما جاء في وثيقة الدين.. إلخ.

ومثل هذه الحالة وجه بها القرآن الكريم لاحقا في آية الدين؛ حيث ندب المكاتبه في الديون وتوثيق العقود، والإشهاد عليها، حفاظا على الحقوق، وعدم الركون إلى ضمائر الناس وحدها، فليس كل الناس يحتكمون لضمائرهم وأخلاقياتهم..

ومثل هذه أيضا العديد من وثائق التعاملات اليومية التي ذكرتها نصوص المسند، بعضها في معاملات عادية وبسيطة، وأيضا غير اليومية.^٢

وكانت الأوامر الملكية تصدر على هيئة مراسيم، وتكتب في غالب الأحيان على لوحات من البرونز أو الحجر، وتعرض في الطرق العامة أو المعابد، ليراها الناس جميعا.

١ - نفسه، ٢٤٥.

٢ - من هذه التعاملات، مثلا وثيقة تتحدث عن تسليم كمية من البر لشخص آخر لكي يطحنها، واتفاقية مساقاة بين وتوزيع المياه بين طرفين، واتفاقية رعي بين امرأة وآخر مقابل نصف ما تنتجه هذه الأغنام سنويا، ووثائق أحلاف ومعاهدات بين أكثر من طرف. وهي مفصلة في الكتاب المذكور باستقاضة.

وقد عثر المنقبون على مجموعة كبيرة من هذه اللوحات التي كانت تزخرف من أعلاها أو أسفلها بنقوش مختلفة^١.

وصايا الملوك

يقال: إن كلام الملوك ملوك الكلام، لأن كلامهم عصارة فكر وخلاصة نظر من مواقعهم، اعتمل بالتجريب والاستقراء والتقصي، وهو ما يجعله في مرتبة أعلى من مرتبة كلام العامة من الناس، لذا حفظ التاريخ أقوال الأنبياء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين خلافا لما عداها من الأقوال. ومن بين هذا الكلام وصايا الملوك اليمينيين التي جمعها دعبل بن علي الخزاعي في القرن الثالث الهجري، مثلت موجهاً عامة في الحكم ونظريات في السياسة بمقياس تلك المراحل التي عاشوا فيها. بل لا يزال بعضها صالحاً إلى اليوم كنصائح عامة في التعامل بشكل عام..

وصية قحطان

أوصى قحطان بنيه من بعده قائلاً: "يا بني إنكم لم تجهلوا ما نزل بعاد دون غيرهم حين عتوا على ربهم وأعدوا آلهة يعبدونها من دونه وعصوا أمر ربهم، وأمر نبيهم هود وهو أبوكم الذي علمكم الهدى وعرفكم سواء السبيل. وما بكم من نعمة فمن الله عز وجل. وأوصيكم بذي الرحم خيراً. وإياكم والحسد فإنه داعية القطيعة فيما بينكم. وأخوكم يعرب أميني عليكم وخليفتي بينكم، فاسمعوا له، وأطيعوا، واحفظوا وصيتي، واثبتوا عليها، واعملوا بها ترشدوا، ثم أنشأ يقول:

أبا يشجُبِ أنتَ المرجى وأنتَ لي أمينٌ على سِرِّي وجهري حافظُ
عليكَ بدينٍ ليسَ ينكُرُ فضلُهُ فقد سبقتَ فيه إليكَ المواعظُ
وواصلُ ذوي القرى وحطهمُ فإنهم ملاذُّك إن حامتُ عليكَ البواهرُ

١ - عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع، مؤسسة هنداوي سي أي سي، د. ط، ٨٧.

ولفظك عرّبه بأحسنٍ منطقيٍّ فإنك مرهونٌ بما أنت لافظُ
وكُنْ كاتماً للغِيظِ في كُلِّ بدوَةٍ إذا أُسِخِطتْ تلك العيونُ الجواحِظُ
بغِيضٍ على الأعداءِ سراً وجَهرةً بحلمِكَ ها تلك النفوسُ الغوائِظُ
وما سادَ من قد شادَ إلا بحلمه إذا لم يلاحظْهُ من البخلِ لاحظُ
فكن ذا حجىٍّ محضَ الشمائلِ ماجداً حفيئاً حمياً إنني لك واعظُ

وصية يعرب بن قحطان

وأوصى يعرب بن قحطان بنيه مما وصاه به أبوه، فقال لهم: يا بني احفظوا مني خصالاً عشرّاً تكون كذا لكم ذكراً وذخراً. يا بني تعلموا العلم واعملوا به. واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليه، فإنه داعية القطيعة فيما بينكم، وتجنّبوا الشر وأهله، فإن الشر لا يجلب عليكم خيراً. وأنصفوا الناس من أنفسكم لينصفوكم من أنفسهم. وإياكم والكبر؛ فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم. وعليكم بالتواضع، فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم. واصفحوا عن المسيء إليكم، فإن الصفح عن المسيء يجنبكم العداة ويزيد مع السؤدد سؤدداً ومع الفضل فضلاً. وآثروا الجار الدخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم. ولأن يسوء حال أحدكم خير له من أن يسوء حال جاره، لأن تفقد الناس للمقتدي أكثر من تفقدهم للمقتدي به. وانصروا مواليكم، فإن مواليكم في السلم والحرب منكم ولكم. وابن مولاكم من أنفسكم، وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائرهم. وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه بمثل ما تشيرون به على أنفسكم في مثل ما استشاركم فيه، فإنها أمانة ألقاها في أعناقكم، والأمانة ما قد علمتم. وتمسكوا باصطناع الرجال أجدر أن تسودوا به عليهم، وأحرى أن يزيدكم ذلك شرفاً وفخراً إلى آخر الدهر. ثم أنشأ يقول:

١ - وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، دعبل بن علي الخزاعي، برواية علي بن محمد دعبل الخزاعي، تحقيق: د. نزار أباطة، دار البشائر، دمشق، ط: ١، ١٩٩٧م، ٢٦.

بَنِي أَبُوكُمْ لَمْ يَعُدَّ عَمَّا
فَوْصَاكُمْ بِمَا وَصَىٰ أَبَاكُمْ
أَذِيعُوا الْعِلْمَ ثُمَّ تَعَلَّمُوهُ
وَلَا تُصْغُوا إِلَىٰ حَسَدٍ فَتَغُورُوا
وَذُودُوا الشَّرَّ عَنْكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَكَوْنُوا مَنصَفِينَ لِكُلِّ دَانٍ
وَبَابُ الْكِبَرِ عَنْكُمْ فَاتْرُكُوهُ
عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاضُّعِ، لَا تَزِيدُوا
وَإِنَّ الصَّفْحَ أَفْضَلَ مَا ابْتَغَيْتُمْ
وَحَقُّ الْجَارِ لَا تَنْسُوهُ فِيكُمْ
عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْخَيْرِ حَتَّىٰ

بِهِ وَصَّاهُ قِحْطَانُ بْنُ هُوْدٍ
أَبُوهُ عَنِ الْإِلَهِ عَنِ الْجُدُودِ
فَمَا ذُو الْعِلْمِ كَالطِّفْلِ الْبَلِيدِ
غَوَايَةَ كُلِّ مَخْتَلٍّ حَسُودِ
فَلَيْسَ الشَّرُّ مِنْ خُلُقِ الرَّشِيدِ
لِيَنْصَفَكُمْ مَعَ الْقَاصِي الْبَعِيدِ
فَإِنَّ الْكِبَرَ مِنْ شَيْمِ الْعَنِيدِ
عَلَىٰ فَضْلِ التَّوَاضُّعِ مِنْ مَزِيدِ
بِهِ شَرَفًا مَعَ الْمَلِكِ الْعَتِيدِ
فَإِنَّ الْجَارَ ذُو الْحَقِّ الْوَكِيدِ
تَنَالُوا كُلَّ مَكْرَمَةٍ وَجُودِ

وصية يشجب بن يعرب

أوصى يشجب بن يعرب بن قحطان بنيه من بعده فقال:

بني إني لم أسد إخوتي وعشيرتي إلا بحفظي وصية أبي يعرب بن قحطان وبعملي بها وثباتي عليها. وإن أبي يعرب بن قحطان لم يسد إخوته وعشيرته إلا بحفظه وصية أبيه قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم وبعمله بها وثباته عليها، وإن جدي قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم لم يسد قومه وإخوته إلا بحفظه وصية أبيه هود النبي صلى الله عليه وسلم وبعمله بها وثباته عليها. فابقوا على ما وجدتموني عليه، وهو الذي أنهيته إليكم كلاماً وشعراً مما وصاني به أبي. وقد حفظتم الكل، فاثبتوا علي، واعملوا به، والله يخلفني عليكم، ثم الرشيد المهتدي منكم. وأنشأ يقول:

أوصى النبي ابنه قحطان جدِّي بما
علم حواه أبي من دون إخوته
وزادني يعرب من بعده شيماً
حفظتها حينما غيري استهان بها
أعبد شمس أبيت اللعن من خلف
هل أنت تحفظ عني ما حفظت وما
بلى رأيتك هشاً ماجداً فطناً
وصى بنيه أبي من بعد قحطان
وحزته بعده من دون إخواني
وصى بنيه بها يوماً ووصاني
وحفظها آخر الأيام من شاني
هل أنت بعدي لنا في ملكنا ثان
به ثبتت لكم ملكي وسلطاني
وقد إخالك ظناً غير إعلان

وصية حمير بن سبأ

أوصى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بنيه - وكانوا اثني عشر رجلاً - فقال: يا بني، ما اجتمع اثنان متآزران متعاضدان على أربعة نفر أو خمسة من أشتات الناس إلا غلباهم وملكا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع خمسة نفر متآزرون متعاضدون على عشرة أنفار من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع عشر أنفار متآزرون متعاضدون على الجماعة التي يكون ميلهم عدد أوزان الأنفس من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم. وأئماً عصابة غلبت أربعين رجلاً يوشك لها أن تغلب الثمانين والمائة وما فوق ذلك، وغلاب المائة حريون أن يغلبوا المائتين. وغلاب المائتين حريون أن يغلبوا الألف. ومنتهى العز للفرقة ألا يطمع فيها الألف ألف رجل. وما من رجل أطاعه رجل فقام بالمجازاة له على ذلك إلا أطاعه عشرة، وما من رجل أطاعه عشرة أنفار فقام بالمجازاة لهم على طاعتهم له إلا أطاعه مائة رجل، ومن أطاعه مائة رجل فقام لهم بالمجازاة على طاعتهم له إلا أطاعه ألف رجل، وما من رجل أطاعه ألف رجل إلا وقد ساد لا محالة..

يا بني، أطيعوا الأرشد فالأرشد منكم، ولا تعصوا أحاكم الهميسع فإنه خليفتي بعد الله فيكم وأميني فيما بينكم، وإنه لسيفكم وأنتم حد ذلك السيف، وإنه لرمحكم، وأنتم سنان ذلك الرمح وما السيف لولا الحد، وما الحد لولا السيف، وما السنان لولا الرمح، وما الرمح لولا السنان، أنتم بالهميسع وله، والهميسع بكم ولكم. ثم أنشد يقول:

هميسع لم تجهل مع الناس سيرتي فسر لي بها في الناس بعدي هميسع
بني بهم أوصيك خيراً فإنهم تضر بهم من شئت يوماً وتنفع
وعمك وابن العم دونك بعده مرد الأعداي الكاشحين ومدفع
هم لك كهف بل هم لك موئل وهم لك من دون البرية مفرغ
وليس عقاب الطير يوماً وإن لها يذل وتنقاد البغاث وتخضع

تَوَوُّلٌ إِلَى وَكَرِهٍ سَوَى وَكَرِهًا الَّذِي
هَمِيسُ إِنَّ النَّاسَ وَحَشٌّ وَإِنَّهُمْ
هَمِيسُ جُدُّ بِالْخَيْرِ بُجْزٍ بِمَثَلِهِ
هَمِيسُ دَارِ النَّاسِ تُعْطَى قِيَادَهُمْ
هَمِيسُ لَا وَاللَّهِ إِنْ أَنْتَ حَاصِدٌ
فَأَوْصِيكَ بِالْإِفْضَالِ مِثْلَ وَصِيَّتِي
تَوَوُّلٌ إِلَيْهِ لِلْمَبِيتِ وَتَرْجَعُ
إِلَى الرَّفْقِ مِنْ خَمْسِ الْقَوَارِبِ أَسْرَعُ
فَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا هُوَ يَصْنَعُ
فَحِظُّكَ مِنْهُمْ أَنْ يُطِيعُوا وَيَسْمَعُوا
طَوَالَ اللَّيَالِي غَيْرَ مَا أَنْتَ تَزْرَعُ
بِإِخْوَتِكَ الْقُرْبَى فَهَلْ أَنْتَ تَسْمَعُ

وهناك أيضا عشرات الوصايا لبقية الملوك اليمينيين التي توارثوها خلفا عن سلف،
ومثلت مجموعها دستورا ومرجعا في السياسة والاجتماع..

النظام العسكري في الحضارة اليمنية القديمة

القوة العسكرية جزء من القوة السياسية لأي دولة، وبما أن اليمن قد بلغت شأواً عالياً على المستوى السياسي كما أشرنا، فقد كانت كذلك على الصعيد العسكري الذي يعتبر جزءاً من امبراطوريتها السياسية الممتدة خارج الجزيرة العربية.

وقد كان الجيش اليمني "أسد ملكين" في التاريخ القديم مؤسسة قائمة بكافة فرقته الحربية، وأزيائه الموحدة، وأسلحته التي تختص بها كل فرقة، كما تذكر نصوص المسند التاريخية؛ حيث "عُرف جنود المشاة والهجانة والفرسان والقواسين، أو الندافين، لقد استخدموا تشكيلة متنوعة من الأسلحة القتالية، وذلك تبعاً لمهام الفرد في أرض المعركة" أما في السلم فقد كانت مهمتهم حماية قوافل التجارة وحراسة المدن والمرافق العامة للدولة، وحراسة المكارب والملوك وكبار موظفي الدولة والشخصيات الهامة، ومساعدة موظفي الضرائب على تحصيلها.^٢

القوة البشرية

نتيجة للترتيب الكبير والتنظيم العالي فقد تم تقسيم الجيش إلى عدة فرق عسكرية، كل فرقة تؤدي مهمة معينة، ولها سلاحها الخاص بها. وهذه الفرق هي:

المشاة

"أسدم" أو "رجلم" هو الاسم الرسمي لهذه الفرقة الأكثر عدداً وعتاداً، وكانوا الأكثر أهمية من غيرهم من الفرق في الحروب الجبلية التي لا تستطيع الجمال أو الفرسان استعراض

١ - الأسلحة في اليمن القديم، نسخة إلكترونية بمكتبة رئاسة الجمهورية اليمنية، غير معروفة المؤلف. ١٥٠.
٢ - انظر: الصراع بين الممالك اليمنية القديمة، أسبابه ونتائجه، عبدالله علي الفيش عطبوش، أطروحة دكتوراة، جامعة دمشق. مارس، ٢٠٠٨م.

مهارتها العسكرية فيها كثيرا. وكانت تستخدم السهام في المعارك، ويذكر نقش (J631/33) فئة حربية اسمها: "ندف معفرم" وتعني رماة المعافر. والندف التراشق، وتنادفوا تعني تراشقوا. وفئة أخرى أيضا اسمها: "صيدهمو وقبضهمو" التي تعني الرماة ومساعدتهم، وتساهم في تموين الجيش والقوات الأخرى معه التي تحتاج إلى اللحوم وغيرها، خاصة في الغزوات البعيدة. وثمة نصوص كثيرة تؤرخ للحملات العسكرية في بلاد المعافر وما بعدها باتجاه العاصمة ظفار. وتذكر بعضا من الأسلحة المستخدمة آنذاك.^١

وأهم سلاح المشاة آنذاك هو السيوف والرماح والنبال والفؤوس ذات الحدين.^٢

الهجانة

بحكم اتساع مساحة اليمن القديم وتمدها فقد كان من الضروري أن يؤسس الجيش فرقة الهجانة، أو راكبي الجمال، وقد ورد اسم هذه الفرقة في نصوص المسند باسم "ركبم" أو "ركوييسم" أو "ركبت" كما في النقش: (Ja577/15) حيث ذكرت معارك حربية في القرنين الثاني والثالث الميلادي فيها هذه الفرقة، في عهد سبأ علهان نحفان، ومن بعده شعر أوتر، وبجمال مدربة أعدادها كثيرة تفوق أعداد الخيول؛ وقد وصل عدد الهجانة في إحدى المعارك ألفا وستمئة هجانا؛ بل إنه في إحدى المعارك بين الجيش الحميري والجيش الحضرمي في العام ٣٠٥م، بلغت الهجانة الحضرمية ٣٥٠٠ هجانا و١٢٥ فارسا، مقابل ٧٥٠ هجانا حميريا و٧٠ فارسا، كما يذكر نص النقش^٣، ولهذا لا غرابة أن يرتبط الإنسان بالجمال ارتباطا وجدانيا إلى حد مصاحبته بعد موته، كما هو الشأن في بعض القبور التي نبشت ووجد من ضمن الأثاث الجنائزي هياكل عظمية لجمال رافقت الأموات إلى قبورهم.!

١ - الأسلحة في اليمن القديم، ١٥١.

٢ - الصراع بين الممالك اليمنية القديمة، سابق، ١٦٠، نقلا عن استرابو.

٣ - الأسلحة في اليمن القديم، ١٥٧.

وهذه قوة هجومية سريعة تعتمد على السرعة وخفة الحركة والمطاردة والمراقبة والاستطلاع وحماية الأطراف والمؤخرة، وجزء منها مختص بحمل الأثقال من مؤن وطعام وشراب..

الرماة

وهؤلاء يقاتلون مع المشاة والهجانة، مهمتهم الهجوم أول المعركة، وحماية من بعدهم من أي هجوم، وسلاحهم النبال.

الفرسان

يُعتبر الفرسان أو الخيالة الفرقة الثالثة في الجيش اليمني القديم، وقد اقترنت الخيل بالحرب عبر الزمن، ولها من الأهمية الكبيرة ما لها، فهي الفئة الحاسمة غالبا في أي معركة، حتى في التشريع الإسلامي كان للفرسان من الامتيازات ما ليس لغيرهم، وقد ذكرت كثيرا في نصوص المسند، كما في حملة القائد الحميري سعد تألب إلى حضرموت سنة ٣١٥م. والذي استطاع أن ينقض على مملكة حضرموت بسبعين فارسا وسبعمئة وخمسين هجانا.^١ وقد تم استخدام الخيول في المعارك الحربية اليمنية منذ القرن الثامن قبل الميلاد. وثمة رسومات قديمة تصور الفارس على الخيل أثناء احتدام المعارك، وطبيعة قتاله.

ومن المعروف أن الخيل من الحيوانات التي أجاد اليمنيون تربيتها منذ القدم، حتى كانت اليمن مضربا للأمثال في إنتاج الجياد العربية الأصيلة التي كانت تُصدر إلى أقاصي البلاد لجودتها، ولسرعتها الفائقة.^٢

١ - الأسلحة في اليمن القديم، ١٦٠. يذكر النقش Ja 665 أن هذا سعد تالب تليف الجدني قائد جيش الأعراب الحميري أرسل أربعة فرسان للاستطلاع، وليكونوا طليعة الجيش، فعادوا وأخبروا الهجانة المكونة من ثلاثين راكبا ليأخذوا مواقعهم الدفاعية استعدادا لمقابلة سبعين راكبا من هجانة حضرموت، وهذا النص يوحي بأن ثمة عيونا للجيش أو ما يسمى اليوم رجال الاستطلاع الحربي.

٢ - انظر: اليمن في العهد الأيوبي، د. جمال عبدولي، مركز النشر الجامعي، ط: ١، ٢٠١٥م، ٣٧٠.

لباس الجند

لكون الجيش مؤسسة رسمية في تاريخ اليمن القديم فلا بد أن يكون لجنوده هيئتهم الرسمية الخاصة بهم، كموظفي دولة، الأمر الذي يزيدهم هيبة إلى هيبتهم، ومن ذلك الخوذة العسكرية التي تحمي الرأس وجانبي الوجه، ويعلوها قرنان معقوفان، يشبهان قرني الثور، وقد لبسها الجندي المعيني في القرن الثامن قبل الميلاد. وأيضا الدرع الحديدي الذي كان يلبسه ويقي صدره وظهره ويصل إلى مستوى الساقين.^١

"وقد عُثر على صورة جندي يماني قديم مرسومة على قطعة عقيق، تكون لباسه من سروال قصير، وقميص نصف كم، وحذاء بربقة، وخوذة على الرأس، وجنيبة خنجر، وهذا اللباس العسكري كان خاصا بالجيش الرسمي المسمى خميس، وكذلك للمتطوعين فيه، ويُسلم هذا الزي لأفراد الجيش من الدولة".^٢

وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ما يشي إلى نوع معين من اللباس اسمه "اليلب" يبدو أنه من لباس الفرسان آنذاك، حيث قال:

علينا البيض اليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنينا

الشعار

لكل دولة أو جماعة أو جيش شعاره الخاص به، في كل زمان ومكان. وقد جعل اليمانيون القدماء من النسر شعارا لهم؛ باعتبار النسر رمزا للقوة والانقضاض والحدة في النظر الذي يقع على الفريسة أينما كانت؛ لذا زينوا به قصورهم وواجهات بيوتهم ومباني الدولة، ورسموه على الأعلام والسواري، كما زينوا به مقابض أسلحتهم القديمة، ولا تزال

١ - نفسه، ١٤٧.

٢ - الصراع بين الممالك اليمنية القديمة، ١٦٣.

إلى اليوم بعض الخناجر والممدى تحمل رأس وعنق النسرة، مع التركيز أكثر على عينه ومنقاره.

لهذا تفنن النحاتون والنقاشون اليمينيون منذ قديم الزمن في نحته ورسمه على عدة أوضاع، فنجده قد صُور واقفا، بوضع جانبي يضم جناحيه، وتارة أخرى يظهر فarda لجناحيه، ناظرا إلى أحد الجانبين، وثالثة يظهر في مشاهد صراع وعراك مع الثعابين.^١

القيادة

كان الملك نفسه هو القائد الأعلى للجيش، يقودهم في المعارك الحاسمة ميدانيا، وقد أشرف على الإعداد والتجهيز وعين القادة الذين عادة ما يكونون من الأقبال والأدواء الذين يضمون إلى الجند بعضا من أفراد الشعب فيقاتلون معهم، وقد كانت الكثرة - سابقا - هي رهان النصر لأي جيش في الغالب، لذا يتم رفد الجيش الرسمي للدولة بأفراد من الشعب بواسطة هؤلاء الأقبال أو الأدواء.^٢

المباني العسكرية

بفعل الحروب المتلاحقة في القرون الأخيرة إبان الانحدار الحضاري لليمن، كانت المباني العسكرية والتحصينات القتالية هي الهدف الأول والأبرز للتدمير من قبل الحملات العسكرية الداخلية التي كانت تستهدف بعضها بعضا؛ لذا لم نجد لها كثيرا من المعالم الأثرية عدا القليل منها، وهذا القليل هو مما تبقى من التدمير والهدم آنذاك، ومما تبقى أيضا من تطاول بعض الناس على الآثار. ليس المباني العسكرية هي التي طالها التدمير

١ - انظر: الزخارف والمنحوتات الحجرية في الفترة الحميرية: ٥٢٥: ١١٥م، محافظة ذمار، فضل العميسي، رسالة ماجستير، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، المغرب، ٢٠٠٨م، ١٣٥.

٢ - نفسه، ١٦٥. والقليل أقل مرتبة من الملك، يليه ذو، ويعني صاحب القصر.

والانسحاق، جراء الحملات الحربية فحسب؛ بل وحتى المدن، فالنقش السبئي "ربرتوار" رقم ٣٩٤٥ "جلازر" يُشير إلى أن جيش كرب إل وتر قام بتدمير مدن المعافر، وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد.^١

ومما تبقى في مدينة نشق "البيضاء حاليا" بقية سور صغير، ارتفاعه أربعة أمتار، وطوله ١٥٠٠م، وهو ذي واجهة منسقة بشكل متقن، مدعوم بكتل قرميدية من الداخل، وأبوابه مجهزة بأبراج عليها فتحات دفاعية، عدد هذه الأبراج ٥٨ برجاً. وهناك أسوار أخرى مكتشفة - وهي قليل - تتراوح أطوالها ما بين ١٤٣٠ متراً إلى ٣٠٠ متر، في كل من: مارب والجوف والبيضاء.

١ - عبدالغني علي سعيد، مجلة الإكليل، العدد: ١٨، ١٩٨٩م، ٣١. والمعافر هي بلاد الحجرية اليوم في تعز.

الحملة العسكرية اليمنية إلى خارج اليمن

ما من قوة عسكرية عبر التاريخ تشعر بفائض القوة إلا وفكرت في غزو بلاد أخرى خارج حدودها، ولما كانت القوة العسكرية اليمنية القديمة على قدر عال من القوة والإمكانات المادية والسياسية فقد غزت بلاداً عدة، متجاوزة الصحارى والبحار.. وتوثق نصوص المسند بعضاً من هذه الحملات العسكرية خارج الجزيرة العربية.

لقد ذكر نشوان بن سعيد الحميري أن شمر يريش غزا بابل وفارس وسجستان وخراسان وبلاد الترك وسمرقند وسميت باسمه. وهو ذو القرنين عند بعض أهل العلم، وقيل أن ذا القرنين هو تبع الأقرن والذي سار بجيوشه في الممالك الشرقية حتى وصل التبت والصين، وكذا ابنه تبع الأكبر الذي أقام في التبت حامية من الجيش العربي، لا تزال سلالتهم معروفة حتى اليوم.^١

وإلى هذه الواقعة أشار دعبل بن علي الخزاعي^٢ في قصيدته الشهيرة "أفيقي من ملامك يا ظعينا" في إطار إشارات عن بطولات اليمنيين، ومعرضاً بقريش:

وهم كتبوا الكتابِ ببابِ مروٍ وبابِ الصينِ كانوا الكاتبينَا
وهم سمّوا سمرَ قنْداً بِشَمْرِ وهم غرّسوا هناك التُّبْتينَا
وفي صنمِ المغاربِ فوقَ رَمَلِ تسيلُ تلوله سيلَ السفينَا
وما طلب الكميّتِ طلابُ وترٍ ولكننا نُصْرَتْنَا هُجِينَا
لَقَدْ عَلِمْتَ نِزَاؤَ أَنَّ قَوْمِي إلى نَصْرِ التُّبُوَّةِ سَابِقِينَا
ويُخْزِهِمْ وَيَنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ ويشفِ صدور قومِ مؤمنِينَا

١ - حسين عيضة شبيبة، مجلة الإكليل، العدد: ٧، ١٩٨٩م، ١٠١.

٢ - أبو علي دُعَيْلُ الخَزَاعِيّ اسمه مُحَمَّدٌ دُعَيْلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَزِينٍ، من مشاهير شعراء العصر العباسي. اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين، ومع تشيعه للعوليين إلا أنه ظل مشدوداً إلى عرقه اليمني الأصل، حيث يصل نسبه إلى عمرو بن مزيقيا الحميري.

من اي ثنيةٍ طلعتُ قريشٌ وكانوا معشراً مُتَنَبِّطينا

وبحسب الهمداني فإن قبر الصعب بن ذي القرنين في منطقة "حنو قراقر" جنوب العراق؛ حيث وافاه الأجل هناك، وهو قافل إلى اليمن، بعد أن مرض ثماني ليالٍ، ثم مات. وقد رثاه النعمان بن الأسود المعترف بقوله:

بحنو قراقر أمسى رهيناً أخو الأيام والدهر الهجان

لئن أمست وجوه الدهر سودا جلين بذاك للملك اليماني

لقد صحب الردى ألفين عاماً ولاقاه الحمام على ثمان

كما رثاه كثيرون أيضاً بقصائد مطولة، منهم أسعد تبع بقصيدة تجاوزت ثلاثمئة

بيت.^١

الحملة العسكرية اليمنية إلى الحبشة

بين ضفتي البحر الأحمر الشرقية والغربية من الاتصال التاريخي والإنساني ما يصعب حصره أو ذكره في عجالة كهذه، وبين الضفتين تداخل عرقي، ديني، ثقافي، منذ بواكير فجر التاريخ الأول. وقد فسر بعض الباحثين لفظة: "بلاد بونت" الواردة في النقوش المصرية القديمة أنها ضفتا البحر الأحمر الشرقية والغربية. وكانت القوة تارة لهذه الضفة، وتارة للأخرى، كطبيعة أي حضارتين متجاورتين، فعادة ما تلتهم هذه الحضارة من تلك حين تقوى هذه وتضعف تلك، كما هو الشأن تماما مع الحضارة العربية والفارسية، وهكذا.

إن التواجد اليمني في بلاد الحبشة^١ قديم، قدم التاريخ نفسه، سواء كان التواجد عن طريق التجارة أو الغزوات العسكرية أو الهجرات المتلاحقة، والتي لا تزال متبادلة إلى اليوم بين الضفتين. وقد ربط بعض المؤرخين بداية التاريخ الحبشي ببداية الحملات العسكرية من جنوب الجزيرة العربية "اليمن" على الحبشة، ويرجحون أن تلك الحملات كانت في القرن العاشر قبل الميلاد، وتلاحقت الحملات والهجرات بغرض حماية طرق التجارة البحرية، وآل الأمر إلى قيام مستوطنات جنوبية/ سبئية هناك، إلى حد أنهم نقلوا معهم أسماء أماكن يمنية إلى بلاد الحبشة، كما فعل اليمنيون في الأندلس، فسموها، ولا تزال إلى اليوم تحمل نفس الاسم، مع تعديل أو تحوير صوتي لتلك الأسماء، مثل: مثل: "مرب" وهو اسم وادٍ إلى الشمال من أكسوم، "هوزن" اسم موقع أثري جنوب شرق أكسوم؛ أما رسوم الوعل التي تتكرر كثيرا على جبال "يحا" و "هاولتي" وكذلك صور الثور المنقورة على جبال "مطرة"، فضلا عن تمثال الثور الجميل، المصنوع من الالبستر الذي وجد في "هاولتي" كل هذه لم تكن سوى رموز للإله السبئي "المقه" التي نراها على عشرات القطع

١ - المقصود ببلاد الحبشة هنا القرن الإفريقي كاملا، قبل نشوء الدولة الحديثة فيه، وخاصة كل من: اثيوبيا، الصومال، جيبوتي، ارتيريا.

الجنوبية.^١ وهناك العشرات من النقوش المسندية في بلاد الحبشة لا تزال ماثلة إلى اليوم، وأيضا الآثار الباقية، كمعبد "يحا" البيضاء "بأحجاره الصقيلة، والذي يشبه معبد بلقيس، وبعض البنايات بزخارفها العربية التي تشبه زخارف صنعاء أو حضرموت، ناهيك عن اللقى الأثرية وشواهد القبور.

وهناك أيضا ما عثرت عليه البعثة الأثرية الأثيوبية في إقليم تجراي، وهو عبارة عن نص عربي، مدون على مذبح، ورد فيه لقب "مكرب" الذي كان يتسمى به ملوك سبأ القدامى، بالإضافة إلى التشابه الواضح في بعض أسماء أماكن في الحبشة مع أسماء أماكن أخرى في اليمن.^٢

وقد استقر هؤلاء المهاجرون في بداية الأمر في شمال الحبشة؛ حيث أسسوا المستوطنات وبنوا المعابد والحصون والمنشآت المائية، واستعملوا في نقوشهم الخط السبئي. ومنذ القرن الأول الميلادي تقريبا أقام هؤلاء هناك مملكة، توسعت شمالا وجنوبا، وتم الاختلاط بين الساميين والسكان الأصليين، ونتج عن ذلك الاختلاط اللغة الجعزية التي تطورت عن أصلها السبئي، صارت لغة مملكة أكسوم، ثم لغة الأدب والكنيسة في العصر المسيحي، أي بعد أن اعتنق "عيزانا"^٣ المسيحية؛ بل ما زالت حتى يومنا هذا لغة الكنيسة تماما، كاللغة اللاتينية في الكنيسة الكاثوليكية.^٤ وقد تفرع عن اللغة الجعزية اللغة التجريزية واللغة الأمهرية والجرجية والهررية، ولا يزال لهذه اللهجات بقية باقية إلى اليوم لدى بعض القبائل هناك، وخاصة الجعزية التي هي لغة الكنيسة كما ذكرنا.

وأشار ديتلف نيلسون إلى أن بقايا العربية الجنوبية والثقافة السبئية موجودة في بلاد الحبشة، وذلك لأن بعض المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية نزحوا إلى البلاد فيما يظهر

١ - د. عبدالله حسن الشيبية، مجلة الإكليل، العدد: ١٩، ١٩٨٩م، ٣٤. وانظر أيضا: أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، مقال سعد سالم محمد، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠١م، ٤٧.

٢ - اليمن عبر التاريخ، سابق، ٧١.

٣ - عيزانا هو ملك مملكة أكسوم في القرن الرابع الميلادي، وقد أعلنته كنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإثيوبية هو وأخاه قديسين، ويُحتفل بذكراهما في ١ أكتوبر من كل عام.

٤ - الشيبية، ٣٥.

في قرون بعيدة قبل الميلاد، وأسسوا هناك مستعمرات، ووضعوا الأساس لدولة الحبشة التي أخضعت فيما بعد في القرن السادس الميلادي بلاد العرب الجنوبية لسلطانها.^١

إن النفوذ العربي الناتج عن هجرات قبائل عربية جنوبية قد امتد في بلاد الحبشة لدرجة أن سميت المنطقة باسم الحبشة من مسمى قبيلة حبشت العربية، كذلك استطاعت قبيلة عربية أخرى، هي "الجعز" من فرض لهجتها العربية الجنوبية على البلاد، بالإضافة إلى قوة شعبها الذي استطاع بسط نفوذه الاقتصادي والسياسي على معظم القبائل العربية المهاجرة، وعلى معظم السكان الأصليين لدرجة أن أصبحوا هم أصحاب السيادة السياسية على بلاد الحبشة، متخذين من مدينة أكسوم حاضرة لهم، مما دفع كثير من الباحثين إلى إرجاع دولة أكسوم الحبشية إلى الأصل العربي، والتي تكونت على إثر تلك الهجرات العربية، والتي استوطنت تلك البلاد منذ وقت مبكر، حاملة معها التقدم والتفوق الحضاري الذي أسفر عن قيام تلك الدولة، وذلك كما أوضحت معظم الدلائل الأثرية التي تظهر الشخصية العربية في معظم فروع النشاط الحضاري لسكان تلك المنطقة، سواء الفكري أو المادي، واستطاع هؤلاء المهاجرون الأوائل بث نفوذهم الحضاري المتقدم، بتصاهرهم مع تلك الشعوب.^٢

١ - التاريخ العربي القديم ديتلف نيلسون وفرترز هومل ول رودو كاناكيس وأدولف جرومان، ترجمة: د. فؤاد حسين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ٣٣ فما بعدها.

٢ - العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن، عبدالمعطي بن محمد عبدالمعطي سمس، رسالة ماجستير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ، ٦٨.

الصناعة في الحضارة اليمنية القديمة

الصناعة من لوازم الحضارة؛ بل أحد مقوماتها وأركانها الأساسية، ولن تنتقل أي بلد من طور البداوة إلى طور الحضارة إلا بها، حتى وإن كانت متقدمة في بعض الجوانب الأخرى. فالحضارة كل لا يتجزأ في جميع جوانبها. وهذا ما تكامل في حضارة اليمن القديمة حتى كانت بتلك الأبهة والثراء الواسع.. حضارة أساسها: شورى "ملثية".. اقتصاد متكامل.. مدنية واسعة، نفتقدها اليوم على ما توافر لدينا من رصيد آخر إلى ذلك الرصيد القديم. أساسها العمل الجمعي، باعتبار أن الحضارة لا تُصنع من قبل أفراد؛ بل من جماعات.. من شعوب متكاتفه، متعاونة. والمدرجات الجبلية والسدود والمعابد وناطحات السحاب من المباني شاهد على حضارة جمعيّة شعبية عامة، صنعها الشعب كله.

واشتهرت عدة مناجم تعدينية في اليمن، منها معدن الرضراض للفضة خارج صنعاء، ومعدن غمدان ونقم، في صنعاء، ومعدن سلوق قرب منطقة خدير في تعز.

وإلى هذا المعمل أشار الهمداني بقوله: "قال مُعدّنو الفضة: ليس بجراسان ولا غيرها كمعدن اليمن، وهو معدن الرضراض، وهو في حدّ نهم ومخلاف يام من أرض همدان، وحُرب على رأس سبعين ومئتين، ولمراد فيه خاصة، ولبنى غيلان رهط ابن الروية يد، حتى يقال: معدن ابن الروية، ولبنى الحارث ولخولان العالية فيه جوار وصقب".^١

مضيفاً:

١ - كتاب الجوهريتين العنقيتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق ودراسة: أ. د. أحمد فؤاد باشا، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩م، ٩٩.

"وخبرني بعض إخواننا النهميين من أهل الموضع، قال: وصل إلينا من صنعاء ممن يتوصل باليمن رجلان خراسانيان، فلما نظرا إلى المعدن وإلى ما فيه من الآثار الجاهلي والإسلامي، قال أحدهما: يا ضياع مال الله في هذا المكان!! أو يا مال الله الضائع في هذا المكان".^١

ومنجم الرضراض في منطقة نهم منجم للفضة صار أثرا بعد عين وهو من المناجم الشهيرة من قبل الإسلام. كانت قوافل الفضة تصل إلى بغداد، في العهد السبئي كان الذهب موجودا، العرش العظيم الذي ذكره القرآن الكريم كان مرصعا بالذهب، والتماثيل التي اكتشفت مرصعة بالذهب، أجود أنواع الرخام موجود في اليمن وموجود اليوم في الصحراء تطمره الرمال. تصحرت الأخلاق والقيم فضافت علينا كل الفرص.. إلى اليوم توجد بيوت اسمها القشلة، مبنية على تل من خبث الحديد. وكانت مدينة صناعية، لم يبق من آثارها الصناعية إلا "الحرض" للأسف الشديد! قد لا يعلم الكثير أن الحنجر اليماني هو رمز الصناعة والتصنيع من الأساس، كانت لدينا العديد من مناجم الحديد المستخدم في الزراعة وفي الآلات الحربية وغير ذلك.. للأسف الآخرون يعرفون تاريخنا أكثر مما نعرفه نحن..

وثمة معمل آخر في أرض خولان ذكره الهمداني بقوله:

"ومعدن الفقاعة من أرض الحريرة من خولان، وهو بالقرب من الخصوف، مدينة حكم.. وهو خير المعادن جميعا وأقلها وضوحا، وأشدّها حمرة، ورطله يأتي بالعيار العلوي مئة وأربعة، وأقل شيئا".^٢

ومما يُذكر أن من الصناعات المعدنية الفؤوس والأزاميل والعتلات والمطارق، وغيرها من أدوات البناء، وقد استعملوا الرصاص بعد صهره في طلاء الأواني التي يشربون بها. ومن الصناعات المعدنية المكاييل "جمع مكيال"؛ حيث وُجد مكيالٌ من البرونز بارتفاع

١- نفسه، ١٠١.

٢- نفسه، سابق، ٩٦.

٢٨,٤ سم، وقطر ٢٣ سم، ويعود إلى النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وكذلك مزهرية من البرونز، تعود إلى ما بين القرن الثاني والقرن الأول قبل الميلاد، وأختام برونزية، ومنها ختمٌ بارتفاع ٣,١ في طول ٤,٨ سم، ويبدو أنها كانت تُستخدم لإغلاق الجرار، وضمان كمال محتوياتها. وكانت صناعة الحلبي معروفة أيضا، فمن بين ما عثرت عليه البعثة الأمريكية صيغة ذهب، وهي في العادة تشبه القلادة، ارتفاعها ٣,٤ في طول ٤ سم، وسلسلة طول ١١,٣ سم، قرص قطر ٠,٩ سم، ويشهد هذا الطوق أو القلادة الذهبية التي عثرت عليها البعثة الأمريكية في العام ١٩٥١م على التقنية العالية التي وصلت إليها صناعة المجوهرات في اليمن القديم، فالذهب مشغول بالتطويق، ومحزوزٌ ومزخرفٌ بالحبيبات، وقد أمكن إنجاز هذه التقنية شديدة التعقيد.^١

صناعة النسيج

تعود أول إشارة إلى النسيج والحياكة في النقوش اليمنية إلى نقش النصر في صروح في القرن السابع قبل الميلاد، في عهد الملك كرب ايل وتر، وهو ما يؤكد قدم هذه الصناعة وعراقتها لدى اليمنيين؛ باعتبارها جزءا من مقومات الدولة وعمادها الاقتصادي، ونص هذا النقش مترجما:

"ويوم هزم كرب ايل وتر كحد ذا سوطم، عندما أضمروا لها العداء، وقتل منهم خمسمئة، وأسر من أولادهم ألفا، وذبح من حاكتهم ألفين"^٢

والواقع أن قتل الملك كرب ايل وتر ألفي حائك، دليل على عراقة المهنة وشيوعها وأهميتها أيضا. ليس على مستوى الرجال فقط؛ بل والنساء، كما تدل على ذلك بيت شعر للشاعر الجاهلي ذي الرمة:

١ - تمنع هجرة كحلان، دراسة تاريخية آثارية، أسوان محمد حسين عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٦م، ٥١.
٢ - انظر: الملابس في اليمن القديم، دراسة من خلال التماثيل والآثار، "رسالة ماجستير" محمد عوض منصور باعليان، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠٠٧م. ١٠. و "كحد" قبيلة قتبانية، وسوطم: تعني العليا. وهي إشارة إلى أن القبيلة تنقسم إلى قسمين سوط "العليا" و "حطن" السفلى.

كأن عليها سحق لفق تأنقت بها حضرميات الأكف النواعم

وقد أشارت النقوش إلى دور ومصانع خاصة بالنسيج، كدور المناسج الملكية، وفقا لعالم الآثار "البرت جام" التي كانت تقوم بنسج ملابس كبار الملك وكبار رجالات الدولة.^١

وكما حكى الروائيون والمؤرخون فقد قام الملك أسعد الكامل بكسوة الكعبة قبل الإسلام بالبرود والوصلات اليمانية المعافرية^٢، وهي أجود البرود والوصلات وأغلاها ثمنا آنذاك. وقد كانت قبل ذلك تُكسى بالخوص من سعف النخيل. وظلت تكسى بالبرود والوصلات اليمانية الثمينة مذ ذاك الوقت حتى العصر العثماني؛ حيث استبدل العثمانيون الكسوة القبطية بدلا عن اليمانية، ومما يُنسب له:

وكسونا البيت الحرام من العصب ملاء منضدا وبرودا

وأقمنا به من الشهر تسعا وجعلنا لبابه إقليدا

ونحنا سبعين ألفا من البُد ن، نرى الناس حولهن ركودا

وقال النعمان بن بشير الأنصاري:

ونحن كسونا البيت أول من كسا وسيقت إلينا في ظفار النعائم

وفي شمس العلوم: هو أسعد تبع الأوسط الكامل بن ملكي بن كرب بن تبع الأكبر بن تبع الأقرن، وكان مؤمنا... وفي الحديث: "لا تسبوا تبعا فإنه أول من كسا الكعبة". وأخرج أحمد بن حنبل والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا: "رحم الله حمير، أفواههم سلام، وأيديهم طعام، وهم أهل أمن وإيمان".^٣

١ - نفسه، ١٢.

٢ - نسبة إلى معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن كهلان بن سبأ.

٣ - الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ. محمد بن محمد بن يحيى زبارة، مكتبة اليمن الكبرى، ١٩٨٤ م. ١٤.

وخلال الفترات اللاحقة للقرن السابع قبل الميلاد تواصلت مسيرة هذه المهنة الفنية، ولم تؤثر عليها تلك الواقعة الحربية التي أشار إليها نقش النصر؛ إذ تؤكد الكثير من الشواهد والدلالات تميز النسيج اليماني عن غيره على مستوى المنطقة، ولجودته وجماله فقد كان حديث العامة والخاصة، ولطالما نقرأ في كتب التاريخ عن البرود اليمانية والثياب السحولية والعمائم العدنية، والنسيج المعافري أو الصنعاني، أو الريدي، والصوف الصعدي، وبذلك تغنى الشعراء ونظموا الشعر. يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد البكري:

وبالسفح آيات كأن رسومها يمانٍ وشته ريدة وسحول

وقال أبو طالب:

فيصبح آل الله بيضاً كماً كستهم حبيراً ريدةً ومُعافراً^١

ولشهرة الثياب المعافرية وجودتها فقد أقرها الرسول - صلى الله عليه وسلم - مالا عينيا يؤدي في الجزية لمن بقي على يهوديته أو نصرانيتها بداية الإسلام؛ حيث كتب إليهم: "من كان على يهوديته ونصرانيتها فإنه لا يُرد عنها، وعليه الجزية، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار وافٍ من قيمة المعافر، أو عوضه ثيابا، فمن أدى ذلك إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإنه في ذمة الله وذمة رسوله"^٢.

وكان أفضل اللباس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو البردة. وقد جاء في الحديث أن زرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن أهدى النبي - صلى الله عليه وسلم - حُلة قُومت بعشرين بعيرا، ثم كساها عمر، وقال له: إياك أن تُخدع عنها.

وقد كان برده الأخضر الذي تسجى به عليّ ليلة الهجرة يمينا حضرميا أخضرا. كما كانت هدايا ابنته فاطمة يوم زفافها من علي برودا يمانية خضراء. أما كفنه الذي فكن به يوم وفاته فكان في الثياب السحولية، نسبة إلى السحول من بلاد إب. ولا تزال آثار

١ - كانت قريش تُسمى آل الله، وجيران الله، وسكان حرم الله. وحبيرا من التحبير وهو التزيين، وسميت كذلك لأنها تزين لابستها.

٢ - ابن هشام، ٢/١٠١.

مصانعها إلى اليوم أطلاقا دراسة كما روى المؤرخ محمد علي الأكوغ، توارثها الأبناء عن الآباء خلقا عن سلف منذ ما قبل الميلاد، وعملت إلى ما بعد البعثة النبوية.^١

وفي حديث آخر أيضا، كما روى ابن سعد في الطبقات، وأخرجه أحمد: "أن ثوب النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ورداؤه حضرمي طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر".

وفي مسند أحمد: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن ثنا عمارة عن ثابت عن أنس بن مالك : ان ملك ذي يزن أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حُلة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعيرا، أو ثلاث وثلاثين ناقة".

وجودة الثياب اليمانية بكل أشكالها، وبالصورة التي تبدت لنا تعكس لنا فيما تعكس أولا ذهنية فنية راقية في التصميم الأولي لها، وتعكس لنا أيضا آلات متطورة في التصنيع والتطريز والحبك، كما تعكس جودة المادة ذاتها التي تُصنع منها هذه الثياب؛ لذا كانت العصائب والنُسُج اليمانية هي اللباس المفضلة للرسول، وللخلفاء من بعده.^٢

وقد اشتهرت البرود اليمانية في الحجاز خلال العصر الأموي، فيروي ابن سعد أن عبدالله بن عمر كان يلبس بردين معاقرين^٣، واشترى جعفر بن علي بن الحسين بردا يمانيا لوالده، وكان عبدالله بن جعفر يلبس بردين يمانيين. ويروي الأصفهاني أن المغنية جميلة لبست برنسا طويلا، وعلى عاتقها بردة يمانية، وكانت تنسج في رمع في اليمن البرود الجياد، ومن البرود الأخرى التي كانت تنسج في اليمن البرود السحولية، والبرود

١ - انظر: اليمن الخضراء مهد الحضارة، سابق، ٢٣٢. والسحول نسبة إلى السحول بن سواده بن عمر بن سعد بن عوف بن عدي بن سبأ. وهي اليوم من أعمال مدينة إب.

٢ - في حديث أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ضحك ثم أمر له بعتاء.

٣ - الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صابر، بيروت، ط: ١، ١٩٦٨م، ٤/١٧٥.

القدمية، والبرود السعيدية التي كانت تنسج في صنعاء، وكذلك البرود الشرعية التي كانت تنسج في شرعب.^١

وإلى الثياب الشرعية أشار الشاعر الحطيئة بقوله:

منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعي

كما أشار إليها أيضا الشاعر الأعشى بقوله:

والبغايا يركضن أكسية الإضد ريح والشرعي ذا الأذيال

وهناك أيضا المرجل والمرحل من الثياب، وهي ثياب يمنية قديمة، كان يُرسم على الأولى صور الرجال، وعلى الثانية صور الرجال، من الجمال والخيول، كما دلت على ذلك قصائد الشعراء، كما قال أحدهم يصف ليلي:

وأبصرت ليلي بين بردي مراحل وأخياش عصب من مهلهلة اليمن

وقال امرؤ القيس عن الثانية:

خرجت بها أمشي تجر وراءنا على إثرنا أذيال مرط مرحل

وإلى جانب هؤلاء ممن فضلوا النسيج اليمني، أيضا: الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والإمام الزهري والإمام الشعبي والحسين بن علي والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن أبي ربيعة والفرزدق، وغيرهم.

قال الأصمعي: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الورس والكنندر

والخطر والعصب.^٢

١ - د. عبدالله بن محمد السيف، الصناعة في اليمن في العصر الأموي، مجلة الدارة السعودية، ١٣٩. والشرعية، نسبة إلى شرعب بن سهل بن يزيد بن عمر بن قيس.

٢ - نفسه، ١٤٠. والورس: نوع من النباتات يستخدم للصباغة، وكان ينبت في عدن، وأيضا في الجنات وشيعان في صنعاء، وفيهما الورس النفيس. والكنندر: هو اللبان. والخطر: نبات يُختضب به. و العصب: سمي كذلك لأن غزله يعصب، ثم يصبغ، ثم يُحاك. وكان يصنع في الجند من تعز. وبها كسيت الكعبة المشرفة. وفي هذا قال عمرو بن أبي ربيعة: والبيت ذي الأبطح العتيق وما جُلل من حر عصب ذي اليمن. كما ورد ذكر العصب أيضا في شعر وضاح وكثير.

وقال الجاحظ عن وشي أهل اليمن، مقارنة ببقية المنسوجات الأخرى: "وخير الوشي السابري والكوفي والأبريسي والذهب المنسوج، ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت، ثم المنسوج بالذهب، ثم الوشي الغزلي، ثم الذي لا أبريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني، لأنه يرتفع على هذا السبيل من الغزلي، والأبريسي والكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني، لأنه ربما بلغ الثوب الغزلي ألف دينار"^١

"ويعد العصب من البرود الثمينة، وقد ظلت اليمن محتفظة بمكانتها كأكبر ممول للجزيرة العربية من البرود الثمينة حتى القرن الرابع الهجري، فيذكر ابن رسته أن البرد اليماني يبلغ خمسمئة دينار، ولم تذكر المصادر ألوان العصب غير أن غلاء أثمانه واقتصار صنعه على اليمن قد يدل على أن ألوانه المتعددة تظهر منسجمة.. وهذا يتطلب مهارة فائقة في الحياكة.."^٢

كما تعد المنسوجات العدنية من الثياب والأردية والريط^٣ والعمائم من أجود المنسوجات التي كانت تصدر من اليمن في العصر الأموي، فيروي الأصفهاني أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية أهدت الحارث بن خالد المخزومي ثيابا عدنية. وتذكر المصادر أن الإمام "مالك"، كان يلبس الثياب والريط العدنية الجيدة. ويبدو أن المنسوجات العدنية كانت ذات جودة عالية بدليل ارتفاع أسعارها، فكان مروان بن إبان بن عفان يلبس رداء عدنيا بقيمة ألفي درهم، وقد عُرفت المنسوجات العدنية في الحجاز والشام والعراق،

١ - كتاب التبصر بالتجارة، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، عناية وتصحيح: حسن حسني عبدالوهاب التونسي، المطبعة الرحمانية بمصر، ط: ٢، ١٩٣٥م، ١٩. والسابري: نسبة إلى سابور. والثوب السابري: الثوب الرقيق. والأبريسي: نوع من ثياب الحرير.

٢ . نفسه، ١٤٠.

٣ - وردت عدة تفسيرات للريط، وذلك بسبب تعدد الوصف لها في الشعر العربي، وعلى الأرجح فهي الملاة المزركشة التي توضع على الكتف، أو على الكتفين عند البعض، واستخدمت قديما للرجال والنساء، وورد ذكرها في شعر حجر بن أوس في قوله:

فإننا رأينا العرض أحوج ساعة إلى الصون من ريط يمانٍ مسهم
وقال الشاعر ذو الرمة يصف دارا:
كأنها بعد أحوال مضين بها بالأشيمين يمانٍ فيها تسهم

مما يدل على سعة انتشارها ومتانة صنعها. وتنسب إلى جيشان في اليمن الحُمر السود، ويذكر ابن سعد أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تلبس خماراً أسود جيشانياً.^١

وفي الحُمر الجيشانية قال الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص:

فملنا ونازعنا الحديث أوانسا عليهن جيشانية ذات أغبال

وكانت مدينة زيد في تهامة من أكثر المدن اليمنية شهرة بالنسيج والأصباغ والحياكة منذ قديم الزمن، خاصة وأنها تقع على طرف واديين: وادي زيد ووادي رماع، وفيهما زرع القطن بكثرة، وقد بلغ عدد مصانعها في القرن الرابع الهجري مئة وخمسين مصنعا، غطت لوحدها حاجيات اليمن من المنسوجات، وصدرت ما تبقى للخارج. وقد بلغت أنواع الأنسجة اليمنية سابقا ستة وثلاثين نوعا، كما ذكرها الباحثون.^٢

ومن الملابس اليمنية القديمة التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد "الإزار" حيث اشتهر في مملكة معين، كما دلت عليه النقوش، وهو قطعة مستطيلة، فتحتهما إلى اليسار، بعضها مزخرف، وبعضها مخطط، وبعضها بلون واحد، وقد شُدَّ بحزام من الخصر، فيما يضيف البعض لباسا آخر على الصدر. وتراوح طوله ما بين الخصر والركبة إلى الخصر والقدمين أحيانا.^٣ ومع الإزار أيضا "الرداء"، وهو قطعة تستر الجزء الأعلى من الجسم. ويلبس فوق بعض الملابس تارة، كما يلبس منفردا تارة أخرى. وهناك الرداء المعيني والرداء السبئي والرداء الحميري والرداء الأوساني. كما كان القميص أيضا من لباس اليمنيين في التاريخ القديم، وعرف ما سمي بالقميص المعيني والقميص السبئي والقميص

١ - نفسه، وانظر: ابن سعد في الطبقات، ٨/٧٣. وجيشان: مخالف باليمن، ينسب إلى جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين، واشتهر هذا المخلاف بالمعرفة والتجارة معا، وهو اليوم مخالف العود، بين إب وأجزاء من بلاد الضالع.

٢ - المنسوجات اليمنية في العصر العباسي، سابق، ٥٥٤، فما بعدها..

٣ ، الملابس في اليمن القديم، ٦٠ فما بعدها. وإلى جانب الإزار المعيني أيضا الإزار السبئي، وهو أقصر من الإزار المعيني، وأيضاً الإزار القتباني الذي يتميز بالزوايا المقوسة، وهو يماثل الإزار المعيني من حيث الطول، حيث يكون إلى الركبة فقط في الغالب. وكذا الإزار الأوساني، وأغلبها من النوع المتواضع غير المتكلف فيه، والخالي من الزركشة والألوان، وهو طويل يصل إلى منتصف الساق. والإزار الحضرمي التي وصفها الباحث باعليان أنها تشبه السروال القصير ولا تتجاوز الفخذين.

الحميري والقميص الأوساني والقميص الحضرمي، وجميعها على أشكال متعددة، ما بين البيضاء والمخططة والمزركشة.

وهناك مكملات من الملابس الأخرى، دلت عليها النقوش، كخوذة الرأس والكوفية والعمامة، والحزام، والحلي بالنسبة للنساء، كالأطواق والأسورة والقلائد والعقود. وأيضا الأحذية للجنسين معا التي كانت أنواعا وأشكالا متباينة. منها النعال الصناعية والنعال السبئية، والنعال الحضرمية التي وصفت بكونها "مليسة" لرشاقتها وطول مقدمتها، كما أشار إلى ذلك كثيرة عزة في قوله:

لهم أزرُّ حمر الحواشي وأقدامهم في الحضرمي المليسن^١

لهذا استغرب معاذ بن جبل من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسله إلى اليمن، فقال للرسول: تبعثني يا رسول الله إلى أهل اليمن، أهل المصانع والصنائع والملك ولباس الذهب؟ قال: نعم، ستجدهم أذلاء في بلادهم.^٢

١ - انظر: الملابس في اليمن القديم، ١٠٢ فما بعدها.

٢ - الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ-، محمد علي الأكوح الحوالي، المكتبة اليمنية، ط: ١، د. ت، ١٣٠.

الملابس النسائية

يذكر الباحث محمد عوض باعليان . وهو المتخصص . بتاريخ اليمن القديم . أنه بحلول الألف الأول قبل الميلاد بدأت تبرز بعض المنحوتات حول لباس المرأة في ممالك اليمن، وتحديدًا في مملكة معين، والمكون عادة من قطعة أو قطعتين تستر جميع البدن من الرقبة حتى أعلى القدمين، مع مكملات أخرى من الملابس الخاصة بالنساء كغطاء الرأس والحلي والنعال، وأقدم هذه المنحوتات يعود إلى مملكة معين بالجوف، حيث برزت بعض الثياب النسائية بعضها مزخرفة بخارف هندسية ونباتية، يصل بعضها إلى القدمين، وهناك بعض القطع التي تعلو هذا الثياب أحيانًا، مفتوحة من الأمام ولها حواف مستديرة مطرزة تدلت منها أهداب طويلة. وقطع أخرى تتمثل في ثوب طويل مقلم بخطوط رأسية غائرة، ظهرت حافته على شكل خط مستقيم فوق القدمين، وفوق الثوب المخطط قطعة أخرى تبدو من قماش ثقيل، قصيرة مفتوحة من الأمام، تدلى طرفها إلى نصف الساق، وحاشيتها مطرزة بشريط عريض، مزين من الداخل بخط زجاجي سميك، محصور بين خطين متوازيين، وتتهدل منها خيوط سمكة أو أهداب طويلة بحجم واحد، عُملت بقصة تستدير مع الحاشية، وعلى الجانب الأيمن توجد زخرفة مكونة من خطوط عريضة، فوق بعضها بعضًا.^١

ويوحى هذا الوصف بعدة نتائج نستطيع استخلاصها منه، وهي:

١. أولاً تمييز الملابس النسائية عن الرجالية من وقت مبكر لدى اليمنيين. فلكل جنس ملابسه الخاصة به من حيث التصميم والشكل والهيئة.

١ - الملابس في اليمن القديم، ١٢٥، فما بعدها.

٢. طول الملابس . في الغالب . عادة ملوكية أو أميرية، وهذا يدل على حالة البذخ والغنى التي كانت عليها المرأة.

٣. إشارة النص إلى أن هذه الملابس مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية تعكس حالة من الرقي في الأذواق، لأن زخرفة الثياب . وبأي شكل من الأشكال . تعكس ذوقا راقيا في طبيعة هذه الزخارف من حيث تصميمها وتوزيعها وتلوينها.

٤. إشارته إلى الزخارف الهندسية أو النباتية تعني وجود ألوان متنوعة في القطعة الواحدة، وفن صناعة الألوان ونسجها والتعامل معها يكاد يكون فنا مستقلا بذاته، وهو يدل أيضا على غلاء ثمنها، على العكس من الثياب غير الملونة التي تكون أقل ثمنا من غيرها.

٥. وصفه لبعض القطع الفوقية بأنها "مفتوحة من الأمام ولها حواف مستديرة مطرزة تدلت منها أهداب طويلة" هو وصف لنمط معاصر من الملابس النسائية، خاصة في بلاد المغرب المشتهرة بالزخرفة كثيرا، أما تدلي الأهداب فهي حالة إبداعية أخرى، وتعكس ترفا ارستقراطيا باذخا. وفي الوصف أيضا ما يوحي بالتشابه بين هذه الملابس من بعض الوجوه وملابس نساء اليمنيات في المناطق الوسطى على وجه التحديد إلى فترة قريبة. وربما لا تزال بعض المعمرات الريفيات يلبسها إلى اليوم.

٦. إشارته إلى أن الثوب يتدلى إلى وسط الساق أو فوق القدمين دليل على حشمة المرأة اليمنية، بلا إفراط أو تفريط، من قبل أن تعرف المرأة اليمنية تعاليم الديانات السماوية التي تدعو إلى ذلك.

٧. هناك إشارات كثيرة إلى الملابس الفضفاضة التي كانت تلبسها النساء، وهي تدل على نمط راقٍ من العيش الكريم، إذ الملابس الفضفاضة انعكاس للترف والتنعم، وإلى هذا أشار امرؤ القيس إلى معشوقته الفاتنة بأنها لم تنتطق "تلبس النطاق" بقوله:

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُوُومُ الصَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَن تَفْضُلِ

وهناك عدة أنماط أخرى من الثياب من حيث ألوانها وتصميماتها وزخارفها، أشارت لها الكثير من النقوش، لها ذات المدلولات السابقة، وبعض المدلولات الأخرى أيضا. وهي أكثر من أن نحصيها هنا.

وقريبا من هذه الملابس كانت الملابس السبئية والحميرية والحضرية التي اختصت بها المرأة اليمنية، وعكست فيما عكست فلسفة حياة باذخة ونمط عيش كريم. وهذا ليس بغريب على شعب وحضارة الجنوب التي يعتبرها البعض أولى الحضارات الإنسانية قاطبة وأصلها.

الحلي والأحجار الكريمة

كانت الحلي والمجوهرات والأحجار النفيسة جزءا من الصناعات اليمنية القديمة، وقد اشتهرت بهذه الصناعة عدة أماكن، كما أشرنا سابقا، فإلى جانب صناعة الذهب والفضة ثمة العقيق اليماني الذي كان اشتهرت به آنس وعنس في ذمار، وأيضا فصوص "الجزع" في صنعاء.

وكما اعتنت المرأة اليمنية بلباسها وشعرها اعتنت أيضا بحليها من ذهب وفضة وغير ذلك، وقد زينت جيدها ومعصمها بالأطواق والأساور، والقلائد والعقود، وكذا الخواتم الفضية والذهبية وعليها فصوص الأحجار الكريمة التي تلبس على الأصابع، والمعاضد التي توضع على الزند، وقد كانت كلها على أشكال متعددة.^١

وقد وصف الجاحظ العقيق اليماني بقوله: "وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود في الثمن".^٢

١- لم يقتصر ليس الحلي على النساء فقط؛ بل لقد كان اليمينيون القدماء أيضا يلبسونه. وقد ذكر المؤرخ جورجي زيدان في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام أن قيصر القسطنطينية بوسنتين أرسل وفدا إلى ملك حمير أوائل القرن السادس للميلاد، وحين عاد الوفد ذكر أنه رأى الملك واقفا على مركبة يجرها أربعة أفيال، وليس عليه من الألبسة إلا منزر محوك بالذهب حول حقيقه، وأساور ثمانية في ذراعيه، يحمل بيده ثرسا ورمحين، وحوله رجال من حاشيته.. إلخ.

٢- التبصر في التجارة. سابق، ١٥.

وفي العصر الرسولي بلغت صناعة الأنسجة مبلغا جماليا لا حد لها، واشتهرت في عدن دار لنسيج الملابس الحريرية، سميت بدار الديباج، نسجت فيها أغلى وأثمن حلال السيراء^١

دباغة الجلود

اشتهرت اليمن قديما بدباغة الجلود، ربما لكثرة أبقارها الجبلانية والجنديّة^٢ التي ذكرها الهمداني، وأيضا لأصالة نياقتها وجمالها التي كانت من أفضل النوق العربية، وقد ذكر الهمداني أن مدينة صعدة اشتهرت بدباغة الجلود، وقد ساعدها على ذلك وجود "القرظ" التي تستخدم في الدباغة. وقد بلغت مطاحن القرظ في صنعاء وحدها ثلاثة وثلاثين مطحنا خلال القرن الرابع الهجري، وقد كانت تصدر جلود البقر من اليمن إلى البصرة، لأن كمية الإنتاج في اليمن أكثر من حاجة أهلها إليها.^٣ ليس صعدة وحدها من اشتهرت بهذه الحرفة؛ بل مدن أخرى يمنية كثيرة، ساعدتها على الرخاء الاقتصادي والترف المادي كثيرا..

وقد ذكر الجاحظ أن الشاعر أبا العتاهية قد أهدى للخليفة المأمون هدايا كثيرة منها نعال سبتية، وركاء يمانية.^٤

ويُروى أن خالد بن صفوان أجاب رجلا أطب في التفاخر في اليمن، فقال له: ما عساي أن أقول لقوم كانوا بين ناسجي برد أو دابغ جلد أو سائس قرد.^٥ ويأتي هذا

١ - الملابس في اليمن القديم، سابق، ٣٧. والسيراء: ثياب فيها خطوط من حرير أو قز، وسميت كذلك لتسيير الخطوط فيها.
٢ - صفة جزيرة العرب الهمداني، ٣٦٢. معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صابر، بيروت، د. ط، ٢/١٠٢. وجبلان هي ريمة اليوم، أما الجند فهي من تعز.
٣ - بلاد العرب، الأصفهاني، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، ١٩٦٨م، ٣٠٨.
٤ - البيان والتبيين ٤/١١١. في تثليث قطرب:
حددت يوم السَّبْتِ إذ جاء محذِي السَّبْتِ على نبات السَّبْتِ في المَهْمَةِ المستصعب
بِالفتح يوم وإذا كسرتة فهو الحذا والضم نبت وغذا إذا مشى في الربرب
٥ - المنسوجات اليمنية في العصر العباسي، علي سعيد سيف محمد، ٥٤٣.

الرد في إطار استهجان بعض قبائل الشمال للعمل والصناعة واكتفائهم في المعيشة على الصيد والأسلاب؛ بل لقد كانوا حتى يستهجنون تعلم القراءة والكتابة لأنها من همم المحتاجين وعمامة الناس، أما عليّة القوم فيكفيهم أنسابهم شرفاً وفخراً حد اعتقادهم!!

صناعة السيوف

صناعة السيوف في اليمن جزء من الصناعة العامة التي تميزت بها البلاد، وأخذت شهرتها مأخذاً كبيراً، في الجودة والالتقان والمضاء؛ بل لقد سُمي باليماني، اسماً لا صفة، وقد وصف الهمداني السيوف الحميرية وصفاً بديعاً في الإكليل، كما ذُكرت أنواع من السيوف اليمانية، ومنها السيوف اليزنية والأسنة اليزنية، نسبة إلى ذي يزن الحميري، أول من اتخذ الأسنة من الحديد وقد كانت قبله من قرون البقر، وكانت من أجود أنواع الأسنة وأمضاها، وبها تغنى الفرسان، وذكرها الشعراء في شعرهم، كقول ذي الرمة:

أرين الذي استودعن سوداء قلبه هوى مثل شك الأيزني النواجم

وكقول أبي ذؤيب أيضاً:

وكلاهما في كفه يزنية فيها سنان كالمنارة أصلع

وأيضاً هناك الأسنة الشرعبية، وهي أطول من الأسنة اليزنية، وأشهر منها. وفيها قال الأعشى:

ولدن من الخطى فيها أسنة ذخائر مما سن أبزي وشرعب

١ - وقد ذكر الجاحظ أن القرشيين لم يكونوا يتواصلوا إلا بعلم الأخبار أو الأنساب، وما عداه من الزيادة غير الضرورية، مشيراً إلى خادثة طريفة تعكس هذه الحالة لديهم بقوله: "مَرَّ أَحَدُهُمْ بَفَتَى قَرَشِي يقرأ في كتاب سيبويه، فقال: أفٍ لكم! علم المؤدبين وهمة المحتاجين".

وأشهر من الاثنين معاً الأسنه الصعديه، نسبة إلى مدينه صعده، وفيها قال الشاعر العبدي:

يقلب صعده جرداء فيها نقيع السم أو قرن محيق^١

كما قال في أسنتها أيضاً الكميث بن زيد، صاحب المطولة الشهيرة في العدنانيين على القحطانيين:

سقيناً الأزرق اليزبي منه وأكعب صعده حتى روينا

ولم تزل مدينه صعده عبر أطوار التاريخ مصدراً قويا في التجارة والتصنيع والتصدير، فقد كانت تصنع الحديد في مصانعها وأفرانها البدائية، وتعمل منه آلات الحرث بجميع أنواعها، وكذا النصال الصعديه وغيرها من آلات الحرب، وتصنع ما تحتاجه في مجال العمارة من مسامير للأبواب أو مغالِق الحديد وأقفال النحاس وغير ذلك، وتصدر الكثير إلى جميع المناطق اليمينية وغيرها من البلدان المجاورة والبعيدة، واشتهرت بمداغ الجلود وتصديرها وتربية المواشي وحفر الآبار وزراعة الأعناب والحبوب والفواكه والأبازير والرياحين؛ لأن المدينه تحيط بها المزارع والمروج من كل جهة^٢.

واشتهر لعمر بن معديكرب سيفٌ اسمه "الصمصامة"، يكاد يعتبره الناس من أشهر السيوف؛ بل هو أشهرهم حقاً، ورثه عن الأذواء الأوائل من حمير، فشهد به كل الوقائع الحربية في الجاهلية، حتى وهبه لصديقه خالد بن سعيد بن العاص، حين بعثه الرسول عاملاً على صدقات مذحج، وتوارثه الخلفاء وعلية القوم. وقد قال في ذلك:

خليل لم أهبه من قلاة ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريماً من قريش فسر به وصين عن اللغام

وقد ظل هذا السيف "الصمصامة" معه حتى قُتل، فأخذه منه معاوية بن أبي سفيان، فنازعه فيه ابنه خالد إلى عثمان بن عفان، فحكم له عثمان بالسيف، ولما استشهد

١ - نفسه، ونصل محيق، أي مرقق محدد. وقرن محيق إذا ذلك فذهب حده وملس.
٢ - حسين عيظة الشعبي، مجلة الإكليل، العدد الأول للسنة السابعة ٨٩م، ١٠١.

خالد عاد إلى معاوية، فكان يتقلده أثناء ولايته للشام، ثم انتقل بعد ذلك إلى عمرو بن سعيد بن العاص "ابن أخي خالد بن سعيد" ثم انتقل إلى عمرو بن سعيد، وكان يتقلده وهو أمير لمكة، ثم وهو في دمشق من نواب عبد الملك بن مروان حتى قتل سنة ٦٨هـ، فانتقل إلى محمد بن سعيد، ثم إلى يحيى بن سعيد ثم إلى أبان بن يحيى بن سعيد، ثم إلى أيوب بن أيوب بن سعيد بن عمرو باعه بنيف وثمانين ألف دينار لموسى الهادي ابن الخليفة المهدي، وتقلده حين ولي الخلافة سنة ١٦٩هـ، ثم انتقل من بعده إلى هارون الرشيد، ثم إلى الخليفة الأمين، ثم إلى الخليفة المأمون، ثم إلى الخليفة المعتصم، ثم إلى الخليفة الواثق. وهناك انتهى أمره؛ حيث دعا الخليفة بصيقل وأمره أن يسقي السيف، فلما فعل ذلك ذهب ماؤه الأول، ولم يعرف الصيقل حقيقة سقيه، ففسد السيف وتغير.^١

ومن قوته أنه كان يقطع كل سيف دون أن يتغير حده. ففي عهد هارون الرشيد أرسل إليه ملك الهند بسيف هندي، هي من أجمل مصنوعات الهند، فدعا الخليفة بالصمصامة، لاختبار جودتها، فقطعتها الصمصامة سيفاً سيفاً، كما تقطع الفجل، من دون أن تنشي للصمصامة شفرة، ثم أراهم حد السيف الذي لم تتأثر شفرته. وكان مكتوباً عليه:

ذكر على ذكر يصول بصارم ذكر يمان في يمين يمان

ويقال أن نصل هذا السيف مصنوع من حديد جبل "نُثم" بصنعاء، وذكر الهمداني في الإكليل أنه من بقايا السيوف اليرعشية التي اشتهرت اليمن بصنعها في الفترة التي كان يحكم فيها الملك ثمر يرعش. وكان له سيفان آخرن، اسم أحدهما: ذو النون، واسم الآخر القلزم.

ومن المميزات العامة للسيف اليمني القديم صناعته من الحديد الفولاذ، ويُطلق عليه الكندي: العتيق، وهو المذكر الصلب، ويسمى الشبرقاني. ويقول الكندي: وهذا النوع

١ - يمانيون في موكب الرسول، ١/٦٨٨.

قابل للسقي بطبعه، وينقسم بدوره العتيق إلى ثلاثة أقسام، أولها وأجودها اليماني، ثانيها القلعي^١، وثالثهما الهندي، وخواص الحديد العتيق المصنوع منه اليماني هي: الاكتناز والمتانة واللدانة^٢. وأيضاً السيف الهندواني المصنوع من حديد باقم في صعدة، وقد تفتنوا في زخرفة هذه السيوف والنقش عليها وكذا تزيين مقابضها بالعاج والأبنوس والفضة والأحجار الكريمة من الزمرد والياقوت والعقيق وغيرها.

أما الرماح الردينية والسمهرية فهي من الشهرة بمكان؛ إذ أن ردينة زوجة "السمهري" امرأة مشهورة قبل الإسلام في اليمن، اشتهرت بتسوية الرماح وتثقيفها، وإليها نسبت منطقة الردين في بلاد الحجرية بتعز، "المعافر سابقاً". وقد قال الفارس الشجاع عنتر بن شداد في الرمح الرديني المعافري:

إذا خصمي تقاضاني بدين قضيت الدّين بالرمح الرديني

وحد السيف يرضينا جميعاً ويحكم بينكم عدلاً وبينني

وقال فيه أيضاً مالك ابن الرب:

حُداني فجراني ببردي إليكما وقد كنت قبل اليوم صعباً قيادياً

تفقدت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكياً^٣

وقد اشتهرت خولان أولاً بصناعة القسي والنبل المصنعة من شجر "النبع" وهو شجر جبلي ثقيل وقوي، إضافة إلى شجر النشم، وهو ينبت في الجبال، وقد ذكره امرؤ القيس في شعره، بقوله:

عارض زوراء من نشم غير بانات على وتره^٤

١ - نسبة إلى قلعة في وادي ضهر، يستخرج منها الحديد. وطول السيف القلعي ما بين الأربعة إلى الخمسة الأثبار.
٢ - انظر: سمير مقبل أحمد، دراسة تاريخية للسيف اليمني القديم من المصادر والمراجع، مجلة الإكليل، العدد: ٢٢، ١٩٩٢م، ١٦٥.

٣ - حسين عيطة الشعبي، سابق، ٢٦.

٤ - الأسلحة في اليمن، ٩.

أيضا اشتهرت مدينة الزيدية في تهامة - وهي اليوم جزء من محافظة الحديدة - بصناعة أغمدة السيوف والخناجر التهامية الرفيعة، والمصنوعات الفضية، والوشي على "الجنابي". وكان صاغه مدينة الزيدية يزخرفون صفحات مشغولاتهم بالزخرفة عليها بنقوش زهرة "اللوتس" وكذا بالنحت والتخريم عليها.^١

يقول ول ديورانت في قصة الحضارة في إطار مقارنته الحضارة المصرية مع غيرها من الحضارات: "ولعل صناعة النحاس قد نشأت في غربي آسيا، ثم انتقلت بعدئذ إلى مصر.^٢

١ - الجنابي، جمع جنبية، وهو خنجر يماني توارثت لبسه الأجيال من فترة ما قبل الإسلام، يعلوه قرن من وحيد القرن، يفصل بينهما مقبض فضي في الغالب. واللوتس اسم تعرف به عدة نباتات من فصائل مختلفة، رسمها المصريون على معابدهم، وكان لها شبه قداسة عندهم.

٢ - قصة الحضارة، سابق، ٤٤ / ٢.

الزراعة في الحضارة اليمنية القديمة

اليمن أرضٌ زراعية، وعليها قامت حضارتها الأولى. فهي - بحق - أرض الزراعة والسدود والري، وإلى هذه الطبيعة أشار القرآن الكريم في سورة سبأ "جنتان عن يمين وشمال" ووصف بلدتها بقوله: "بلدة طيبة". وقد كانت كذلك لأنها أول بلاد أحست بالدفء من بين المعمورة على الأرجح، لأن أغلب الكوكب الأرضي في الزمن القديم كان جليدا غير صالح للسكنى، ولا الزراعة. وقد كانت بلاد اليمن سابقا سهوبا مُمرعات وأدواحا باسقات، قبل أن تتصحّر الكثير منها على إثر الموجات والعواصف التي ضربت المنطقة؛ بل لقد ظل بعض منها خصيبا حتى بعد موجات الجفاف التي شملت بعض المناطق الشمالية والشمالية الشرقية منها؛ خاصة المناطق المرتبطة بالأودية، وأغلب السهوب الزراعية القديمة ارتبطت بالأودية، كوادي "ذنة" القريب من مارب وصرواح السبئيتين، ووادي بيحان على شط تمنع العاصمة القتبانية، ووادي مذاب المرتبطة بالعاصمة قرناو المعينية، وأيضا وادي حضرموت "سيؤون" المرتبط بالممالك الحضرمية والأوسانية.

العلوم الزراعية والفلكية

ولن نكون مبالغين إذا قلنا: إن حضارة اليمن القديمة حضارة الزراعة والسدود والمياه بدرجة رئيسية، والتي تعود إلى آلاف السنين، وبها تطورت التشريعات والقوانين المرتبطة بها، كما تطور - أيضا - علم الفلك لارتباطه بمواسم الزراعة وشهور الخصب والسقيا والري... إلخ. وللمستشرق ديفيد كينج كتاب خاص بعنوان: تاريخ الفلك في العصر

الوسيط في اليمن". كما أن هناك العديد من العلماء الذين برزوا في هذا المجال، وكانت لهم الأراجيز والمنظومات والمؤلفات الفلكية والحسابية؛ ففي الشحر على ساحل حضرموت ألف العالم الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بافضل، المتوفى عام ٩١٨ هـ رسالة في الفلك، وكانت له مدرسة يقوم بالتدريس فيها بنفسه، وعاصر الشيخ عبدالله بافضل فلكيا آخر هو الشيخ عمر بن محمد بحرق ٨٦٩-٩٣٠ هـ، صاحب المصنفات الفقهية والصوفية، وله رسالتان في علم الحساب والفلك. وفي هذه الفترة برز الفقيه الفلكي الشيخ عبدالله بن عمر باخرمة ٩٠٧-٩٧٢ هـ الذي ألف عددا من الكتب والرسائل في الحساب والفلك، منها: اللمعة في علم الفلك، والجداول المحققة في علم الهيئة^١ ورسائل في سمت القبلة والربع المجيب ومعرفة الأوقات والساعات واختلاف المطالع واتفاقها وعلم الحساب وعلم المساحة، وله تقويم بحلول المنازل القمرية في البروج الشمسية، ولا زال التقويم معروفا ومستعملا بين المواطنين، ويُعرف بالتقويم الشبامي. ومن الفلكيين المعروفين بالشحر في ذلك القرن أبو سعيد محمد الشحري الذي ألف كتابا بعنوان "الدلائل في أحكام النجوم"، وفي القرن الحادي عشر صنف المؤرخ الفلكي محمد بن أبي بكر الشلي ١٠٣٠-١٠٩٣ هـ وهو من علماء تريم البارزين "رسائل في الربع المجيب" "علم الميقات" "رسائل في معرفة ظل الزوال ومعرفة اتفاق المطالع واختلافها" كما ألف أيضا في الاسطرلاب. وظهر في هذا الوقت أيضا الفلكي محمد عبداللطيف الثابتي، من أهالي زبيد، وقد وضع زيجا لمواقيت الصلاة عند خط عرض البلدان، وفي نهاية القرن الثاني عشر الهجري وضع عمر محمد السقاف المتوفى عام ١٢١٦ هـ كتابه الفوائد السنوية في الفوائد الفلكية. كما وضع في وقت لاحق محمد بن حامد السقاف المتوفى عام ١٣٣٨ هـ مصنفه "نصب الشّرك في اقتناص ما يحتاج إليه من الفلك". وفي القرن الهجري الماضي، وعلى نفس منوال السلف في صياغة عناوين المصنفات نظم الشاعر محمد أحمد الشاطري أرجوزة في ثلاثمئة وخمسين بيتا، عنوانها: "منظومة اليواقيت في فن المواقيت" وشرحها

١ - علم الهيئة يبحث عن أحوال الأجرام البسيطة السماوية، من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها.

الأستاذ محمد بن هاشم العلوي في كتاب بعنوان "الخريت على منظومة اليواقيت" صدر عام ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م.^١

وبطبيعة الحال فإن الإبداع العلمي في المجال الفلكي والحسابي مرتبط بالإبداع في المجال الزراعي القائم على المواقيت والمطالع الفلكية المرتبطة بمواسم الزراعة والخصب؛ بل وبالتجارة أيضا وحركة الرياح، واليمنيون كما هم أهل زراعة فقد كانوا أهل تجارة ورحلات بحرية وبرية من قديم الزمان، كما ذكرنا ذلك بالتفصيل.

ولا معنى للحديث عن الحضارة اليمنية القديمة دون الحديث عن الزراعة والسدود والري والمدرجات الجبلية، والتقويم الزراعي الحميري القديم قبل التقويم الميلادي؛ ولهذا السبب فقد كان لها أكثر من حكيم زراعي يأتي على رأسهم الحكيم علي ولد زايد، وأيضا بدرجة ثانية الحميد بن منصور. وهناك من أبداع نظما في التقاويم الزراعية اليمنية كالحكيم الزراعي حسن بن جابر الغفاري^٢. وحكّم علي ولد زايد الزراعية والفلاحية تمثل دستوراً ومرجعية مهمة للمزارعين والفلاحين إلى اليوم. وإلى هذا أشار المؤرخ والفيلسوف المعروف آرنولد توينبي بالقول: "يمكننا القول بشيء من الثقة أن الزراعة وتربية الماشية وتقنية قلع قطع كبيرة وثقيلة من الحجر ونقلها، هذه الأشياء كلها اخترعت لأول مرة في الجزء الحيوي المسكون من منطقة غرب آسيا.."^٣

يقول الدكتور أحمد سوسة: كان يسود جنوب الجزيرة العربية مناخ دافئ تكثر فيه الأمطار، وكانت الثمار البرية والقمح والشعير ينبتان بشكل طبيعي. وهناك دلائل على أن الماشية - بما فيها الماشية والمعز والشاة - دُجنت واستخدمت اقتصاديا في اليمن قبل أن تُدجن في مصر والعراق. والأرجح أن انتقال سكان الجزيرة العربية من طور القنص والصيد إلى الفلاحة والزراعة والري قد تم خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة من دورة ورم

١ - عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، مجلة الإكليل، العدد: ١، ١٩٨٩م، ٧٠.

٢ - هو الفقيه حسن بن جابر بن فتح الله بن سعيد بن علي بن قاسم بن عزالدین بن الحاج الغفاري، وأصله من ضوران، قرب نمار، توفي في نمار في السابع عشر من صفر سنة ١١٢٢هـ.

٣ - الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير، سابق، ٣٩.

الجليدية. وبذا يكون العرب . الذين أطلق عليهم ساميين خطأ . أول من اخترع الزراعة التي تعتمد على الري، وأول وأقدم من مارس الفلاحة والزراعة، ولما كانت الزراعة والري عماد الحضارة القديمة، فالعرب إذن هم مؤسسو الحضارة الإنسانية في أقدم مراحلها. وهذا يُفسر كيف استطاع الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى بلاد الهلال الخصيب أن يؤسسوا أقدم الحضارات في مستوطناتهم في وادي الرافدين، فقد كانوا مزودين بخبرة فنية في الزراعة التي تعتمد على الري، اكتسبوها في موطنهم الأول جنوب الجزيرة العربية، فنقلوا حضارتهم إلى عالمهم الجديد.^١

ويقول المسعودي في مروج الذهب: "ذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثرها وأغدقها، وأكثرها جنانا وغيطانا، وأفسحها مروجاً مع بنيان حسن وجسر مقيم وشجر مصفوف، ومساكب للماء متكاتفه وأنهار متفرقة، وكانت المياه التي هي أكثر ما يرد إلى أرض سبأ تأتي من سد مارب، وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه، وفي نهاية الخصب وطيب الهواء وتدفق الماء وقوة الشوكة ونهاية المملكة، وكانت بلادهم في الأرض مثلاً، فمكتوا على ذلك ما شاء الله من الأعصار، وكانوا تاج الأرض".^٢

وصفها القزويني بقوله: "تزرع في السنة أربع مرات، ويحصد كل زرع في ستين يوماً، وتحمل أشجارهم في السنة مرتين، وأهلها أرق الناس نفوساً وأعرفهم للحق".^٣

١ - حضارة الرافدين، د. أحمد سوسة، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٥٨.

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعته: حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م، ٢/١٨.

٣ - آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت، ٦٥.

القوانين الزراعية

تكشف منظومة القوانين القديمة المتصلة بعملية الزراعة والري واستصلاح الأراضي وقنوات السقي والإيجار ما يعكس من التقدم والتطور في الزراعة وتقنياتها الكثير في مختلف الممالك اليمنية القديمة، ومن هذه القوانين، القوانين المتصلة بالاستئجار، وبعدم إهمال الأرض أو تركها عرضة للخراب. وكذا قانون الرعي. وهذا نص قانون مملكة قتبان الزراعي كما ورد في نصوص المسند:

- أي فرد يستأجر أرضا زراعية من أملاك "تألب" الإله ولم يحقق أرباحا، ولم يتمكن من حل العقد، فيحق له حل العقد بعد تمام عامين على إمضائه^١
- على كل شعب "قبيلة" الاهتمام بأراضيهم الزراعية، وتعهدوا بالعناية والحراثة والزراعة دون تقصير أو تخاذل.
- حدد القانون موسم الزراعة لهذه الأعمال الزراعية.
- الإبقاء على هذا القانون على طول المدى.
- أي فرد يتهرب من القيام بواجباته نحو الأراضي يدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع نقدية تامة وتقديمه للمحاكمة.
- يتولى كبير "تمنع" تنفيذ هذا العقد.
- يدون القانون على مداخل البوابة ذو سد، إحدى بوابات "تمنع" وأرخ هذا القانون في شهر "ذو عم" سنة حكم "اب" على "شحرز" الأولى، وصدق بيد الملك شهر الملك^٢.

١ - التشريعات في جنوب الجزيرة العربية، سابق، ١٩٥.

٢ - التشريعات في جنوب الجزيرة العربية، سابق، ١٩٦.

وإلى جانب هذا القانون الزراعي العام، فقد صدرت - أيضا - قوانين أخرى، مثل قانون الأراضي، المتصل بزراعة النخيل والأعناب والحبوب وعملية الري والأراضي المؤجرة على غير مالكيها، محددًا العقوبات تجاه أي مخالف، ومنها على سبيل المثال هذا النص "قانون ملكي سبئي": "لا يمكن لأي رجل الاعتداء على حدود أو سرقة أو الإضرار أو تخريب أو تجاوز كل حقل محاط بسور أو سياج من شجر الأثل، أو أية نباتات محاطة بسياج أو حاجز ممتد من تلك الأراضي الواقعة في وادي يفع ومنطقة بيلج، ابتداء من بداية م. ق. . . . وحتى منطقة غضرن. ومن ينتهك حدودا ويحرب ويدمر ويدوس، ويجتث الأثل، ويتجاوز الأسوار في ذلك الوادي ليقدم للمحاكمة، وليدفع غرامه لسيد الملك، وليدفع غرامة لصاحب الأرض. دونت هذه الوثيقة في شهر..^١"

وقد بالغت العقوبات القانونية في حق من يغير الحدود أو يعتدي على الغير حد الإعدام، كما يقرر هذا النص: "يُمنع تجاوز علامات الحدود، ومن تجاوزها... يسلم نفسه، ومن لا يسلم نفسه فدمه مهذور، تحل نفسه لمن يقتلها"^٢

وأيضًا: قانون: "هذا أمر صادر من... ومعه الإله "إل مقه" خاص بحماية بيتهم وبركهم، ولحماية أساس البركة ومجراها، وحماية قنواتها والحقول المحمية. ولا يحق شرعا إزالة حدود وأسوار الحقول المحمية، أو تغيير أسوار الحقول المثمرة، وليمثل جميعهم بما في هذا الأمر. صدرت هذه الوثيقة في شهر "ذي بهي" سنة حكم "ود إل بن كرب بن حذمة" ومن يُهمل ويتجاوز يدفع غرامة قدرها خمس قطع نقدية من نوع رضيم، أو يجلد خمسين جلدة"^٣.

ولكون الزراعة تعتمد على الري وجريان المياه بدرجة رئيسة، فلم تهمل القوانين والتشريعات القديمة تنظيم هذه العملية حتى لا يطغى أحد على أحد أو يستأثر قوي على ضعيف بتحويل جريان الأنهار والجعافر والسواقي على حساب آخرين، فقد صدر

١ - نفسه، ١٩٨. ويُلاحظ سقوط بعض الكلمات من النص.

٢ - نفسه، ٢٠٠. وقد سقط جزء من النص. يبدو كلمة أو كلمتين.

٣ - نفسه، وهناك نقص لبعض الكلمات أيضا.

قانون ينظم عملية الري للجميع بإشراف موظفين تنفيذيين في الممالك، كما يدل عنوان هذه الوثيقة: (م د ر ر م، أهل/ طبن/ بمسقى/ ن ج و / ذ ن / س ط ر ن) أي: أهل طبن المسؤولون عن الري أعلنوا هذه الوثيقة.

"هكذا أمر الإله "آنباي" ومشرعى برم بناء على طلب من الملك يدع اب يجبل، ملك قتبان، بخصوص المناطق التالية: شعبة ومنتم والضحي وفريض ويفع وذا ان يخضى وحقل عينم من طمى بيحان وذو عدنم إلى أعلى من حدود بيحان من الغرب إلى الشرق، وحتى المخطوطات التي وضعت كعلامة ورسمت ودونت في خلبصة باتجاه أعلى المجرى، لتكن هذه المناطق محرمة وحرمة من زراعة النخيل ومن أي حاجز، ومن زراعة نباتات، ومن بناء مجاري وحواجز وقنوات، ويمنع بناء مجاري أو حواجز أو حراثة لأراضيها، ولتحطم وتهدم أية قنوات وزراعة كائنة في تلك الأراضي، ويحرم رفع الماء، أو القيام بشيء لوقف الماء من الجريان من أعلى، وحرمت تلك الأراضي الواردة في المخطوطة من حفر آبار فيها، وهذا التحريم يبدأ من هذا الشهر وإلى الأبد. اتخذ هذا الأمر في اليوم الثالث من "ذفقحو" الذي بشهر بشم في سنة حكم يقه ملك ذا ذران الأولى"^١

وهناك أيضا قوانين أخرى تم تشريعها، وكفلت لكل مواطن الحصول على الري، وفق مقدار معين يحدده المشرف التنفيذي المعين خشية عدم التسابق بين المزارعين على المياه الذي يفضي إلى الفوضى والإضرار بحق من لم يقدر على السباق، بحيث تكون المياه الخارجة من القنوات متساوية للجميع دون حيف بأحد. وقوانين أخرى كثيرة تتعلق بالتأجير والتملك، وردت في كثير من النصوص القديمة. وفي المعجم السبئي لفظة "م د ر ر" وتم تفسيرها بمعنى: "مراقب الساقية" الذي يشرف على عملية توزيع السواقي بين الحقول الزراعية.^٢

١ - نفسه، ٢٠٣، وكلمة "ذفقحو" لا تزال مستخدمة إلى اليوم لدى المزارعين، بلفظ مقارب "فقيح" وتعني تشذيب الزروع في مراحل نموها الأولية، وتهيئة تربتها لامتناس المزيذ من المياه. ولعل الزمن المشار إليه هنا يعني في أسبوع الفقيح من شهر بشم.

٢ - المعجم السبئي، سابق، ٣٦.

ولعل من أهم القوانين التي تلت انتباهنا اليوم، ما يعرف حالياً بـ "الرعي الجائر" وهي إطلاق الأبقار والأغنام للرعي في الأراضي الزراعية الخصبة في السهول والمدرجات، الأمر الذي يترتب عليه الإضرار بهذه المدرجات والعبث بمزروعاتها، ولذا فقد صدر أمرٌ ملكيٌّ بحماية هذه الأراضي الزراعية من الخراب، ونصه: "لا يحق شرعاً جلب الحيوانات كالبقر والإبل إلى وادي حرد، كما لا يحق شرعاً الاعتداء على مزروعاته، كأن تُداس أو تقطع أو تحرب، أو تحصد، حماية للمحاصيل النامية في هذا الوادي.. ومن يرتكب هذه الأمور ويكرر عمله ليدبح للإله "ود" خمسة ثيران من ماله الخاص.."^١

وقد كشفت التنقيبات الأثرية في وادي بيحان عن قناة رئيسية، تمتد لمسافة طويلة، تصل إلى عشرات الكيلو مترات، وهذه القناة عبارة عن شبكة من القنوات والجداول التي تُحفر على سطح الأرض لتصريف مياه السيول والآبار عن طريق مصارف، وتقدر مساحة الأرض التي كانت تروىها هذه القناة بحوالي ألف فدان.^٢

كما أن في وادي جردان عدد كبير من السواقي التي لا تزال أطلال بعضها قائمة حتى اليوم، واستخدمت قديماً في تنظيم جريان الماء، وتتفرع منها "المقاسم" وهي عبارة عن فتحات تتفرع من الساقية الرئيسية، ويتم من خلالها توزيع المياه على الحقول الزراعية.^٣

وإلى جوانب السدود والقنوات أيضاً أنشأ اليمينيون الصهاريج والمواجل على مختلف الجبال والمدرجات، وكان يتم حفر الصهاريج والآبار على امتداد الأراضي اليمينية للاستفادة منها في الشرب، وسقاية الأراضي الخاصة أم العامة، أو أراضي المعابد. فالعلاقة بين اليميني والزراعة لا تقوم على الممارسة العفوية والاحتمالات القائمة على

١ - تشريعات.. سابق، ١٩٩.

٢ - مملكة قنتان من القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، عبدالله حسين محمد العزي الذيف، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩م، ٨٦.

٣ - وادي جردان من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، دراسة تاريخية، محمد أحمد سعيد السدلة، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠١٣م، ٤٣.

الصدفة، وإنما تقوم على الفهم العميق للطبيعة وللبيئة وللكواكب وتأثيرها على الوقت والأنواع.^١

وتوزعت ملكية الأراضي قديماً فيما بين ملكية عامة للدولة، وملكية خاصة بالناس، وملكية مشاعية، وملكية معابد، ولكل نوع من هذه الملكيات قوانينها الخاصة بها.

وتحدد الأملاك الزراعية من خلال وضع علامات ونُصُب، تُعرف قديماً بالوثن^٢، ويتم تسجيل اسم المالك عليها، وتبيان حدود الأرض، وتحذير بأن هذه الأرض ملكية خاصة، وأن الأراضي الصغيرة، أو المتوسطة المساحة، أو المتجاورة يتم تسويرها، لتحديدتها. وربما تكون هناك دوائر أو هيئات مسؤولة عن تحديد الأملاك.^٣

١ - ملح الملاحه في معرفة الفلاحه، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول، تحقيق: د. عبدالله محمد علي المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط: ١، ١٩٨٧م، مقدمة الدكتور عبدالعزيز المقالح، ٦.

٢ - لا تزال هذه التسمية قائمة إلى اليوم في كثير من مناطق الريف اليمني.

٣ - انظر: تقنية أنظمة الري القديمة في مملكتي قنبان وحضرموت في جنوب الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد دراسة مقارنة، حامد عبدالقادر أحمد بافقيه، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م، ٢٨٢.

التجارة في الحضارة اليمينية القديمة

التجارة والصناعة أخذ معالم التحضر والرقي الاجتماعي والسياسي لأي أمة من الأمم، إذ هما معاً أو منفردين نتاج حالة من التراكم المعرفي والاستقرار السياسي والهدوء النفسي، ولا يمكن أن يزدهر هذان النشاطان أو أحدهما في ظل مجتمع غير مستقر سياسياً أو اجتماعياً، وحالياً يقولون لا تنمية بدون أمن. وهو السبب الرئيس . وربما الوحيد . الذي جعل اليمَنَ خلالَ حُكم الإمامة منذ مجيء الهادي، آخر القرن الثالث إلى اليمَنِ وإلى مطلع العقد السادس من القرن الميلادي الماضي رهناً تخلفها الاقتصادي والتجاري والثقافي، نتيجة لتخلفها السياسي، ولعدم وجود الأمن النفسي أولاً لدى الشعب، حتى بدت منقطعة عن ماضيها وحضارتها التاريخية المجيدة، بسبب تخلف نظريّة الحكم..

ففي اليمَن الحضاري القديم ازدهرت الصناعة والتجارة بصورة لم يكن لها مثيلٌ حتى لدى شعوب عريقة كالصين والهند ومصر، وقد كانت صناعة وتجارة اليمَن محل انبهار واندهاش هؤلاء جميعاً؛ وخاصة المصريين القدماء الذين كان لهم اتصالاتهم المبكرة مع منتجات اليمَن، لجلب التوابل والبهار واللبان وما إلى ذلك من المواد العطرية والصبغية التي استعملوها في معابدهم وفي التحنيط.^١

وقد أشار إلى ذلك العهد القديم، في إطار حديثه عن قوم سبأ التجار، كما ذكرت ذلك كتب المؤرخين الغربيين، مثل ديودور واسترابون؛ حيث وصفوا تجارة حضارة سبأ وصناعتها وملاحظتها، مؤكداً ألا أحد يفوق اليمينيين في ذلك.

١ - انظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، سابق، ٢/٢١٦.

يقول العهد القديم على لسان حزقيال، مخاطبًا "صُور" التَّاجرة: "وتاجَرَ معك أيضا تجار شبا ورعمة، فقايسوا بضائعك بأفخر أنواع الطيب والحجارة الكريمة والذهب. ومن المتاجرين معك . أيضا . أهل حُران وكنَّة وعدن وشبا، وأشور وكلمد. هؤلاء قايسوا بضائعك بنفائس الأردية الأسمانجونية والمطرزة، وبسجاجيد ملونة، مبرومة الخيطان، ومضفورة بإحكام"^١

ويقول أيضًا في موضع آخر، في إطار الحديث عن الذهب والطيوب: " .. وعندما سمعتُ ملكة سبأ بشهرة سليمان قدمتُ إلى أورشليم بموكب حافل، وجمالٍ مُحمَّلة أطيابًا وذهبًا وفيرا وحجارةً كريمةً.."^٢

وأيضا: " .. وأهدته مئة وعشرين وزنا من الذهب، "نحو أربعة آلاف وثلاثمئة وعشرين كيلو جراما" وأطيابا كثيرة، وحجارة كريمة، ولم يوجد ما يماثل الطيب الذي أهدته ملكة سبأ للملك سليمان"^٣

وفي سفر الملوك الأول من العهد القديم:

- "وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سَفُنًا فِي عَصِيُونَ جَابَرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أَدُومِ.

- فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ،

- فَأَتَوْا إِلَى أُوْفَيْرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَبًا أَرْبَعَ مِئَةِ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزْنَةً، وَأَتَوْا بِهَا إِلَى

الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ"^٤.

وفي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي: "وقد وُصفت أرض شبا في التوراة بأنها كانت تصدر اللبان، وكانت ذات تجارة، وأن تجارها كانوا يتاجرون

١ - الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر حزقيال، الإصحاح ٢٧، الفقرات: ٢٢ - ٢٤.

٢ - العهد القديم، سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح التاسع الفقرات: ١ - ٩.

٣ - نفسه.

٤ - العهد القديم، سفر الملوك الأول، الإصحاح التاسع، الفقرات: ٢٦: ٢٨.

مع العبرانيين.. واشتهرت قوافلها التجارية التي كانت ترد محملة بالأشياء النفيسة، وعُرفت بثروتها وبوجود الذهب فيها، وقد قيل لذهبها: ذهب شبا. ويتبين من المواضع التي ورد فيها ذكر السبئيين في التوراة أن معارف العبرانيين عنهم قد حصلوا عليها من اتصالهم التجاري بهم، وهي محصورة في هذه الناحية فقط".^١

ويقول المؤرخ الروماني بلينوس: "إن المعينيين كانوا يملكون أرضا خصبة، يكثر فيها النخيل والأشجار، وكان لهم قطعان كثيرة من الماشية، وأن السبئيين كانوا أعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنية بالأشجار من عطور، وبما يملكونه من مناجم الذهب والأرضين المزروعة المرعاة، وما ينتجونه من العسل وشمع العسل، كما كانوا ينتجون العطور".^٢

"ويُرجع بعضُ المستشرقين وجود الكتابات العربيّة التي بالمسند في جزيرة "ديلوس" من جزر اليونان التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وفي وجود الكتابات المعينية في هذه الجزيرة إلى علاقة تجارية، واتصال تجاري بين العرب الجنوبيين، وبين اليونان، وكذلك ما عُثر عليه من المسند في مصر والسودان، وأن جالية يمنية كانت تُقيم في هذه البلدان.."^٣

كما عُثر على كتابات معينية في أور والوركاء بالعراق، تشير إلى العلاقات التجارية بين هاتين المدينتين والدولة المعينية.^٤

وقد كان من الأسباب الرئيسيّة التي جعلت الرومان يفكرون بغزو اليمن، هو السيطرة على طريق التجارة العالمي من قبل الرومان ومنافسة اليمن في ذلك، نتيجةً للثروة المهولة التي كان عليها اليمنيون نتيجة لهذا السبب، ما أطمع القيصر الروماني هذه الحال، وقال: إنه يريد أن يتعامل مع العرب كأصدقاء أغنياء، أو أن يُسيطر عليهم كأعداء أغنياء،

١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط: ٢، ١٩٩٣م، د. جواد علي، ٢/٢٦١.

٢ - أضواء على تاريخ اليمن البحري، حسن صالح شهاب، دار الفارابي - بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م، ٧٠.

٣ - اليمن الخضراء، سابق، ٢٤١.

٤ - الشرق العربي القديم وحضارته، د. حلمي محروس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧م، ٢٢٣.

كما ذكر ذلك "استرابون" مؤرخ تلك الحملة.^١؛ ذلك أن اليمن في التاريخ القديم قد كانت مركزا للتجارة العالمية؛ حيث قامت بدور الوساطة التجارية بين مصر وبلاد الرافدين والهند والصومال، وتمكنوا من احتكار السلع التجارية التي كانت ترد من أفريقيا وآسيا.^٢

وتحتل التجارة المرتبة الثانية في اليمن القديم من حيث النشاط والاهتمام العام بعد النشاط الزراعي، مارسها اليمنيون من وقت مبكر، وساعدهم في ذلك عدة عوامل أهمها الموقع الجيوسياسي الذي يربط المنطقة كلها ببلاد شرق أفريقيا والهند، لذا فقد تحكمت من وقت مبكر بطرق الملاحة الدولية تحكما كاملا، فكانوا سادة البر والبحر معا.

إلى جانب الموقع أيضا الصناعات الاستخراجية التي تميز بها اليمنيون من وقت مبكر، ومثلت رافدا مهما للاقتصاد، بكافة أنواعها وفي أكثر من مكان، فلكون اليمنيين أهل صنعة؛ بل صناعات، وصناعات متميزة، فمن الطبيعي أن يكون تجارا بطبيعة الحال، لتسويق هذه المصنوعات.

وثمة عامل مهم أيضا ساعد في إنعاش التجارة كثيرا هو الاستقرار السياسي الذي كانت تشهده حضارة الجنوب؛ إذ بغير الأمن والاستقرار لن تزدهر التجارة ولا الصناعة ولا الزراعة، كما كان الحال بعد ذلك، فكانت اليمن بأسواقها وقوافلها محط اهتمام العالم القديم آنذاك، سواء لما تستورده عبر البحار من الهند ومن شرق أفريقيا، أو لما تنتجه هي في الداخل. ثم إن عامل الاتصال والتواصل بين مختلف الأسواق والمدن قد شكل بحد ذاته حالة من التمازج والتعارف وتمتين العلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم البعض، فعاشوا منتمين لقيم المدنية والوثام الاجتماعي الذي تخلق بفعل ثقافة الاتصال والتواصل، ونجم عنه تعايش اجتماعي إيجابي وخلاق. كما عملت التجارة

١ - هذه هي اليمن، عبدالله الثور، سابق، ١٤٥.

٢ - أبو العيون بركات، بونت في المصادر المصرية واليمن القديمة، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، فبراير، ١٩٨٦م، ٧٩.

نفسها على تنمية المهارات، وخلق الروح الإبداعية المتمثلة في ابتكار المزيد من متطلبات السوق وحاجيات الناس، فكانت هناك موارد متنوعة، تصديرا واستيرادا.

السلع التجارية

عرفت اليمن من قديم الزمن الأسواق اليومية المنظمة، أو ما عرف بأسواق المدن، القائمة تحت سلطة قوانين الدولة، واشتهرت بكثير من الأصناف التجارية التي كانت في أسواقها، وأشار إليها المؤرخون والرحالة منذ ما قبل الميلاد، ومن أهم السلع التجارية التي اشتهر بها اليمنيون قديما، وكان لها أهميتها العالمية آنذاك اللبان والبخور لثلاثة أسباب:

الأول لارتباطه بالطقوس المقدسة في الكنائس الغربية، أثناء تأدية الشعائر الدينية وفي الطقوس الجنائزية والتعميد، وعند تقديم القرابين والندور والاعتراف بالخطيئة، وفي حفلات ضيافات كبار القوم من ملوك وتجار ورجال دين.^١

الثاني: لدخول هذه السلعة ضمن المركبات الدوائية والعقاقير الطبية التي كانت تعالج بعض الأمراض، خاصة أمراض الصدر، وأمراض أخرى كثيرة، ورائحته من الروائح الطاردة للحشرات الضارة وللهموم في المنازل، كما أنه يدخل ضمن المواد الطبية في التعقيم والتطهير وأيضا التحنيط.

الثالث: لعدم وجود هذه السلعة في أي بلاد أخرى غير بلاد اليمن والهند وشرق أفريقيا فقط، فقد كانت بلاد حضرموت والمهرة وظفار وسقطرى هي البلاد التي تنتج هذه السلعة، ولا يزال نوع منه إلى اليوم مشهور باسم اللبان الشحري أو البخور الشحري، نسبة إلى بلاد الشحر على أطراف حضرموت، وحتى إن وجدت في الهند فإن مرورها تجاريا لن يكون إلا من اليمن، ولذا فقد سمي خط التجارة الذي يربط

١ - حين اعتنقت الإمبراطورية الرومانية المسيحية في القرن الرابع الميلادي قل استيرادهم للبخور واللبان، لأن تعاليم المسيح تقتضي دفن الموتى، كما هو الشأن في اليهودية والإسلام، بدلا عن حرقها، كما كان سابقا. وقد كان البخور يستخدم كثيرا في حرق جثث الموتى.

الجنوب بالشمال ومنه إلى أوروبا وشرق الجزيرة العربية بطريق اللبان، وطريق الحرير، وطريق البخور، نسبة إلى السلع النادرة والنفيسة التي تمر من هذه الطريق. وقد أشارت إليه النصوص القديمة التي يرجع بعضها إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كما أشار إلى ذلك نص ذكر رحلة السفن التي أرسلها الملك المصري الفرعوني "ساهو رع" إلى بلاد بونت، ومنها جلب اللبان والمر، وقد كانت شبة هي السوق الرئيس والأول لهذه المادة التي يتم جلبه إليها بعد جمعه من الأشجار مرتين في العام، وفي هذا السوق يتم استقطاع العشر من هذه السلعة ضريبة للدولة ليتم استخدامها في المعابد وأيضا في مصالح الدولة.^١ وقد دلت النقوش المصرية القديمة على وجود علاقات تجارية بين مملكة معين ومصر؛ حيث كانت جاليات معينة تقيم بمصر في فترة حكم بطليموس الثاني، لتقوم بالإشراف على تزويد المعابد المصرية بالبخور، وقد عُثر على نقش في سقارة، بالقرب من الجزيرة بمصر، نُحتت نقوشه على تابوت خشبي لتاجر معين، يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، ويُعرف صاحب التابوت بـ "زيد إل بن زيد"، وكان صاحب هذا النقش يستورد الطيب والبخور للمعابد المصرية، وكل هذا يدل على مدى استقرار التجار المعينيين في مصر، واندماجهم فيها.^٢

إلى جانب هذه السلعة المهمة التي كانت تباع بسعر الذهب في الغرب، وفي أسواق حوض البحر المتوسط، هناك أيضا. سلع أخرى لها أهميتها، مثل "الصبار" و "الصمغ" السقطري، المستخرج من شجرة "دم الأخوين" التي تشتهر بها الجزيرة، ولا تكاد توجد في غيرها. وإلى جانبهما أيضا كانت اليمن تُصدر الأحجار الكريمة والمنسوجات والجلود والعنبر والملح والخمور وغيرها.^٣

١ - انظر: مقومات التجارة في اليمن القديم، أ. د. جواد مطهر الموسوي. بي دي اف. ص: ٩.
٢ - التجارة في ممالك جنوب الجزيرة العربية معين وسبأ وقتبان وأنظمتها من خلال نقوش المسند، تغريد سالم جابر الشمراني، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ، ١٤٥.
٣ - نفسه، ١١. ومن الأحجار الكريمة العقيق اليمني الذي لا تضاهيه شهرة في الجودة.

وذكر الجاحظ بعضها من المجلوبات التجارية اليمنية إلى العراق، مثل البرود والأدم والزرافات والجواميس والعقيق والكندر والحِطَر والورس.^١

وكانت اليمن تستورد من أفريقيا الذهب والعاج وجلود الفيلة، ومن بلاد العراق الأرجوان والخمر والتمور والذهب والرقيق وبعض المنسوجات، وتستورد من الهند البهارات والطيب كالكاפור والمسك والصندل والعنبر والعود الهندي والسليخة^٢ والقرنفل والسيوف والأحجار الكريمة والأخشاب والحيوانات والمعادن والأصباغ، وغير ذلك.^٣

ووفقا للمؤرخ جورجى زيدان، فقد "امتد نفوذ المعينيين في إبان دولتهم إلى شواطئ البحر المتوسط، وشواطئ خليج العجم وبحر العرب، أي أنها شملت كل جزيرة العرب. ولا يظهر أنها كانت دولة حرب وفتح؛ بل كانت دولة تجارة مثل دولة الفينيقيين على شواطئ سوريا، ودولة الأنباط في بطرا وأكثر دول اليمن. وكانت طرقها التجارية ممتدة في أواسط جزيرة العرب بين تلك البحور، وانتشرت سيادتها ومستعمراتها شمالا إلى أعالي الحجاز بدليل ما وقفوا عليه من النقوش المعينية في العلاء قرب وادي القرى، وفي الصفا وفي حوران وغيرها..".^٤

١ - كتاب التبصر بالتجارة، سابق، ٢٧.

٢ - قشر شجرة القرقة التي تنمو في جزيرة سيلان

٣ - مقومات التجارة، سابق، ١١.

٤ - العرب قبل الإسلام، جورجى زيدان، ١١٣.

الطرق التجارية

أولا الطرق البرية

تعتبر العاصمة القتبانية "تمنع" في شبوة هي المحطة الأولى لتجمع البضائع الصادر والمستوردة، والمنطلقة إلى بلاد سبأ، في مارب، ومنها إلى نجران المحطة الأكبر، عبر "قرناو" عاصمة المعينيين.

"ومع بداية العهد الحميري - ملوك سبأ وذي ريدان - وفي سنة ١١٥ - ١١٠٩ ق.م. أخذت الطرق التجارية الداخلية تتغير شيئا فشيئا، حتى أصبح بانتشار النصرانية في حوض البحر المتوسط منذ القرن الرابع الميلادي يمتد من عدن إلى ظفار - عاصمة الحميريين في ساحل البحر الأحمر وليس ظفار الأخرى التي تُشتهر بإنتاج اللبان، وتقع في أقصى الشرق من حضرموت، وقريبة على ساحل البحر العربي - فصنعاء، وينتهي عند نجران أيضا، وقد عرف بعضه بدرب أسعد الكامل، نسبة إلى الملك الحميري: أب كرب أسعد ٣٧٨ - ٤١٥ م. وهو الطريق البري عبر المرتفعات الذي حل محله الطريق التجاري الشرقي، ويتصل هذا الطريق بالبحر الأحمر عن طريق ميناء مخا - موزع عند مدينة السوا، وهي حاضرة مهمة على طريق التجارة، بين سواحل البحر والمناطق الجبلية".^١

وتُعتبر نجران محط التقاء كل الطرق التجارية اليمنية، ولذا فقد كانت إحدى أهم الحواضر القديمة التي أنعشتها التجارة باعتبارها ملتقى القوافل القادمة من البحار، ومنطلق القوافل المتجهة شمالا إلى بلاد الشام، وشرقا إلى العراق.^٢

١ - نفسه، ١٥.

٢ - تمثل غزة بفلسطين المحطة الأولى للقافلة التجارية بعد عبورها للصحراء، وكانت تقطع القوافل في حدود خمسة وستين يوما، كما تمثل مدينة حمص في سورية الكبرى أيضا المحطة الأولى للقافلة الأخرى. ومنها تتجه إلى بقية الأسواق المجاورة.

"وثمة طريق آخر يربط الجرهاء باليمن، ليس عن طريق نجران؛ بل عن طريق ظفار، شرقي حضرموت، مارا بعمان ومُدن ساحل الخليج العربي، شرقي شبه الجزيرة العربية، متجنباً الجهات الشرقية من مفازة صيهده. الربع الخالي. ولا بد من أن يمر بسوق دبا. ربما دبي في الوقت الحاضر. قبل أن يصل الجرها التي تقول فيها اليزابيث مونرو أنها سوق برية وبحرية، وهي العقير جنوب الظهران في الوقت الحاضر، أو تحت أنقاض "تاج"، وهي وراء يبرين"^١

وكانت هذه الطرق التجارية، وما تفرع منها هي أهم طرق العالم القديم المتوزع على آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ ولهذا وجدت نصوص المسند التجارية التي وثقت الرحلات التجارية اليمنية خارج اليمن، في كل من مصر وجزيرة ديلوس^٢ واليونان والهند وشرق أفريقيا وبلاد الرافدين.

وإلى هذه النقوش المتناثرة هنا وهناك على امتداد الجزيرة العربية أشار الباحث محمد عزة دروزة أنه تم اكتشاف آثار ونقوش معينة كثيرة على شواطئ البحر الأبيض والخليج العربي - الفارسي "حد تعبيره" وفي أعالي الحجاز ووادي القرى ومشارف الشام ومنطقة معان والعقبة وبعض أنحاء العراق ومصر، واستدل الباحثون بها على أن هذه الدولة كانت تعنى بالشؤون التجارية عناية كبيرة، وأنه كان لها مركز تجاري وسياسي مهم في المكان المسمى اليوم "معان" في شرق الأردن، وأن الاسم مقتبس من اسمها، وأن المملكة اللحيانية التي كانت في العلا في أعالي الحجاز كانت خاضعة لسيطرتها. ومعان هذه قريبة من خليج العقبة على البحر الأحمر، وهي نقطة التقاء بين الشام ويثرب. والمتبادر أن المعينيين جاؤوا إلى هذه المنطقة عن طريق هذا البحر، فأنشأوا مركز معان، ليكون لهم نقطة ارتكاز، حيث توسعوا منه إلى الجنوب حتى وصلوا إلى أعالي الحجاز، وإلى الغرب والشمال، حتى وصلوا إلى بلاد الشام وشواطئ البحر الأبيض^٣.

١ - نفسه، ١٦. الجرها: مدينة تجارية قديمة في شرق الجزيرة العربية. ومفازة: تعني الصحراء تهاؤلاً من الفوز، وهي من الأضداد في اللغة.

٢ - جزيرة تقع في اليونان.

٣ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١/٣٩.

ثانيا الطرق البحرية

تتصل اليمن بطريق بحري طويل يزيد عن ٢٤٠٠ كيلو مترا. يحفها من الجنوب والغرب، وهي من أكثر بلدان العالم اتصالا بالمياه، بل إنها تعتبر دولة بحرية في الأصل، على الرغم من مساحتها الكبيرة؛ إذ تتصل "حاليا" ب ٤٤٢ كيلو مترا على البحر الأحمر، و ٢٠٠٠ كم على البحر العربي، وخارطة اليمن اليوم هي غيرها سابقا.

"ولما كان لليمنيين أسطول قوي أمكنهم الاتصال بأقصى الشرق والغرب، فيجلبون ما يناسب ذلك حسبما تدعو إليه الحاجة، وقد برعوا في فن الملاحة، وعرفوا الاتجاهات بواسطة الشمس والكواكب، وكان اليمنيون سابقين لغيرهم؛ حيث ضربوا بأساطيلهم عرض البحار وطولها، فكانوا بحق سادة البحار وتجار العلم.."^١

وكانت سفن اليمنيين تجوب البحر العربي فالمحيط الهندي شرقا نحو بلاد الهند، ثم البحر الأحمر غربا نحو شرق أفريقيا، وشمالا نحو مصر، ثم إلى بلاد الشام، هي سفن عملاقة من صناعتهم هم، وأيضا فإن قباطنتها من اليمنيين المهرة الذين كانوا سادة البحار، كما كانوا في البر.

ومن مظاهر هذا النشاط البحري تلك الموانئ البحرية التي جُهزت لأغراض التجارة الخارجية، وربط الجزر اليمنية في البحر الأحمر والبحر العربي بالوطن الأم. ومن الموانئ الشهيرة في اليمن القديم ميناء "قنا" الذي كان يستقبل تجارة الطيوب من البخور والعمور، لتبدأ عملية نقلها برا وبحرا إلى الحضارات القديمة في العراق ومصر واليونان وبلاد الشام. ومن الموانئ التي اشتهرت فيما بعد أيضا ميناء عدن، بوابة البحر الأحمر، وميناء المخا وموزع، ولكن لا يغيب عن الذهن أن انحسار طريق اللبان البري وزيادة

١ - حضارة اليمن القديم، زيد بن علي عنان، مجلة الإكليل، عدد: ٢، ١٩٨٠م، ص: ١٠٨.

النشاط البحري للرومان الذين تمكنوا من نقل البضائع دون وساطة اليمنيين كان من أسباب أفول الحضارة اليمنية.^١

وقد أرسل الملك الفرعوني "منتوحتب" بعثة إلى بلاد العرب، لإحضار الصمغ ذي الرائحة الزكية، وأن هذه البعثة توجهت من "قفط" على رأس حملة إلى البحر الأحمر، ومنه إلى جنوب جزيرة العرب، ووصلت إلى سبأ وواك ورهان، وأحضرت منها الحجارة النفيسة لتمثيل المعابد. ولقد جاء في تاريخ مصر أن "امتجمعت" أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة أصلح الطريق الموصل بين "قفط" والبحر الأحمر، وازداد نتيجة لذلك النشاط التجاري والملاحي بين مصر وموانئ البحر الأحمر والصومال؛ حيث تؤيد هذه الآثار ما نوهنا به، قدم النشاط الحضاري والصناعي والسياسي في جنوب جزيرة العرب، وذيوع صيت ما امتاز به من حجارة نفيسة وعطور وبخور قبل بروز الدولة المعينية، كدولة شاملة كبرى، بأكثر من ألفي عام في تقدير بعض المؤرخين، وألف عام في تقدير بعض آخر.^٢

لقد "كان العالم كله تقريبا معتمدا على الصعيد الاقتصادي فيما يأتي إليهم من اليمن، أو ما تنقله اليمن عبر رحلاتها إليهم من الهند أو الصين، من الأفاويه والبخور والحرير وغير ذلك. وقد عرفت طرق التجارة اليمنية بطريق البخور وطريق اللبان، وطريق اللبان هذه كانت تلتقي مع طريق الحضارة القديمة القادمة من الصين فيما يسمى بطريق الحرير البري عبر فارس وهضبة الأناضول إلى أن يصل إلى منطقة أوجاريت "رأس المثلث" على البحر الأبيض المتوسط شمال اللاذقية في سوريا، وكانت تأتي من عندنا قوافل التجارة محملة باللبان والبخور وغيرها إلى أن يصل إلى شمال سوريا، فيذهب جزء منه إلى العراق ويذهب جزء آخر إلى سيناء، ومن ثم إلى أوروبا القديمة".^٣

ولخبرة اليمنيين بالطرق - برّها وبحرها - فقد نظموا فيها الأراجيز والملاحم التي توضح وتشرح المسافات بين كل مرحلة ومرحلة، ومدينة ومدينة برا وبحرا، من مثل أرجوزة ابن

١ - انظر التشريعات القبطانية والحضرمية، سابق، ١٣٥.

٢ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١/٣٦.

٣ - الدكتور أحمد محمد الأصبحي، حوار مع المؤلف، موقع اليمني الجديد.

ماجد، وفيها أشار إلى البلدان على طريق التجارة والرحلات من الهند والسند وبر العرب إلى بر الزنج، ومن كاليكوت إلى جزر الفال وزنجبار، مشيراً إلى حركة الرياح وأيام السفر، ومواقيته.. إلخ.^١

القوانين التجارية

لما كانت التجارة في اليمن على هذا القدر من السعة والانتشار والقوة، تصديراً واستيراداً؛ بل ومهنة رئيسية في القرون المتأخرة قبل الزراعة كان لا بد من ناظم ينظم هذه العملية، ممثلاً في التشريعات والقوانين الرسمية القائمة على مبدأ الحفاظ على المصالح، وعلى سيادة الدولة وبسط نفوذها حتى لا ينفلت الأمر، وتصبح التجارة فوضى لا ضابط لها؛ بل لا معنى للدولة أصلاً إن لم تنظم شؤونها وتحفظ مصالح رعاياها..

وقد مثلت التشريعات التجارية القديمة في الحضارة اليمنية معلماً رئيسياً من معالم الحضارة التي امتازت بها، وتفوقت بها على ما دونها من الحضارات الأخرى. قوانين قائمة على رؤية سياسية مستبصرة، وفلسفة إنسانية عميقة، حفظت الحقوق العامة والخاصة على حد سواء، دون حيف أو ميل تجاه طرف على حساب آخر..

وتتناول هنا طرفاً من هذه التشريعات التجارية التي سادت في اليمن القديم، في الممالك المعينية والسبئية والقبتانية.

١ - هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن عمرو السعدي، من صعدة، شمال اليمن. عاش في القرنين التاسع والعاشر الهجريين. له ثلاث أراجيز ملاحية: السفالية، والملعقية والتائية. اتهمه النهروالي أنه لعب دور أبي رغال وابن العلقمي في الحملة البرتغالية على سواحل بلاد العرب، وأنه من قاد السفن للملاح البرتغالي فاسكو دي جاما. وساند النهروالي في دعوته هذه المستشرق الفرنسي هوفران، فيما أبلطها آخرون. وهناك من المؤرخين من ينسبه إلى منطقة جلفار في رأس الخيمة، وهناك من ينسبه إلى عمان.

القوانين التجارية المعينية

نظمت مملكة معين تجارتها المحلية والخارجية، وأصدرت التشريعات والقوانين الخاصة بذلك، ومن تلك القوانين القانون الذي سمي بقانون "نكرج" أو قانون "النقل" كما ذكر النص. ذكره نقش في منطقة دادن شمال غرب الجزيرة العربية، المستوطنة التي أسستها مملكة قتيبان. وهو نص تجاري من نصوص تجارية عدة، وقراءة النص على النحو التالي:

- ١- هكذا أمر "كبير" شعب معين في دادن، والمستوطنون المعينيون والتجار في المجلس التشريعي.

- ٢- يفرض ضريبة على كل طعام يدخل بيت الإله ود.
- ٣- يشمل ذلك كل الأطعمة من حبوب وتمر وغيره.
- ٤- تكون الضريبة وفق صاع من السلعة عن حمل حمار.
- ٥- يُعفى من ذلك أملاك و سلع ود، بناء على أمر المسؤولين.
- ٦- من يرفض التنفيذ وفق هذا القانون عندما يسأله المسؤولان المخولان من قبل ود
- ٧- فإنهما وفق قانون النقل في معين يمنعانه من متابعة رحلته، وعليه الإقامة في دادان.
- ٨- أما تجارته فسوف تصبح تحت تصرف "نكرج".
- ٩- من يدخل بسلع محملة على ظهور رجال تعفى من الضريبة.
- ١٠- يوم صدور هذا القانون والأمر في شهر ذو سماع في كبارة.

١ - انظر: التجارة في ممالك جنوب الجزيرة العربية معين وسبأ وقيتان وأنظمتها من خلال نقوش المسند، سابق، ٥٤. وانظر أيضاً: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، سابق، ٧١٤.

القوانين التجارية القتبانية

شهدت التجارة لدى المملكة القتبانية ازدهارا كبيرا ومتقدما، كما ازدهرت بقية الجوانب الأخرى أيضا في الدولة، ومن معالم هذه التطور والتقدم منظومة القوانين التجارية التي سنتها الدولة آنذاك. ولعل سوق "شمر" التجاري في العاصمة "تمنع" من أشهر الأسواق التجارية آنذاك، وإلى هذا السوق نسب قانون تجاري، عرف بقانون "شمر" المعتمد من الدولة، بإشراف موظف مختص يعينه الملك، والمكتوبة بنوده وسط السوق على لوحة أمام الجميع. بنود تشريعية "لائحية" سنتها هيئة تشريعية رسمية، محمية بجند الدولة، خلافا للأسواق العربية المنتشرة لاحقا التي كانت موسمية فقط، وكانت أسواق قبائل لا أسواق مدن، وهي وإن كان لها مشرف من أحد أبناء القبيلة التي يتواجد فيها السوق إلا أنها بلا قانون مكتوب، عدا أعرافا تقليدية قبلية غير متفق عليها من الآخرين، مفتقرة إلى مبدأ الثواب والعقاب المعروف عند القتبانيين. ومن أبرز هذه القوانين:

١. على تجار "تمنع" و "برم" دفع ضريبة السوق في تمنع مهما كانت تجارتهم
٢. يجب على التاجر امتلاك متجر في تمنع حتى يُسمح له بالتجارة فيها
٣. أي تاجر غريب يأتي إلى تمنع، وينوي التجارة فيها يجب أن يكون له متجر
٤. يمكنه الدخول كشرىك مع صاحب متجر
٥. يحق للقتبانيين فقط المتاجرة مع القبائل الأخرى المجاورة
٦. عدم السماح لغير المواطنين بالتجارة في أراضي قتبان ما عدا تمنع إلا حسب الشروط السابقة

٧. على المواطنين إطلاع المشرف على السوق بوجود تاجر غريب ينوي التجارة
٨. فرض غرامة مالية على أي تاجر دخل أراضي قتبان وهو محمل بالسلع، وينوي
المتاجرة بها دون الحصول على إذن رسمي.
٩. من حاول الغش وكرر ذلك على أخيه التاجر عليه دفع غرامة مالية قدرها خمسين
قطعة ذهبية.

١٠. مشرف السوق هو المسؤول عن تنفيذ هذا القرار.
١١. فرض ضريبة على جميع التجار، سواء كانوا من تمنع أو من خارجها.
١٢. فرض ضريبة إضافية قدرها "ن" على تجارة الحبوب.
١٣. يعفى من الضريبة الإضافية إذا تمت العملية التجارية بين تاجر محليين.
١٤. يمكن لدفعي الضريبة الإضافية دمجها مع ضريبة السوق، وبذلك يمكن تفادي
دفعها بعد كل عملية تجارية.

١٥. أي تاجر قتباني أو معيني أو من سكان "تمنع" يؤجر محله أو منزله كمخزن لمالك
متجر عليه دفع ضريبة عن سلعه وعن السلع المخترنة لديه.
١٦. تدفع الضريبة لملك قتبان.

١٧. هناك نوعان من الضرائب، ضريبة "تمنع" ويدفعها تاجر تمنع فقط، وضريبة
"ريدان" ويدفعها التجار الآخرون الذين من خارج المدينة.

١٨. لا يحق لتاجر يدفع ضريبة "تمنع" أن يمارس النشاط التجاري مع قبائل غير
قتبانية، بدلا من قبائل قتبانية، وقبائل المناطق السفلى، لكي يحافظ القتبانيون على
حقوقهم، استنادا لهذا القانون الذي سنه الملك لهم.

١٩. كل النشاطات التجارية التي يقوم بها القتبانيون في سوق شمر من متاجرهم فيه
لابد أن يقرها مشرف السوق، استنادا لقانون الإله "أنباي" الذي سن لهم، واستنادا
لأمر القتبانيين، بينما النشاطات التجارية لا تتم داخل قتبان ... "ناقص".

٢٠. لا يحق لطرفين ممارسة التجارة في "تمنع" إلا إذا كان أحدهم من قتبان.

٢١. أي تاجر جراف "جملة" يتاجر في تمنع لابد أن يعرض سلعه على تاجر التجزئة.

٢٢. يمنع ممارسة التجارة ليلا، وإذا حدث ذلك يجب اعتزال من يمارس التجارة ليلا حتى الصباح.

٢٣. يحق للملك الإشراف على كل العمليات التجارية في أية سلعة تدخل أراضي الدولة.

٢٤. ليساند ويحمي كل الملوك هذه القوانين.^١

هذا عن قانون قنبان التجاري، أما القانون التجاري لمملكة سبأ فتنص بعض بنوده، كما ذكرتها نصوص المسند على:

١. في حالة بيع أو مقايضة رقيق أو حيوانات - ماشية وأغنام - أو أي سلع أخرى، فإن مدة الخيار شهر واحد.

٢. في حالة عدم رغبة المشتري إتمام صفقة البيع، ورغب في إعادة السلعة، فإذا كانت رأس حيوان فإن على المشتري دفع مبلغ للبائع، كأجرة عن استخدامه لهذا الحيوان.

٣. في حال هلاك الحيوان بعد مرور سبعة أيام فالبائع غير مسؤول عن موته، وهو بذلك يستحق كامل الثمن، وعلى المشتري دفعه كاملا.

٤. في حالة عقد اتفاق مزارعة أو تأجير أراضي زراعية، فلا بد من اشتراط نوعية الأجرة، وتحديد زمن دفعها.^٢

وفي فترة لاحقة من القرن الثالث الميلادي صدر قانون يجرم بيع الإنسان، ونصه: "ومن يشتر ابن إنسان حر ويؤجره، فقد ارتكب خطأ كبيرا، وليحذر الكبير من تحرير وثيقة الشراء، وليعرض هذا الأمر على الهيئة المسؤولة"^٣

ونستخلص من هذا النص ما يلي:

١ - انظر: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، سابق، ١٨٢. وانظر أيضا: سوق شمر أنموذجا للأسواق العربية، د. فرات حمدان عبد المجيد، ٤. وأيضا: التشريعات القنطانية والحضرية، دراسة تاريخية مقارنة، نعمان أحمد سعيد سالم العززي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١م، ١٢٩.

٢ - نفسه، ١٨٥.

٣ - نفسه، ١٨٦.

١. تحريم بيع الإنسان، كما هو واضح في النص. وقوله: حر، فإن كل الناس يولدون أحرارا، وبالتالي فقد شمل الكل.

٢. الإشارة إلى أن هذا خطأ كبير، ولا شك أنه تتبعه عقوبة إن تم ذلك.

٣. قوله "وليحذر الكبير من تحرير وثيقة الشراء" إشارة إلى أن عملية البيوع كانت تتم بصورة رسمية من خلال العقود، وأن ثمة وثائق خاصة لذلك، وعملية تحرير العقود والتوثيق من الملامح المدنية في أي نظام. أما لفظه "الكبير" هنا فلا نستطيع تحديد المراد منها على وجه الدقة.

٤. قوله "الهيئة المسؤولة" تعني مؤسسية التعامل، وأن ثمة هيئات أو لجانا خاصة تحت سلطة الملك هي المسؤولة عن ذلك. وهذا أيضا من ملامح الأنظمة الحضارية؛ بل إن لفظه "مسؤولة" وحدها دليل على صرامة الأنظمة ودقة التعاملات، وعلى وجود مبدأ الثواب والعقاب.

ومن ضمن قوانين عمليتي البيع والشراء في صرواح لاحقا أيضا:

١. إذا تمت المبايعة بين الطرفين لا يحق لشريك البائع الاعتراض.

٢. لا يحق للمشتري رفع دعوى ضد البائع بعد إمضاء العقد.^١

ومن هذا المنطلق فإن التشريع اليميني قد سبق التشريعات الرومانية واليونانية، وفي الوقت الذي طبق فيه قانون قنن التجاري في اليمن فإن الأجنب الوافدين إلى اليونان وروما لم يتمتعوا بحقوق مدنية، وتم النظر إليهم كأعداء، باستثناء التجار القادمين الذين من تلك البلدان التي أبرمت معها اتفاقيات خاصة بشأن هذه العلاقة، بينما كان في قانون قنن محميا بالقانون، ويمارس نشاطاته الممنوحة له وفقا للقانون، بما في ذلك النشاطات التجارية. ومن هنا يظهر جليا التنظيم القانوني لأوضاع الأجنب الحقوقية؛ أما القواعد المنظمة للأوضاع الحقوقية للأجنب فلم تتشكل في روما واليونان إلا في فترة

١ - نفسه، ١٨٦.

متأخرة عنها في اليمن، ونتيجة لتطور التجارة مع الشعوب الأخرى عندما بدأت روما تسيطر على التجارة الدولية، وبدافع حرص الرومان على تنشيط الروابط التجارية الاقتصادية مع الدول الأخرى حصلت هذه العملية على تطورها اللاحق.^١

العشور وأنصاف العشور

لا يخفى على الجميع أن العشور وأنصاف العشور في عروض التجارة والزراعة من التشريعات التي جاء بها الإسلام؛ وقد كان التجار العرب من قريش خاصة لا يعرفون شيئاً عن هذه الأنظمة مطلقاً، بل لقد كان الربا والاستغلال هو السائد؛ لذا انقسم المجتمع القرشي حينها إلى طبقتين: طبقة غنية غناء فاحشاً، وطبقة فقيرة فقراً مدقعاً. وقد جاءت تشريعات الإسلام داعية إلى تجاوز هذا العرف أو النظام آنذاك، وشنع من عاقبة من يكتنون الذهب والفضة، ومن يطففون المكيال، ومن كل همزة لمزة. وكل هذا كان في قريش.

لكن ما قد يخفى على الأغلب أن القوانين التي دعت إليها تعاليم الدين الجديد بمجيء محمد بن عبدالله هي قوانين سبئية وحميرية كانت سارية المفعول من قبل الإسلام بقرون، في المملكة القتبانية والسبئية؛ ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب؛ بل لقد كانت هذه الضرائب تصرف في المصالح العامة. "وكانت الضرائب المحصلة لصالح المعابد أو للدولة تصرف للصالح العام، كإقامة المشاريع العامة، أو إقامة الولائم الدينية في الأعياد، وفي إطعام الحجيج. وفي معين كانت الضرائب تدفع عن طريق المشاركة في بناء المشاريع العامة حتى ولو لم تكن دينية، كبناء أسوار المدن أو حصونها أو مشاريع ري"^٢

١ - د. محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، العدد: ١ للسنة الخامسة، ١٩٨٧م، ٤١.

٢ - التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، سابق، ١٨٨.

الأعجب من ذلك . ولا عجب في ممالك الحضارة . أن منصب جابي الضرائب قد تولته نساء يمينيات أيضا، وكان جابي الضرائب يسمى: "ق ظ ر ت عم" أي: جابية أموال عم. ويبدو أنه منصب كانت مدته سنة، قابلة للتجديد، كما يُفهم من النصوص: "ق ظ ر" و "ر ش و. عم" ث ن ت م. أي: جابي ضرائب وكاهن عم للمرة الثانية.^١ وبين يدينا هذا النص "Res4176" حيث أصدر الإله "تألّب" لشعب "سمعي" هذا القانون: "يحصل المعبود بموجب هذا الأمر على عُشر محاصيل كل من: يلظ، نضح، وبررن ومنخدم، وعُشر محاصيل ضرعم، وعُشر محمية ذو رنع وصيحم إلى الأراضي المقابلة لسد هجر وحوضة"^٢ "وأن تأتي عشور المحاصيل من أسمع وحرمة وشدب و.. إلى منطقة أتوم وريمماه؛ أما عُشر ضرع والمحمية والوادي ومنخذ ومحاصيل حجفل لتأتي إلى ظبين"^٣

١ - نفسه، ١٨٩.

٢ - نفسه، ١٩٢.

٣ - نفسه، ١٩٢.

الضرائب

المعفيون من الضرائب

بحسب ما بين أيدينا من المصادر فإن النصوص المتاحة قد استثنت إحدى أهم شريحة مهمة في الدولة من الضرائب، وهي الجنود؛ ولا شك أن ثمة فئات أخرى معفية منها إلا أننا لم نعثر على ما يشير إلى ذلك مما توفر لنا من المصادر والمراجع. ونص هذا المرسوم:

- لا يحق لكبير صرواح ومجلس سادتها وشعبها وأبنائهم مطالبة جنود الملك المرابطين لديهم بدفع الضرائب.

- ولا يحق للصرواحيين مطالبتهم بالعمل في جمع الغلال أو الأعمال الزراعية الأخرى، كما لا يحق التعامل معهم تجارياً.

- على مجلس السادة الصرواحي تنفيذ هذه الأوامر.

- يحق للصرواحيين مطالبة الجنود المسرحين بدفع الضرائب، كما يحق لهم استخدامهم في الأعمال السابقة.^١

مقادير ضريبية أخرى

دلت النصوص المعينية أن مقدار الضرائب هي صاع على كل حمولة حمار تعود لصالح المعبد "بيت ود"، ويعفى من الضريبة حمل الرجل.^٢؛ أما من يتهرب من الضرائب فبحسب القانون المعيني: "ويفرض على المخالفين الإقامة الجبرية، وتمنع سلعهم من البيع

١ ، نفسه، ١٩٤.

٢ - نفسه، ١٩٠.

حسب قانون نكرح^١ وبحسب القانون القتباني: " .. ومن يخالف يدفع غرامة قدرها..
ثور..^٢

وثمة نص آخر يشير إلى أنه قد تتأخر بعض القبائل عن تسديد الضرائب لسبب من الأسباب، فيتم منحها فرصة أخرى لتسديدها، كما حصل مع قبيلة بكييل في هذا النص: "أصدر الملك الشرح يحضب وأخوه يازل بين ملك سبأ وذو ريدان أمرا بإعطاء بني وعلان وأولادهم وعشيرتهم وكبار أقيان أمراء شعب بكييل فسحة من الوقت، ليؤدوا ضريبة كبار أقيان وشعب بكييل لأسيادهم الملوك الذين من سبأ"^٣

عاقل السوق

"عهر شمر" إحدى المهن الرسمية التي اقتضاها سوق شمر القتباني على وجه التحديد، وتعني "عاقل السوق" الذي يشرف عليه ويمثل الدولة فيه، من اختصاصاته منع أي شخص لا يملك دكانا من البيع داخل السوق، وله الحق في اختيار موزعين وباعة متجولين قتبانيين للتجارة بين القبائل القتبانية، وبهذا يكون مسؤولا عن التجارة العامة في قتبان، ويبدو أنه من كبار التجار القتبانيين، فهو يمتلك دكانا في سوق شمر، وبإمكانه عقد أكبر الصفقات التجارية، ومن واجباته جمع ضريبة السوق، وإنزال عقوبة الغرامة على كل مخالف، وفق التشريع، ولا يجوز له التدخل في الصفقات التجارية بين من يمتلكون دكاكين في السوق.^٤

١ - نفسه، ١٩٠.

٢ - نفسه، ١٩١.

٣ - نفسه، ١٩٥.

٤ - التشريعات القتبانية والحضرمية، سابق، ١٣٩.

التجارة الخارجية

احتوى تشريع اليمن القديم على قواعد مادية، تنظم العلاقة بين اليمنيين والتجار الأجانب، وأيضا على قواعد خاصة بشأن حماية الأجانب في تشريعات كل دول اليمن القديمة، وهو ما يفسر أن هذه الدول قد ملكت صلاتٍ تجارية واسعة؛ حيث لعبت دور الوسيط بين دول الشرق والغرب للعالم القديم، ومن خلال اليمن عبر الطرق التجارية البحرية والبرية إلى الشام وفينيقيا حمل التجار الهنود والأفارقة معهم بضائعهم المتنوعة إلى اليمن، ثم بعد ذلك يحملها التجار اليمنيون إلى مصر، الشام، فينيقيا، وغيرها من البلدان، ناهيك عن وساطة اليمن التجارية بين الرومانيين واليونانيين من جهة، والهند والصين من جهة أخرى.^١

إن التواجد المستمر للتجار الأجانب في مدن اليمن القديمة، وبالأخص في مدينتي نجران وعدن بأعداد كبيرة استدعى ضرورة إصدار نظم قانونية دقيقة، حمت الأجانب، كما حمت ممتلكاتهم، ووجود مثل هذه النظم القانونية ساعد على الاجتذاب الكبير للتجار الأجانب إلى اليمن، وبالإضافة إلى النصوص التي عُثر عليها باللغة اليمنية القديمة فإن الوثائق المكتوبة التي عُثر عليها باللغات: اليونانية القديمة، اللاتينية، وغيرها من لغات الشعوب القديمة تؤكد وجود تلك النظم القانونية.^٢

ومن النصوص التاريخية يتضح أنه على أرض الإلياذة القديمة وُجدت مستعمراتٌ للتجار اليمنيين، عاشوا حسب تشريعاتهم وأعرافهم، بالمقابل فإن الإغريق المتواجدين في

١ - د. محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، عدد: ١ للسنة الخامسة، ١٩٨٧م، ٣٨.

٢ - نفسه، ٣٩.

اليمن مُنحوا حقوقاً مماثلة، أي أنهم عاشوا حسب تشريعاتهم وأعرافهم، وهذا ما يمكن أن نسميه اليوم، وفقاً للقانون الدولي الخاص، مبدأ "المعاملة بالمثل".^١

إن احتكار التجارة العالمية لمدة تزيد عن ألفي عام بين جزر وسواحل المحيط الهندي بكامله؛ حيث توجد التوابل، وبين ممالك وامبراطوريات البحر المتوسط وما حوله جعلت من اليمنيين صلة وصل بين مدينتي الشرق الأقصى ومدينتي الشرق الأوسط، وأوجدت مدينة خاصة بهذا البلد الذي حتمه جباله الشاهقة والصحارى الشاسعة التي أحاطت به من الطامعين، وكذلك المحيط الهندي الضخم الذي لم يعرف سر الملاحة في رياحه العاتية سوى أبناء ممالك معين وسبأ وحمير. هذا البلد الذي اعتبره العرب أنفسهم في الشمال بلاد العربية الخضراء، أو بلاد اليُمن والميمنة.^٢

١ - نفسه، ٤٠.

٢ - اليمن وحضارة العرب، عدنان ترسيبي، سابق، ٤٩.

الجوانب الاجتماعية في الحضارة اليمنية القديمة

لعل أبرز سمة عامة يمكن أن يوصف بها اليمن تاريخيا أنه حالة اجتماعية، بكل ما تستتبعه هذه الحالة من معاني المحبة والبغض معا.. من الاجتماع والتفرق، من السلم والحرب.. من المحبة الشديدة، والبغض الأشد.. إنها المتلازمة التي ما انفكت عنه من زمن بعيد. هذه التناقضات كلها يتسم بها مجتمع القرية الصغير، كما يتسم بها الشعب بشكل عام.

هذه الحالة من التنوع هي نتاج الارتكاس الحضاري الذي شهدته اليمن من قرون بعيدة، على الرغم من بعض الجوانب الإيجابية التي تختزلها هذه الحالة، لأسباب عدة من بينها "قزامة" قياداته السياسية التي تعاقبت على حكمه إلا فيما ندر.. قيادات أقصر قامة من طول وعرض البلد العظيم. فهي إن عرفت جغرافيته فشلت في معرفة تاريخه، والعكس أيضا صحيح.

الشعب اليمني حالة اجتماعية فرضتها تحديات الواقع، ارتباطه بالحكومات أو قيادات الدولة أقل مما هو عليه الشأن لدى بقية المجتمعات الأخرى، إنها سلطة الجغرافيا نفسها التي تؤثر في السياسة فتبعد وتقرب.. تهزم وتنصر، وتفرق وتجمع.. ولهذا كله تكتنز اليمن منذ زمن بعيد بمنظومة هائلة من القوانين الشعبية غير المكتوبة "الأعراف" التي شكلت المرجعية الحاكمة له، وشكلت السياج الحامي من التعدي الفردي أو الجماعي، لأن قوانين الدولة لم تكن حاضرة بالصورة التي يجب. وربما وصلت هذه القوانين إلى درجة عالية من الاحترام حد القداسة، كما أن اعتماد المواطن أو المجتمع على نفسه هو السمة الغالبة في الحالة اليمنية خلافا لما هو عليه الشأن في بقية الشعوب الأخرى، الشعب

المصري أنموذجا.. فمنظومة الزراعة والري والتطبيب والتعليم والغذاء والأمن حالة اجتماعية بالدرجة الأولى، من صنع المجتمع، لا من صنع الدولة في الغالب. وبقدر ما فيها من الإيجابيات ففيها أيضا من السلبيات، خاصة اليوم مع نشوء الدولة العصرية.

صحيح أن هذه المنظومة من القوانين والأعراف حفظت السلم الاجتماعي طويلا، وجسدت بعضا من القيم الأخلاقية والمدنية، وكانت حالة متقدمة جدا فيما مضى من الزمن؛ لكنها اليوم لا تكفي وحدها لصناعة الدولة العصرية الضامنة للجميع، وإن كان في بعضها ما يعين على ذلك.

لذا كان الإبداع فرديا غير مؤسسي، غير جماعي إلا ما ندر في مرحلة الارتكاس الحضاري التي شهدها اليمن ولا يزال، لذا في مرحلة الدولة القوية اليمنية تم بناء السدود وصناعة المدرجات والقلاع والحصون، بصورة جمعية، أي أنه إبداع دولة وحضارة لا إبداع فرد أو أفراد كما حصل بعد ذلك.

وكعادة كل المجتمعات القديمة كان المجتمع اليمني القديم ينقسم إلى عدة فئات، على أساس المهن والحرف والأعمال، وليس على أساس السلالات، وهذه الفئات:

١. الملك وحاشيته

٢. رجال الدين

٣. الأعيان ورجال الدولة

٤. عامة الناس وينقسمون إلى:

- التجار

- أصحاب الحرف

- الأعراب^١

١ - ذكر جورج زيدان أن الأمة في اليمن تكونت من أربع طبقات: الجند، الفلاحون، الصناع، التجار.

وهذا التقسيم باق إلى اليوم في كل مجتمع العالم، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فهي سنة الكون في الخلق أن التفاضل والتكامل بين الناس كائن، ولا يمكن أن يكونوا نسخة موحدة، متشابهين في كل شيء، مهما كان الأمر. وما تشكل النقابات والاتحادات والروابط القائمة على أسس مهنية وحرفية اليوم في الدولة العصرية إلا أحد أوجه هذا الفرز، والذي يمكن أن نطلق عليه الفرز الإيجابي والخلاق.. الفرز الذي يعزز من عملية الإنتاج والإبداع معا، على نحو أفقي، لا الفرز السليبي الذي يفضي إلى التراتبية الطبقيّة على نحو رأسي!

الرفاه الاجتماعي

الرفاه الاجتماعي مرتبط بقوة الدول وتطور الحضارات كحالة جمعية أكثر من ارتباطه بالرخاء المالي أو الاقتصادي للشخص كحالة انفرادية، بمعنى أن من الصعب وصف شخص ما بأنه من ذوي الرفاه الاجتماعي في مجتمع متخلف وبيئة فقيرة وإن كان يملك من المال ما يملك. وهذا ما تسعى له الامبراطوريات والحضارات عادة؛ إذ تعمل جاهدة على تحقيق هذه الحالة ولو على حساب آخرين؛ لذا كان غزو الشعوب لشعوب أخرى في التاريخ القديم والحديث على حد سواء.

وفي حضارة اليمن القديم من الرخاء المادي والرفاه الاجتماعي ما قد يصعب أن نجد له نظيرا لدى الحضارات الأخرى في تلك المرحلة، وكتب التاريخ زاخرة بوصف يفوق الخيال عن حياة اليمنيين القدامى، أغلب هذا الوصف في كتب المؤرخين القدامى الغربيين أنفسهم، أمثال بطليموس وهيرودت وبليني وأغاثير سيدس واسترابون وديودور الصقلي وغيرهم.

يقول ديودور الصقلي: ""أما السبئيون فإنهم متفوقون على جميع العرب المجاورين وغيرهم من الشعوب، بثرواتهم وبذخهم بنوع خاص، وهم . في الواقع . يحصلون على

أفضل الأسعار في مقايضات البضائع والصفقات التجارية، ولهذا السبب، ولكون بُعد بلادهم قد جعلهم في منأى عن الغزو زمنًا طويلًا، تراكمت لديهم أكوام الذهب والفضة؛ ولا سيما في سبأ حيث يقوم القصر. والأقداح المختلفة التي يستعملونها مزينة بنقوش ذهبية وفضية، وقد استعملوا الأسرّة والمشاجب والقوائم الفضية، واتسمت سائر أنواع الأثاث التي استعملوها بفخامة لا يكاد يصدقها العقل، وانتصبت في مقدمة منازلهم مجموعة من الأعمدة الطويلة، بعضها مذهّب، والبعض الآخر مزدان بتيجان تحمل رسوما فضية^١

ويقول أغاثير سيدس: أغاثير سيدس: "للسبئيين في منازلهم ما يفوق التصديق، من الآنية والأوعية، على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب، وعندهم الأسرة والموائد من الفضة، والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها. قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المزينة بالفضة. يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف الذهب مرصعة بالجوهر، ويبدلون في تزيين قصورهم أموالا طائلة، لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة، وغيرها من المواد الثمينة"^٢

وتذكر المؤلفة جاكلين بيرين نسبة إلى استرابون: "إن السبئيين قد جمعوا ثروات طائلة من المتاجرة بالطيوب، فاقتنوا أواني مطبخ ذهبية وفضية ومزهريات وشجبا وأكوابا كبيرة ذات أغطية، وكانت مساكنهم بادية الفخامة والروعة، كُسيت أبوابها وجدرانها وسقفوها بالفسيفساء الذهبية والفضية والعاجية المزدانة بالحجارة الكريمة"^٣.

وقال البحاثة الأثري المستشرق "سانس": "إن اليمّن سابقة في تمدنها على مصر وبابل، وإنها هي البلاد التي هاجر منها إلى مصر الفراعنة العظام، وحملوا معهم العلم والحكمة والزراعة"^٤.

١ - اكتشاف جزيرة العرب، جاكلين بيرين، ترجمة: قدرى قلعي وحمد الجاسر، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ت. ٣٠.
٢ - اليمن وحضارة العرب، سابق، ٧١. وانظرها أيضا في تاريخ العرب قبل الإسلام، جورج زيدان، ١٦٣.
٣ - نفسه، ٣٠. والجدير بالذكر هنا أن كلمة الطيب تعني الذهب لدى بعض اليمنيين، ولا تزال مستخدمة إلى فترة قريبة في حضرموت والمهرة.
٤ - اليمن الخضراء، سابق، ٢٠٤.

وذكر موسكاتي أن اليمنيين كانوا يبذلون عناية كبيرة بالبناء في تزيين الجدران والأعمدة
بفصوص من الذهب أو غيره من المعادن التي كان جنوب الجزيرة غنيا بها.^١

ويقول المستشرق عبدالله فيليبي^٢: "إن مشاركة أهل بلاد العرب الجنوبيّة في بناء الحضارة
الإنسانية أمر لا يكاد يمكن في وصفه المغالاة.. وقد يحسن بنا أن نذكر أن بلاد العرب
الجنوبيّة على أقل تقدير طوال ألفي عام السّابقة لظهور محمد قوة من القوى العظيمة
على الأرض، لها أعمالها التجارية والفكرية، ثم غدت بعد ذلك من قُطب الرحي من
امبراطورية عالميّة عظيمة، تم لها بوحى الإسلام ومتابعته، فحملت مشعل المعرفة، متوقدة
في عهود كان يغمر فيها الظلام في أوربا، ولكنها قد نسيت ماضيها، أو انصرفت عن
تقدير ما قامت بإنجازه من أعمال في قديمها العتيده..^٣

وبين يدينا جزء من قصيدة شعرية للشاعر الروماني برسكاني، يذكر فيها جانبا من
حياة اليمنيين ورفاههم، ومقدار الذهب المتدفق بين أيديهم. يقول النص:

وذلك أن الأرض الغنية تقدم الغذاء لشعوب سعيدة.

تظهر العطور ذات العبير الرائع من الزهور المتنوعة

لأن اللبان والمر يزدهران مع البخور الرائع

وكذا شجرة السنط، طيبة الرائحة

والقرفة التي يفوح عبرها في الفضاء ليدخل الأنوف

والأرض الخصبة تنتج هذا. وهناك مناجم الذهب

وهؤلاء الناس يرتدون الثياب الموشاة بالذهب

يخدمهم عبيدهم وأولادهم ينعمون

١ - الحضارات السامية القديمة، موسكاتي، سابق، ١٩٨.

٢ - اسمه الحقيقي جون فيليبي، ولتحويل اسمه إلى عبدالله قصة سيّاسيّة مرتبطة بالملك عبد العزيز بن سعود.

٣ - اليمن الخضراء، سابق، ٢٠٤.

وهم يسرفون ويستخدمون الذهب بشكل يثير غضب الصدور.
وثمة نص آخر لشاعر آخر "ديونيسيوس"، يقول عن حياة اليمينيين القدماء
ومعاشتهم:

ومن ثم، وحتى يومنا هذا توجد حقول مثمرة بالبخور
وجبال متميزة بالذهب، وأنها تفيض بالعطور
أما السكان أنفسهم فهم يمتازون أنهم شعب منعم
يرفلون في المشغولات الذهبية والثياب الناعمة.^١

وقد ذكر القلقشندي عن اليمينيين القدامى ما نصه: "إن لأهل اليمن سيادات بينهم
محفوظة، وسعادات عندهم ملحوظة، ولأكابرها حظّ من رفاهية العيش والتنعم والتفنّن
في المأكّل، يطبخ في بيت الرجل منهم عدّة ألوان، ويعمل فيها السكر والقلوب، وتطيّب
أوانيتها بالعطر والبخور، ويكون لأحدهم الحاشية والغاشية، وفي بيته العدد الصالح من
الإماء، وعلى بابه جملة من الخدم والعبيد والخصيان من الهند والحبوش، ولهم الدّيارات
الجليلة، والمباني الأنيقة، إلا الرّخام ودهان الذهب واللازورد، فإنه من خواصّ السلطان،
لا يشاركه فيه غيره من الرّعايا.^٢

الإنسان اليمني متفنن بطبعه، لم يكتف بهندسة الحجارة وصقّها وتزيينها؛ بل اهتم
بالألوان كذلك، وبالمظاهر الخارجية للبناء، فاتخذ الحجارة الملونة للبناء، وكون منها مناظر
متعددة الألوان، محاكاة للطبيعة، وكسا السقوف والأبواب والأعمدة وبعض الجدران
بصفائح الذهب والفضة، وبالحجارة الكريمة وبسن العاج^٣ والأخشاب الغالية الثمينة،
فأكسب البناء روعة وجمالا وخشوعا، واستعمل الرخام لكساء أوجه الجدران أو في فرش

١ - انظر: الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة.. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيط، رضا عبد الجواد كمال
رسلان. ٣٠.

٢ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٥/٧.

٣ - العاج مادة ثمينة، تُتحت وتُصنع من أسنان الفيلة.

أرض الغرف والمعابد؛ ليكسبها بهجة وجمالا، واستعمله ألواحا رقيقة تزخرف بالصور والنقوش، لتعبر عن مباحج الحياة.^١

اللباس والزينة

تعكس الملابس - فيما تعكس - حالة الغناء والفقر في أي مجتمع من المجتمعات، فهي المؤشر الخارجي الأول على مكانة الشخص ومستواه الاجتماعي. وقد أشرنا في مبحث سابق عن الملابس اليمنية من حيث صناعتها وجودتها وبالتالي ارتفاع قيمتها، حيث كانت هدايا الملوك وعلية القوم في الجزيرة العربية وخارجها، من برود وحلل وعصب ووشي وعمائم وأردية^٢. وقد ذكر ابن سعد في طبقاته أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان يلبس بردا يمانيا، ثمنه مئة درهم^٣. ومن المعروف أن عثمان بن عفان إلى جانب كونه خليفة المسلمين الثالث، فهو أيضا تاجر؛ بل من كبار تجار عصره وأكثرهم بذكًا ورفاها.

لقد عرف اليمنيون قديما القمصان المزركشة برسوم نباتية وأخرى هندسية، كما عرفوا قمصانا أخرى غير مزركشة أو مخططة، وجميعها تعكس الرخاء المادي الهنيء، ويمكن مشاهدة هذه القمصان على مناظر طقوسية منحوتة على أعمدة معبد "نشان" وتمثل رجالا في أوضاع مختلفة، وجميعهم يرتدون قمصانا تغطي البدن بصورة فضفاضة، من الرقبة حتى أعلى القدمين، ولها أكمام طويلة أو قصيرة، وفتحة رقبة مستديرة واسعة^٤.

١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، سابق، ٢٦/٢.

٢ - البرود: قطعة قماش تنسج من الصوف، وتكون مربعة أو مستطيلة الشكل. وقد تُزين بجواشي لها أهداب. الحلل: جمع حلة، وهي إزار ورداء. وقيل إزار ورداء وتامهما العمامة. العصب: بفتح ثم سكون، من الثياب المخططة، بعضه للرجال، وبعضه للنساء. والرداء: الغطاء الكبير، وكان يلبس فوق الملابس.

٣ - الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صابري، بيروت، ط: ١، ١٩٦٨م، ٣/٥٨.

٤ - انظر: الملابس في اليمن القديم، دراسة من خلال التماثيل والآثار، رسالة ماجستير "محمد عوض منصور باعليان، جامعة عدن، ٢٠٠٧م، ٨٩.

وثمة منحوتات أخرى كثر عليها أنواع أخرى من القمصان المخططة وغيرها من أوسانية وقتبانية وحميرية وغيرها.

وقد عد بعض الباحثين ستة وثلاثين نوعا من أنواع المنسوجات اليمنية، وعلى الأقل فهي تمثل حينها بمفهوم اليوم ستة وثلاثين مصنعا أو شركة منسوجات على امتداد اليمن، كما ذكرتها المصادر، وهو ما لا نجده اليوم للأسف، وهذه الأنواع:

اليمانية، البرود، الأتحمي، الخال، الحبرة، العصب، الجندية، النجرانية، السعيدية، التزيدية، المعافرية، السحولية، العدنية، الحضرمية، الحميرية، الصيرية، الحشانية، المراحل، المراحل، الوصائل، الحلل، الشرعية، الزيدية، المناديل اليمنية، الملاحف اليمنية، الفوط اليمنية، الخوخة اليمنية، الجبة اليمنية، المطرف، المعجر، المهاجري، الشوب، النقب، شقق الحمراء، السباعيات، البيروم.^١

وهناك عشرات الأنواع الأخرى من القطع والمنسوجات الأخرى التي تفنن اليمنيون في صناعتها وفي لبسها، وأيضا في تصديرها وبيعها في أسواق الجزيرة العربية وخارجها.

وإلى جانب ملابس الرجال بتلك الجودة والجمال أيضا ملابس النساء وزينتهن التي تعكس حالة الثراء والرفاه الاجتماعي، وأيضا رقة الذوق والجمال في طبيعة هذه المشغولات اليدوية وسومها وأشكالها. فقد كانت المرأة ترتدي سروالا فضفاضا، وقميصا مطرزا مشقوقا من الرقبة، وكانت إذا خرجت من بيتها ترتدي الحبرة، وهي ملاءة طويلة تغطي جسمها. كما كانت أيضا تستخدم الخمار والبراقع التي تغطي الوجه، وقد اشتهرت منطقة جيشان بصناعة الخُمُر والبراقع.^٢

١ - انظر المنسوجات اليمنية في العصر العباسي، علي سعيد سيف محمد، الندوة العلمية الخامسة، كلية الآداب، الرياض، ورقة عمل، ٥٥٩. وانظر أيضا: فن النحت في الجزيرة العربية منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الثالث قبل الميلاد، أحمد محمد سعيد، أطروحة دكتوراه، جامعة حلوان، ٢٠٠٩م، ٢٤٦.

٢ - انظر: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد اليمن في العصر الأموي، رحمة أحمد موسى الزهراني، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠٠٣م، ٢٧٥.

تسريحات الشعر

شعر المرأة جزء من جمالها، والعناية به دليل المكانة والحالة الاجتماعية والثناء المادي. وقد دلت النقوش اليمنية على أكثر من حالة لتعامل النساء مع شعورهن "فكان الشعر يُسرح مُرسلا على جانبي الرأس بمفرق في الوسط، أو ينساب إلى الخلف على الظهر، وكانت بعض النسوة ينثرن شعورهن على الكتف وأعلى الظهر، وبعضهن يظفرن في جدائل طويلة تتدلى على مقدمة الصدر، إلى جانب ترجيل الشعر في خصلات مستقيمة إلى الخلف، تتدلى فوق أعلى الظهر، خاصة عند نساء قبان. وهناك طريقة تصفيف استخدمتها النسوة اللاتي صورن على اللوحات النصفية. معبودات. وهي أن يجدل الشعر في ضفيرتين كبيرتين على جانبي الرأس، ثم تلف هاتان الضفيرتان إلى الخلف باتجاه متعاكس وتجتمعان خلف الرأس ربما بمشبك"^١

وإلى جانب هذه الوضعيات المذكورة في التعامل مع الشعر، ثمة حالة تبدو أنها مما تأثرت به الحضارة اليمنية القديمة كما أشار الباحث عليان إلى ذلك، وهو تجديد الشعر ولفه^٢ حول أعلى الرأس، مائلا قليلا إلى الخلف.

وضمن أغطية الرأس عند السبئيات والحميريات ما عرف بالعجار، وهي قطعة قماش سميقة تطوق الرأس من الخلف، ثم يُجمع طرفاها بعقدة كبيرة على مقدمة الرأس، وغيرها من الأغطية.^٣

ومن مظاهر الزينة عند النساء الطيب والكحل والتخضب بالحناء في الأيدي والأرجل، ولبس الحواتم والأقراط التي كانت تُصنع من العقيق والجزع والخرز والذهب والفضة. ويذكر ابن سمر الجعدي أن امرأة قدمت من اليمن مع ابنتها إلى الرسول صلى

١ - الملابس في اليمن القديم، سابق، ١٧٠.

٢ - التجديد فتل الشعر وضره بإحكام وعناية.

٣ نفسه، ١٧٠.

الله عليه وسلم، وفي يدها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها النبي: تعطين زكاة هذا؟ فقالت: لا. فقال: أيسرك أن يسورك الله بسوارين من نار؟ فخلعتها، وألقتها على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقالت: هما لله ولرسوله.^١

وكان الرجال أيضا يشاركون النساء في بعض المظاهر الجمالية كالكحل والطيب والتخضب بالحناء وخاصة صبغ شعر الرأس واللحية بالحناء، حريصين على جمال مظهرهم وهيئاتهم، وقد أشار ابن سعد في طبقاته أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعجب بحسن هيئة وفد النخع الذين قدموا عليه من اليمن سنة ١١ للهجرة.^٢

وتكشف نصوص المسند عن طبيعة العلاقة الحميمة التي كانت تسود البيت الأسري الواحد، كما كشفت بعضها أن الرجل كان يطلق على زوجته لقب "الحبيبة" وهي لفظة تعكس مدى الرقي الاجتماعي والمستوى العقلي الذي توصل إليه اليمنيون قديما، فلم يكونوا يمتنون المرأة أو يحتقرونها كما فعل غيرهم من بعض العرب، وكشف نص آخر "إرياني ٢٤" عن رجل قدم قربانا للآلهة أن تعينه في تحقيق أمنيته في رد زوجته التي ذهبت حانقة إلى بيت أهلها، وهذا يدل على أهمية المرأة، باعتبارها زوجة هنا، ويدل كذلك على حقوق المرأة المصونة، وتبجيلها واحترامها إلى حد تقديم القرابين لعلها ترضى عن زوجها وتتصالح معه.^٣

ليس ذلك فحسب؛ بل لقد نصت القوانين الاجتماعية في اليمن القديم على حرمة أن يأتي الرجل زوجته أثناء حيضها أو في فترة طمثها. ونصت على وجوب التطهر "الغسل" عقب مجامعتها، وإن لم يفعل ذلك وجبت عليه الكفارة.^٤

وتُظهر القطع الفنية التي تم العثور عليها مناظر ورسوما لطبيعة المجتمع اليمني القديم من خلال المرأة؛ حيث تظهر المرأة - كما في تمثال موجود في متحف صنعاء - بكامل

١ - طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت - لبنان، د. ط، ٧.

٢ - نفسه، ٢٧٦.

٣ - انظر: المجتمع اليمني القديم دراسة من خلال المناظر والنقوش، "رسالة ماجستير" وائل فتحي مرسي، جامعة القاهرة، ١١٦.

٤ - نفسه، ١١٧.

زينتها، بشعر ذي ضفيرة خلفية، ترتدي ثوبا مزركشا بألوان، وقد زينت جيدها بطوق مزخرف ونحرها بقلادة مدلاة، ولبست في معصمها أساور ثمينة. كما توجد لوحة يتضح من معالمها أن صاحبها ذا مكانة عالية وقدر رفيع، ولوحة أخرى لأنثى ممتلئة الجسم، ترتدي ثوبا طويلا، وشعرا مرسلا على جانبي وجهها، وزينت عنقها بقلادة عريضة، ورفعت شيئا ما بيدها، ربما كانت قيثارة، وجلست على مقعد ذي مسند مرتفع وعوارض سفلية، ووضعت قدميها على مسند للأقدام، وذلك إشارة إلى علو مكانتها، وقد وقف بجانبها شكلان لجاريتين.^١

وعلى تمثال قديم لامرأة حضرية يظهر تبدو امرأة بشعر مسرح، مضفور، مفروق من بداية الرأس إلى الجانبين من فوق الأذنين، وبلغ تصفيف الشعر ذروته على رأس الفتاة المفروق شعرها، من وسطه الممتد من القمة إلى نهايته في الخلف، وقد سرح بهيئة خصل وظفر عند تهدله على الجانبين، ليلتصق طرفه فوق الكتفين.^٢

وتُظهر لوحة قديمة من معبد نشان السوداء بالجوف صورة لست راقصات تلبس كل منها لباسا قصيرا فضفاضا، تصل أطرافه إلى منتصف الساق، وهن يتجهن برؤوسهن جهة اليمين، وشعورهن مرسلا على الكتف الأيسر في ضفائر محزوزة بخطوط دقيقة.^٣ ويشبه هذا الزي اليوم ما تلبسه الراقصات والمغنيات على المسارح الغنائية من اللبس الخفيف، وهو ما يعكس حالة من التمدن والرخاء الذي كان سائدا آنذاك.

وإلى هذا النوع من اللباس أشار امرؤ القيس في معلقته في وصف حبيبته:

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي بَحْرٌ وَرَاءَنَا عَلَيَّ إِثْرُنَا أَذْيَالٌ مِرْطٌ مُرْحَلٌ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأٍ مُدَبَّلٍ

١ - نفسه، ١٢٢.

٢ - انظر: د. محمد عبدالله بإسلامة، الحضارة اليمنية القديمة والمنقولات الأثرية للخارج، مجلة الإكليل، العدد: ٢٨، ٢٠٠٤م، ٦٧.

٣ - نفسه، ١٢٦.

وتذكر المصادر التاريخية أن المبعوث النجراني اليماني الذي قدم إلى الرسول في المدينة كان يرتدي قماشا مخططا "حبرة" وعباءة مذيلة، حاشيتها بالحريز؛ حيث كان الحريز يُنسج باليمن قبل الإسلام، وله أسواقه وحاكته المعروفون.

النعال

عرف اليمنيون صناعة النعال بأنواعها من وقت مبكر، كالنعال المشعر، والنعال "المطبقة" أي المكونة من طبقتين جلديتين، والنعال السبئية التي اشتهرت بها حضرموت^١، والنعال الملسنة التي تتصف برشاقتها وطول مقدمتها، كأنها لسان، وقد أشار إليه الشاعر بقوله:

لهم أزرُّ حمر الحواشي وأقدامهم في الحضرمي الملسن

وأیضا النعال المخصّرة، وهي نعال حضرمية، تتميز بضيق جانبيها في الوسط، وكأنها ناقصة الخصرين^٢.

وإلى جانب هذا التفنن في التصنيع، أيضا التفنن في الألوان؛ حيث كانت تصبغ هذه الأحذية بمختلف الألوان، ومنها اللون الأحمر، الأشهر في عمل الأحذية، والمستخرج من مادة "اللك" وإلى هذا اللون نسبت النعال "اللكية"^٣.

١ - السبئية بتشديد السين وكسرها، نوع من النعال يصنع من الجلد المدبوغ بالقرظ، وهو ناعم، بلا شعر، ويلبسها التجار والميسورون. وفي سنن أبي داود والنسائي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يلبس النعال السبئية" ولا يزال لهذه اللفظة استخدام إلى اليوم في حضرموت وفي بعض مناطق تعز. وإلى هذا النوع من الأحذية أشار قطرب في مثلثته الشهيرة بقوله:

حمدتُ يوم السبت إذ جاء محذي السببت على نبات السببت في المهمة المستصعب
بالفتح يوم وإذا كسرتة فهو الحذا والضم نبت وغذا إذا مشى في الربرب

٢ - الملابس في اليمن القديم.. دراسة من خلال التماثيل والآثار، محمد عوض منصور باعليان، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٧م، ١٠٩.

٣ - نفسه، ١١٠.

وتكشف الكثير من القطع الأثرية عن أنماط عدة من النعال اليمنية القديمة التي تعكس دقة عالية ومهارة بديعة في الصناعة والتلوين، وهي عشرات الأنواع والأشكال بالعديد من الألوان التي أبدعتها الصناعة اليمنية قديماً.

ومما يؤسف له أن اليمنيين في الزمن القديم تفننوا في ملابسهم وهيئاتهم، ومن بين ذلك نعالهم، إلى حد صناعة أحذية نسائية مغايرة للأحذية الرجالية؛ لكنهم بدوا في القرن العشرين حفاة عراة، بفعل سياسة الإمامة الرعناء التي مسخت حضارة اليمني وتمدنه وأحالتة إلى كائن متوحش عن عمد وسبق لإصرار.

غطاء الرأس

تكشف الكثير من اللوحات القديمة عن أن المرأة اليمنية القديمة كانت تغطي رأسها؛ حيث استخدمت نساء سباً قطعة قماش تشبه الطاقية المقببة، وضعت فوق الرأس بشكل مائل إلى الخلف، وانساب الشعر من تحتها إلى جانبي وخلف الرأس. وعلى اللوحات المزخرفة على الحجر كانت النساء يعلو رؤوسهن تاج مزخرف بخطوط مائلة ومتقاطعة، حصرت بينها أشكال هندسية، وبدت من بعيد وكأنها محببة أو مفصصة، ويمتاز هذا التاج بحواف جانبية مائلة للخارج.. وبحلول العصر الميلادي استخدمت السبنيات "العجار" وهي قطعة قماش سميكة تطوق الرأس من الخلف، ثم يُجمع طرفاها بعقدة كبيرة على مقدمة الرأس، وأحياناً كان الرأس يُغطى بطرف عباءة تتلفع بها المرأة على جسدها، وتجمع تلايب تلك العباءة من الأمام.^١

وعند النساء القتبانيات ظهر نوع من عصائب الرأس يغطي الشعر وينساب أطرافها من الخلف ليستر مؤخرة الرأس، ورُمز إليها في بعض التماثيل بخطين يدوران حول أعلى الرأس، خاصة على المنحوتات الحجرية.. وكان سطح العصابة يُزين فوق الجبهة بشرط

من الحلي، تتدلى منه حلقات صغيرة، وبعض تلك العصائب تغطي الرأس، وتظهر بسطح مستو أفقي من أعلى. وعند الحضرميات في اليمن القديم أظهرت الرسوم الجصية الملونة على جدران القصر الملكي في مدينة شبوة نوعا من غطاء الرأس، على هيئة ثنيات كثيفة من القماش، تلتف حول الرأس على شكل طيات أفقية، فوق بعضها البعض، وتُجمع أطرافها على الجانب الأيسر من الرأس، وربما تُربط بواسطة مشبك.^١

ولا تزال بعض من هذه الأنماط سائدا إلى اليوم في بعض الأرياف اليمنية، كطريقة متوارثة جيلا عن جيل.

العمارة والبناء

لا عجب أن يبلغ اليمانيون من الأبهة والمجد والرفاه أن يعمل أحد ملوكهم، وهو أسعد الكامل على تعبيد الطريق من مقر إقامته في أرض يحصب بظفار "إب حاليا وتحديدًا يريم منها" إلى مكة المكرمة، بل عمل على "تبليطها" بالأحجار المصلولة إلى هناك، ولا تزال بعض من مقاطع هذه الطريق تُعرف باسمه إلى اليوم، كصلول "خيوان" من بلد حاشد، ونقيل الغولة المطل على البون من همدان، وأيضا طريق أسعد الكامل التي لها بقية اليوم في بلاد عسير!^٢

وقد ذكر الله عز وجل عمارة اليمنيين وإبداعاتهم في كتابه الكريم بقوله: (أتبنون بكل ربيع آية تعبتون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون).

وفي هذا يقول علقمة بن ذي جدن:

عمرت حمير تشيد قصورا من رخام ومرمر وسلام
نشرت في ذرى الهوا إلى النجد م، فنطقن بالعمى والغمام

١ - نفسه، ١٧٢.

٢ - اليمن الخضراء مهد الحضارة، سابق، ٢٤٣.

تخذوا الصخر في الجبال بيوتا بهموها بقوة وعـرام
فإذا ما نظرت آثارهم قلت أراي رأيت ذا في المنام

وابتدع اليمينيون أنواع البناء المثلث والمربع والمكعب وذات الأضلاع والأنحاء والهرمي
والمخروط الشكل، وخاصة أبنية المعابد وقصور الملوك التي تميزت بنمط خاصة من الفرادة
والإبداع.

ويضيف الأكوخ عن فنون البناء اليمني: " وإلى جانب هذه الإجادة الفنية أجاد في
زخرفة السقوف والحيطان والأبواب والكوى والأفاريز.. وكانت هذه الزخارف مكملة
للبناء الخارجي والداخلي، مجملة له، وحيناً قد تُطعم بالصدف وسن العاج.. وتارة تطعم
بالذهب الخالص والأحجار الكريمة، وكانت الزخرفة عادة بزهر الزئبق، أو بسائر الزهور
وأنواع الزركشة؛ أما الأعمدة فكانت تزخرف بصفائح الذهب والفضة.."^١

ووصف المؤرخ جورجي زيدان السبئيين وتجارهم بقوله: " .. ولم يكن عالم التجارة
يستغني عنهم، فزهت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتدت سيادتهم إلى أطراف الجزيرة شمالاً
وشرقاً، واحتفروا الترع وبنوا السدود وحولوا الرمال إلى تربة خصبة، وبنوا القصور والمحafd
والهياكل، وتفننوا بتزيينها وزخرفتها، وشادوا حولها الأسوار، واغترسوا الحدائق حتى صارت
البادية التي يهلك سالكها من العطش الآن جنة أهلة عامرة.."^٢

مسهباً القول عن تمدن اليمنيين القدامى بقوله: " .. وقد رأيت أنهم كانوا أهل تمدن
ودولة لا تقل عن دول معاصريهم في أشور وفينيقية ومصر وفارس، فابتنوا المدن وشادوا
القصور والهياكل وتبسطوا في العيش مثلهم؛ لكن تمدنهم لم يكن حربياً، كتمدن الآشوريين
والفرس والمصريين؛ بل كان تجارياً كتمدن الفينيقيين، فكانوا واسطة التجارة بين الشرق
والغرب، والشمال والجنوب في عهد ذلك التمدن، فانقطعوا لأعمالهم، وتفرغوا لاستثمار
أرضهم بغرس الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والأطياب، وركوب القوافل في

١ - نفسه، ٢٢١.

٢ - العرب قبل الإسلام، جورجي زيدان، ١٢٠.

القفار والسفن في البحار لنقل السلع، وتوالت أجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم..".^١

ولذا فلم يكن الشاعر اليمني القديم مجانباً للصواب حين قال:

ومارب قد نطقت بالرخام وأبوابها الذهب الأحمر

وما يؤكد ذلك ما رواه المؤرخون عن وفد كندة الذين قدموا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في السنة العاشرة للهجرة، برئاسة الأشعث بن قيس، وكانوا يلبسون الديباج والحريز، فأسلموا، ونهاهم النبي عن ذلك، فتركوه.^٢

وفي ريفنا اليمني كان الرجال يتختمون بالذهب إلى وقت قريب، كعادة اجتماعية متوارثة عن الحميريين، حتى تركوها مؤخرًا، استنادًا إلى التوجيهات الدينية التي تنهى الرجال عن لبس الذهب.

١ - نفسه، ١٣٥.

٢ - اليمن في تاريخ بن خلدون، محمد حسين الفرح، وزارة الثقافة والسياحة، د. ط، ٢٠٠٤م، ٢٤٤.

المرأة في الحضارة اليمينية القديمة

يكاد يكون وضع المرأة في أي مجتمع محددًا رئيسيًا لطبيعة هذا المجتمع وحالته، باعتبار أن التعامل مع المرأة يعكس الوجه الحقيقي لأي أمة أو حضارة أو مجتمع، باعتبار المرأة شقيقة الرجال، ما أكرمها إلا كريم، ولا أهانها إلا لئيم كما في الأثر؛ وباعتبار المجتمعات الذكورية المتأخرة كليًا أو نسبيًا في الوعي وفي التمدن تنتقص من قدر المرأة وقيمتها، كما تنتقص من حقوقها المشروعة؛ بل أحيانًا من حقوقها الطبيعية، فتبدو المرأة أكثر ضعفًا وأكثر تخلفًا في المجتمع المتخلف والضعيف كما أشار البردوني إلى ذلك.

كانت المرأة عند الإغريق مخلوقًا شريرًا، وكانت محتقرة مهينة، باعتبارها . من وجهة نظرهم . رجسا من عمل الشيطان، وكانت كسقط المتاع تُباع وتشتري في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال، أو حق التجارة والتصويت الانتخابي، والعجيب أن هذا الاعتقاد السائد لم يكن مقتصرًا على العامة والجهلة من الناس فقط؛ بل حتى على النخبة وعلى الفلاسفة، فعند اليونان مثلاً، ومما ينسب للفيلسوف أرسطو عن المرأة: "إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يُعتمد به؛ ولذلك يجب أن تقتصر تربيتها على شؤون التدبير المنزلي والأمومة والحضانة وما إلى ذلك، ثم يقول: ثلاثة ليس لهم التصرف في أنفسهم: العبد ليس له إرادة، والطفل له إرادة ناقصة، والمرأة لها إرادة وهي عاجزة". وقد قال: إن المرأة رجل غير كامل، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة. وهو القائل: إن المرأة للرجل كالعبد للسيّد، والعامل للعالم، والبربري لليوناني، وأن الرجل أعلى منزلة من المرأة.

وعند الرومان: اعتبرت المرأة متاعاً مملوكاً للرجل وسلعة من السلع الرخيصة يتصرف الرجال فيها كيف يشاؤون، وكان يعتبرها الرجال شراً لا بد من اجتنابه، وأنها مخلوقة للمتعة، وكانت دائماً خاضعة للرجل أبا كان أو زوجا، وكان الرجل يملك مالها؛ فهي - في نظره ونظر الرجال ونظر المجتمع كله - أمة لا قيمة لها، وكان بيد أبيها وزوجها حق حياتها وحق موتها، وإذا كانت ملك أبيها في شبابها فهو الذي يختار لها زوجها، فإذا تزوجت ملكها زوجها، وفي ذلك يقول جايوس: توجب عادتنا على النساء الرشيدات أن يبقين تحت الوصاية لخفة عقولهن!!

وعلى الرغم مما عرفت به روما من التشريعات القانونية القديمة إلا أنها أغفلت جانب المرأة تماما، وتركتها هملا لسطوة العادات والتقاليد التي تتناهشها بلا رحمة، إلى حد وضع قفل على فمها، منعا لها من الكلام، كونها أداة غواية، يستخدمها الشيطان في الاستحواذ على عقول الناس وقلوبهم؛ بل كانت إذا أساءت أو أخطأت ربطوها على ذيل حصان وسحبوها، ثم صبوا على جسدها الزيت الحار، ثم لا يسمحون لها بأن تلبس بعد ذلك إلا لونا واحدا من القماش لا ثاني له كعقاب أبدي على خطيئتها..!

الأعجب في الأمر أن حضارات الشرق الأدنى - وتحديدًا الحضارة الفرعونية والحضارة اليمنية القديمة - هما اللتان كانتا تحترمان المرأة كإنسان مكرم لها ما للرجل وعليها ما عليه، وما عداهما من الحضارات فلم تكن إلا مسخا ليس له حق الحياة الطبيعية.^١

١ - كانت المرأة الفرعونية لها الحق في الإرث وفي التملك، وكانت تتولى أمر أسرتها في غياب زوجها، وكانوا يعتقدون أن المرأة أكثر كمالا من الرجل، وكان الزوج يكتب كل ما يملك من عقارات لزوجته. كما كان الأطفال ينتسبون لأمهاتهم لا لأبائهم، الأعجب أن القوامة للمرأة على زوجها لا للرجل على زوجته، وعلى الزوج أن يتعهد في عقد الزواج أن يكون مطيعا لزوجته في جميع الأمور..!

بلقيس ملكة اليمن

كانت المرأة في الحضارة اليمنية تعيش وضعها الطبيعي بما لها أو عليها، جنباً إلى جنب مع الرجل، دون انتقاص أو ازدراء، على العكس مما كان عليه الأمر لدى الإغريق من يونان ورومان، ليس ذلك فحسب؛ بل لقد تسنمت أرقى المناصب السيادية في البلد، كملكة متوجة تأمر وتنهى، إلى حد أن يقول لها قومها: (والأمر إليك فانظري ما ذا تأمرين)؟! وفي المجال الديني تسنمت المرأة مناصب دينية كبيرة، كما سنشير لاحقاً، ناهيك عن الاشتغال بالعمل العام كالتجارة والزراعة وغير ذلك. وهي حالة تعكس رقياً مدنياً وحضارياً لدى العامة والخاصة؛ لأن مجرد وصول امرأة إلى سدة الحكم ليس بالأمر السهل؛ بل من المستحيل في المجتمعات التقليدية والبدائية، وتاريخياً لم تنل المرأة حقها كاملاً إلا في المجتمعات التي بلغت درجة عالية من الرقي والتقدم فقط؛ ولأن قوم سبأ قد كانوا كذلك فقد وصلت بلقيس إلى ناصية الحكم، ملكة متوجة، تحكم قومها بالشورى الملتية.

حكمت بلقيس بنت إل شرح بن الهدهاد بن شرحبيل بن ذي سحر، في القرن العاشر قبل الميلاد، فيما بين ٩٤٦ - ٩٢٤ ق.م. وقد قص الله حديثها مع نبيه سليمان بن داود في القرآن الكريم مشيراً إلى إسلامها معه لله رب العالمين.

واسم بلقيس - كما يرى المختصون - من الأسماء المركبة تركيباً مزجياً، أي بإضافة كلمة إلى كلمة أخرى، مكون من شقين: "بلق" و "ايس". مثلها مثل كثير من الأسماء آنذاك، كاسم الملك أفريقيس والأميرة السبئية لميس، وكذا اسم رميس وعميس وغيرها.^١

١ - لميس الكبرى بنت نوف، أم أفريقيس بن ذي المنار. وقد ورد الاسم في أحد النقوش بنص: "وبحق إلههم الخاص حجر قح سبدي حصني تتع ولميس وسيد قصر أحرم" ذكر ذلك مطهر الإيراني في: نقوش مسندية وتعليقات، ص ٥١. ونقلها عن المؤرخ الفرخ في الجديد ١/٢٨٨. وفي الإكليل للهمداني قال أبو نصر وجد في ولاية محمد بن يوسف أخي الحجاج من عند عبد الملك بن مروان في بعض قبور الجاهلية باليمن كتاب على قبر جاهلي، فاستخرجت منه سبطاً من ذهب، وفي السبط لوح من ذهب وعظام إنسان، واللوح بالمسند: هذه شمسة ولميس ابنتا تبع. متناً فإننا نشهد ألا إله إلا الله. فلما قرأ الحجاج الكتاب كتب إليه، ويقال إن الكتاب إلى عبد الملك بن مروان والجواب منه: أما بعد، فقد جاءني معنى كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، =

والبلق هو اجتماع السواد والبياض معا، وفرس أبلق خالط بياضه سواد، وكانت من الخيول المفضلة قديما لجمالها، وهذا يعني أنها كانت بيضاء مائلة إلى السمرة. أما ايس: فهو من اسماء الإله الشمس، فاجتمعت الكلمتان، بمعنى أن أصل الاسم هكذا: بلق ايس، بمعنى الجمال المفضل، وكما يرى المؤرخ الفرخ فإن المعنى: ذات الجمال الشمسي، أو ذات الجمال الإلهي.^١ وهناك تحريجات أخرى لبعض المستشرقين من تركيبات الاسم وفقا للغاتهم، قد لا تقترب من الحقيقة، كالفاتة العاشقة، كما يرى مونتجمري وات اليوناني، أو صاحبة الكنز كما يرى المستشرق الفرنسي دارمي.

أما عن مجلسها وحكمها فقد روى الخليفة المهدي بن المنصور عن جده عبدالله بن عباس، قال: كان أولو مشورتها ألف قيل، تحت يد كل قيل ألف مقاتل. وقال قتادة: كانت بلقيس في بيت مملكة، وكانت بأرض يقال لها مارب من صنعاء على ثلاثة أيام، وكان أولو مشورتها ثلاثمئة واثنى عشر قبلا، كل قيل منهم على عشرة آلاف رجل.. وقال مجاهد: كان مع بلقيس ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل، مع كل قيل مئة ألف مقاتل. ثم يضيف: وبلقيس اسمان، جُعلا اسما واحدا، مثل حضرموت: حضر الموت، وبعلبك: بعل بك. وذلك أن بلقيس لما حكمت بعد أبيها الهدهاد قال بعض حمير لبعض: ما سيرة هذه الملكة من سيرة أبيها؟ فقالوا: بلقيس، أي: بالقياس، فسميت بلقيس.^٢

قال تعالى: (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)

وفي الآيات التي سردتها القصة عن بلقيس مع قومها نستنتج الآتي:

١- إشارة إلى طبيعة الحكم الملكي: "تملكهم"

= فإذا وصل إليك كتابي هذا فمر بالعظام أن تغسل، وصل عليها وادفنها، وادفع الكنز إلى بيت المال، ولا تعودن إلى ما صنعت. وأمير المؤمنين يشهد ألا إله إلا الله. والسلام. انظر: الإكليل ٨/١٤٩.

١ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ١/٢٨٨.

٢ - نساء حكمن اليمن، عفت وصال حمزة، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م، ٣٦.

٢. الرخاء المادي والرفاه الاجتماعي: "وأوتيت من كل شيء"

٣. إشارة إلى الديانة الرسمية للشعب: "يسجدون للشمس"

٤. إشارة إلى طبيعة نظام الحكم الشوروي: "افتوني في أمري"

٥. إشارة إلى قوة الدولة: "نحن أولو قوة وأولو بأس شديد"

٦. إشارة إلى اللغة الدبلوماسية الذكية في التعامل "الملوكي" حين سئلت بعد الرحلة:

"أهكذا عرشك؟" فردت: "كأنه هو!!" إذ لم تؤكد ولم تنف في نفس الوقت. وهي نفس اللغة التي كانت مع الهدهد: "غير بعيد!!" فلم يكن قريبا، ولم يكن بعيدا في نفس الوقت. وكأنه جمع بينهما..!

٧. إشارة إلى الهدية في الزيارات الرسمية والمراسيم الملوكية "مرسلة إليهم بهدية"

ونقف هنا عند قوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء)

فإنها بمقابل قوله تعالى على لسان سليمان: (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس

علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء)!!

والواقع أن ما أوتيّه سليمان عليه السلام هو من الله عزوجل، استجابة لدعوته: (رب

هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي)

أما ما أوتيته بلقيس الملكة السبئية بالكسب الحضاري لشعب سبأ، ولم يكن ملكا

أو نعيما عارضا من السماء بلا جهد أو نتاج دعوة.

من ناحية ثانية فإن دلالة السياق عامة، شاملة لكل ما يخطر على البال، "شيء" ..

وشيء: نكرة تامة تفيد العموم، ولا تُقيد بقيد، كما هو معروف عند أهل اللغة.

وقد فصلت التوراة طرفا من الرحلة، مشيرة إلى الهدايا العظيمة التي صحبت بلقيس

وموكبها، ففي سفر الملوك الأول:

١ - كان للملوك التابعة مجلس شورى مكونا من ثمانين قبلا، يسمون: المقاول، وإلى جانبهم ثمانية آخرون يسمون "الأدواء المتامنة" هم الذين يقيمون الملك وينصبونه، كما أن من حقهم عزله أيضا.

١. وَسَمِعَتْ مَلِكَةً سَبَا بِحَبْرٍ سُلَيْمَانَ لِمَجْدِ الرَّبِّ، فَأَتَتْ لِيَمْتَحِنَهُ بِمَسَائِلَ.
٢. فَأَتَتْ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ جِدًّا، بِجَمَالٍ حَامِلَةٍ أَطْيَابًا وَذَهَبًا كَثِيرًا جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. وَأَتَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَتْهُ بِكُلِّ مَا كَانَ بِقَلْبِهَا.
١٠. وَأَعْطَتِ الْمَلِكُ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَزَنَةَ ذَهَبٍ وَأَطْيَابًا كَثِيرَةً جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِثْلُ ذَلِكَ الطَّيِّبِ فِي الْكَثْرَةِ، الَّذِي أَعْطَتْهُ مَلِكَةُ سَبَا لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ.
١١. وَكَذَا سُفُنُ حِيرَامَ الَّتِي حَمَلَتْ ذَهَبًا مِنْ أُوفِيرَ، أَتَتْ مِنْ أُوفِيرَ بِخَشَبِ الصَّنَدَلِ كَثِيرًا جِدًّا وَبِحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ.
١٢. فَعَمِلَ سُلَيْمَانُ خَشَبَ الصَّنَدَلِ دَرَابَرِينَ لِيُنِيتَ الرَّبُّ وَيُنِيتَ الْمَلِكُ، وَأَعْوَادًا وَرَبَابًا لِلْمُعِينِ. لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يَرِ مِثْلُ خَشَبِ الصَّنَدَلِ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.^١
- وفي الإنجيل من حيث عيسى عليه السلام لقومه: "هذا الجيل شرير.. إن ملكة التيمن ستقوم في يوم الدين مع رجال هذا الدين وتدينهم؛ لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وها هو ذا أعظم من سليمان ها هنا".^٢
- "إن ذلك الذكر والتخليد لملكة اليمن، ملكة سبأ، في القرآن والتوراة والإنجيل يدل على أنها أشهر ملكة في تاريخ الإنسانية كلها، فلم يُجمع الكتب السماوية الثلاثة على ذكر ملكة سواها، فنالت الخلود إلى يوم الدين، وكذلك فقد ذكرتها كتب التاريخ، وذكرها العلماء والمؤرخون والأدباء عبر الأزمنة والعصور، فأجمعت على ذكرها السماء والأرض، بما يدل على أنها أشهر وأعظم ملكة في تاريخ الحضارة الإنسانية".^٣

١ - سفر الملوك الأول، الإصحاح التاسع، الفقرات المقابلة. و "أوفير" المذكورة في الفقرة ١١ هي المعافر من تعز، بحسب تفسيرات البعض، فيما يرى آخرون أنها ظفار.

٢ - إنجيل لوقا الإصحاح ١١.

٣ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، الفرح، ١/٢٨١.

وذكرت بعض المصادر أن الملكة بلقيس قد اصطحبت معها حاشية عظيمة من المرافقين والجند والخدم، وحملت معها أغلى وأنفس الطيوب والتوابل والذهب والفضة..
تم تحميلها في ٧٧٩ جملا، وتم تحميل أعداد لا تحصى من البغال والحمير.^١

وفي هذا قال نشوان الحميري شعرا:

أم أين بلقيس المعظم عرشها أو صرحها العالي على الأصرح؟
زارت سليمان النبي بتدمر من مارب دينا بلا استنكاح
في ألف ألف مدجج من قومها لم تأت في إيل إليه طلاح

١ - بلقيس امرأة الألفغاز، سابق، وانظر أيضا الجديد في تاريخ حضارة ودولة سبأ وحمير، ٣١٦.

زواج الملكة بلقيس بابن عمها لا بالنبي سليمان

لبعض الأخبار المغلوطة سريانها في أذهان الكثير وخاصة من العامة أكثر من سريان الحقائق الراسخة نفسها، من هذه الأخبار زواج بلقيس من نبي الله سليمان عليهما السلام التي لم يذكرها القرآن الكريم رغم ذكره قصة الزيارة ببعض تفاصيلها.. ومصدر خبر الزواج كتب القصص والإخباريين غير الثقة، إضافة إلى الأساطير الإسرائيلية نفسها، وزادت أن نبي الله سليمان خلف من بلقيس نجله "منليك الأول" وبسبب اقترانه بها عاقبه الله فأضاع خاتمه وتاه في الصحارى.. إلخ.

وقد جاء في المادة الثالثة من الدستور الأثيوبي الصادر عام ١٩٣١م ما نصه: "يقر القانون أن الشرف الإمبراطوري سيظل بصفة دائمة متصلاً بأسرة هيلاسلاسي الأول، سليل الملك سهلا سلاسي الذي يتسلسل نسبه دون انقطاع من أسرة منليك الأولى ابن الملك سليمان، ملك بيت المقدس، وملكة أثيوبيا المعروفة باسم ملكة سبأ".^١

والواقع أن الملكة بلقيس كانت زوجة لابن عمها "ذو بتع" وإلى زوجها أشار الهمداني شعراً بقوله:

وأنكحنا ببلقيس أخانا وما كنا سواه بمنكحينا

ولم تطلب بذي بتع بديلاً ولو أن تنزّل أتينا

والقيل بتع هو أحد أقبال همدان وقادتها، وآثاره إلى اليوم باقية في منطقة تسمى "حاز". وهنا وبعد هذه الفترة بدأت عبادة الإله "ذي سماوي".

١ - المجتمع اليمني القديم دراسة من خلال المناظر والنقوش، سابق، ٣٥.

برأت.. الكاهنة

لعبت المرأة اليمنية قديماً دوراً مميزاً ورائداً على مسرح الحياة العامة، وفي مختلف المجالات، ولم تكن بلقيس الملكة إلا بلقيس واحدة من بلقيسات كثير، ذكر التاريخ بعضهن وتناسى بعضهن، وإنما طغت شهرة بلقيس الملكة، لملوكيتها، ولكثرته التغني بها، وقد وردت الإشارة إلى ملوكية وأميرية نساء سبأ المتوجات شعراً منسوباً إلى أحد التبايعه، وهو أسعد بتع، يقول:

أولدتني من الملوك ملوك
كل قيل متوج صنيدي

ونساء متوجات كبلقي - س
وشمس أكرم بها من جدود!

وقال علقمة بن ذي جدن عن الأميرة السبئية لميس:

وليس كانت في ذؤابة ناعط
يجي إليها الخراج ساكن بربر

الصامخ الملك المملك بعلمها
ذو التاج حين بلوته والمحضر

ومن هذه النساء التي اشتهرن في اليمن "برأت/ برعت" الكاهنة، زوجة رثد إل، وكذا السيدة "أبجد" قدمت القرابين لآلهة المعبد عندما كانت كاهنة للمرة الثالثة، كما كان في معين بعض الكاهنات يسمين: "لو أتن" بمعنى اللبؤة.^١

وذكر نقش في نص معيني يتحدث عن احتشاد النساء، يتم خلاله اختيار إحداهن، لتصبح عروس "عثتر".^٢

١ - انظر المجتمع اليمني القديم، سابق، ١٢١.

٢ - عبدالله حسن الشيبه، مكانة المرأة في اليمن القديم، مجلة بحوث جامعة تعز، العدد: ١، ١٩٩٨م، ١٠.

ويذكر نقشٌ آخر أن هناك امرأة تدعى "أسيل" تولت منصب "مقتوي" ومؤنثه: "مقتويت"، اختلف اللغويين في تحديد معناه، والأقرب كما يبدو أنه منصب عسكري، وقد قامت بجمع ضريبة العشر التي هي من اختصاص الكهنة، وهو منصب ذو دلالة دينية.^١

وفي أحد النقوش إشارة إلى أن المرأة شاركت في العمليات العسكرية، بدليل أن امرأة تدعى "لبابة" قد حملت السلاح، كوسيلة للإيقاع بجنود القلاع في حرب الملك السبئي "شعر أوتر" ضد الملك "عزبلط" كما في نقش "إرياني ١٣"، وعملت أيضا في التحكيم بين المتخاصمين، وفي إيجاد أحكام سليمة وجديدة للمجتمع.^٢

وكانت المرأة اليمنية في التاريخ القديم، تُتاجر وتملك وتبيع وتشتري وتتقرب للمعابد، كالرجال، لا فرق، ولم تكن الملكية حكرا على الرجال دون سواهم، كما كان الحال عليه في بعض المجتمعات، منها المجتمعات الأغريقية.

ومن خلال اللوحات والرسوم يتضح لنا مقدار الدلال والغنج والرفاه الأنثوي الذي كانت تتمتع به المرأة اليمنية قديما، باعتبار الفن مرآة المجتمع، تنعكس فيه كافة تفاصيل المجتمع الذي يعيشه؛ وقد عكست لنا تلك اللوحات طبيعة حياة المرأة اليمنية بللها الزاهية المرخاة على جسدها، وأيضا الحلبي المنقوش الذي تتزين به، إضافة إلى طريقة التعامل مع شعرها بطريقة فنية راقية، تعكس - فيما تعكس - كل هذه الحالات مدى الرفاه الاجتماعي الذي حظيت به المرأة في اليمن القديم.

وكانت المرأة المفضلة إلى الرجال قديما المرأة الولود، وقد سئلت إحدى النساء من قبل أحد الرجال قديما: من أفضل النساء؟ فأجابت: خير النساء التي في بطنها غلام، وتحمل على وركها غلام، ويمشي وراءها غلام.

١ - أسمهان سعيد الجرو، المبدأ الأخلاقي لحقوق الإنسان في الديانة اليمنية القديمة، مجلة سبأ، العدد: ٩، دار جامعة عدن، ٢٠٠٠م، ٣٨. وانظر أيضا: الأدواء والأقوال، دراسة في التاريخ اليمني القديم، أزهار كامل ناصر، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ٢٠١٤م، ٣٣.

٢ - انظر: فتحية عقاب، دور المرأة في المعبد في الجزيرة العربية، مجلة الدارة السعودية، العدد: ٣، ١٤٣١هـ -، ٥٩.

ولم تكن مكبوتة الحرية، فقد كانت تتمتع بحظ وافر من الحرية الشخصية، فكانت لا تتزوج إلا على من توافق عليه هي وترضاه، وربما اختارته بنفسها، بصداق ومهر كامل، متراضاً عليه، ويختلف من امرأة إلى أخرى، وكانت الزوجة إذا أساء زوجها معاملتها تهجره، وتعود إلى أهلها.^١

وكان الطلاق أمراً قائماً بين المتزوجين كما هو الشأن عليه اليوم، بيد الرجل، وللمرأة الحق أن تطلبه إذا ما رغبت في ذلك، بل لقد كانت بعض النساء تشتترط أن تكون العصمة بيدها ابتداء من قبل الزواج، كما كانت تشتترط سلمى بنت عمرو بن زيد، فكانت لا تتزوج شخصاً إلا وعصمتها بيدها. وكان الطلاق على ما هو عليه اليوم، البائن والرجعي، وتحرم عليه نهائياً إذا ما طلقها ثلاث مرات، وأشد أنواع الطلاق "الظهار" وهي قول الرجل لامرأته: "أنتِ عليّ كظهر أمي". وأيضاً الإيلاء، وهو الطلاق المؤقت لأيام أو شهور أو سنوات. وكانت المرأة قديماً تعتد بعد طلاقها، أو بعد وفاة زوجها.^٢

أسماء بنت شهاب الصليحي

برزت في الفترة الإسلامية بعض النساء اللاتي خلد ذكرهن التاريخ، وقد لعبن أدوراً بطولية رائدة رغم العوائق والمثبطات والقيود التي لاقتها المرأة ولا تزال، من أكبرها تأويلات وتفسيرات الفقهاء لنصوص الدين المتعلقة بالمرأة؛ حيث جعل بعضهم منها قيوداً جديدة على المرأة حالت دون إبداعها وتميزها..

كانت أسماء بنت شهاب الصليحي ذات جمال وجاه، كما كانت أديبة وشاعرة فصيحة وكريمة اليد، ففتن بها ابن عمها الأمير علي بن محمد الصليحي وطلبها لنفسه،

١ - جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، د. أحمد أمين سليم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ٢٥٤.
وانظر أيضاً المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥/٥٢٧.

٢ - نفسه، ٢٥٦.

ثم تزوجها بعد لأي ومشقة، وكانت بعد ذلك بمثابة المستشار الأول أو الوزير الأول
لزوجها علي بن محمد الصليحي، حاكم اليمن، ويقال إن خطباء الجوامع كانوا يدعون
لها في خطب الجمعة جنبا إلى جنب مع زوجها الملك، وذلك لشهرتها ولكرمها الذي
عرفت به، وقد كانت نهايتها مع زوجها بئسة على يد النجاشيين في زبيد الذين كمنوا
لزوجها في رحلته للحج، فقتلوه، وسبوها، وظلت في الأسر في زبيد حتى جاء ولدها
المكرم وأنقذها، وطرد الأحباش من زبيد. وفي ذلك قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي:

عودة أسماء إلى قصرها بعد فراق الملك الأوحده
وبعد عوصاء الخطوب التي رمت بني قحطان بالمؤيد
كرجعة الشمس وقد جنها دجن وسربال دجى أسود
فيا لها من نعمة أصلها بأس ابنها باني العلا أحمد^١

١ - انظر: نساء حكمن اليمن، سابق، ١٣٥ فما بعدها.

الملكة أروى بنت أحمد الصليحي

لم يقتصر تكريم المرأة اليمنية على الحضارة القديمة قبل الإسلام فحسب؛ بل كانت الروح متقدة والوهج مستمر كامن في الوجدان على الرغم من التراجع الحضاري والانحدار المجتمعي الذي كان قد شهدته اليمن منذ فترة ما قبل الإسلام؛ لذا واصلت المرأة اليمنية دورها الريادي في مختلف المجالات، بما في ذلك السياسة، فكانت أروى بنت أحمد الصليحي ملكة اليمن في القرن الخامس الهجري، كما كانت جدتها بلقيس كذلك قبل حوالي ألفي عام. وهي نفسها المسماة سيدة في بعض الروايات. وكما كانت بلقيس موضع تقدير قومها، وشهد عصرها رخاء كبيراً، كذلك كان الشأن مع الملكة أروى بنت أحمد الصليحي التي كانت موضع تقدير واحترام قومها، وشهد عهدها من الرخاء الاقتصادي، والازدهار السياسي ما لم تشهده العصور اللاحقة بعد ذلك عدا فترة حكم الدولة الرسولية فقط، أما ما عداه فدون ذلك العهد بكثير^١.

وتروي المصادر التاريخية أن اشتغال الملكة أروى بنت أحمد الصليحي بالسياسة وتدبير الحكم كان منذ عهد حميها علي الصليحي، إذ كانت أشبه ما تكون بالمستشارة، ولما مات الملك علي الصليحي وورث العرش عنه المكرم الصليحي كانت أيضاً كذلك، بل لقد زادت خبرتها فزاد حضورها السياسي في تدبير شؤون المملكة وتصريف الحكم إلى حد عزوفها عن الحياة البيئية والعائلية، ولما عاتبها زوجها على ذلك، أجابت: إن المرأة التي تصلح للحكم لا تصلح للفرش.

"وشرعت تحكم البلاد من صنعاء إلى حضرموت، ثم البحرين فاهلند، وتسير الجيوش بتفويض من زوجها المكرم. وفي رواية أن المكرم كان منغمساً في اللهو والترف وسماع

١ - أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، ولدت سنة ٤٤٤هـ-، وتزوجت بالأمرير المكرم أحمد سنة ٤٦١هـ- في وقت حكم أبيه الملك علي محمد الصليحي، وكانت فائزة كاتبة حكيمة، تحفظ الأشعار وتقرأ التاريخ، أقامت مع زوجها بصنعاء فترة بعد أن تولى الحكم، ثم أقنعت بالعودة إلى جبلة في إيب عام ٤٧٧هـ- وظل متردداً ثلاث سنوات حتى عاد بصورة نهائية عام ٤٨٠هـ- وقد استخلف على صنعاء ابن عمه الأمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي.

الموسيقى.. فطلت أروى عاكفة على تدبير شؤون الملك بكل إخلاص حتى وفاة زوجها المكرم".^١

إن فترة حكم الملكة أروى من أزهى فترات التاريخ اليمني، ولا تزال الذاكرة الشعبية، ناهيك عن كتب المؤرخين تحكي قصصا ومرويات خيالية، تأسطر بعضها حتى اختلطت الحقيقة بالخيال، ذلك لأنها كانت على قدر كبير من العلم والفقه والتأدب، مضافا إليها الخبرة السياسية والبيئية الملوكية التي نشأت فيها "وقد حكمت أروى حُكما مستنيرا، وسعت إلى تنمية اقتصاد البلاد ورفع مستوى المعيشة؛ لأن الاقتصاد في نظرها ذو أهمية كبرى لا تقل عن أهمية الدفاع وتثبيت الدولة سياسيا، ولعل في طريقة اختيارها للعاصمة ذي جبلة أفضل برهان على ذلك المبدأ، فقد اختارت المنطقة التي عكف سكانها على زراعة الأرض واستغلال خيراتها والانشغال في تنمية اقتصادهم، وتركت المدينة التي نزع أهلها نحو إثارة المشاكل واستخدام العنف والتستر وراء السلاح. ولكي توفر لشعبها متطلباته من اللحوم والأجبان والألبان اهتمت برعي الماشية وتحسين نسلها، وأقطعت أراضي واسعة للمزارعين لرعي البقر فيها. ثم مهدت سبيل التجارة، وذلك بفتح الطرق وتمهيدها، واهتمت بالتعليم، فأنشأت الكثير من المدارس والمساجد ووسعت جامع صنعاء.. وشيدت مسجد الضربة في بلاد يريم والمسجد الجامع في ذي جبلة، كما بلطت مدينة جبلة بالأحجار والقضاض، وشقت طريق سمارة إلى السباني وتعز، وغيرها من المحاسن والمساجد ومعاهد العلم والوقفات الكبيرة والصدقات ورواتب العلماء والمرشدين والمدرسين، واهتمت بإيصال المياه من خنوة إلى مدينة الجند، وأنفقت أموالا كثيرة في شق الجبال وإقامة الأعمدة والكضائم، وفي زمنها حفرت الترغ والقنوات، وكانت خزائنها مترعة بالذهب..".^٢

١ - نساء حكمن اليمن، سابق، ١٦٩. وتعلق المؤلفة بأن انغماسه في اللهو والطرب كان في أواخر حياته حين مرض ولم يعد يقوى على تصريف أمور الدولة.

٢ - نفسه، ١٨٩. والكضائم قنوات المياه تحت الأرض، يتحكم الناس بتدفقها بواسطة غرف تفتيش خاصة يتم سدها بالكثيمة أو فتحها حسب الحاجة.

لقد كانت أروى بنت أحمد الصليحي شعبية الانتماء رغم وراثتها للعرش، فلم تتميز بالمكاسب والإقطاعات، وإنما بعبء المسؤولية، وكانت بالقياس إلى الملكات والملوك شعبية العيش، ملكية القلب.^١

وقد توفيت سنة ٥٣٢هـ بعد حياة حافلة بالعطاء والإنجاز والرخاء. ولا تزال في عمق الذاكرة الشعبية اليمنية إلى اليوم فنارا مضيئا، جنبا إلى جنب مع الملكة بلقيس، ذات التاريخ الخالد.

والخلاصة فيما يتعلق بالمرأة في التاريخ القديم

١- اعتز الرجل اليمني القديم بزوجته، وجعلها وريثة، وتمنى أن يرزق منها بالأبناء، وأوصى بدفنها في مقبرته.

٢- كان للمرأة اليمنية حق التملك، فكان لها المنزل والتجارة، وحتى ملكية المقبرة، مثلها مثل الرجل في كل هذه الأمور.

٣- تزوج الرجل اليمني - خاصة التجار المعينين - من زوجات غير يمنيات من دول عديدة، دخلها معظمهم تجارا، وسجلوا زواجهم في عقود، ووضعوا وثائق تثبت هذا الزواج وتباركه في المعابد.

٤- وصلت المرأة اليمنية إلى الحكم، وتلقبت زوجة الملكة بلقب الملكة، وعاشت في القصر الملكي.

٥- شغلت المرأة اليمنية وظائف هامة في الدولة، وكان من ألقاب وظائفها خازنة بيت المال، وكان من وظائفها الدينية لقب: "الكاهنة".

٦- اهتمت المرأة اليمنية بزيتها وملابسها، فتنوعت موادها وأشكالها، وظهرت الرموز الدينية في زخارف وتشكيل حليها.

١ - اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، ط:٦، ٢٠٠٨م، ٢٦٩.

٧- مارست المرأة اليمنية طقوس العبادة، وسجلت الكثير من النصوص التي تثبت أنها قدمت الذور لمعبوداتها، وكفرت عن أخطائها التي اعترفت بها لمعبوداتها، ومارست حتى الطقوس الشاقة كالصيد الديني الذي يقدم إلى المعبودات.

وهناك نقش باسم امرأة تسمى "جحمة" توصف بـ "ذات يثع أمر" أي صاحبة بيت "يثع أمر" ويثع أمر هو أحد المكربين حكام سبأ. هذا النقش يؤكد أن المرأة أيضا تشارك في الصيد المقدس، فهي تخرج مع الخارجين، وتعسكر في البادية، فيكون هناك صيد باسمها.^١

٨- احتفظت المرأة بعلاقة لم تنقطع مع أهلها بعد زواجها، فانشغلت على أفراد من أهلها، وهي في بيت زوجها، ودعت لهم في معبوداتها أن يزيل عنهم ما بهم من سوء.

٩- كان للمرأة اليمنية صداقات نسائية، حافظت عليها ولو بالمراسلة عبر الخطابات.^٢

١٠- عاشت المرأة حياة البذخ والرفاهية، كما تذكر نصوص المسند؛ حيث وثقت المرأة اليمنية صورة من معيشتها وطبيعتها حياتها التي تتسم بالرخاء والغنى، فقالت بلغتها الحميرية: "أنا شمعة بنت ذي مرثد كُنْكَ إذا وُحْمُكَ أول بانقشم من أرض انهدا بطة زاهدا" أي: أنا شمعة بنت ذي مرثد، كنتُ إذا وحثتُ أحضر القشم من أرض الهند بطة طرية".^٣

١ - انظر: أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، ٦٤.

٢ - انظر: المرأة في اليمن القديم، فتحي عبدالعزيز الحداد، ٤٥٣. بي دي اف.

٣ - مجلة الإكليل العددان الأول والثاني (٢٠ - ٢١) للسنة الثامنة ١٩٩٠م. إبراهيم محمد الصلوي، ٨٤. والكاف هنا دالة على ضمير المتكلم.

التشريعات في الحضارة اليمنية القديمة

في البدء . وقبل الولوج في قراءة هذه النصوص القانونية الحميرية . يجب التنويه إلى عدة نقاط مهمة تمثل مدخلا لفهما بأفق أوسع، وهي كالتالي:

١. إن هذه القوانين تُنسب لمؤلف مجهول لم تفصح عنها المصادر الاغريقية التي دونت هذه الوثيقة من وقت مبكر، وإنما جاءت ضمن سياق الحديث عن القديس جرجيني الذي كان أشبه ما يكون بالمندوب السامي لطريق الاسكندرية الذي انتدبه لنشر الديانة المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، عطفًا على توجيه الامبراطور البيزنطي جستنيان الأول، والذي كان بناء على طلب ملك الحبشة أصحابه آنذاك، وأشرف على بناء عدة كنائس فيها في القرن السادس الميلادي، ربما كان أحد أهداف هذا التوجه المدرس والممنهج هو القضاء على الديانة اليهودية في اليمن في تلك الفترة، مع أن الانتشار اليهودي لم يكن يمثل أي تهديد لأحد آنذاك، لا على الصعيد المحلي ولا على الصعيد العالمي، لأن اليهودية كانت أشبه بمجاميع متناثرة في المدن دون الأرياف، ولم تكن بالقدر الكافي الذي يؤهلها لتجاوز المسيحية التي تمثل قوة كبيرة آنذاك.

٢. بالتأمل في نصوص هذه القوانين نجدها خليطًا من التعاليم التوراتية والتعاليم النصرانية، خاصة وأنها تحمل روح الوصايا العشر في العهدين القديم والجديد، كما تحمل أيضا بعضًا من تعاليم الوصايا العشر الإسلامية في القرآن الكريم. كما تتضمن أيضا بعضًا من العادات والتقاليد المجتمعية اليمنية خلال تلك المرحلة، بطرفيها السلبي والإيجابي، وإن كان التأثير المسيحي أكثر بروزًا فيها من التأثير اليهودي أو من تأثيرات نظم بيزنطة.

٣. بقدر ما أشارت هذه القوانين إلى أنها خصوصية نجرانية إلا أنها لم تشر إلى أنها أيضا يمنية لبقية المدن والأرياف الأخرى، مع أنها تحمل الروح اليمنية عامة.

٤. الوثيقة شملت النواحي الإدارية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأخلاق العامة؛ بل والخاصة، وطرفا من الجنايات وحقوق الإنسان والحيوان، وهو ما جعل بعض الباحثين يرون أنها مستوحاة من نظم بيزنطة، تم فرضها بالقوة على جنوب الجزيرة العربية، وهذا ما تستبعده الباحثة الدكتورة نورة بنت عبدالله علي النعيم، لأن النفوذ البيزنطي لم يكن قويا بما يكفي لفرض نظمها وقوانينها على شعب جنوب الجزيرة العربية، وأن شعب جنوب الجزيرة العربية لم يكن في يوم من الأيام تابعاً للإمبراطورية البيزنطية، مع الإشارة إلى أن هذه النظم أو القوانين تحمل بعض التأثيرات البيزنطية، كما تقول.^١

٥. هذه القوانين . على الأرجح . تمت بصياغة محلية، لا بإملاءات جاهزة ومكتوبة يمكن التكهن بها بأنها مما جلبه القديس جرجيني معه، كما أنها تحمل الروح الجماعية في التشريع وفي التوافق عليها؛ خاصة وثمة ما يعزز هذا الرأي من كون القديس جرجيني قد سلم نُسخها المكتوبة لقادة القوم ورؤسائهم في الكنيسة، وأوكل أمر التسليم إلى الرياح التي حملتها من المذبح والقتها بين أيديهم، حتى قال لهم: بدا تكونون قد استلمتم نسخكم من الله مباشرة، وذلك لإضفاء صبغة القداسة عليها.^٢

٦. مهما قيل في هذه القوانين من مآخذ إلا أنها تعكس حسا حضاريا راقيا وحالة من التمدن، لأن القوانين السياسية لأي شعب من الشعوب هي في محصلتها النهائية انعكاس لواقعها المعاش من كافة جوانبه، خاصة وأن لها ما يعضدها من القوانين والتشريعات الأخرى من قبلها، وربما أكثر منها رقيا وإنسانية، وفي أكثر من مجال، كما ذكرنا ذلك سابقا.

١ - التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، سابق، ٣٨٢.

٢ - نفسه، ٣٨٧.

القوانين الحميرية

البند الأول

تقسيم مدينة نجران . وهي عاصمة الحميريين المعمورة بالسكان . إلى ستة وثلاثين حيا، يدير كل حي حاكم يقوم بتنفيذ أوامر الملك وتطبيق القانون فيه، وإلى جانبه تعمل فرقة بوليسية، تتكون من ستة عشر جنديا ومحكمة أولية، ويتكون كل حي من مجموعات أسرية لكل أسرة زعيم منها، ويعد مسؤولا عن النظام داخل أسرته والتأكد من التزام أفرادها بتطبيق القوانين.

البند الثاني

كل من ارتكب جريمة كالقتل، الزنا مع المحارم، ممارسة اللواط أو ممارسة الجنس مع الحيوان

البند الثالث

عقوبة تلك الجرائم هي الموت بقطع الرأس.

البند الرابع

عقوبة المشعوذين ومن مارس السحر والمنجمين الحرق بالنار، أما الغش وشهادة الزور فعقوبتها قطع طرف اللسان.

البند الخامس

السارق يجلد بالعصا خمسين جلدة، وتصادر ملبسه، ثم يوسم بعلامة على جبينه، ويُحلق شعره، ويقال له: انتبه يا أحن إياك أن تسرق مرة أخرى، وإذا حاولت ثانية فستخضع لعقاب شديد. وعقوبة تكرار السرقة هي أن يرفع أمره لنائب الملك، حيث

يطبق عليه عقوبة شديدة، هي قطع وتر يده اليسرى، ويوضع في ملجأ للمحتاجين؛ حيث يقدم له غذاؤه اليومي.

البند السادس

كل رجل أو امرأة، غير متزوجين يمارس البغاء، يعاقب بمئة جلدة، ثم قطع أذنه اليسرى، ويشهر به، وتحجز كل ممتلكاته؛ أما إذا حدث ذلك من رجل أو امرأة غير متزوجين، وكانا ينويان الزواج بشكل شرعي عندها يتم تزويجهما، وتسقط العقوبة عنهما.

البند السابع

إذا قُبض على رجل متلبس بجريمة زنا مع امرأة متزوجة، يُقطع الجزء الذي أثم به من جسمه، والمرأة يقطع ثديها الأيسر.

البند الثامن

الزوج الذي يخون زوجته يقطع الجزء الذي أثم به من جسمه، أما إذا تنازلت زوجته عن حقها عندها يُجلد مئتي جلدة، وتقطع أذنه اليسرى، وتصادر أملاكه وتعطى لزوجته.

البند التاسع

يُطبق على المرأة المتزوجة نفسها العقوبة، وفي حالة تنازل زوجها عن حقه، وأبدى رغبته في إبقاء ثديها الأيسر فإنها تُجلد وتقطع أذنها اليسرى بدلا من الثدي؛ أما إذا تكررت الجناية، سواء كان المذنب رجلا أم امرأة تطبق في حقه العقوبة الأساسية، أي يُقطع ذكر الرجل و الثدي المرأة الأيسر.

البند العاشر

إذا أحب فتى من أسرة غنية فتاة فقيرة، واعترض أهله على زواجه منها احتقارا لها فإن للقانون الحق في تزويجهما، ويُرغم أهل الفتى بتوفير المهر المناسب لابنهم، ويطبق القرار أيضا في حق الفتاة الغنية التي تحب شابا فقيرا.

البند الحادي عشر

إذا مارس رجل حر الزنا مع امرأة مملوكة يصبح هو رقيقا لأسيادها، والعكس إذا مارست امرأة حرة الزنا مع عبد تصبح هي مملوكة لأسياده.

البند الثاني عشر

كل رجل يجب أن يكون له زوجة واحدة فقط، كما يجب تجنب البغاء اللعين.

البند الثالث عشر

يلزم كل والد بتدبير زواج أبنائه منذ بلوغهم سن العاشرة حتى سن الثانية عشرة، إلا في حالة المرض، وكل من يخالف هذا التنظيم يُعاقب بدفع غرامة مالية إلى حاكم المنطقة، وهي كالتالي: إذا كان غنيا يدفع ست قطع ذهبية، وإذا كانت حالته المادية متوسطة يدفع ثلاثة قطع ذهبية، ولمن كان أقل من المتوسط يدفع قطعة واحدة.. ويلتزم المخالف بعدم التأخير، وإن تقاعس في الدفع يُرفع أمره إلى الحاكم، ويطرد من المدينة بعد موافقة الملك على ذلك.

البند الرابع عشر

يجب أن تكون الغرامة مناسبة لثروات المخالف، ويتسلمها حاكم المنطقة بحضور موظفيه.

البند الخامس عشر

كل فرد يرى فردا يرتكب عملا سيئا أو مخالفا للقانون، ولا يبلغ عنه الحاكم يجب أن يُجلد اثنتين وسبعين جلدة إن كان غنيا، أما إذا كان فقيرا فيدفع غرامة مالية قدرها أربع قطع من الذهب، أو ثلاث قطع، أو قطعتين، أو قطعة ذهبية حسب استطاعته.

البند السادس عشر

أي فرد، رجلاً أو امرأة يشجع الفجور، أو يكون وسيطاً للدعارة مع أطفال أو خصيان يقطع له نصف لسانه، وكذلك من يقدم نصيحة غير قانونية أو يشجع على مخالفة القانون يقطع له نصف لسانه.

البند السابع عشر

من يعيرون منزلهم لعمل الفجور تُصادر أملاكهم بما في ذلك منزلهم ويُطردون من المدينة.

البند الثامن عشر

من يستقبل في منزله أو يُخفي فيه أفراداً خارجين عن القانون أيضاً تصادر أملاكه ويُطرد من المدينة.

البند التاسع عشر

من يعترض النساء في الطريق أو يعتدي عليهن يعاقب بمئة جلدة، وتقطع أذناه، شرط أن تتعرف عليه المجني عليها وتدعم ذلك بقسم، وإذا تكرر عمله يُجلد مئتي جلدة ويُطرد.

البند العشرون

من يتعرض للنساء في الأسواق أو الساحات العامة، ويضع يديه بوقاحة أو بدافع شهواني، فإن بُلغ عنه أو اشتكته المرأة يجلد اثنتين وسبعين جلدة في وسط السوق، حيث التجمع الكثيف، كما تُحجز أملاكه، ويوبخ ويطلق سراحه، على ألا يكرر عمله، وإذا تكرر تُقطع يده.

البند الواحد والعشرون

يُحرم على المسيحي ممارسة اللواط والبغاء والسحر والزنا، أو أي عمل مماثل، أو له علاقة بهذه الممارسات.

البند الثاني والعشرون

الإنسان مخلوق الله، ولا يقدر أن يعدل بنفسه؛ لذا لا يحق له استخدام القوة والاعتداء على أي فرد بالضرب مهما كانت طبقته الاجتماعية.

البند الثالث والعشرون

يجب على كل فرد اللجوء للقانون، سواء كان غنيا أم فقيرا، أو موظفا للدولة كرجل الأمن أو المخبر أو إداريا كان أو عسكريا؛ لذا من يستخدم سلطته أو قوته ويعتدي على الغير بالضرب أو اللطم، سواء كان ذلك بدافع عادل أم بدون إذن القانون والسلطة سيُعاقب، ويستثنى من ذلك معلمو المدارس الذين يعلمون الأطفال العلوم والفنون والآداب، والسيد الذي يقوم عبده، والأب الذي يؤدب ابنه أو ابنته، على أن يكون استخدامهم للضرب دون جور، وفي حالة العدل فقط، ومن يخالف هذه القاعدة يجلد ستة وثلاثين جلدة، ويُقطع أصبع قدمه، وتحجز ممتلكاته، ثم يطلق سراحه.

البند الرابع والعشرون

لا يُسمح للزوج بضرب زوجته، فإذا كان تاجرا ويعود متأخرا في الليل، وتوجه له زوجته انتقادا لمجيئه متأخرا، فيقدم على ضربها، لذلك فإن الزوج التاجر الذي اعتاد العودة متأخرا ويتعرض لتأنيب زوجته لا يحق له ضربها. كما لا يحق للزوج ضرب زوجته الفاجرة؛ بل عليه رفع أمرها للمحكمة، وإذا شهد عليها بالجرم تُطبق في حقها عقوبة الزنا المنصوص عليها في القانون، أما المخالف لهذه القاعدة فعقابه الجلد ست وثلاثون جلدة، ويوبخ ويطلق سراحه إن كان غنيا، وأما الفقير فإنه يدفع غرامة مالية تعادل نسبة معينة من دخله، وإذا تكرر العمل تحجز أملاك المخالف، وإذا كانت قليلة يتم توزيعها بين الحاكم وجنده، وإذا كانت ثروته كبيرة تودع في خزانة الدولة، ويطرد المخالف من المدينة.

البند الخامس والعشرون

إذا شرب الخمر رجل أو امرأة إلى حد السكر، وأصبح يمشي متأرجحا في الطرقات يجب القبض عليه وحجزه لليوم التالي، وبعد أن يفيق من حالة السكر يجلد ستين جلدة إذا كان رجلا، وثلاثين جلدة للمرأة، ثم يطلق سراحه بعد توبيخه.

البند السادس والعشرون

من يحمل نفسه، أو حيوانا حملا ثقيلًا يتم إيقافه ويجلد ستا وثلاثين جلدة، ويطلق سراحه بعد توبيخه، لأن الحمولة المسموح بها هي اثنا عشر وحدة وزن حملا للبعل القوي، وعشر للبعل العادي، وثمان للبعل الصغير، وست للحمار الهزيل.

البند السابع والعشرون

في يوم العيد الملكي، أو أيام الآحاد المقدسة يمنع البيع إلا ما هو ضروري للحياة، وفي حالة المخالفة فإن السلع المعروضة باستثناء الأكل الذي يسمح ببيعه تحجز، ويطرد المذنب من المدينة، وكل الحيوانات المصادرة، سواء كانت أبقارا أو أغناما وأحصنة أو غيرها، وكذلك السلع الأخرى ما عدا المشروبات ستكون من نصيب حاكم الإقليم والجنند.

البند الثامن والعشرون

إذا ساق أحدهم حيوانا حملا بالسلع يوم الأحد المقدس فسوف تُصادر الحمولة والحيوان، ويُجلد المخالف ويُطرد، ويستثنى من ذلك حمولة المؤن اليومية، أو حمولة الذهبين في سفر طويل.

البند التاسع والعشرون

يُمنع العمل في يوم الأحد وأيام الأعياد إلا بإعفاء خاص من الملك، وسوف يتم حجز السلع المباعة أو المنقولة، ويجلد صاحب السلع أربعًا وعشرين جلدة، ثم يطلق سراحه.

البند الثلاثون

لا يحق للمسئولين في السلطة استغلال مناصبهم لمصالحهم الخاصة، كأن يدفعوا نصف قيمة ما يشترونه، أو يتعرضوا لأحد بسوء، ومن يقدم منهم على عمل كهذا سوف يعاقب بالجلد اثنتي عشرة جلدة، ويصادر ما اشتراه، لأن القانون لا يسمح بأن يكون المسؤولون جشعين وغير عادلين، وإذا أرادوا الحصول على أي سلعة فعليهم دفع كامل ثمنها.

البند الواحد والثلاثون

إذا تكرر فعل ما سبق ذكره فإنه سيحال للعمل الإجباري في ورش الدولة مدة أربعة أشهر، ليتعلم أن يكون عادلاً، وسيتعلم كم لقمة العيش مكلفة على الفقير.

البند الثاني والثلاثون

تُمنع المنازعات بين الأفراد، وإذا حدث ذلك فإن المتنازعين يعاقبان بالجلد أربعين جلدة لكل منهما، لأنهما استخدمتا القوة، سواء كان ذلك بأيديهم أم بعصي أم بأي سلاح آخر؛ أما إذا امتنع أحد الطرفين من الدفاع عن نفسه لاحترامه وخوفه من القانون يسقط في حقه العقاب، أما غريمه فتضاعف عقوبته، ويجلد ثمانين جلدة، ويجبر على العمل لمدة شهرين في مصانع الدولة، ثم يطلق سراحه بعد أن يؤدي عقوبته.

البند الثالث والثلاثون

إذا ضرب ساسة الخيل خيولهم أو أية دواب أخرى حتى وإن كانت من حيوانات حمل الأثقال دون رحمة سيعاقبون بالجلد ثلاثين جلدة، ثم يودعون بالسجن لكي يشعروا بالبرد ويقاسون العذاب ليدركوا خطأ عملهم.

البند الرابع والثلاثون

يُحرم التنكر بلباس الشيطان، وتمثيل دوره، وكذلك القيام بالألعاب الشيطانية في الأسواق ولبس الأقنعة الجلدية وتمثيل الشيطان على المسارح، ومن يقيم بهذه الأعمال

يُجلد مئتي جلدة، ويحرق شعره ولحيته، ويجبر للعمل في الورشة الملكية، سواء أكانوا أحرارا أم عبيدا.

البند الخامس والثلاثون

لا يُسمح للاعبين الآلات الموسيقية كالقيثارة ولممثلي الدراما والراقصين رجالا ونساء بالإقامة في البلاد، ومن يمارس هذه الأعمال يُجلد ويُمرر على النار وتصادر أوراقه ويجبر على العمل في الورشة الملكية لمدة عام كامل، ويفضل الترتيل من الكتاب المقدس.

البند السادس والثلاثون والثامن والثلاثون

يحرم أيضا القيام بالأعمال التالية

ألعاب الميسر والغناء والتهريج، ويسمح فقط بالألعاب التي تستخدم اليد والذكاء، ويجبذ الصلاة والدعاء وتلاوة الكتاب المقدس.

البند التاسع والثلاثون

يُمنع القذف والسب، ومن يقيم بهذه الأعمال يُجلد أربعا وعشرين جلدة ويطلق سراحه، أما إذا تعرض فرد للسب والقذف ولم يرد بمثلها ولجأ إلى السلطة فإن غريمه يجلد ثمان وأربعين جلدة، ثم يطلق سراحه بعد حجزه.

البند الأربعون

يُمنع تجمع الأطفال أيام الأعياد وممارسة الأعمال المشينة، والمخالف يُجلد أربعا وعشرين جلدة بعد توبيخه.

البند الواحد والأربعون

مفقود

البند الثاني والأربعون

إذا ترك ميتٌ إرثاً تتولى أمر توزيعه السلطة، ويجب ألا يُعهد إلى الأوصياء من خارج السلطة بتولي أمر التركة، ويجب تسديد الديون أولاً، لأن الأوصياء عادة يستولون على التركة دون القيام بعمل يفيد روح الميت، ومن تدخل في تصريف الإرث من خارج السلطة سوف تُحجز أملاكه ويطرد.

البند الثالث والأربعون

إذا تعرض فرد حر أو عبد للطرد بالقوة بعد لجوئه للكنيسة عندئذ يسقط عنه جرمه، ويطلق سراحه ويعفى عنه حتى لو كان رقيقاً قد قتل حراً، أما من تسبب بطرده من الكنيسة فسوف يعد كافراً وآثماً وعدواً لله، وسوف يباع في سوق الرقيق بسعر زهيد، لأنه طرد مثيله من حماية الله.

البند الرابع والأربعون

من تعرض لصاحب حرفة بسوء أو صرفه عن مهنته فسوف يُجلد اثنتي عشرة جلدة، ويجبر على العمل لمدة شهر، ليتعلم ألا يكون حاسداً.

البند الخامس والأربعون

لا يسمح لأي موظف أو مفوض قضائي أخذ رشوة أو أجراً مقابل القضية التي هو بصدد حلها حتى ينتهي عمله تماماً، وخلال فترة عمله في قضية أو غيرها فإنه يحصل على مرتبه فقط حسب القانون، وكل من يخالف هذا القرار ويقبض عليه مستفيداً من القضايا التي يعمل بها سود يطرد من عمله.

البند السادس والأربعون

الأشغال الشاقة لكل من حكم عليه بحق باسم القانون، لكي يتعلم ألا يؤذي أحداً، أما الذي يعترف بحقه تعاد ممتلكاته إليه، ويطلق سراحه دون توبيخ.

البند السابع والأربعون

في القضايا الكبيرة يجب على الملك أن يستشير رجال الدين

البند الثامن والأربعون

الرجل سيد المرأة حتى ولو كان عبدا، ولا يحق للمرأة أن تسيء معاملته وتحتقره، وعقابها إذا فعلت ذلك تحجز ثم يقص شعرها من خلف الرأس، بعد ذلك يخلى سبيلها، وإذا تكرر عملها يقطع طرف لسانها، وإذا ضربت ذكرا فيما عدا ابنها يطبق في حقها العقوبة المطبقة على من مارس السباب والقذف إذا كان ذلك لأول مرة، وإذا تكررت أكثر من مرة غير عابئة بالقانون تقطع يدها، لأنها تطاولت على الرجل، ويحق لها ذلك في حالة تأديب الأبناء أو الرقيق. ويشترط أن يؤدب الرجل الأبناء وتؤدب المرأة البنات، ويجب أن يكون الضرب على القدمين وليس الرأس.

البند التاسع والأربعون

يحق للمرأة الأرملة الزواج للمرة الثانية أو الإقامة الدائمة في دير، وإذا ترملت للمرة الثانية فلا يحق لها الزواج مرة ثالثة؛ بل يجب عليها أن تقضي حياتها في الدير حتى وإن كان ذلك دون رغبة منها، لأن الشرائع الكنسية تمنعها من الزواج الثالث.

البند الخمسون

إذا أغرى عراب عرابة وسكن معها، واستمروا في ذنبهم يقطع صدر المرأة، ويقطع عضو التذكير لدى الرجل، ثم يطلق سراحهما.

البند الواحد والخمسون

إذا تم إرسال عبيد يوم العيد الكبير أو أيام الأحاد ليحملوا بضائع ما عدا ما هو ضروري للاستهلاك اليومي، فسوف يتم إيقافهم سواء أكانوا رجالا أم نساء، وتحجز بضائعهم، وإذا اعترض أحدهم وقاوم وتدمر وشهد عليه فسوف يموت بحد السيف.

البند الثاني والخمسون

إذا حجز سيد أجرة موظف عنده وتظلم الأجير ورفع شكوى ضد سيده لحرمانه من أمواله فالسيد مطالب بدفع الأجر مضاعفاً.

البند الثالث والخمسون

إذا قام فرد بتجويع عبيده أو ضربهم بشكل وحشي أدى إلى تشويهه وليس كما هو الحال في حالة التأديب ووجد دليل وبرهان ضده فإن هؤلاء العبيد يصبحون أحراراً.

البند الرابع والخمسون

الأسياذ الذين يُعاملون بقساوة وعنف يصبح هؤلاء العبيد أحراراً، ويطلب من الأسياذ كتابة تعهد بعدم امتلاك عبيد آخرين أبداً إلا في حالة تعهدهم بعدم الاعتداء على العبيد بالضرب، ويجب على الأسياذ منح عبيدهم كسوة سنوية، وتوفير كل مستلزماتهم، لأنهم مسؤولون عن مصاريفهم.

البند الخامس والخمسون

بما أن الفقراء كلهم محصورون داخل ملاجئ المحتاجين وفي دور المسنين، فلا يُسمح بالتسول في الطرقات، ولا في الكنائس، ولا في أي مكان آخر.

البند السادس والخمسون

كل نزلاء هذا الدور يحصلون على ما يلزمهم، لذا لا يحق لهم المطالبة بالزيادة، وفي حالة تجرأ أحدهم بطلب شيء، يُجلد ثماني عشرة جلدة، ثم يُحجز عليه؛ أما المحتاج من غير النزلاء عليه اللجوء للسلطة لمساعدته. ومن أراد تأدية صدقات وهبات ليذهب بها للملاجئ ومأوى المسنين، أما الفقير الذي يسير في الطرقات دون أن يتسول فهو يستحق الشفقة من قبل السلطة.

البند السابع والخمسون

نظرا لارتفاع أجرة المنازل في ظل الحكومات السابقة لهذا البلد، لذا يجب تخفيضها حسب النسب التالية: التي قيمتها تسع تصبح ستا، وكل باقي الإيجارات تنخفض الثلث، فبدل ستة تصبح أربعة، وبدل ثلاثة تصبح اثنين، ويمنع من الآن فصاعدا رفع الأجرة، وعقوبة المخالفين الحجز والطرده، ولا يحق للمالك طرد المستأجر بحجة استرجاع الأماكن المؤجرة من أجل إحلال مستأجر آخر. يحق ذلك فقط في حالة رغبة المالك السكن في مسكنه المؤجر، ويحق أيضا إذا كان المستأجر الحالي مشاغبا ومؤذيا.

البند الثامن والخمسون

كل حاكم منطقة مسؤول عن مراقبة أسر الحي، وإذا نشأ نزاع حول أجرة مسكن يحسم الحاكم الأمر مع المالك، وإذا امتنع المالك رفع به تقرير للسلطة العليا، وإذا حدث تصرف سيء من أحد الأفراد فعلى رئيس الأسرة معالجة الأمر، وإذا لم يتم عمله على أكمل وجه رفع أمره للملك عبر مأمور أو نائب الملك.

البند التاسع والخمسون

كل رجل ملزم بتوفير رفيقة "زوجة" لعبده، وكل رجل حر يجب أن يكون له زوجة، وكذلك الحال بالنسبة للأمة، وفي حالة عجز السيد يرفع أمره إلى المحكمة الملكية لتقرير مصيره، ومن اعتذر أو احتج لعدم قدرته المالية يقال له: بع عبدك أو أمتك.

البند الستون

بالنسبة لمن يفضل عدم الزواج يحق له ذلك مقابل تعهد خطي منه يقر فيه اختياره لهذا النمط من العيش بحسن نية وصدق، وليس لممارسة الفجور بالخفاء، ويتعهد بقبول العقاب المقرر في حالة مخالفة التعهد، وإن قبض عليه بمخالفة هذا التعهد ينفذ فيه العقاب.

البند الواحد والستون

كل حاكم حي لا يدقق في ترتيبات القانون الراهن ويأخذ الرشوة، ويهمل واجبه فسوف يعلق في وسط السوق من قدمه اليسرى، ويسند رأسه على جذع شجرة أو ركيزة، ويدخن بالقش حتى يموت، ليكون عبرة لغيره من الناس، ويقوم بتنفيذ هذا الحكم مأمور الملك، وإذا تقاعس الأخير بتنفيذ العقوبة فإنه ينال العقاب نفسه، وبالطريقة نفسها.

البند الثاني والستون

على كل حاكم حي إحصاء أنواع الحرف والمهن الموجودة في دائرته، لكي لا يتم البيع إلا بالسعر الصحيح، وسيقوم بتفتيش الأسواق ومراقبة تطبيق شروط البيع والشراء، ومراقبة التجار الأجانب، حتى لا يتجاوزوا الأسعار المحددة محليا، والتي تحقق أرباحا عادلة دون ضرر على المشتري.

البند الثالث والستون

يُمنع العمل بأي عمل يوم الأحد كالغزل والنسيج أو غيرها من الحرف والمهن حتى ولو غزل شعرة واحدة، وفي حالة المخالفة يحرق العمل، وتحرق الأدوات بالنار وسط السوق.

البند الرابع والستون

كل من لا يصطحب أسرته في أيام الأعياد، وفي الأحد المقدس إلى الكنيسة، ومن لا يذهب إليها في جماعات مساء السبت أو صباح الأحد ينذر من قبل الحاكم وثلاثة أفراد مميزين، وإذا لم ينفذ ما طلب منه فإن ممتلكاته ستحجز، ومن ثم يؤخذ نصفها، ويمنح إلى الأشقاء النازلين في الملاجئ، والباقي يقسم بين حاكم الحي وجنده العاملين بخدمته، لكي يكون تشجيعا لهم على تنفيذ كل الأوامر التي تطلب منهم.

من بعده، وكلهم من سلالته التي نجدها في القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام: (رَبِّ
قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف: ١٠١]

وليقول الله عز وجل عنه: (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين) آل عمران: ٦٧.

ونفس الأمر نجده عند نبي الله موسى . عليه السلام . مخاطبا قومه وموجهها لهم بالتوكل
على الله إن كانوا فعلا من المسلمين: (يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٨٤]

وحين تنامى إلى مسامع عيسى عليه السلام أن من قومه من كفر وقف أمامهم
مخاطبا إياهم بحقيقة إيمانهم به: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَآشَهِدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٥٢]؛ ليكلل
الرسول محمد . صلى الله عليه وسلم . شريعته بنفس التوجه وبذات الحقيقة التي تقرر
صدق دعوات من قبله من الأنبياء والرسل: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [النمل: ٩١]

"والكتب السماوية المعروفة كلها أنزلت في شهر رمضان، فقد جاء في الحديث: "
أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين - من
رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشرة
خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان" ^١، وفي صحيح
البخاري: " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات
أمهاتهم شتى ودينهم واحد" ^٢

١ - اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان ١٩٩٨م، ٣/٢٧٩.

٢ - صحيح البخاري، باب واذكر في الكتاب مريم، حديث رقم: ٣٢٥٩، والعلات بفتح المهملة: الضرائر، وأولاد العلات: الإخوة
من الأب وأمهاتهم شتى. ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع.

وحتى في طبيعة الخطاب النبوي لكل الأنبياء الذين عرضوا دعواتهم على أقوامهم فإن الطريقة تكاد تكون واحدة عند الجميع، كما تكاد استجابة أقوامهم تكون واحدة على الرغم من اختلاف عصورها، فكما يخاطب نوح . عليه السلام . قومه: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٥٩] يخاطب نبي الله صالح قومه بذات المنطق والخطاب: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٧٣] وأيضا نبي الله هود . عليه السلام .: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٦٥] وأيضا عن نبي الله صالح: (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الأعراف: ٧٣.

وقص لنا القرآن حال إبراهيم . عليه السلام . مع قومه: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [العنكبوت: ١٦] وهكذا حال كل الأنبياء.. ولهذا خاطب الله نبيه محمدا . صلى الله عليه وسلم: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥] ومخاطبا إياه مع أمته: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى: ١٣].

فالدين واحد وإن تعددت الشرائع، و"لقد جاء القرآن مؤيدا لما تقدمه من الكتب المنزلة والشرائع المتقدمة معلنا تصديقها والإيمان بها وبجميع رسل الله الكرام، شاهدا لهم بأنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة إلى أممهم، وأنهم كانوا أمناء صادقين، وأنه لزاما على كل مسلم أن يصدق هذا ويؤمن به؛ لأن القرآن لم يأت بنسخ أصول الدين، والدين واحد، وإنما جاء مؤيدا لذلك الفصل الواحد الذي لا ينقسم ولا يعمل بغيره، وكما تقدم لم ينسخ القرآن إلا ما لم تبق له الحاجة داعية، من أحكام المعاملات، واختلاف قوالب العبادة إلى ما هو أسمى وأرفع، وأصلح للبشرية وأنفع، حسبما اقتضت القدرة الإلهية والعناية الربانية"^١

١ - أنظر: دين الله واحد، عبد الله علي الحكيمي، سابق، ص ١٧.

وقد بقيت الأمم على دين الحنيفية الإبراهيمية موحدين حتى فترة قريبة من بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم تدخل الوثنية إلى جزيرة العرب إلا قبيل البعثة النبوية بقليل عن طريق الشام التي جلبت إليه عقب السيطرة الرومانية على بلاد الشام وبعض أجزاء من جزيرة العرب.

ولذا جاءت شريعة الإسلام لتهدم هذه الأوثان ولتقرر مبدأ الوحدانية والعبادة لله وحده، ولتكمل البنات السابقة التي وضعها الأنبياء من قبله، كما يقول الرسول الكريم في حديث جابر: "مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : "فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ حِثُّ فَحْتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ"^١

كما أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على بعض من قوم موسى وعلى كتابهم "التوراة" بأنها هدى ونور. (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً..) [المائدة: ٤٤]

وأثنى بعد ذلك على إنجيل عيسى عليه السلام بقوله: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) [المائدة: ٤٦]

١ - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجبل بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت، ٧/٦٥. باب ذكر كونه خاتم النبيين، حديث رقم: ٦١٠٣.

أولا اليهودية

ما أن وصلت اليهودية . كديانة توحيدية سماوية . إلى اليمن إلا وقد قطع اليمنيون شوطا كبيرا في التوحيد الإلهي، وفي المدينة أيضا، فلاقى التوحيد الديني الجديد هوى في نفوسهم، ومن ثم كان اعتناق اليهودية في اليمن، كدين سماوي "إبراهيمي" وقد اختلفت الآراء وتباينت الأفكار حول تكون اليهود لأول مرة واعتناقهم اليهودية، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، إذ لم "تتعنصر" اليهودية، وتقتصر على أتباعها في بني إسرائيل إلا في وقت لاحق، في القرن الثالث عشر كما يذهب البعض، بعد أن كانت ديانة مفتوحة للجميع.

ويُرجع البعض وجود اليهودية كديانة في اليمن إلى القرن العاشر، وذلك بدخول ملكة اليمن بلقيس دين سليمان عليه السلام هي وقومها، وقد أعلنت: (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين).

وفي كتاب: رحلة إلى أرض العربية السعيدة لنزيه مؤيد العظم سنة ١٩٢٧م. أيام الإمام يحيى ذكر فيه أنه التقى بالحاخام الأكبر في اليمن يحيى إسحاق، وسأله عن أصل اليهود في اليمن، فأجاب الحاخام: "ليس اليهود من سكان اليمن الأصليين؛ ولكنهم أتوا من أرض كنعان قُبيل أن يتشتت شملهم من القدس، وقد جاؤوا اليمن مهاجرين من الطريق الشرقية.."^١

لكنه أضاف في موضع آخر في سياق حديثه مع اليمنيين عن أصل اليهود: "سألت كثيرا من المسلمين العلماء في صنعاء وغيرها من البلاد عن أصل اليهود وهجرتهم، فقالوا لي: إن اليهود من سكان اليمن الأصليين، وُجدوا فيها قبل خراب الهيكل وبعد خراب

١ - رحلة في العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، منشورات المدينة، ط:٢، ١٩٨٦م، ١٤٧.

الهيكل، أتت منهم جموع عظيمة وتغلغلت في أطراف اليمن وحضرموت وعسير وغيرها من البلاد. وقد أكد لي بعض المسلمين أنه كانت لليهود في اليمن مدنية راقية وكانوا أهل سنان وعنان، وكانت لهم دولة قوية، وتحاربوا مع العرب حروبا كثيرة، غلبوا في نهايتها على أمرهم، وخضعوا لسلطان غيرهم، وأدخلهم الإسلام في ذمته، فأصبحوا ذميين".^١

وما نراه هنا في هذين الرأيين المتضادين أن القول الأول الذي قال به الحاخام اليهودي الأكبر يتسم وفكرة الصهيونية التي سعت لعنصرة الدين اليهودي، وقوله أنهم جاؤوا من أرض كنعان يأتي في إطار هذه الرؤية، في إشارة بعيدة إلى أن الديانة اليهودية ديانة إسرائيلية فقط.

ويذكر المؤرخ الفرخ عن الهمداني أن أول من اعتنق اليهودية من ملوك اليمن تبع عمرو "ذرا أمر" الذي ترك دين التوحيد السائد آنذاك ومال إلى اليهودية في يثرب، ثم قدم إلى اليمن ومعه الحبران، فاعترضه اليمينيون في نجران، وعارضوا دينه الجديد، ومن ثم وقعت تلك القصة التي لا تخلو من الأساطير والمحكيات الخيالية، وقد أفاض ابن هشام القول في هذا، مشيرا إلى أن التبع قد قام بهدم البيت المسمى رثام، وهو بيت لليمنيين كانوا يعظمونه وينحرون عنده، فقال الحبران لتبع إنما هذا البيت شيطان، فخل بيننا وبينه، وتركهما وشأنهما، فاستخرجا منه كلبا أسود، فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت.. إلخ.^٢

وقد جرى الخلط كثيرا حول شخصية هذا التبع لدى البعض، ولسان حالهم: هل هو تبع الأول المشار إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: (أهم خير أم قوم تبع)؟! وهو المسلم الحنيفي الموحد، أم أنه تبع آخر؟! والأرجح - وبحسب ما ذهب إليه الفرخ وغيره من المؤرخين - أنه تبع عمرو بن حسان "ذرا أمر أيمن" ٦٠٥ - ٥٩٠ قبل الميلاد.^٣

١ - نفسه، ١٥٠. والهيكلم المقصود هنا هيكل سليمان، وقد شهد خرابين اثنين، الأول: أيام الملك البابلي نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وأعقبه السبي البابلي الأول، والخراب الثاني أيام الأمبراطور الروماني فاسباسيان سنة ٧٠م. وعقب هذه الحادثة هاجر كثير من اليهود إلى الجزيرة العربية.

٢ - السيرة النبوية، ابن هشام، تعليق وتخريج: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٠م، ٤٢/١.

٣ - الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير، الفرخ، ٧١٢/٢.

ويضيف: ومن عهده النقش المسند، رقم ٢ بيت الأشول، وهو نقش قال بيوتر فسكي أنه يحتوي على جملة يهودية؛ بل إن صاحب النقش هو أحد الحبرين اليهوديين اللذين خدعا الملك . ذرا أمر . أثناء محاربته ومحاصرته لليهود في يثرب... حيث يقول النقش: إن يهودا ياكف بنى بيتا للرب بعون ومباركة إله يهودا الذي خلق روحه، وبتأييد شعبه إسرائيل، وبمقام سيده ذرا أمر أيمن، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت. وقد تخفف اسم الملك ذرا أمر إلى عمرو عند المؤرخين العرب الأوائل، فأصل الاسم عمرو هو أمر في اسم: ذرا أمر بالنقش المسند، وفيه قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ التبابعة:

أو تبع عمرو بن حسان الذي سفح الدماء بسيفه السفاح
قتل اليهود بيثرب وأراهم أنياب ثغر للمنية شاح^١

ويذهب الباحث الأكاديمي كمال سليمان الصليبي أن بلاد عسير هي المسرح الأصيل للتوراة، وأن الانتشار المبكر لليهودية قد بدأ من هناك باتجاه فلسطين مع القوافل التجارية "وفي العالم القديم كان إقليم عسير في غرب شبه الجزيرة العربية مكان اللقاء للقوافل المحملة بتجارة بلاد حوض المحيط الهندي . الهند . جنوب الجزيرة العربية . شرق أفريقيا . الآتية من اتجاه، والقوافل المحملة بتجارة فارس والعراق وبلاد حوض شرق البحر الأبيض المتوسط . الشام . مصر . عالم بحر إيجه . من اتجاه آخر. ونظرا لوقوع في فلسطين في الزاوية الجنوبية للشام، وبالقرب من مصر فقد كانت هي المحطة الساحلية الأولى لتجارة غرب شبه الجزيرة العربية، ومن رجال القوافل العاملين في تلك التجارة. ولم يكن لهؤلاء المستوطنين أن يخفقوا في اجتذاب المهتمين المحليين إلى دينهم الذي كان يفوق العقائد المحلية في مستواه الفكري والخلقي إلى حد لا يقاس، وكذلك الديانات العليا لامبراطوريات مصر والعراق"^٢.

١ - نفسه، ٧١٣.

٢ - التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط:٦، ١٩٩٧م، ٣١.

أما عن صراع اليهودية مع المسيحية ومحركة الأخدود التي أفرد لها القرآن الكريم سورة خاصة بها، فسنوردها في تمام الحديث عن المسيحية، ودور القوى الخارجية في الصراع.

ثانيا المسيحية

حين تحرفت اليهودية بفعل تطرف وغلو أبحارها الذين حرفوا مسارها كان من الطبيعي أن يتنزل دين جديد يستعيد العلاقة الطبيعية التي ينظمها الدين . أي دين . بين العبد وربّه، وبين العبد والمجتمع، فكانت المسيحية برحابة أفقها وسعة سربالها دينا عالميا مفتوحا لكل الناس بلا استثناء، رد فعل لضيق اليهودية التي حجرت واسعا، واقتصرت في دعوتها على بني إسرائيل فقط، باعتبارهم سادة الخلق وشعب الله المختار في الأرض من وجهة نظرهم.

وقد أطلق العرب على أتباع المسيحية "النصارى" وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع، إلا أن المفسرين بعد ذلك اختلفوا في سبب التسمية، فقال بعضهم: هي نسبة إلى الكلمة السريانية "نصرويو" وبعضهم قال: نسبة إلى العبرانية: "نازرنيس" وآخرون ذهبوا إلى أنّها نسبة إلى "الناصره" القرية التي بعث فيها عيسى عليها السلام، ولذا يقال له: يسوع الناصري، وفيها كانت إحدى الفرق اليهودية التي آمنت حافظت على دين موسى واتبعت عيسى في نفس الوقت.^١

بعث الله عيسى بن مريم إلى بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، في الناصرة في فلسطين، والامبراطورية الرومانية في أوج قوتها، وحين رفعه الله إليه ورث دعوته تلميذه القديس بولس، الملقب "بولس الرسول" وهو يهودي المعتقد، فأعاد رسم معالم الدعوة المسيحية بأفكاره السابقة، أضف إلى ذلك الثقافة العامة السائدة التي عكست نفسها على دعوة عيسى التي أصبحت يهودية المنشأ، وثنية الثقافة، بحكم ثقافة الامبراطورية

١ - انظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، دار المشرق، ط: ٤، د. ت، ٢٠٧.

الرومانية التي كانت تحكم المنطقة، وأثرت ثقافتها على المسيحية، وهي ثقافة مرتكزة على ديانة وثنية، وكانت المعادلة أن ترومت المسيحية ولم تتمسح روما..!

وعلى أية حال.. فقد كانت اليمن من الشعوب التي وصلتها المسيحية كغيرها من الشعوب الأخرى، وخاصة شعوب الجزيرة العربية وما جاورها، إلا أن الخلاف كائن حول زمن دخول المسيحية إلى اليمن، كما هو الشأن في اليهودية، وكل ما كتب في هذه المسألة يبقى من باب الاستنتاجات القائمة على فرضيات تاريخية بالمقام الأول، أو على أخبار ليست قطعية ولا يمكن أن يعتمد عليها بدقة.^١

ومن هذه الأقوال أن المسيحية دخلت الجزيرة العربية بواسطة البعوث الرسمية التي أرسلتها بيزنطة، وتحديدًا أيام حكم الامبراطور قسطنطين الثاني ٣٣٧ - ٣٦١ م إلى الملك الحميري الحاكم يومها، وبموجب هذه البعثة فقد تنصر الملك، ومن ثم أمر ببناء ثلاث كنائس في كل من: ظفار وعدن والساحل الشرقي "حضر موت" ويذكر البعض أن هذه الكنائس كانت في طريق التجارة العالمية التي تربط اليمن بشرق أفريقيا المسيحية، وقد بنيت بالأساس تلبية لربابنة التجار المسيحيين المتصلين بهذه الطرق، سواء من نصارى شرق أفريقيا أم نصارى الشام.^٢

أما ابن هشام فيقول عن أصل المسيحية في بلاد نجران: "وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس

١ - في الويكيبيديا عن دخول المسيحية إلى اليمن: كان لليمن حصة هامة في المسيحية العربية، وقد ذكر مؤرخون قداماء من أمثال روفينوس وهيروديزوس أن "مئي" هو مبشر اليمن والحبشة، وبينتانوس الفيلسوف ترك الإسكندرية في القرن الثاني، وتوجه نحو اليمن مبشراً كما قال أوسابيوس، وربما ظلت المسيحية خلال المرحلة الأولى في المناطق الساحلية متأثرة بمواكب التجارة البيزنطية، ومصادر أخرى تقترح أن المسيحية دخلت إلى اليمن بفضل ثيوفيلوس الهندي في القرن الرابع، ووفقاً ليوحنا النقيوسي في كتابه تاريخ مصر والعالم القديم، فإن اعتناق اليمنيين للمسيحية حدث في القرن الرابع كذلك بعد وفاة الإمبراطور قنسطنس ويقول: وبعد وفاته عرف سكان اليمن الله، واستناروا بنور وبهاء ربنا يسوع المسيح له المجد. وكان ذلك بتأثير حياة امرأة تدعى ثاؤغنستا (لاتينية: Theognosta) كانت راهبة عذراء، واحتفظوها من ديرها الواقع في أراضي الروم، وأخذت أسيرة، حيث قدمت لملك اليمن. انظر الرابط:

https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86&action=edit§ion=0

٢ - انظر: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، سابق، ٣٣١.

يقال له: عبدالله بن الثامر. وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فيميون وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به".^١

وكما "تأسطرت" المسألة اليهودية مع الحبرين وداخَلهما الكثير من خيال القصاص، كذلك الشأن مع المسيحية، ومع فيميون تحديدا الذي أضفى عليه القصاص والرواة الكثير من الحكايات والأساطير التي مبعثها الوهم والخيال ليس إلا، ولا يمكن أن يسلم بها عقل، وقد بسط القول فيها ابن هشام في سيرته.

ويبدو أن النصرانية لم تتعد نجران وما حولها، إضافة إلى المناطق الساحلية المرتبطة بالتجارة والتي بنيت فيها أيضا بعض الكنائس في مخوان "المخا" وشعران "الأشاعر" وكذا في مارب باعتبارها على خط الطريق التجاري الذي يربط الساحل بنجران. وقد شكل وجودهم بهذه الطريقة وفي هذه الأماكن الاستراتيجية تهديدا كبيرا لمصالح مملكة حمير، الأمر الذي جعل الملك الحميري يوسف إसार "ذو نواس" ينقض عليهم بعنف كما انقض الرشيد على البرامكة، كونهم يهددون أمن البلاد، وإن ذهب البعض إلى أن الصراع بينه وبين المسيحيين هو صراع عقائدي ديني، والأرجح أنه صراع وطني قومي، لا علاقة له بالعقائد. وإذا كانت المصادر السريانية المسيحية تقرر أن غزو الملك يوسف إसार "ذو نواس" قد كان لاضطهاد المسيحيين وتطهيرهم فإن مصادر أخرى تقرر أن غزوته رد فعل لاضطهاد المسيحيين للأقليات اليهودية فيها، وهي الدين الذي يدين به الملك؛ أما ابن هشام فيذكر أن "ذو نواس" سار إلى أهل نجران ودعاهم إلى اليهودية، فأبوا عليه، ففرض عليهم ذلك كرها، وخيرهم بين القتل أو اعتناق اليهودية، فاختاروا القتل، فخذ لهم الأخدود، فقتل منهم من قتل بالنار، وقتل آخرين بالسيف، وكان عدد القتلى

١ - السيرة النبوية، ابن هشام، سابق، ١/٤٥.

قريبا من عشرين الفا، وفي ذلك أنزل الله تعالى سورة الأخدود: (قتل أصحاب الأخدود..)

"وتؤكد النصوص التي دونت تلك الأحداث أن الصراع كان ضد الأحباش؛ حيث اتجه الملك إلى جيوب الأحباش في كل من الأشاعر والمخا وفرسان وشمير وركبان ورمع، واستمرت المعارك ثلاثة عشر شهرا، كما وجه الملك الحميري قوات إلى مدينة نجران بقيادة شرحبيل يكميل، ثم ما لبث أن لحق بالحملة هو نفسه، وضرب حول نجران حصارا، ودارت بين زعمائها والملك الحميري مفاوضات انتهت بدخوله للمدينة، وتعرض عدد من سكانها للاضطهاد والقتل والحرق، فبينما تؤكد المصادر السريانية أن هدف الملك هو محاربة النصرانية ورغبته في تهويد سكانها، إلا أن الأسباب الحقيقية وراء هذه الأحداث هو تمرد هذه المدينة وخروجها عن نفوذ السلطة الحميرية، لأن تلك المدينة التي كانت على الأطراف الشمالية لمناطق نفوذ دول جنوب الجزيرة في العهود السابقة تعددت محاولاتها في الخروج عن سلطة تلك الدول والاستقلال عنها".^١

ويذكر ابن هشام أن "دوس ذا ثعلبان" قد أفلت من هذه المحرقة على فرس له، وسار إلى ملك الروم مستنجدا ومستنجرا به، فنصره ملك الروم، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة بذلك، لبعده ملك الروم عن نجران، ولقرب ملك الحبشة بها، وكانا على دين واحد، فذهب دوس ذو ثعلبان إلى ملك الحبشة ومعه الكتاب، فجهز له الملك سبعين ألفا من الجنود، وأمر عليهم رجلا منهم يقال له: "أرباط" ومعه في جنده أبرهة الأشرم، فركب أرباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان، وتقابل الجيشان على ساحل البحر، ولم يستطع أبو نواس مواجهة جيش أرباط لعدم استجابة القبائل له، فهزم ثم انتحر في البحر... إلخ.^٢

١ - التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، سابق، ٣٣٥.

٢ - السيرة النبوية، ابن هشام، سابق، ١/٥٠.

والواقع أن المسيحية دخلت اليمن من أكثر من طريق، سواء عن طريق البحر من شرق أفريقيا، أو عن طريق شمال وشرق الجزيرة العربية عن طريق القوافل التجارية، أو عن طريق البعثات التبشيرية بصورتها البدائية آنذاك، فطرائق دخول المسيحية أكثر من طرائق دخول اليهودية، نظرا لمرونة تعاليمها ودعوتها وأهدافها، قياسا إلى اليهودية الصارمة في تعاليمها وتقاليدها..

ويبدو أن المسيحية كاليهودية لم تكن إلا في المدن والحواضر فقط دون الأرياف، إذ بقيت الأرياف على حنيفيتها التوحيدية المتوارثة من قرون متقدمة، فيما اليهودية أو المسيحية لم تكونا إلا في المدن فقط، ولذا تقل النقوش إلى حد الانعدام التي تذكر اليهودية أو المسيحية، كما يقل الحديث عن المؤثرات اليهودية أو المسيحية وتعاليمهما الدينية في الثقافة اليمنية القديمة، عدا بنود القوانين الحميرية الأربعة والستين، فقد كانت في تعاليمها خليطا من اليهودية والمسيحية ونظم بيزنطة وعادات وتقاليد اليمنيين. وبهذا تكون قد اجتمعت اليهودية مع المسيحية خلال القرنين الرابع والخامس الميلادي فما بعدهما لدى اليمنيين، إضافة إلى الإسلام بعد ذلك الذي اختاروه ديانة بديلة عن سابقه، وإن كانت قد بقيت بعض من الجماعات الصغيرة من يهودية ومسيحية على دينها خلال القرون الإسلامية الأولى فما بعدها؛ بل وإلى اليوم..

ذو القرنين في الحضارة اليمنية القديمة

من زمن قديم ثار جدل طويل - ولا يزال - حول "ذي القرنين" نسبا، وشخصية، وزمانا، ومكانا. وعلى الرغم من كثرة الآراء حول هذه الشخصية، إلى الحد الذي أفرد له البعض مؤلفات خاصة بذلك إلا أنه لا يزال موضع جدل إلى اليوم. وقد تمحور الجدل - في غالبه - حول ثلاث شخصيات، كان لها حضورها العالمي "في المشرق والغرب" سابقا. ولكلٍ منها ما يؤهل هذا الرأي أو ذاك أن يكون صحيحا، أو قريبا إلى الصحة، خاصة مع كثرة القياسات والاستدلالات التي يحشدها البعض، على تفاوت بينها؛ علما أن أحد الباحثين قد ذهب بعيدا - بلا منهجية علمية أو سند تاريخي - إلى القول أن ذا القرنين ليس الصعب ذو القرنين الحميري، ولا الاسكندر المقدوني، ولا قورش الفارسي، وأن ذا القرنين "القرآني" غير ذي القرنين غير هؤلاء جميعا.^١

على أية حال.. كما أسلفنا أغلب الآراء متناقضة هنا، فثمة من ينسبه إلى الاسكندر المقدوني، وآخرون يرون أنه الملك الفارسي قورش الاخميني؛ بل إنّ هناك من المصريين من قال إنه "مرزيان" من أهل مصر، والأغلب من المؤرخين، وخاصة الثقات منهم يرون يمينته، وهو ما تؤكد الأدلة والشواهد والاستنتاجات العلمية، كما سنرى.

أقول: ذو القرنين يعني سبئي تُبَّعي حميري. وهو الملك الصعب ذو القرنين بن شمر الرائد ذي مرثد بن الحارث الرائش، ثالث التبابعة السبئيين، السبعين الذين ذكرهم المؤرخون، وأشار إليهم الشعراء، وكتب التراث زاخرة بتفاصيل حياتهم. عاش فيما بين ١٤١٨ - ١٣٥٠ قبل الميلاد. وعاصر الملك الفرعوني امنحوتب الثالث، ثم الملك امنحوتب الرابع.

١ - انظر في هذا: ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٤م، ٢٤٥.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه قد اختلف في اسمه، فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس: كان اسمه عبدالله بن الضحاك بن معد، وقيل مصعب بن عبدالله بن قنان بن منصور بن عبدالله بن الأزد بن غوث، بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان.^١

وقبل الولوج في تفاصيل الحديث عنه نورد الآيات الكريمة التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الكهف، فهي المنطلق الأساس فيما نذهب إليه، إضافة إلى أقوال الإخباريين فالمؤرخين، وإن كان في أقوال الإخباريين نظر في التثبت العلمي الصارم؛ لكن ذلك لا يمنع من الاستشهاد بها إذا وجدت ما يعضدها من شواهد أخرى، أو أن هذه الروايات في حكم المتواتر، أو لها ما يؤيدها من الأدلة البرهانية والحقائق العلمية. قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَعْرَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَدِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨).

١ - البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٩٨٨م، ٥٣٩/٢.

ونستنتج من الآيات السابغات ما يلي .

١. كلمة "ذي/ ذو" وهي من الأسماء الخمسة المعروفة في اللغة، المشتهرة في اللغة العربية بمعنى صاحب، ومستخدمه فصحيّ وعامية في هذا المعنى، كما ترد بمعنى الذي أحياناً، فكيف للاسكندر الأكبر أن ينتسب بلقب أو اسم إلى اللغة العربية وهي ليست لغته؟!

٢. كلمة "ذي/ ذو" من لوازم الإضافات اللفظية لكثير من الملوك اليمينيين، سواء ذو القرنين أو غيره، كما أشار إلى ذلك المؤرخ محمد حسين الفرّح، كالتبع السبئي الأول الحارث الرائش باران ذو ريش، أو الثاني شمر ذو الجناح، وكذا الحميريون ذو المنار وذو الأذعار وذو رعين وذو نواس وذو يزن... إلخ. ولم نقرأ عن ملوك غربيين أو شرقيين آخرين في ذلك الزمن كانت أسماءهم أو ألقابهم تبتدئ بلفظة "ذو" أو "ذي" أو "ذا". وهي من القرائن القاطعة على يمنية ذي القرنين.

٣. روت أولى كتب الإخباريين ذلك، كوهب بن منبه وعبيد بن شرية، وإن كان في أقوال الإخباريين ما فيها كما أسلفنا. وأيضاً قال ذلك المؤرخون الثقات. فقد سئل كعب الأخبار عن ذي القرنين فقال: الصحيح عندنا من أخبارنا وأسلافنا أنه من حمير وهو الصعب بن ذي مرثد/ مرثد. هو الذي مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً، فقيل له: فالاسكندر الرومي؟ قال: كان الاسكندر الرومي رجلاً صالحاً حكيماً، بنى على بحر أفريقيس منارتين، واحدة بأرض بابليون، وأخرى في غروبها بأرض أرمينية، وإنما سمي بحر المغرب بأفريقيس، لأنه عظيم من عظماء التبابعة، أكثروا الآثار عليه في المغرب من المصانع والمدن والآبار. قال: وسئل كعب عن ذي القرنين، فقال: الصحيح عندنا من علوم أخبارنا وأسلافنا أنه من حمير، وأنه الصعب بن ذي مرثد، والاسكندر

رجل من بني يونان بن عيص بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ورجاله أدركوا عيسى بن مريم، صلوات الله عليه، منهم جالينوس وأرسطوطاليس ودانيال..^١

وقال المقرئ في الخطط: اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز فقال: (و يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا) عربي.. وأن اسمه الصعب بن ذي مرثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد ذي منح بن عار الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سببا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود. عليه السلام. بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، عليه السلام. وأنه ملك من ملوك حمير، ملوك اليمن، وهم العرب العاربة، ويقال لهم أيضا العرب العرباء. وكان ذو القرنين تَبَعًا مُتَوَجِّحًا. ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله، واجتمع بالخضر، وقد غلط من ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بنى السد، فإن لفظة ذو عربية، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن، وذاك رومي يوناني.^٢

مضيفا: سئل ابن عباس رضي الله عنهما، عن ذي القرنين: ممن كان؟ فقال: من حمير، وهو الصعب بن ذي مرثد الذي مكناه الله تعالى في الأرض، وأتاه من كل شيء سببا، فبلغ قرني الشمس، ورأس الأرض، وبنى السد على يأجوج ومأجوج؛ قيل له: فالإسكندر؟ قال: كان رجلا صالحا روميا حكيما، بنى على البحر في إفريقية منارا وأخذ أرض رومة وأتى بحر الغرب، وأكثر عمل الآثار في الغرب من المصانع والمدن.^٣

٤. الملك ذو القرنين مؤمن، موحد، بل لقد ذهب البعض إلى أنه نبي من الأنبياء، بينما الاسكندر المقدوني الذي تلاه بزمن قياسي كبير وثني إغريقي، ومعلمه

١ - كتاب التيجان في ملوك حمير، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية، ط: ١، ١٢٠.
٢ - المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، دار الكتب العلمية، بيروت ط: ١، ١٤١٨ هـ، -، ١/٢٨٥.

٣ - نفسه، ١/٢٨٦. وانظر أيضا: الرياض الأدبية في شرح الخرطاشية، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سليمان بن الجون الأشعري، تحقيق: القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، القاضي محمد بن علي الأكوخ الحوالي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ١١٧.

أرسطوطاليس، كما هو ثابت في كل كتب التاريخ، ولا علاقة له باليهودية أو المسيحية، وقد كان ذو القرنين قبل موسى عليه السلام بمئة وعشرين سنة، وقبل عيسى بـ ١٤١٨ عاماً. وبينه وبين محمد ١٩٨٨ عاماً على وجه التقريب، مع أن هناك من المؤرخين من ينسبه إلى زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وأنه أسلم على يده، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل، حسبما ذكر ابن كثير في تاريخه، وبعضهم إلى زمن موسى بعده، مستشهداً بشخص خضر موسى الذي تقابل مع ذي القرنين ورافقه في رحلته. وأخرج ابن الجوزي في تاريخه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ملك الأرض مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود، وسيملكها خامس من هذه الأمة".^١

قال ابن تيمية في سياق رده على من يعتقدون أن الاسكندر المقدوني هو ذو القرنين: "وقد يظنون أن هذا هو ذو القرنين المذكور في القرآن، وهذا جهل. فإن هذا الاسكندر بن فيلبس لم يصل إلى بلاد الترك، ولم بين السد، وإنما وصل إلى بلاد الفرس، وذو القرنين المذكور في القرآن وصل إلى شرق الأرض وغربها، وكان متقدماً على هذا.. إلخ".^٢

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: "الإسكندر المقدوني، وهو ابن فيلبس، وليس هو بالاسكندر ذي القرنين الذي قص الله تعالى نبأه في القرآن؛ بل بينهما قرون كثيرة، وبينهما في الدين أعظم تباين. فذو القرنين كان رجلاً صالحاً، موحداً لله تعالى، يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وكان يغزو عبّاد الأصنام، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبنى السدين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج؛ وأما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الأصنام هو وأهل مملكته، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف سنة وستمئة سنة، والنصارى تؤرخ له..".^٣

١ - البداية والنهاية، ابن كثير، سابق، ٥٣٦/٢.

٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ٤/١٦١.

٣ - إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، د.ت، ١٠٢٧.

فهل يكون ذو القرنين هنا الاسكندر الوثني أو قورش المجوسي؟! وبعلم الجميع أن النبوة قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت في بني إسرائيل. وإلى إسلام الرجل أشار القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتب الإخباريين والمؤرخين والشعراء. قال ابن كثير: "ذكر الله ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغرب، ومملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين، وقيل: كان نبيا، وقيل: كان رسولا، وأغرب من قال: كان ملكا من الملائكة. وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإنه سمع رجلا يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه؟ ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة. ذكره السهيلي".^١

وبعلم الجميع أن الأنبياء لم يجاوزوا المنطقة العربية تقريبا في رسالاتهم السماوية؛ بل الجزيرة العربية وأطرافها كما يذهب البعض! فكيف يكون نبيا من اليونان؟!!

٥. القرآن الكريم يقول: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ..) ومدلول الآية يقتضي القول أن رحلته ابتدأت من الشرق حتى بلغ المغرب، وهذا ما يؤكد بمنيته، باعتبار اليمن شرقية، وذو القرنين شرقي، بينما اليونان غربية، والاسكندر المقدوني غربي، وإن كان للاسكندر المقدوني رحلة ما فتكون غربية شرقية، وبالتالي فسيقول القرآن الكريم عكس ما قال تماما. مع مراعاة أن قورش أيضا شرقي؛ لكن لا علاقة له بما ذكر، مرة أخرى. يقول المؤرخ الفرخ: "وقد بدأت رحلة الصعب ذي القرنين بمسيره من عاصمة سبأ في اليمن بموكب عظيم وجيش كثيف إلى الشام، فسلك الطريق الذي سلكه الحارث الرائش، وهو طريق نجد وطريق طيء حتى خرج ما بين العراق والجزيرة الفراتية، فنزل بالموصل.. فأقام بها فترة، ثم سار منها إلى سوريا ومناطق ساحل الشام، ومنها إلى سيناء، ثم إلى مصر".^٢

١ - البداية والنهاية، سابق، ٢/٥٣٦.

٢ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحميز، سابق، ١٧١.

ويضيف: "وقد تم العثور في موقع سراييط الخادم بسيناء على نقش مصري هيروغليفي للوزير . سويك حتب . وزير الملك امنحوتب الثالث، يذكر وصول واستقبال عظماء اليمن.. وصلوا ودخلوا بسلام إلى مصر في السنة ٣٦ من حكم امنحوتب. ونرى أن لذلك النقش علاقة بوصول الملك الصعب ذي القرنين وموكبه العظيم إلى مصر، ولا بد أنه أقام فترة في مصر، وعاصمتها مدينة طيبة في ضيافة الملك امنحوتب الثالث.^١

٥. الشعر.

ذكر الشعراء الحميريون قبل الإسلام ذا القرنين في شعرهم، كقول أحدهم:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغرب بيتغي أسباب ملك من كريم سيد

وقال امرؤ القيس:

ألم يحزنك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا
أزال من المصادر ذا رياش وقد ملك السهولة والجبالا
همام طحطح الآفاق وحييا وقاد إلى مشارقها الرعالا
وسد بحيث ترقى الشمس سدا ليأجوج ومأجوج الجبالا

وقال الهمداني: قال أسعد تبع الحميري:

جدي الخير حين تذكر بلقيس ومن نال مطلع الشمس جدي^٢

كما ذكره أيضا بعد ذلك من الشعراء الجاهليين: قس بن ساعدة الإيادي، وطرفة بن عبد البكري. والأهم من هؤلاء كلهم شاعر الرسول حسان بن ثابت الذي قال فيه ضمن قصيدة له:

لقد كان قحطان الندى القرم جدنا له منصب في رافع السمك يشهر

١ - نفسه، ١٧٢.

٢ - انظر البداية والنهاية، ابن كثير، ٢/١٠٣. والإكليل، الهمداني ٨/١٩٨.

ينال نجوم السعد إن مد كفه تقل أكف عند ذلك وتقصر
ورثنا سناء منه يعلو و متحدًا منيف الذرى سامي الأرومة يذكر
إذا انتسبت شؤس الملوك فإنما لنا الراية العليا التي ليس تكسر
لنا ملك ذي القرنين هل نال ملكه من البشر المخلوق خلق مصور؟
بواتر يتلو الشمس عند غروبها لينظرها في عينها حين يدخر
ويسمو إليها حين تطلع غدوة فيلمحها في برجها حين يظهر

وقال نشوان بن سعيد الحميري في ملحمة الحميرية "النشوانية":

والرائد الملك المتوج تبعُ ملك يرود الأرض كالمساح
فتح المدائن والمشارق وانتحى للصين في برية وبراح
فأذاق بعبير حتفه فدحى به في عقر لحد للمنية داحي
وأحل من يمن بتبت معشرًا أضحوا بها عنا من المزاح
والترك قبل الصين كان لهم به يوم شتيم الوجه والأكلاح

وأورد ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" لشاعر يمني من الحارثيين فاحرًا أقواما من
مصر هذين البيتين:

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذي القرنين يقبله أهلُ الحجا فأحقُّ القول ما قُبلا

وفي الإصابة: روى ابن شاهين، من طريق ابن الكلبي، عن وحشي بن حرب بن
وحشي بن حرب عن أبيه عن جدّه، قال: قدم ذو منادح وذو دجن وذو مهدم على
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لهم: انتسبوا. فقال ذو مهدم:

على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا صوارم يفلقن الحديد المذكرا

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، محمد فؤاد عبد الباقي، وتصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ -، ٦/٣٨٥.

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ -، ٢/٣٤٤.

٦- ذكر العلامة الفقيه محمد أبو اليسر عابدين، في كتابه "أغاليط المؤرخين" عن اختلاف الآراء حول ذي القرنين، هل هو فارسي؟ أو رومي؟ أو يوناني؟ وهل هو الاسكندر أم لا؟ أن ذا القرنين عربي، مسلم، صالح، من أذواء اليمن^١.

٧- رجح المؤرخ أبو الريحان البيروني في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" بعد استعراض للأسماء المختلف بشأنها حول شخصية ذي القرنين أن ذا القرنين هو أبو كرب شمر يربع بن إفريقيس الحميري، مشيراً إلى سبب التسمية بالقول: "وسمي بذلك لذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقيه، وأنه بلغ مشارق الأرض ومغربها، وجاب شمالها وجنوبها، ودوخ البلاد وأذل العباد"^٢.

مضيفاً: فإن الأذواء كانوا باليمن، دون غيره من البقاع، وهم الذين لا يخلو أساميهم من ذي المنار، وذي الأذعار، وذي الشناتر، وذي نواس، وذي جدن، وذي يزن وغيرهم، وأخباره مع هذا تشبه ما حكى عنه في القرآن^٣.

وذهب آخرون أنه سمي بذلك؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها، وقرن الشمس من مطلعها^٤.

٨- قال المؤرخ أبو الفداء الملك المؤيد في تاريخه "المختصر في أخبار البشر" في إطار حديثه عن ذي القرنين: "... بل ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن، وهو ملك قديم، كان على زمن إبراهيم الخليل عليه السلام. قيل إنه: أفريدون، وقيل غيره. وقد غلط من ظن أن باني السد هو الإسكندر الرومي، وكذلك قد استفاض على ألسنة الناس أن لقب الإسكندر المذكور ذو القرنين، وهو أيضاً غلط، فإن لفظة ذو لفظة عربية محض، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن، وكان منهم ذو جدن، وذو كراع، وذو

١ - انظر: أغاليط المؤرخين، محمد أبو اليسر عابدين، مكتبة الخانجي، ١٣٩١هـ-، ٢٨٧، فما بعدها.

٢ - انظر: الآثار الباقية من القرون الخالية، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٨م، ٤٧.

٣ - نفسه، ٤٨.

٤ - انظر: ذو القرنين ومد الصين، محمد راغب الطباخ، عناية وتقديم: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار غراس للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠٠٣م، ١٣٦.

نواس، وذو شناتر، وذو القرنين، الصعب بن الرايش، واسم الرايش الحارث بن ذي سد
بن عاد بن الملطاط بن سبأ^١.

وقد قيل إن ذا القرنين الصعب المذكور هو الذي مكن الله له في الأرض وعظم ملكه،
وبنى السد على أجوج ومأجوج.

٩- أفرد المؤرخ المعاصر محمد راغب الطباخ كتابا خاصا عن ذي القرنين استقصى فيه
كل ما يتعلق بذي القرنين، مستعرضا جميع الآراء السابقة واللاحقة، ورجح أن ذا القرنين
عربي، يعني، صالح، تهيأت له كل أسباب النجاح، فملك الدنيا شرقها وغربها^٢.

١٠- الخوذة ذات "القرنين" التي لبسها على رأسه سلاحٌ يميّ قديمٌ على الرأس، ذكرته
النقوش اليمنية. وتكتنز النقوش والصور اليمنية القديمة بصور محاربين وملوك على رأسهم
الخوذة العسكرية. وهي الخوذة التي اشتهر بها في كتب الإخباريات وكتب التاريخ.

١١- استخدم ذو القرنين لفظة "زُبر" جمع "زُبْرَة" في قوله تعالى على لسانه: (أتوني
زبر الحديد) وهي من الألفاظ اليمنية التي لا تزال موجودة إلى اليوم، في مختلف أصقاع
اليمن؛ وهي الكتلة الحديدية الثقيلة التي تقطع الأحجار، ويستخدمها الوقاصون
والبنائون في تكسير الأحجار وتشذيبها إلى اليوم.

أخيراً لا ننسى أن نشير هنا إلى أن كثيرا من المفسرين، وخاصة ذوي الأصول الفارسية
قد تعمدوا حرف حقائق التاريخ عن مسارها، ونسبوه إلى الاسكندر حين عجزوا عن
نسبته إلى ملكهم "قورش" غير أن يكون للعرب زعيم تاريخي قبل الإسلام، أشاد به
القرآن الكريم، وحكم مشارق الأرض ومغاربها، ومنهم: النيسابوري والسمرقندي والطبري
والرازي، والبغوي، وغيرهم، وكان كلُّ حَلَفٍ يعتمد ما ذهب إليه سلفه حتى فاضت
كتب التفاسير بهذا الفكر المغلوط لدى الكثير.

١ - المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب،
الملك المؤيد، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت، ١/٤٥.

٢ - ذو القرنين وسد الصين، سابق، ٢٨ فما بعدها. وانظر أيضا الإكليل للهداني، ٨/١٨٧، فما بعدها.

معالم مدنيّة في الحضارة اليمنيّة القديمة

أشرنا سابقًا إلى مدنيّة وحضارة الشعب اليمني العظيم في تاريخه القديم، وتناولنا بعضا من المجالات التي برزت فيها معالم هذه المدنية وذلك التحضر الذي طالما افتقدته الكثير من الأمم في تلك الحقب الزمنية الغابرة.

ونتناول هنا ما تبقى من الملامح العامة التي تجسد هذه الحقيقة، هي ملامح حضارية ومدنية على قدر من الرقي والتقدم الذي افتقده الشعب لاحقًا، وبدأ يترنح بعد طول عز وشموخ..

يقول جورجى زيدان، واصفا حضارة اليمن:

"أما عربُ اليمن القحطانيّة فقد تمدنوا تمدنا لا تزال آثاره مطمورة تحت الرمال في حضرموت ومهرة واليمن، وأشهر دولهم عند العرب حمير وسبأ وكهلان، وتاريخ هذه الدول أقرب عهدا من عاد وثمود. وقد اكتشف الباحثون بعض آثارهم، وأكثر ما اكتشفوه أنقاض بعض الأبنية في صنعاء وعدن وحضرموت، فاستخرجوا منها ألواحا مكتوبة بالقلم الحميري. المسند. أكثرها دعاء ديني أو نحوه، ولم يتمكنوا من التنقيب عن الدفائن المهمة في داخلية البلاد لمشقة الوصول إليها، ناهيك بما ذكره مؤرخو العرب عن أجهة تلك الدول، وكانت قد انحلت قبل الإسلام؛ لكن أخبارها كانت إلى ذلك العهد لا تزال مألوفة، وفيها ما يدل على تمدن قديم، لا يقل عن تمدن الآشوريين والمصريين

والفينيقيين؛ فقد أنشأوا المدن وعمروا القصور وغرسوا الحدائق ونحتوا التماثيل وحفروا المناجم ونظموا الجند وفتحوا البلاد ووسعوا التجارة وأتقنوا الزراعة..".^١

ويقول المؤرخ الفرخ: "إن حضارة اليمن لم تبدأ في القرن الخامس قبل الميلاد كما توهم وأشاع بعض المستشرقين والأكاديميين، وإنما بدأت عصور الحضارة في اليمن منذ الألف العاشر قبل الميلاد، وفي الألف التاسع قبل الميلاد. وقد دلت نتائج التنقيبات الأثرية على حقيقة هامة أشار إليها البروفيسور آدموند بوخنر، رئيس معهد الآثار الألماني في برلين؛ حيث أدلى البروفيسور آدموند بوخنر سنة ١٩٨٦ م بتصريح هام قال فيه: إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية، نظرا لوجود أقدم الحضارات فيها، وكان اعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في العالم هي مصر وبلاد الرافدين، أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم المراكز الحضارية في العالم".^٢

١ - تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط. ١/١٩.

٢ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، الفرخ، سابق، ٢٧.

القلم والكتابة

إلى حد كبير يصعب تحديد البدايات الأولى للكتابة وللقلم لدى كل الحضارات الإنسانية قاطبة، وإن كان القلم لم يرتبط بالكتابة إلا لاحقاً بعد النحت والتصوير والنقش، ويبقى الحديث حول موضوع نشأة الكتابة والقلم من باب المقاربة والتقدير ليس أكثر.

ويرجع بعض المؤرخين الأوائل الكتابة إلى آدم أبي الإنسانية كلها، فهو أول من وضع الخطوط عندهم، وآخرون ينسبون القلم والكتابة إلى نبي الله إدريس عليه السلام. كما يرى آخرون أن أول من اخترع الخط وألف حروفه ستة أشخاص من "طسم" كانوا نزولاً عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت. فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم أحقوها بها، وسموها الروادف، وهي: الثاء المثلثة والخاء والذال والطاء والغين والضاد، المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجُمَّل^١.

ولدى كل الأمم - تقريباً - كانت المخريشات فالنحت والتصوير على الخزف والطين، وعلى الأحجار بصورتها البدائية، ثم تطورت لاحقاً إلى رموز منتظمة لها مدلولاتها ورمزيتها الخاصة، إلا أن ما نستطيع استخلاصه في هذا الشأن هو القول أنه لما كانت الحضارة اليمينية القديمة أولى حضارات الإنسانية قاطبة، فإن من الطبيعي أن تكون الكتابة، ويكون القلم اليميني أول ما رقم وكتب على هذه الأرض. وبحسب الجاحظ وهو يتحدث عن الكتابة: من أبين فضلها أن جعلت في علية الناس. وليس علية الناس في الزمن الغابر غير اليمينيين، مع الإشارة إلى أن العلية المقصودة هنا العلية الحضارية المتعينة بالكسب المادي على أرض الواقع، لا مجرد الوهم الذي يتشدد به البعض من منطلق السلالة أو العرق لذاته.

١ - انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٣/١٣. ومجموع هذه الروادف هي قرشت - تخذ. وهذه الحروف في اللاتينية لا يعطي كل منها مدلولاً إلا إذا أضيف إلى حرف آخر ليقابل نفس الصوت في الخط العربي، كحرف الثاء مثلاً يتكون من: th، ومثله الذال والخاء والضاد والطاء والغين..

الكتابة في اليمن

ظهرت الكتابة الأبجدية في جنوب شبه الجزيرة العربية في زمن ما يتراوح بين القرن الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد. وظهرها في هذا الوقت يوحي بوجود استقرار سياسي، وسلطة لا تقل عن سلطة مملكة أو ممالك، أو على الأقل ممالك مدن، لكي تنهياً كل الظروف لظهور هذا الابتكار غير العادي الذي أدخل المنطقة عصراً جديداً.^١

ووردت كلمة "كتب" في التاريخ اليمني، في الشعر المنسوب إلى الملك أسعد تبع بن ملكي كرب "التبع الأول" كما ذكر نشوان بن سعيد الحميري؛ حيث يقول:

قد كتبنا مساندا في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور

كما يقول أحد أبنائه من بعده:

كتبنا في ظفار زبور مجد سيقروه قروم القريتين

ويذكر المؤرخ الفرخ أن ثمة نوعين من الكتابة خلال تلك المرحلة، الكتابة المسندية، والكتابة الزيرية. فكانت المسندية نقشية، وكانت الزيرية مسمارية، وهي ألواح طينية من اللبن يتم وضعها على النار، ثم تزر الكتابة عليها بعلامات وحروف تشبه المسامير. وقد وجدت هذه الألواح الزيرية المسمارية بعد الإسلام. وذكر الهمداني أن شيخه أبا نصر اليهري كان يقرأ زبر حمير ومساندها الدهرية. وفي الشعر الجاهلي إشارة إلى هذه الزبر، في قول ابن دريد الأزدي:

وزبر حمير أخبارها في عيب ذابل

أي أنها مطمورة مندرسة..

"ومما يؤيد هذا القول من أن الخط المسند أو الحروف الحميرية أول حروف هجائية عرفت هو ما ذهب إليه الأستاذ رزوق عيسى؛ حيث قال: لنرجع إلى تلك الحضارة

١ - التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، هشام عبدالعزيز ناشر، أطروحة دكتوراه، جامعة عدن، ٢٠٠٩م، ٦٦.

القديمة، ولنعد النظر في اكتشاف الكتابة المعينية التي تدل على وجود حروف هجائية أقدم عهدا من الحروف الفينيقية التي اشتهرت في العالم القديم بأنها الحروف الأولى التي استنبطت لغاية تدوين الأفكار وصيانتها من الاندثار والطموس.. ولا شك في أن اللغة المعينية وحروفها أقدم عهدا بكثير من سائر لغات الساميين وكتابتهم..^١

ويذكر المستشرق جلازر أن الكتابة المعينية ترجع إلى ما قبل تاريخ المسيح بألف سنة، فيما يذهب آخرون إلى أنها أقدم من ذلك.

ويرى المستشرق هومل والمستشرق موريتز أن إيجاد الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغليفية كان في اليمن، وأن الفينيقيين أخذوا أحرفهم من الخط السبئي.^٢ وأن اليمنيين هم الذين اخترعوا الكتابة، وليس الكنعانيين أو الفينيقيين، وأن اليمانيين أهدوا الكتابة إلى الحيرة، ومن الحيرة عرفها الفينيقيون، وعنهم أخذ الرومانيون وعرب الشمال.

يقول الدكتور فضل الجثام: فالعربية الجنوبية، ذات الأبجدية المسندية الرائعة كانت المعين الثر الذي استقت منه لا اللغات السامية نظام أبجدياتها فحسب؛ بل لأن معظم أبجديات اللغات الأوروبية اليوم، المنتسبة إلى المجموعة عند علماء الألسنيات الهندوأوروبية، فقد صرح المستشرق البريطاني عبدالله فيلي في محاضرة له أمام الجمعية الملكية الجغرافية بلندن، كرسها لعرض نتائج اكتشافاته الأثرية عند منتصف العقد الخامس من القرن الحالي لبعض المناطق الأثرية من حضرموت القديمة. قال - في إشار منه لليمنيين أصحاب الخط المسند -: لا أعتقد بأنني أبالغ عندما أذكر بأن هؤلاء الناس - بعض قبائل المناطق الجنوبية الشرقية من اليمن - الذين شاهدتم صورهم هذه الليلة ينتسبون إلى ذلك الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم، والتي تركز عليها حضارتكم.^٣

١ - تاريخ حضارة اليمن القديم، زيد بن علي عنان، دار المطبعة السلفية، ط: ١، ١٣٩٦هـ - ٧٤.
٢ - انظر: خط الجزم، ٢٢. "إن حروف المسند هي أبجدية أم، وليست فرعا، ولئن تأثرت مع الزمن بحروف أبجدية أخرى من حيث الشكل فإن ذلك يعني أنها تفاعلت ولم تبق جامدة..". خط الجزم ٤٤.
٣ - الحضور اليمني في تاريخ الشرق الأدنى سير في التاريخ القديم، فضل عبدالله الجثام اليافعي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط: ١، ١٩٩٩م، ٢٣.

يقول ابن خلدون في المقدمة: "وقد كان العربي بالغاً مبالغته من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر، نساء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق، ولم يكن الخط عندهم من الإجداد كما كان عند التبابعة، لقصور ما بين الدولتين.. ومن الحيرة لُقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر. ويقال إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية، ويقال حرب بن أمية، وأخذها من أسلم بن سدرة، وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق، لقول شاعرهم:

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد؛ لأن إيادا وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شأنهم من البداوة، والخط من الصنائع الحضرية، وإنما معنى قوم الشاعر أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من العرب، لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها، فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحمير هو الأليق من الأقوال، ورأيت في كتاب التكملة لابن الأبار عند التعريف بابن فروخ القيرواني الفاسي الأندلسي من أصحاب مالك رضي الله عنه، واسمه عبدالله بن فروخ بن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، عن أبيه قال: قلت لعبدالله بن عباس: يا معشر قريش خبروني عن هذا الكتاب العربي، هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله محمداً. صلى الله عليه وسلم. تجمعون منه ما اجتمع، وتفرقون منه ما افترق، مثل الألف واللام والميم والنون؟ قال: نعم. قلت: وممن أخذتموه؟ قال: من حرب بن أمية. قلت: وممن أخذه حرب؟ قال: من عبدالله بن جدعان. قلت: وممن أخذه عبدالله بن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار. قلت: وممن أخذها أهل الأنبار؟ قال: من طارئاً طراً عليه من أهل اليمن. قلت: وممن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخلدان بن القسم، كاتب الوحي ليهود النبي عليه السلام..".^١

١ - مقدمة ابن خلدون، ضبط وتصحيح ومراجعة: سابق، ٥٢٤. وانظر أيضاً: صبح الأعشى، ٣/١٤.

يقول الباحث في شؤون الخط ونشأته محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي: "فيدل هذا على أن الخط المسند هو أصل الخط العربي؛ لأن نبي الله إدريس عليه السلام أرسل إلى قومه عاد، وكان مسكنهم الأحقاف باليمن، وهم من العرب البائدة".^١

مضيفاً: " .. أن بعض علماء الأفرنج يذهبون إلى ما ذهب إليه مؤرخو العرب، منهم المستشرق مورينز الألماني، فإنه يقول: إن اليمانيين هم الذين اخترعوا الكتابة، وليس الفينيقيين هم الذين اخترعوها، كما هو الرأي المشهور، ويستدل على هذا بقوله: إن الفينيقيين إنما بنوا كتابتهم على الكتابة العربية اليمانية، ثم إن اليونانيين أخذوا الكتابة عن الفينيقيين، وعنهم أخذ الرومانيون، فالعرب هم الذين أوجدوا الكتابة في العالم..".^٢

ويضيف ابن خلدون: "وكان لحمير كتابة تسمى المسند، حروفها منفصلة، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم، ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها، شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو.. وكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم أو قريباً من كتابتهم لهذا العهد، أو نقول إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة، لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول..".^٣

ويقول القلقشندي: في السيرة لابن هشام إن أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ، علّمه في المنام. قال: وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند، سمي بذلك؛ لأنهم كانوا يسندونه إلى هود عليه السلام..".^٤

وفي هذا قال أحد شعراء كندة شعرا يمن على قريش:

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقية أزهرأ
أتاكم بخط الجزم° حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وأقتنتموا ما كان بالمال مهملا وطامنتموا ما كان منه منفرا

١ - تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي، مكتبة الهلال، القاهرة، ط: ١، ١٩٣٩م، ٤١.

٢ - نفسه، ٤١.

٣ - نفسه، ٥٢٦.

٤ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، سابق، ٣/١٣.

٥ - يطلق على قلم حمير خط الجزم.

فأجريت الأقاليم عوداً وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصراً
وراعيتهم من مسند القوم حمير وما زبرت في الكتب أقلام حميرا
ويقول الشاعر أبو ذؤيب الهذلي:

عرفت الديار كرقم الدواة يزورها الكاتب الحميري

كما يقول امرؤ القيس:

لمن طللٌ أبصرته فشجاني كخط الزبور في العسيب اليماني

ومن المعلوم أن الكتابة كانت في عرب الشمال قليلة ونادرة، بل في عرب الحجاز،
وحيث أتى محمد بالرسالة كان عدد من يجيدون الكتابة في مكة والمدينة قليلاً، اختلف
الرواة والمؤرخون في عددهم؛ لكنهم قليل على أية حال، لأن الكتابة والقراءة والتعلم لم
تكن من همهم.

وقد ذكر الجاحظ أن القرشيين لم يكونوا يتواصلون إلا بعلم الأخبار أو الأنساب، وما
عداه من الزيادة غير الضرورية، مشيراً إلى حادثة طريفة تعكس هذه الحالة لديهم بقوله:
"مَرَّ أَحَدُهُمْ بَفَتَى قَرْشِي يَقْرَأُ فِي كِتَابِ سَيُوبِيهِ، فَقَالَ: أَفٍ لَكُمْ! عِلْمَ الْمُؤَدِّبِينَ وَهَمَّةَ
الْمُحْتَاجِينَ"^١

ولذا فحين سبى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في غزوة بدر أكثر من سبعين مشركاً
من مشركي مكة، جعل فدية من يجيد القراءة والكتابة منهم تعليم عشرة من صبيان
المدينة، لما للكتابة من أهمية استراتيجية في المشروع القادم له. ومن هناك صارت القراءة
والكتابة لدى عرب الشمال حالة طبيعية، جزءاً من تفاصيل حياتهم العامة، ولها أهميتها
على مختلف الأصعدة، بعد أن كانت القراءة والكتابة سابقاً حالة استثنائية لدى بعض
البيوتات فقط. وكانت لفظة "اقرأ" التي نزلت في مكة فاتحة الفواتح بفن القراءة والكتابة

١ - البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، بغداد، ١٩٦٠م،
١/٤٢.

لديهم، على العكس من عرب الجنوب المتحضرين الذين كانوا يمارسونها بصورة طبيعية، ويتعاملون بها في محرراتهم ووثائقهم.

وما يشجعنا على أن أصل الخط العربي على الأقل يعني حميري المنشأ هو ما تبقى من هذه الآثار إلى اليوم في الكتابة العربية رغم الخطأ في القياس اللغوي، فمثلا كلمة "الرحمان" وكلمة "السموات" السائدتين قديما في الديانة اليمنية كانتا تكتبان هكذا: "الرحمن" و "السموات" ومثلهما في النقوش اليمنية "همدن" بدلا من همدان، و "ريم" بدلا من ريام، وغيرهما؛ لأن قاعدة الخط الحميري كانت تحمل كتابة الألف في وسط الكلمة، رغم نطقها وذلك اختصار إذا أمن اللبس، لأن اللغة في أساسها قائمة على الخفة في الحركة والكتابة والنطق، وحين انتقل الخط إلى شمال الجزيرة العربية وبدأ العرب يمارسونه ظلت القاعدة سارية على ما هي عليه حتى في الرسم القرآني الذي لم يتجاوزه الصحابة كتاب المصحف الشريف؛ علما أن ثمة من يذهب إلى أن الأبجدية الفينيقية هي أقدم الأبجديات جميعا.^١

وكان هناك نوع آخر من الكتابة موجود في اليمن يسمى الزبور، ولم يكن اليمنيون أميين؛ بل تُظهر الآثار قدرة أهل اليمن على القراءة والكتابة. قال المؤرخون أن المقصود بالزبور هو سفر المزامير، وأن اليمنيين كانوا يسمونه زبورا، فغلب على السفر هذه التسمية. وتختلف الزُّبر عن المساند في أنها لا تكتب على ألواح أو صخور كبيرة أي أنها ليست شواهد، وليست دينية بالضرورة، فقد يكون بعضها يحتوي على أدعية، وبعضها إيصالا من صكوك التعاملات اليومية. ولطالما ذكر المؤرخون زبر حمير؛ بل زبر همدان، وزبر خولان، وغيرها.

١ - انظر: العرب في سوريا قبل الإسلام، رنيه دسو، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ٨٠.

تشبيد السدود والطرقاا والحواجز المائية

مما لا شك فيه أن اليمينين القدامى هم أول من اسأخدموا أنظمة الري في الزراعة؛ لأن حضارة اليمن ارتبطت أصلا بالزراعة، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك، وكما دلت أيضا التنقيبات الأثرية، والشواهد التي لا تزال ماثلة إلى اليوم، سد مارب أنموذجا..

وسد مارب العظيم حاجة طبيعية فرضتها الظروف والعوامل الموضوعية في المنطقة؛ لأن الحضارات في الغالب تنشأ على شطوط الأودية الفسيحة أو البحار أو الأنهار؛ أما حضارة اليمينين القديمة فقد صنعت هي الأودية وحجزت المياه تلبية لحاجياتها طوال العام، كأضخم تحدٍ إنساني للطبيعة وللظروف القاهرة.

أول سد في التاريخ

في الحقيقة - وكما أثبتت التنقيبات والدراسات العلمية - أن ثمة سدودا استخدمها اليمينيون في الألف الخامس قبل الميلاد، وهي دون سد مارب؛ "حيث كشفت البعثة الإيطالية بقايا سد في موقع النجاد، يعود إلى ذلك الزمن، وجاء في تقرير البعثة: أن سد موقع النجاد تم تشييده واستعماله لمنع الآثار السلبية للفيضانات، ولمنع الرسوبيات الخصبية من أن تجرف عبر الوادي. ويدل على ذلك بناء السدود منذ الألف الخامس قبل الميلاد، كما أن نتائج المسح الأثري الذي قامت به البعثة الأثرية الألمانية في وادي ذنة؛ حيث يقع سد مارب قد دلت على وجود حضارة وتقنية الري في الألف الثالث قبل الميلاد. وكان ذلك مقدمة لتشبيد سد مارب العظيم الذي أثبتت تنقيبات ومكتشفات البعثة الأثرية الألمانية عودة زمن بعض منشآته إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد..".^١

١ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، سابق، ٣٩.

سد مارب "العرم"

أما عن سد مارب العظيم المعروف بمكانته وجغرافيته الحالية، فقد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسه وإنشائه، وكذا أسماء مؤسسيه من الملوك على أكثر من قول، فقال المسعودي: بناه لقمان الأكبر بن عاد، وجعله فرسخا في فرسخ، وجعل له ثلاثين ثقبا.^١ أي في القرن الثالث قبل الميلاد؛ لأن لقمان الأكبر هو لقمان بن عاد بن المبلاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبدشمس.

مضيفا تعليلا آخر لما عند المؤرخين عن سبب بنائه: "... وذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كان يركبها السيل من تلك المياه. وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيههم، ويؤثرهم ويحسن إليهم، فجمعهم للالتجاء إلى رأيهم والأخذ من محض عقولهم، فشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره، وذلك أنه كان ينحدر من أعالي الجبل، هابطا على رأسه حتى يُهلك الزرع ويسوق في حملته البناء، فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف له إلى براري تقذف به إلى البحر، وأخبروا الملك أن الماء إذا حفروا المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال، لأن في طباع الماء طلب الخفض، فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف إلى تلك الجهة، جهة البراري، واتخذوا السد في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل إلى الجبل، وجعلوا فيه المخراق، وهو مخراق من الحجر الصلد والحديد، طول المخراق فرسخ، وكان وراء السد والجبال نهر عظيم، ثم اجتذبوا من تلك المياه نहरًا مرسلا، مقدارا معلوما، ينتهي في جريانه إلى المخراق، ثم ينبعث منه إلى الأنقاب، وهي ثلاثون مخراقا صغيرا، مستديرة في استدارة الذراع طولًا وعرضًا، مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير، وكانت المياه تخرج من تلك المخاريق في مجاريها حتى تأتي الجنان فترويهما سقيا، وتعم شرب القوم".^٢

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، سابق،

٢ - نفسه، ٢/١٨١.

ويرى نشوان الحميري أن من بنى السد سبأ بن يشجب بعد أن استخلف ابنه بابليون على مصر، مضيفاً: أنه سد يقبل إليه سبعون وادياً بالسيول، وهو ما يرجحه المؤرخ الفرع، الذي يرى أنه لم يكمل بناء السد، وإنما أكمله ملوك حمير من بعده.^١

وذكرت النقوش أن المصارف والقنوات التي كانت المياه تسير فيها "من قرب رحبم إلى وادي وصحو قدام العبر" وبحسب الفرع فإن "رحبم" اسم الواحة الجنوبية في وادي سد مارب، وأن المصارف تمتد إلى العبر في أعالي حضرموت، في قلب براري الربع الخالي حالياً الذي كان جزءاً من أرض سبأ.^٢

وكان المستشرق الآثاري "برونز" قد حدد تاريخاً لنظام الري والزراعة في حوض مارب، يعود إلى حوالي بداية الألف الثاني قبل الميلاد، أو بنهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وهو تاريخ أقدم بكثير من التاريخ الذي يعطيه "فان بيك" و "بيرين"، وقد تعطل العمل بهذا النظام في حوالي بداية القرن السابع الميلادي.. وقد احتوت نتائج دراسته الأثرية الجيومورفولوجية لبرونز لإرسابات التربة ونظام الري في حوض مارب شرحاً لتكنيكياً لمنظومة الري البسيطة والمعقدة، وتحليلاً وتوضيحاً لوظائفها، كما تضمنت هذه الدراسة تحليلاً للعناصر الكيميائية الطبيعية لسرائح التربة، وكذلك شرحاً تفصيلاً لمستوياتها وشكل بنيتها، بالإضافة إلى تحديد مراحل نمو نظم الزراعة والري، ووصف أقنيتها المتنوعة.^٣

وبشكل عام، ومن واقع تفاصيل وطبيعة السد نستنتج التالي:

١. طريقة تصميم السد تعكس براعة عالية في المستوى الهندسي الذي توصل له اليمينيون القدامى. وهو مستوى قائم على أسس علمية، مصحوب بالتجربة. فهو يضم

١ - اليمن في تاريخ ابن خلدون، الفرع، ٤٥. وانظر أيضاً: تاريخ صنعاء، الفرع، ٢٧.

٢ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ، ٨٨.

٣ - د. عبده عثمان غالب، فرضيات الفجوة الثقافية والتوطن القديم في اليمن، مجلة الإكليل، العدد: ٣٥ و ٣٦، ٢٠١٠م،

في محصلته النهائية سبعين واديا تتدفق إليه، وبالتالي فمن الضروري أن يكون قويا متينا لمواجهة قوة سيول سبعين واديا، ولا تكون القوة إلا بتصميم هندسي علمي بارع.

٢. تفنن اليمنيين في الزراعة بمختلف تنوعاتها على مدار العام..

٣. إتقان اليمنيين لفن المعمار اليمني الأصيل من خلال طبيعة البناء، فالسد يبلغ طوله ٧٢٠ مترا، وارتفاعه ١٨ مترا، وسمك جداره حوالي ٢٠ مترا. فقد كان البناء محكما من خلال ترابط أحجاره بالحفر، وصب الرصاص المذاب أيضا لزيادة التماسك بينهما.

٤. مدى التكاتف والتعاقد بين المجتمع آنذاك، فالسد. كما تذكر النقوش. من فعل اشتراك العديد من القبائل في بنائه، ولم يكن من فعل قبيلة واحدة أو جماعة ما. والتكاتف والتضامن المجتمعي سمة حضارية ومدنية في أي مجتمع في القديم أو الجديد، كما أنه دليل الوحدة الاجتماعية والسياسية معا.

وقد كان السد يروي جنتيه الواسعتين، إذ تبلغ اللجنة اليمنى عشرة آلاف هكتار، وكذا اللجنة اليسرى التي تصغرها قليلا.^١

إلى جانب السدود أيضا الطرقات والأنفاق القديمة التي لا تخلو منها معظم جبالنا، فقد أشارت النقوش إلى فتح بعض الأنفاق والثغرات في جبال قنبان، الواقعة في حدود بيحان حاليا، وذلك في عهد مكرب قنبان "يدع أب ذيبان" المعروف بجهوده الجبارة في البناء والتعمير، وبخاصة فيما يتعلق بشق الأنفاق، ورصف الطرقات، وبناء المعابد، وقد شُقَّ في عهده ممر "مبلقة" أو "مابلق" بين بيحان ووادي حريب الذي شاهده ويندل فيلبس أثناء تجواله في بيحان، وقال واصفا الممر: هو عبارة عن طريق صناعية، شقها الإنسان، لتصل بين وادي بيحان، ووادي حريب، فعلى امتداد هذا الممر - ويبلغ ثلاثة أميال - ترتفع جدران إلى مسافة ألف قدم، في المنحنيات خطرة؛ أما طريق الممر فيتراوح

١ - انظر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، جمال سليمان علي عامر، "رسالة ماجستير" جامعة الرقازيق، مصر، ٥٥.

عرضها ما بين خمسة عشر قدما واثني عشر قدما، ويمكن القول إن شق هذا الممر من الأعمال الجبارة.. وقد أشرف على هذه الأعمال كبير مهندسي قتبان "أوس عم بن يصرعم" المعروف بدرايته في هندسة الطرق وشق الأنفاق.^١

١ - معالم عدن التاريخية، أحمد صالح رابضة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، ط: ١، ١٩٩٩م، ٦٠.

بناء الهياكل والقصور

يذكر ابن خلدون في تاريخه أن صنعاء أول مدينة اختطت باليمن، وكانت تسمى أزال، من الأوليّة بلغتهم.^١

وقال الهمداني: صنعاء أقدم مدن الأرض؛ لأن سام بن نوح هو الذي أسَّها.^٢

ويقول المؤرخ الفرخ: فقد يكون أقدم استيطان بشري لصنعاء منذ زمن سام في منطقة جبل نغم؛ أما تشييد مدينة في صنعاء فكان في العصر اليعربي القحطاني حين استقرت بصنعاء قبيلة أزال بن قحطان، وبهم سميت صنعاء أزال. وكان ذلك في زمن تشييد مدينة وادي يناعم بين صنعاء ومارب، حوالي خمسة آلاف قبل الميلاد؛ لأن صنعاء أزال. كما ذكر ابن خلدون وعلماء اليمن الأوائل. هي أقدم مدينة اختطت باليمن.^٣

قصر غمدان

ذكر المسعودي في مروج الذهب عن بناء قصر غمدان في صنعاء أن "بيت غمدان بصنعاء بناه الضحاك على اسم كوكب الزهرة".^٤

والضحاك هو الملك الضحاك سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ بن عبدشمس. وهو ما أيده ابن خلدون في ذلك، وزاد: "وحجت إليه الأمم".^٥

١ - اليمن في تاريخ ابن خلدون، الفرخ، ٦٣٥.

٢ - صفة جزيرة العرب، الهمداني، ٢٠٤. ص ٨٢.

٣ - الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ٤٢.

٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، سابق، ٢/٨٤.

٥ - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ٤/٢٢٢.

وثمة روايات أخرى تنسب البناء إلى آخرين من الملوك، أهمهما رواية الهمداني الذي نسب البناء إلى "إل شرح يحضب" في القرن العاشر قبل الميلاد، فلما فرغ من بنائه قال في ذلك شعرا بالحميرية، أورد منها هذا البيت:

إني أنا القيل إل شرح حصنك غمدان بمبهمات^١

ولا يهمننا هنا تاريخ أول بناء له بقدر ما يهمننا الإشارة إلى تفاصيل هندسته وفخامته التي تعكس حالة من التمدن الحضاري والتقدم المعرفي في الهندسة والعمران..

وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد سقوفه إلى أكثر من قول، إلا أن الأرجح أنها عشرون سقفا، كل سقف على عشرة أزرع، وهو ما ذهب إليه الرازي والهمداني الذي قال أنه كان بين كل سقف ثمانية عشر ذراعا، وكان فيه مئة مسكن بمرافقه، وكان أعلاه غرفة رخام.^٢

وقد ذكر المؤرخون أنه كان للقصر أربعة أوجه في ترابعه: وجه مبني بحجارة بيض، ووجه بحجارة سود، ووجه بحجارة خضر، ووجه بحجارة حمر.

قال الهمداني: كانت غرفة الرأس العليا، مجلس الملك اثنا عشر ذراعا، عليها حجر من رخام، وكان في زواياه الأربع أربعة أسود من نحاس أصفر خارجه صدورها، فإذا هبت الريح في أجوافها زارت كما يزار الأسد. وقال ابن شرية الجرهمي: كان للغرفة - أي مجلس الملك - أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب. وعند كل منها تمثال أسد من نحاس، فإذا هبت الريح من الأرياح زار ذلك التمثال الذي هو قبالة ذلك الباب، فإن تناوحت الأرواح زارت جميعها.^٣

مضيفا عن غرفة القصر العليا: "...لما بنى غمدان صاحب غمدان، وبلغ غرفته العليا أطبق سقفيها برخامة واحدة، وكان يستلقي على فراشه في الغرفة، فيمر بها الطائر،

١ - الإكليل، الهمداني، ٨/١٩.

٢ - تاريخ مدينة صنعاء، للزاي، تحقيق ودراسة: د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، - دار الفكر، سورية، ٢٠٠٠. والإكليل للهمداني، وانظر: تاريخ صنعاء للفرح ٥٦.

٣ الإكليل، الهمداني

فيعرف الغراب من الحدأة من تحت الرخامة. وكان على حروفها أربعة تماثيل أسود من نحاس مجوفة، فإذا هبت الريح فدخلت أجوافها سُمع لها زئير كزئير الأسد. وكان يُصبح فيها بالقناديل فُتْرى من رأس جبل عجيب".^١

وإلى جانب التماثيل النحاسية للأسود، فثمة تماثيل النسور؛ لأن النسور كان شعار ملوك سبأ التباينة. وأيضاً "نافورة" مياه متحدرة من مكان مرتفع، تزين بستان القصر، وقد قال الهمداني في ذلك شعرا:

من بعد غمدان المنيف وأهله وهو الشفا لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعدا عشرين سقفا سمكه لا يقصر
ومن السحاب معصب بغمامة ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحكا بالقطر منه صخره والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنا في صدره قطارة لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير عاكفة عليه وفودها ومياهه قنواته تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها وبرأسه من فوق ذلك منظر

وذكر ابن الجاور أن ملوك التباينة كانوا يتابعون البناء عليه "وكل ملك تولى منهم كان يُعلي قصرا على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين وسبعين سقفا، ويقال: ثلاثة وتسعين سقفا، وكان آخر من بنى به أسعد الكامل، بنى قصرا من زجاج، وهو الخاتمة".^٢

كما ذكر الهمداني أن ملوك حمير لم تنزل تنزله وتزيد فيه حتى أخرج في أيام خلافة عثمان بن عفان.

١- نفسه.

٢- تاريخ المستنصر، ابن الجاور، ١٨٠.

وقد ظل القصر حديث العامة والخاصة في اليمن وخارج اليمن، وكذا الشعراء الذين تغنوا به، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه شعراء، في إطار مدحه للملك سيف بن ذي يزن، وتهنئته بالانتصار على الأحباش:

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا
قصر بناه أبوك القيل ذي يزنٍ فهل ترى أحدا نال الذي نالا
مُنطَقًا بالرخام المستزاد له ترى على كل ركن منه تماثلا

وقال عنه الشاعر الجاهلي ربيع بن ضبع الفزاري:

وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله زهاء وتشيدا يحاذي الكواكبا

وقد أشار الملك أسعد الكامل إلى أن اليمنيين إذا فقدوا قصر غمدان فقدوا معه المجد والملك

ولقد علمت لئن هلكت وأوحشت مني ظفار وعطلت غمدان
فليفقدن من الملوك عظيمها ولتفقدن حليفها التيجان

وقد ظل قصر غمدان هو القصر الرئيس للملوك التابعة، ولمدة ألفي عام وواحد وثمانين عاما.

قال المسعودي في مروج الذهب عن قصر غمدان: "وقد قيل أن ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في أعلى هذا البنيان بالليل، واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام".^١

ومع ضعف الدولة وتراجع قوتها تم إهمال القصر، فتهدم رويدا رويدا حتى أصبح اليوم أطلالا دارسة، ناهيك عن الهدم العمد الذي طاله لأكثر من مرة، كانت أولها أثناء الغزو الحبشي الذي هدم جزءا منه، وايضا أثناء خلافة عثمان بن عفان؛ حيث أمر

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، سابق، ٢٤١/٢.

بهدمه، وقد تم بناء الجامع الكبير الذي يقع على مقربة منه إلى الغرب ببعض أحجاره، كما بنيت أيضا أكثر دور تلك المنطقة، وبعضها لا تزال إلى اليوم في مكانها. ويتنبأ البعض بأن إعادة بناء القصر سوف تعاد على يد غلام يخرج من بلاد سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيرا عجيبا..

سالحين.. القصر العتيق

لأن اليمن بلاد القصور والقلاع "المصانع" فقد صارت لبعض القصور مسميات اشتهرت بها، مثل القصر العتيق، والقصر العتيق هو قصر سلحين على الأرجح الذي ذكرته النقوش اليمنية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد بناه الملك شداد بن شمس عاد. قال الهمداني: "مضى شداد بن عاد إلى مارب، فبنى بها القصر العتيق، فلم يدع في اليمن درا ولا جوهرًا ولا عقيقًا ولا جزعًا، ولا بأرض بابل إلا وأرسل في الآفاق بجمع ذلك، فجمع جواهر الدنيا من الذهب والفضة والخارصين والنحاس والرصاص، فبنى فيه القصر وزخرفه، ورصَّعه بجميع ذلك الجوهر، وجعل أرضه زجاجًا أحمر وأبيض وغير ذلك من الألوان، وجعل تحتها أسرابًا، أفاض إليها ماء السد، فكان قصرًا لم يكن في الدنيا مثله".^١

إرم.. لم يخلق مثلها في البلاد

أشار القرآن الكريم في سورة الفجر إلى مدينة إرم بقوله: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد).

يذكر المؤرخون أن شداد بن عاد هو الذي أسس مدينة إرم، وبحسب نشوان: "إرم بتيه أبين باليمن، وبها من أعمدة البناء ما ليس في غيرها".^٢ وبحسب ابن خلدون فإن

١ - الإكليل، ٨/١٨٣.

٢ - شمس العلوم، نشوان الحميري، ١/٧٧.

قبيلة لا مدينة؛ أما ابن المجاور فيتناولها بشيء من التفصيل، فيقول عنها: "إن شداد بن عاد بنى إرم ذات العماد ما بين اللخبة ولحج، وبنى المغاوي التي على طريق المفاليس، وهو الرمل الذي إلى جبل دار زينة، وما بناها إلا في أطيب الأراضي والأهوية والجو، في صفاء من الأرض، بعيد عن البحر، والآن رجع البحر في أطراف بلاد إرم ذات العماد، وتناول البحر شيئا منه أخذة".^١

مضيفا: "لما خرج شداد بن عاد من أرض اليمن، طالبا أعمال حضرموت، ووصل "لحج" نظر إلى جبل العُر وعظمه من على مسافة بعيدة، فقال لأعوانه: اغدوا أبصروا هذا الجبل وما دونه، فلما عاينوا الموضع، رجعوا وقالوا: إن هذا الموضع وادٍ في بطنه شجر، وفيه أفاعي عظام، وهو مشرف على البحر، فلما سمع بهذه المقالة نزل في لحج وأمر بأن تُحفر الآبار فيها".^٢

وتشير بعض الروايات إلى أن "إرم" بن عاد هو الذي بنى المدينة، إلا أن المؤرخ الفرخ . وعلى الرغم من تأكيده على أن باني مدينة إرم هو شداد بن شمس عاد إلا أنه أخيرا . يجمع بين الروايتين بالقول: "ويمكن أن يكون إرم بن شداد قد اشترك في الإشراف على بناء المدينة مع أبيه، الملك شداد بن عاد، ثم ولاه أبوه على المدينة والبلاد، وباسمه سميت مدينة إرم. وشمل اسم إرم السكان الذين أوطنهم الملك شداد بن عاد؛ لأنهم صاروا أهل إرم، ولذلك قال نشوان: إرم مدينة عظيمة، سميت بساكنها من إرم. ثم إن اسم إرم شمل قبائل كل المناطق التابعة لمدينة إرم، وهي . غالبا . مناطق وسط وجنوب ساحل اليمن إلى البحر الأحمر غربا والبحر العربي وساحل حضرموت ومهرة وعمان شرقا، فقبل لهم: إرميون. فكان اليمن ينقسم إداريا فيما بعد إلى سبأ وذي ريدان، وكانت مدينة إرم ذات العماد في زمنها أعظم مدينة في كل البلاد".^٣

١ - تاريخ المستبصر، ابن المجاور، ١٠٦.

٢ - نفسه، ١٠٧.

٣ - الجديد، ١١٦.

وقد كانت فترة حكم شداد بن شمس عاد أربعين سنة، فيما بين ١٧٨٠-١٧٤٠ق. م. وقد استمرت مدينة إرم قوية مزدهرة في عصره وعصر أتباعه من بعده ما يقارب ثلاثمئة سنة. وقد بناها في الجنوب هناك، وقريبا من وسط البلاد، كعاصمة ثانية للدولة بعد مارب التي بنى فيها القصر العتيق "سلحين" الذي ذكرناه آنفا. كما بنى أيضا مدينة عدن التي ينسبها البعض إلى ابنه "عدن" وقد كانت معزولة عن مدينة إرم بالجبل الحاجز بينهما، فنقب بابا في الجبل للوصول إليه، وهو المعروف بباب عدن اليوم، واستعمل تلك المنطقة "عدن" منفى وسجنا لكل من طرده من مدينته إرم. كما أنشأ فيها لاحقا قنطرة خور مكسر التي كان لها دور تجاري كبير مع الفراعنة المصريين خلال تلك الفترة؛ حيث استخدمت ميناء للاستيراد والتصدير. وقد ذكر الهمداني وصفا لذلك الباب بالقول: "باب عدن، وهو شصر مقطوع في جبل، كان محيطا بموضع عدن من الساحل، فلم يكن لها طريق إلى البر إلا للرجال لمن ركب ظهر الجبل، فقطع في الجبل باب مبلغ عرض الجبل حتى سلكه الدواب والجمال والحامل والمحفات".^١

ناعط.. القصر المشيد

هو واحد من قصور السبئيين ومحافدها التاريخية التي لا تزال آثارها تشمخ بالعظمة والجلال إلى اليوم وسط الإهمال الذي تلاقيه والنسيان الذي يلفها جميعا. قال عنه الهمداني: "قد نظرت بقايا مآثر اليمن وقصورها سوى غمدان، فإنه لم يبق منه سوى قطعة من أسفل الجدار، فلم أر مثل ناعط ومارب وضر، ولناعط الفضل، وهي مصنعة بيضاء مدورة منقطة في رأس جبيل ثنين، وهو أحد جبال البون، وهو جبل مرتفع مقابل لقصر تلفم، وهو جبل في سرّة همدان..".^٢

١ - صفة جزيرة العرب، الهمداني، ٣٤٤.

٢ - الإكليل، الهمداني، ٨/٣٤.

وثمة قصور أخرى ملحقة بالقصر الرئيس، تزيد عن عشرين قصرا، مع مباني أخرى للحاشية، تحت كل قصر منها صهريج خاص بالمياه التي يحتفظ بها، كما أن فيها بقايا الأسطوانات والأعمدة التي يقوم عليها البناء، وتزيد عن عشرين ذراعا طولا، لا يحضن الواحدة منها إلا رجلان اثنان، لعظم سكمها، فيها بقايا الحديد الذي يعتبر أحد مكوناتها، وفيه أيضا قصر المملكة الكبير الذي كان يسمى قصر "يعرق"، ويحف الجميع سور واسع مبني بالحجارة المنحوتة، هو من دلائل الملك وشارات العظمة، التي ذكرت في الشعر العربي قديما.^١ وقد قال الهمداني عن هذا القصر شعرا:

ألم تر أن الدهر زلزل ناعطا	فأصبح مسحول التراب وساقطا
يكبكب بعد الشيد سبعين بسطة	لأذقانه عن طفة النبو هابطا
تعاوره صرف الزمان فلم يدع	من الشيد إلا اسطوانا وحائطا
فمن يكن ذا جهلٍ بأيام حميرٍ	وآثارهم في الأرض فليأت ناعطا
يجد غمدا تعلقو القنا مرمرية	وكرسي رخام حوله وبلائطا
ملاحك لا ينفذ الماء بينها	ومبهومة مثل القراح خرائطا
على كرف من تحتها ومصانع	لها بسقوف السطح ليس وقائطا

كما قال الشاعر علقمة بن ذي جدن متحدثا عن "لميس" إحدى أميرات القصر:

ولميس كانت في ذؤابة ناعط	يجبي إليها الخرج صاحب بربر
والسامح الملك المتوج بعلمها	ذو التاج حين يلوته والمنبر

ومن القصور التي أقيمت على غرار ناعط محفد "مدر" المؤلف من أربعة عشر قصرا، كلها غنية بالأعمدة السامقة، وهي غاية في الفخامة والجمال. وهذه القصور والمحافد أشبه بقلاع يقيم فيها الأذواء والأقيال، تحتوي على هياكل وعلى تماثيل للآلهة.^٢

١ - انظر: تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، ط: ٢، ٢٠٠١م، ٩٤.

٢ - نفسه، ٩٥.

وكان اليمينيون ماهرين في فن البناء ونحت الحجارة، ويستدل من آثارهم الباقية أنهم عرفوا العقد المدبب الذي يستند على أعمدة باسقة. وقد بنى اليمينيون بالإضافة إلى القصور السدود والحصون والمعابد والحياض وخزانات المياه، وأكثروا من بناء الهياكل، إذ احتوت بعض مدنهم ٦٠ هيكلًا، وبعضها الآخر ٦٥ هيكلًا. ولم تكن عنايتهم بالإكثار من السدود والخزانات بأقل من ذلك، ولا تزال كثير من الخزانات والأحواض التي بنوها لخزن المياه مستعملة حتى الآن، على أن أهم أثر تركوه هو سد مأرب العظيم^١.

عرش بلقيس

قال تعالى على لسان الهدهد، واصفا عرش بلقيس: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ)

إنها حالة نادرة وفريدة من حالات الوصف السماوي جل في علاه، فهو العظيم الذي وصف عرش الملكة بلقيس بالعظمة، وذلك لما تميز به. وقد اختلف كلام المؤرخين والمفسرين حول طبيعة هذا العرش وجماله ووصفه، "فيقال بأن مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الأحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة، مكلل بألوان الجواهر، وله أربع قوائم، قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أخضر، وقائمة من زمرد أخضر، وقائمة من در أصفر، وصفائح السيرير من ذهب، وعليه سبعون بيتا، وعلى كل بيت باب مغلق، وكان طوله ثمانون ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء". نساء حكمن اليمن، ٣٨.

قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين، وطوله في السماء ثلاثون ذراعا. وقال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعا، وطوله في الهواء ثمانين ذراعا. وقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه أربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا. تفسير البغوي.

قال علقمة:

ومنا الذي دانت له الأرض كلها بمارب بيني بالرخام ديارا

ومما سبق نستخلص أن اليمنيين القدامى هم أول من أقاموا الدول وبنوا المدن وشيدوا القصور وقادوا الجيوش ومارسوا التجارة والصناعة والزراعة ومختلف الحرف والمهن. وهم أول من اخترعوا الحرف وكتبوا بالقلم ودونوا المساند، وسادوا العالم أجمع.

معبد بلقيس

العمارة الدينية، ممثلة في المعابد والكنائس ثم المساجد أحد الشواهد الحضارية على المستوى الفني والإبداعي الذي وصلت إليه المجتمعات، بل لقد تطورت الفنون من خلالها، وصارت فنون العمارات الدينية فنونا مستقلة عن غيرها من المعمار، ذلك لأن المعماريين قد أبدعوا في العمارة الدينية ما لم يُدعوه في غيرها، فأضخم الهياكل والمعابد بدت كأنها من عمل السحر، بل لقد نسب بعض المتأخرين بعضا من المباني إلى الجن، لعجز الأواخر أن يأتوا بمثل ما أتى به الأوائل في هذا الجانب، وهي صفة غالبية لدى الناس، إذ ينسبون كل مدهش وعجيب لقوى غيبية غير القوى المادية الأرضية - الإنسانية. وكما قال الشاعر:

وكان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وتبرز لنا بقايا المعابد المنتشرة في كثير من الربوع اليمنية هذا التأثير بصورة أكثر وضوحا، فمن خلال فن عمارتها وزخرفتها يتضح لنا أن ملوك اليمن القديم، وولاة المناطق "الأقبال والأذواء"، وأن أهل اليمن القديم عامة قد تنافسوا في بناء المعابد وإبراز جمالها وتميزها وضخامتها وتزيينها، وأولوها عناية خاصة في البناء، حتى بدأت أفخم وأضخم

من بيوتهم وقصورهم، باعتبارها بيوت الآلهة التي يتقربون إليها فيها، ويقدمون لها الهدايا والنذور والقرايين، وقيمون فيها الطقوس والشعائر الدينية لإرضائها.^١

وإلى جانب هذه المعالم التاريخية فثمة معالم أخرى فيها من العظمة والإدهاش ما يسحر اللب والإحساس إلا أنها مندثرة ودارسة وطبي النسيان والإهمال معا، مثل بينون ودماغ وضهر وغيمان، وغيرها؛ علما أن كل مدينة يمنية قديمة قد تكونت من: السور، والمعبد، والسوق، وقصر الحكم، ومنازل العامة من الناس المتكونة من عدة طوابق، يشق المدينة شارع رئيسي من بداية المدينة إلى نهايتها، في وسطه قصر الحكم.

١ - مستوطنة أودية كور العوالق الجمهورية اليمنية محافظة شبوة دراسة تاريخية أثرية، فيصل حسين ناصر البعسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م، ١٣٢.

الفنون العامة

النحت والزخرفة

الإنسان فنّانٌ بطبعه قبل تطبُّعه، وما من شخص في الوجود إلا وله حظ من ذلك، سواء صانعا للفن أو مستمتعا بصنعه، وفي الحالتين فهو فن؛ لأن الوقوف في محراب الجمال هو الجمال بعينه. ثم إن عملية صناعة الفنان تستبطن فنانا مشاهدا، وبالتالي يكون قد شارك المتلقي أو المستمتع في صناعة المادة الفنية ضمينا وصياغتها؛ لأن الفنان حين يبدع، يبدع بذهنية تستحضر الطرف الآخر "المتلقي" فيدع منه وإليه في نفس الوقت، إبداعا بصريا أو سمعياً، فلكل نمط معين من الفنون نبعه الذي تأتي منه، ومساربه التي تمشى فيها، ثم مصبه الذي يصل إليه حتى استقلت الجماليات بفن خاص بها، عرف بعلم الجمال، ترقى مع ترقى مدارج الكمال العقلي والوجداني في حده الإنساني.

يُقال: السياسةُ فنُّ الأمم المتخلفة والفرُّ سياسةُ الأمم المتقدمة. وقد عرف اليمينيون الفنون من زمن قديم، وعلى الرغم من المؤشرات القوية في الآثار اليمنية التي تشير إلى هذا المجال قديما إلا أن ما تم اكتشافه ودراسته قليل جدا قياسا إلى ما يزال مطمورا تحت الأنقاض ورهنا لعبث الباحثين من عامة الناس بلا دراية أو معرفة، ناهيك عن التدمير الممنهج بعمد، وبغير عمد من قبل البعض لآثار اليمن وكنوزها التاريخية، وتكاد حضارة اليمن - قياسا إلى الحضارات القديمة الأخرى - تخلو من الفنون والدراسات الفنية، على العكس مما عليه الشأن لدى حضارة بلاد الرافدين، ولدى الحضارة الفرعونية التي تمت دراستها والتنقيب عنها، ثم إخراجها للناس، في الوقت الذي لم يتم الاكتشاف من حضارة اليمن إلا القليل، والقليل جدا.

أيضا عرف اليمينيون القدماء فن النحت والزخرفة على الأحجار والفخار والأخشاب، لتخليد بعض شخصياتهم، أو بعض المواقف التصويرية التي تستحق التوثيق والتخليد، أو نحت بعض الحيوانات ذات الطابع الديني المقدس أو الفني الخالص، ناهيك عن النحت المعماري المميز، ممثلا في الأسطوانات وقوائم المعابد والقصور والأحجار، وهي كثيرة؛ حيث أقدم النحاتون على تزيين أعمدة المعبد برسوم العصفير التي يرى البعض بأنها تعبر عن شجرة الحياة، كما في بلاد الرافدين، فتظهر الطيور وهي تحوم فوق زخرفة نباتية، دائرة الشكل، يتدلى منها أغصان، تكسوها أوراق عريضة، برؤوس ومناقير صغيرة، وبأجنحة مفرودة وأقدام ممدودة. الجدير ذكره أن منظر تصوير العصفير ضمن مشاهد الزخرفة النباتية، المتمثلة في الغالب بزخرفة أوراق وثمار العنب قد عرفت منذ فترات تاريخية مبكرة في مختلف ممالك اليمن القديمة، واستُخدمت في الغالب كأفاريز تزين جدران وسطوح المباني وواجهاتها، وأحيانا كانت توضع كزخارف تزين عتبات الأبواب والنوافذ وتيجان الأعمدة، وعادة ما تظهر العصفير على واجهات الكثير منها برؤوس ومناقير صغيرة، تلتقط الثمار، وبأجنحة مفرودة، وأقدام صغيرة ممدودة، تتخلل أجنحتها خطوطاً غائرة صغيرة، تعبر عن موضع الريش المغطى لها.^١

وللأسف فإن المتاحف الغربية، وخاصة في فرنسا وبريطانيا وألمانيا تكتنز بالعديد من المنحوتات الأثرية اليمنية القديمة التي يعود تاريخها إلى العصور السبئية والحمرية، في الوقت الذي لا يكاد اليمينيون يعرفون عنها شيئا.

وتعود أقدم نماذج النحت اليمني إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهي عبارة عن شواهد لقبور من الحضرميين أسلوب نحتها وطريقته بدائية وغير دقيقة، توضح بعض معالم الوجوه المكتنزة واللحية الكثة والأذرع المحورة. وتنتطق هذه الشخصيات خناجر "جنابي" أطرافها حادة مخروطة الشكل، ومقبضها ناعم، ينتهي برأس هلالي، إضافة إلى عدة أعمال فنية على الأحجار، بوضعيات مختلفة.

١ - أشكال الطيور في الفن اليمني القديم، دراسة فنية مقارنة، أدهم عبدالله محمد نجيم، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠١٢م، ٢٠٣.

وفي شواهد القبور السبعية ترتدي النساء أثوابا طويلة تصل إلى القدمين، على شكل طيات ملتفة، ويبدو الثوب على النصف العلوي المنحوت للمرأة بتشكيل متقن دقيق شفاف، وقد يمثل عند فتحة الرقبة على شكل أشعة الشمس، مع إظهار مواضع التكفيت وطرف الأكمام القصيرة، بالإضافة إلى الملابس، فقد شكلت الأحذية لبعض النماذج أنواعا منها على شكل حذاء ذي مشبك، أو حذاء يغطي كامل القدمين، والتي من المحتمل أنها عُملت للمتوفى صاحب شاهد القبر، وهو الحذاء الذي وجد بجانب المومياءات المكتشفة في اليمن. واختلفت تسريحات الشعر بين نماذج الذكور والإناث، ففي التماثيل الأنثوية، ذات النحت التكميبي البدائي عُملت تراكيب مقصوفة على جانبي الرأس، وحصل تطور في بعضها، لتصبح التسريحة طبيعية، وفي التماثيل ذات النحت المدور منها ما عُمل الشعر على شكل إكليل مضمفور، أو أرسلت تسريحات الشعر للخلف، كما في نماذج التماثيل الأنثوي البرونزية، أو يُصفف ويشد للخلف، وقد يُعمل على شكل طاقة بخصلات مضمفورة، مركزها وسط الرأس.^١

وصادفت البيئة الفنية بيئة طبيعية مناسبة من خلال الأحجار الجرانيتية والرخامية والجيرية وأحجار البازلت التي نقش عليها الفنان اليمني القديم فنونه بدقة وإحكام، وتعامل معها بمبضع الطيب إلى حد اعتقاد البعض أن ثمة شهرا في العام تلين فيه الحجار كما يلين العجين، فيسهل على العاملين فيها بتشكيلها بكل سهولة وكيفما أرادوا.!

ولهذا أشار القرآن الكريم إلى عظمة هذا الفن وذلك الإبداع حين وصف اليمنيين القدماء بقوله: (وتنتحون من الجبال بيوتا فارهين). لأنهم طوعوا الصخر والجلاميد لأيديهم بصورة لا مثيل لها لدى بقية الأمم كما يوحي السياق، وقد وُجدت جلاميد صخرية وأعمدة منحوتة، وصل ارتفاعها إلى تسعة أمتار.^٢

١ - انظر: د. محمد عبدالله باسلامة، الحضارة اليمنية القديمة والمنقولات الأثرية للخارج، مجلة الإكليل، العدد: ٢٨، ٢٠٠٤م، ٦٧.

٢ - انظر: تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، عبدالعزيز صالح. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م، ٥٩.

بدأ الفنان اليمني برسم لوحاته على جدران الكهوف، وعلى الصخور بواسطة الأحجار الجيرية والسوائل الملونة التي يحصل عليها من بيئته، والرسوم التي وجدت تدل على أن هناك كفاءة تقنية غنية؛ حيث استخدم اللون الأبيض الناصع والأسمر الداكن والأصفر والأحمر. كما استخدم هباب الدخان الأسود بعد أن اُضيف إليه الصمغ، مما جعله ثابتاً. ومع تطور معارفه وأدواته بدأ بالحفر على الحجر أو المعدن أو الخشب، أو أي مادة أخرى يمكنه الحفر عليها، وذلك بطريقتين:

١- طريقة الحفر، أي نقش الصورة على المادة حفراً، بأن تجعلَ معالم الصورة محفورة حفراً عميقاً نازلاً في تلك المادة، كأن تحفر صورة إنسان أو حيوان حفراً عليها.

٢- طريقة الحفر البارز، وذلك بأن يؤشر معالم ما يُراد رسمه، ثم يحفر ما حوله من سطح تلك المادة التي رسم عليها، فتبرز الصورة وترتفع بهذا الحفر عن سطح تلك المادة.^١

وثمة حرف ذات طابع فني خالص، أو قامت على أساس فني، كصناعة الفخار والمشربيات والأواني المنزلية، وكذا الملابس بتصميماتها وزخارفها، وصناعة الحلبي والأحجار الكريمة والفضيات والمذهبات وحياسة النسيج التي أشرنا إليها في فصل سابق، تعكس - فيما تعكس - الحالة المدنية والروح الفنية التي وصل إليها المجتمع اليمني قديماً.

أما ما كان طابعه مقدساً، أو له علاقة بشعور ديني ما فقد أبدع فيه الفنانون كثيراً، كالثور والوعل والنسر، وأيضاً المباخر والمجامر والمذابح الدينية المقدسة وغيرها من الحيوانات، ونحتوا ذلك كثيراً، وعلقت صورها في المعابد ومدخل المدن، وفي الأماكن العامة، ولا تزال البيئة الأثرية إلى اليوم تعج بالكثير من هذه الإبداعات تحت الأرض على الرغم من تقادم الزمن، وعلى الرغم من النباش العشوائي الذي طال هذه المواقع وتم تهريبها من وقت مبكر. وتذكر بعض المصادر أن التحف الأثرية كان يتم ترحيلها أيام الخلافة الأموية إلى دمشق على العشرات من الجمال كهدايا نفيسة لقصور الخلافة هناك، وأيضاً أيام الخلافة العباسية إلى بغداد؛ حيث ازدانت بها القصور ومجالس الخلفاء والولاة؛

١ - أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، سابق، ٧٩.

أما أكبر متاحف العالم فإنها تعج بصنوف شتى من هذه القطع الأثرية النادرة التي أصبحت ملكا لها من وقت مبكر، وحرمت منها البلاد من عقود، وأيضا الخلافة الفاطمية في مصر وغيرها. ومع هذا فلا يزال تحت أديم الأرض الكثير من هذه النفائس النادرة.

وكان اليمنيون قديماً يزينون مبانيهم بنقوش كتابية، أو برسوم تمثل بعض الحيوانات، مثل رؤوس الثيران والسباع والظباء وغيرها، أو بزخارف من أغصان وأوراق الشجر والأزهار، أو ببعض الأشكال الهندسية الجميلة، وأحيانا كانوا ينقشون على الواجهات مشاهد من الحياة العادية كحراثة الأرض أو غير ذلك من أعمال الزراعة.^١

أيضا المنحوتات على العملة والنقود، سواء العملة الذهبية أم الفضية أم البرونز بدقة متناهية، فقد نحت الفنانون اليمنيون صور ملوكهم على تلك العملات، ويظهر بعضهم بشعر مسترسل، وبعضه مضفور، كما نجد لهم صوراً منحوتة على العملات وهم على الخيول والمراكب الملوكية الخاصة، وعملات عليها صور لفارس يحمل بيده ترسا أو رمحا، وحوله رجال حاشيته، وعليهم الأسلحة، وأمامهم الجنود يرددون الزامل.^٢

ومن التماثيل اليمنية التي اشتهرت وعرفت كثيرا التمثالان البرونزيان اللذين تم اكتشافهما عام ١٩٣١م في منطقة "نخلة الحمراء" جنوب شرق صنعاء، وتم نقلهما إلى ألمانيا لترميمهما ودراستهما، وبعد الترميم والدراسة تبين أن التمثال الأول الكبير "٢٣٨سم" للملك ذمار علي يهبر، والثاني "الصغير" لأحد أبنائه. العجيب أن التمثال الأكبر مكتوب عليه باللغة والخط اليوناني أن الفنان "فوكاس" أنجز هذا التمثال؛ أما الثاني فبالنقش السبئي أشار إلى مساعد الفنان في عملية صناعة التمثال "لحي عم". ويرجع تاريخ التمثالين إلى القرن الثالث الميلادي. وهذا يعني أن عملية استقدام فنية قد تمت بين اليمنيين وبين اليونانيين للاستعانة بتصميم التمثال ونحته على الأرجح، لأن

١ - تاريخ العرب القديم، سابق، ٩٥.

٢ - اليمن الخضراء مهد الحضارة، سابق، ٢١٨.

اليونان في تلك الفترة كانت على قدر عالٍ من الشهرة الفنية والإبداعية في هذا الجانب، على الرغم من وجود تماثيل أخرى قبل ذلك من تصميم وعمل يمينيين.^١

ولقد نال الوعل نصيب الأسد من الوحدات الزخرفية؛ لأنه من أكثر الأشكال التي وجدت، وكان يُصوّر في كثير من الأحيان وهو رابض في مجموعات أو في وحدات، تشمل كل وحدة مجموعة من هذا الحيوان. كان كل واحد منهم يشمل مربعاً قائماً بذاته، وكانت القرون تبرز كبيرة الحجم، وتقويسها أكثر مما في الواقع، حتى يستطيع أن يمثل تلك الدائرة في قرني هذا الحيوان التي هي الهدف الرئيسي من استخدامه، كأحد رموز القمر. وقد كانت هذه الحيوانات تُنحت دائماً من الأمام، وكان النحت مختصراً، فالوجوه كانت تميزها ملامح عامة التي هي الصفات الرئيسية في هذا الحيوان، والعيون بارزة، والوجه يمتاز بالاستطالة.. وهذا الفن كان من الفنون الأوسع انتشاراً في اليمن القديم.^٢

كانت الزخرفة على الجدران، أو كأفاريز تحيط باللوحات والجدران واحدة من أهم موضوعات النقش. ولقد استخدم الفنان عدة عناصر للزخرفة، وربما كانت معظم هذه اللوحات دينية. وكان من أهم العناصر التي استخدمت في الزخرفة حيوان الثور والوعل، والتي عرفنا أنها كانت تستعمل للزخرفة على الجدران إلى جانب الألواح التي ربما كانت تُستعمل كألواح نذرية. وهناك لوح في متحف القسطنطينية نجد عليه تمثيلاً للوعول إلى جانب الثيران. إلى جانب ذلك هناك طرازٌ منتشرٌ في النقش الزخرفي اليمني، وهو الذي يحتوي على مجموعة من الحيوانات الأسطورية التي تواجه نخيل البلح. هذه المخلوقات تُمثل بجسم أسد وجناحي طائر ورؤوس آدمية. وكانت - في العادة - تُنقشُ والأرجل الخلفية على الأرض، والأمامية تستند على جذع شجرة. وهناك آخر أفريز في نقش غائر، وُجد في "تمنع" نرى فيه أسدين مجنحين، يأكلان من ثمرة شجرة، وكان هذا الأفريز متتابع، والأسدان يقفان منعكسان، وأرجلهم الأمامية تستند على الشجرة، ويُتمثل -

١ - انظر: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، كلاوس شيمان، ترجمة: د. فاروق إسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠٢م، ١٥٦.

٢ - انظر د. أبو العيون بركات، مجلة الإكليل، عدد: ١، السنة السادسة، ١٩٨٨م، ٨٢.

أيضاً - أنها شجرة البلح. إلى جانب ذلك فقد وُجدت الوعول وهي تقف أيضا وأرجلها الأمامية مستندة على شجرة، وهي أيضا شجرة نخيل البلح، ولكن لا يوجد بها ثمار، ويقولون إن هذه الشجرة رمزا للحياة الطويلة، ولقد وُجد هذا الرمز في كتب ديانات الشرق القديم، فنجدها مثلا في الديانة المصرية القديمة، والتي يُحتمل أنها كانت تُمثل بشجرة "الجميز" التي هي من أطول الأشجار عمرا في مصر، وربما أن الفنان اليمني أخذ النخلة كرمزٍ لشجرة الحياة، وذلك من تأثير البيئة؛ لأن نخيل البلح هي الشجرة الأكثر حياة وذات عُمر طويل؛ لذا رمز بها إلى شجرة الحياة. وقد حظيت على مر العصور ومختلف الأديان بتقدير الإنسان لها، وجعلها في مكانة قريبة إلى نفسه.. إلى جانب هذه العناصر الحيوانية، فقد استخدم الفنان العناصر النباتية، وأهم هذه العناصر هي ورقة العنب، وهذا ليس بجديد على الفنان اليمني؛ لأن اليمن تكثر بها زراعة الكروم إلى الوقت الحالي، ومثل هذه الزخرفة أقرب إلى طبيعة الفنان؛ لأنه من البيئة التي يعيش فيها.^١

ولقد كان للمرأة أيضا نصيب في هذه اللوحات النذرية، ففي المتحف الوطني بصنعاء لوحة مثلثة، عليها سيدة في نقش بارز، ترفع يدها اليمنى أيضا إلى أعلى؛ أما اليسرى فتقبض بها، إما على كأس، أو منديل. ومن الملامح العامة للسيدات التي نُقشت على هذه اللوحات نجد أنها تميل إلى البدانة المبالغ فيها، وكانت عادة تُنقش من الأمام، وتمثل وهي تلبس كامل زينتها.^٢

وهناك لوحة من مارب يُحتمل أنها كانت موجودة فوق عتبة باب قصر، أو معبد، وهي تشتمل على نقش مثلث عليه سيدة تجلس بين أغصان الكروم، ومن فوقها أيضا افريز من أورا، يعلو هذا افريز نقش يمثل حيوانا خرافيا، نصفه الأمامي على شكل

١ - نفسه، ٨٣.

٢ - نفسه، ٨٦.

فهد، وجسمه على هيئة ثعبان، وذيله على شكل ذيل سمكة، وفوق هذا الحيوان طفل، ربما يقوم بترويضه.^١

وثمة العديد من التماثيل النصفية والمنحوتات الأخرى التصويرية، سواء للإنسان أم للحيوان أم للنبات، أم مسكوكات نقدية، تحكي وضعًا خاصًا أو إشارة ما لهذا التصوير. وفي العهد الرسولي كان فن الزخرفة لجدران المباني وسقوفها بالمعادن الثمينة، أو الكتابة بمائها من الحرف التي لاقت رواجًا في اليمن في عهد الرسولين؛ حيث كانت هذه المواد تعالج وفقًا لنظم دقيقة، استوعبها وسخروها في أعمالهم الحرفية والزخرفية؛ فالزخرف بماء الذهب، والكتابة به، وتزيين المجلدات إنما كان يتطلب من الحرفي مهارة فائقة ودقة متناهية في المعايير المطلوبة، حتى يصل إلى صناعة مادته على أكمل وجه، بأخذ مقادير محددة الوصفات والكميات، ومعالجتها بأساليب غاية في الدقة والإتقان، للحصول على مادة ذهبية، تُطلى بها جدران الأواني الثمينة، وتزين بها سقوف منازل السلاطين والأمراء وأثرياء اليمن، وتكتب بها عناوين الكتب والمجلدات التي كان يدخرها الملوك والسلاطين من بني رسول في خزائن قصورهم ومكتبات مدارسهم وجوامعهم، ويتباهى في اقتنائها أثرياء اليمن ووجهائها.^٢

وتُعتبر قلعة العامرية برداع آية من آيات الجمال والفن المدهش الذي توارثه اليمني خلفًا عن سلف، رغم الأذى الذي تعرضت له في حروب الطاهريين مع آل شرف الدين، ورغم الإهمال الذي لاقته بعد ذلك، وأيضًا جامع الأشرفية بتعز، وغيرها.

١ - جاكلين بيرين، الفن في منطقة الجزيرة العربية، في فترة ما قبل الإسلام، مجلة دراسات يمنية، العددان: ٢٣، ٢٤، ١٩٨٦م، ٣٣.

٢ - انظر: أحوال اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ظل دولة بني رسول، قايد عثمان غالب، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، ٢٨٥.

الغناء

كما أشرنا سابقا، الفن جزء من التكوين النفسي للإنسان نفسه، وهو مرتبط به وجودا وعدمًا، على تفاوت في طبيعة هذا الفن ونوعه ودرجته. فالإنسان فنان بطبعه، وهو يمارس الفن بصورة تلقائية حتى في حياته اليومية الطبيعية شعر بذلك أم لم يشعر. فهو يتفنن في اختيار نوع طعامه وشرابه، ويتفنن في اختيار ثيابه التي يرتديها، سواء من حيث اللون أو الخامة أو المقاس. وهو يطرب ويتمايل لسماع الصوت الجميل، كصوت المغني أو قارئ القرآن أو المؤذن. وهو يتفنن في اختيار ألفاظه وكلماته إذا ما تكلم أمام القوم، وهو أيضا يتفنن في عمله اليومي تجويدًا وتحسينًا؛ إذن فالفنُّ حالة وجدانية فردية قبل أن تكون حالة جماعية، تلازم الإنسان كجزء من جبلته وفطرته، وبحسب الإمام الغزالي: من لم يحركه الربيعُ وأزهاره، والعودُ وأوتاره، فهو فاسدُ المزاج ليس له علاج.

وبحسب المسعودي: فالغناء يرق الذهن، ويلين العريكة، ويهيج النفس ويسرها، ويشجع القلب، ويسخي البخيل.^١

وفي العهد القديم وتحديدًا "نشيد الأناشيد" من هذا الفن ما يدهش اللب، خاصة لارتباطه بالكتاب المقدس، وبالروح والديانة بشكل عام.

ويكاد يطغى الغناء على كل تفاصيل حياة الإنسان حلوها ومرها، أفراحها وأتراحها، فهو يعني إذا فرح وطرب، ويعني إذا حزن، ويعني إذا ما استرخى في شرفة القصر، كما يعني إذا ما أجهده العمل الشاق، يعني في الحِل، كما يعني في الترحال.

ولم يقتصر التأثير بالفن على الإنسان فقط؛ بل إن الحيوانات لتطرب وتتمايل وتنتشي بالفن، نغما أو لحنا، حتى إن الإبل على غلظ طباعها لتتأثر بالخداء فتتنشط في سفرها على ثقل ما على ظهورها.

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، سابق، ٤/١٧٧.

والغناء جزء من الفن، وقرين العزف غالبا، وهو لزيمة المجتمعات المترفة أكثر من المجتمعات البدائية، كما يرى ابن خلدون باعتباره صناعة "يحدث في العمران إذا توفّر وتجاوز حد الضروري إلى الحاجي، ثم إلى الكمالي، وتفنّنوا فيه، فتحدث هذه الصناعة، لأنّه لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمّة من المعاش والمنزل وغيره، فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفنّننا في مذاهب المملذوذات".^١

ولما كانت اليمن مهد الحضارات الأولى، وعلى قدر كبير من التمدن والتحضر، فمن الطبيعي أن يأخذ الغناء مكانه من بين مظاهر الترف الاجتماعي التي يعيشها الناس. ونلمح بعض تلك المظاهر في بعض المجسمات اليمنية القديمة لفنانات يمنيات في كامل حسنهن وزينتهن، كمجسم لامرأتين على لوحة، إحداهما تضع على خدها آلة طرب ذات أوتار مشدودة، وهي تعزف على الأوتار بانسجام تام، والأخرى تمسك بمقبض آلة طربية أخرى مستديرة الشكل، ذراعها الأيمن مرتفع، أي أنها في لحظة الضرب على الآلة الطربية.

يلاحظ أيضا نوع ملابسها التي تعكس حالة من الترف الفني والمادي معا، كعادة الفنانيين والفنانات الذين يتميزون بملابسهم، وبمظاهرهم، وهو انعكاس للواقع الاجتماعي بشكل عام.

وفي شاهد أثري آخر من المرمر، من العصر السبئي نجد فيه مجسما لسيدة تلعب على القيثارة، وتحتها سيدتان يجلسان على سرير، إحداهما تعزف على قيثارة، والأخرى تستمع لها. ولحضور الغناء والموسيقى والعزف في المجتمع اليمني قديما توارث اليمنيون العديد من الآلات الفنية والطربية كالعود والدف والقصبة والمزمار والرباب والطنبور.. الخ.

ولا نكاد نجد زمنا معينا أجمع عليه كل المؤرخين لنشوء الغناء أو مكانا بعينه، إنما تكاد تجمع المصادر أن الغناء من عهد عاد، كما ذكر القلقشندي: "فإن الغناء معهود

١ - مقدمة ابن خلدون، سابق، ٥٣٨.

من عهد عاد حتى كان من جملة مغنياتهم الجرادتان اللتان يضرب بهما المثل فيقال «غنته الجرادتان»^١.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن اليمن عرفت الغناء والموسيقى والرقص من وقت مبكر، ووجدت بها الآلات الموسيقية المختلفة في الحضارات السبئية والمعينية والحميرية قبل الميلاد، وشوهدت نقوش كثيرة للآلات المستخدمة تعود إلى تلك الحقب، وبذلك فإن الغناء اليمني يعتبر من أقدم الفنون الغنائية منذ الأمم البائدة^٢.

ويكاد يُجمع المؤرخون على أن الرعيل الأول من العرب المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية بدأ يتحرك نحو القرن الثاني الميلادي؛ لذا بدأت الموسيقى العربية تزدهر وتنمو في مناطق ثلاث: سوريا والعراق وغرب الجزيرة العربية.. قادمة من جنوب الجزيرة، ولا تخلو المصادر التي تؤرخ للموسيقى العربية من ذكر اليمن ودور أبنائها في صناعتها، ولعل المستشرق البريطاني "هنري فارمر" قد خلص إلى القول بأن العرب في ممالك جنوب الجزيرة العربية بلغوا المراتب السامية التي بلغها الساميون من قبلهم في مجال الموسيقى^٣.

١ - أصبح الأعشى للقلقشندي ٤٣٤/١. والجرادتان: قينتا معاوية بن بكر، أحد العماليق. وأن عاداً لما كذبوا هوداً - عليه السلام - توالى عليهم ثلاث سنوات لم يروا فيها مطراً فبعثوا من قومهم وفدأ إلى مكة، ليستسقوا لهم، ورأسوا عليهم قيل برعنعق، ولقيم بن هزال، ولقمان بن عاد. وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق، وهم بني عمليق بن لاوذ بن سام، وكان سيدهم بمكة معاوية بن بكر. فلما قدموا، نزلوا عليه؛ لأنهم كانوا أحواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً. وكان يكرمهم والجرادتان تغنيانهم، فنسوا قومهم شهراً، فقال معاوية: هلك أحوالي، ولو قلت لهؤلاء شيئاً ظنوا بي بخلاً. فقال شعراً وألقاه إلى الجرادتين فأثشدتاه، وهو:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يبعثها غماما
فيسقي أرض عاد إن عاد قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو لها الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير أمست نساؤهم أيامى
وإن الوحش يأتيهم جهارا ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم هنا فيما اشتهيت نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا، قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم. فقاموا ليدعوا.. إلخ.

٢ - د. فارس البليل، الغناء العربي.. هل نشأ في اليمن، يمن مونتور، على الرابط:
<http://www.yemenmonitor.com/WriterArchive?aname=%D8%AF.%20%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3%20%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D9%84>

٣ - نفسه.

وكما تظهر النقوش الأثرية وكتابات المؤرخين، فإن اليمنيين القدماء عرفوا آلة العود منذ ما قبل الألف الأول قبل الميلاد، وساهمت الهجرات اليمنية، الحضرمية تحديداً، في انتشار "القببوس" في دول شرق آسيا وتركيا والهند وشرق إفريقيا، والقببوس تسمية محلية لآلة العود اليمني القديم المسمى بـ"الطربي" في صنعاء والقببوس في حضرموت، وتظهر هذه الآلة في النقوش الأثرية اليمنية المكتشفة، ومنها نقش لامرأة تمسك بآلة العود التي ميزت الفن الغنائي في صنعاء لعهود طويلة.^١

وقد عُرف بعض ملوك اليمن بالغناء واشتهروا به، كالمملك "ذي جدن"، وهو قيل من أقبال حمير، وَهُوَ عَاسُ بْنُ يَشْرَحَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ صَيْفِيِّ بْنِ سَبَأَ جَدُّ بَلْقَيْسِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَنَى بِالْيَمَنِ، وَلِذَلِكَ لُقِّبَ بِسَبَبِهِ لِأَنَّ الْجَدْنَ حُسْنَ الصَّوْتِ.^٢

يقول المسعودي: وكان أول من عَنَى من العرب الجرادتان، وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العملي، وكانت العرب تسمي القينة: الكرنبة، والعود: المزهر، وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وإيقاعها جنس واحد، وغناؤهم جنسان: حنفي، وحميري، والحنفي أحسنهما، ولم تكن قريش تعرف من الغناء إلا النصب.^٣

ولهذا فحين أشار القرآن الكريم إلى الغناء في آخر سورة الفجر تكلم بلغة أهل اليمن في قوله تعالى: (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) فالسمود: يعني الغناء واللهو في لغة حمير. ويقال للقينة: اسمدينا، أي غينا.

يقول المستشرق الألماني فارمر: وفي بداية التاريخ المسيحي ظهر حكام سبئيون من بني همدان في مارب. وفي القرن الرابع كان ملوك سبأ ينتسبون إلى حمير، تلك القبيلة التي ظلت حاكمة حتى عام ٤٢٥ م، وازدهرت الموسيقى والشعر، وينتمي كثير من شعراء

١ - نفسه.

٢ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ-)، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت، ٣٤٩/٣٤.

٣ - مروج الذهب، سابق، ٤/١٧٧.

المفضليات والحماسة للعنصر الجنوبي، وإن لم يظهر من هذه الأنحاء أحدٌ من شعراء المعلقات "عاش الأعشى في نجران"، ونقرأ عن تُبَّع يُسمى: اليشرح، ويلقب: ذو جدن، وحمل "تبع الأخير" علس بن زيد ٥٢٥م هذا اللقب أيضا.^١

وينسب الفنان محمد مرشد ناجي في كتابه الغناء اليمني إلى الموسيقي العربي الصادق الرزقي قوله: "وإذا علمنا أن العرب سكان اليمن والحيرة وحضرموت وسبأ وغيرها قد أوتوا من الذلاقة وصفاء الصوت وحسنه درجة سامية، وعرفنا منزلة هؤلاء من الشعر وتقاسيمه، أيقنا أن العبريين على قدمهم - وهم الذين ضارعو العرب في الأعصر القديمة - لم يتقدموهم في صوغ الألحان والتغني بها".^٢

واحتفظ اليمنيون بأتماط غنائهم المتعددة، حتى انتقلوا إلى الأندلس إبان الفتح الإسلامي، ونقلوا معهم لونا جديدا من الغناء عرف بالموشحات الأندلسية، أخذت صدى واسعا، وتم تطويرها هناك، وكانت حالة "حمينية" في اليمن، أي شعر وسطي، بين العامية والفصحى؛ لاسيما وقد كان اليمنيون هم قوام الفتح الأندلسي، ويشكلون نسبة كبيرة من العرب الذين بقوا هناك في الأندلس بعد الفتح.

ومن يتأمل في الموسوعة الأدبية والفنية "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني يجد إشارات مهمة وذات دلالات علمية كبيرة في هذا الباب، وهو يتحدث عن طويس، والأصوات الثمانية اليمنية التي انتقلت من اليمن إلى بلاد الحجاز، ومنها تناسلت بقية الأصوات الأخرى وتطورت منها، كما تطورت بقية أوتار العود الثلاثة عن الأربعة الأوتار اليمنية الأصلية.

ولهذا تنوع الغناء اليمني تنوعا باذخا منذ قديم الزمن وإلى اليوم، فقد أبدع اليهود في غنائهم منذ قبل الإسلام، ولا يزالون، ونقلوا هذا التراث معهم إلى تل أبيب أثناء عملية "بساط الريح" منتصف القرن الماضي. كما أن للصوفيين نمطهم الخاص في الغناء

١ - تاريخ الموسيقى العربية، هنري جورج فارمر، ترجمة حسين نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ٩.

٢ - الغناء اليمني القديم ومشاهيره، محمد مرشد ناجي، ط: ١، ٩٨٣م، د. د. ٣٠.

والسماع، وغيرهم، وهي كثيرة، كالموشح الصنعاني أو البالة في المناطق الوسطى وصنعاء،
والدان الحضرمي، والإيقاع اللحجي.. إلخ.

وتُظهِرُ بعضُ من اللوحات النقشِيَّة القديمة التي ترجع إلى مرحلة ما قبل الميلاد صوراً
لفنانين يمينيين في حالة طرب فني، كما في لوحة في المتحف الوطني بصنعاء لصورة فنان
يجلس على كرسي مرتفع، يتوسط صالة مجلسه، وهو يحتضن العود بصورته القديمة ويغني،
وإلى جانبه اثنان مما يسمى بالكورال.

وقد تكلم صاحب كتاب اليمن من الباب الخلفي الذي زار اليمن في ثلاثينيات القرن
الماضي، والتقى الإمام يحيى عن الموسيقى اليمنية آنذاك على الرغم من بدائية الحياة
العامة في اليمن خلال تلك الفترة، يقول: "وتختلف موسيقى الجنود اليمانيين عن
الموسيقى العربية المألوفة، وعن أغاني البدو العادية، ولموسيقاهم التي اجتذبت وأفرحت
الكثيرين من الذين يجهلون الموسيقى الشرقية بعض المميزات الخاصة، ففيها تنوع في
اللحن، وانتقال في الدرجات الموسيقية. وقد تمكنت من أن أحمل معي أكثر من مئة
تسجيل لموسيقى الجنوب العربي..".^١

١ - اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيري حماد، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط: ٣، ١٩٨٥م،
١٢٤. وقد ذكر الكاتب أيضاً أن ثمة تشابهاً بين الموسيقى اليمنية وموسيقى البربر في بلاد المغرب العربي.

النُّقُود وَالْعُمَلَات

يذهبُ الباحثون مذهبَ شتى في تاريخ نشأة السكة والنقود، سواء في الحضارة اليمنية أم غيرها. فيرى البعض أن مسكوكات نقدية في تاريخ البشرية ترجع إلى الملك حمورابي، وتحديدًا إلى العام ٢١٠٠ قبل الميلاد، ويرى آخرون أن أول تاريخ للنقود يعود إلى عهد الفينيقيين في القرن التاسع قبل الميلاد؛ أما نقوش مملكة "ليديا" - غرب الأناضول - فيعود تاريخها إلى مطلع القرن السابع قبل الميلاد.

ويذكر المؤرخ اليمني محمد حسين الفرح أن تاريخ النقود والمسكوكات اليمنية يرجع إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أيام الملك غمدان يهقبض بن أفريقيس، قائلًا أنه أول من سك النقود في التاريخ، وقال إنه تم العثور على قطعة نقدية سبئية في موقع مدينة ظفار، وهي قطعة مستديرة، على أحد وجهيها صورة الملك غمدان يهقبض، وحوله كتابات بحروف المسند، وفي الوجه الثاني رسمٌ لم تتضح طبيعته أو ما ذا يعني، إلا أنه يرجح أنه اتصال بالآلهة السماوية ودعاءً بالحفظ والحماية، وأن تلك النقود المسكوكة هي النقود الأولى في تاريخ سبأ، وتاريخ الحضارة الإنسانية؛ لأن هذه النقود سابقة للنقود الفينيقية، وقد استمر صكها واستعمالها في العصرين الثاني والثالث لملوك سبأ التابعة الذين كان آخرهم ياسر يهنعم، ملك سبأ وذي ريدان، المؤرخ نقشه المسند في محرم بلبقيس بالعام ٣٨٥ للتقويم السبئي، ٨٣٥ ق. م. وكان استعمال النقود في ذلك العصر محدودًا؛ حيث كان النشاط التجاري الخارجي يتم بالمقايضة.^١

وعلى ذكر الفينيقيين - أنفا - فكثير من الباحثين والمؤرخين يرجعون أرومتهم الأولى إلى الأصل اليمني، فهم من عرب جنوب الجزيرة، نسبة إلى فينيقيس بن ذي المنار، ويذكرون بعض الشواهد التاريخية التي تؤكد ذلك من وجهة نظرهم. يقول فرج الله صالح ديب: "إن الفينيقيين هجرة يمنية قديمة، وضعوا أجددية مجددة عن الحميرية بعض الشيء؛

لكنهم كانوا يتكلمون لهجة عربية، وما إيجاد جذور أسماء القرى باللغة العربية وبقاء أسماء مشابها لها أو أسماء عشائر في اليمن إلا دلالة إضافية على ذلك".^١

ويضيف الفرخ: "إن حضارة جنوب الجزيرة العربية استعملت النقود في نشاطها التجاري والبحري منذ عهد غمدان يهقبض بأواسط القرن الحادي عشر قبل الميلاد، مروراً بالنقد السبئي - الفينيقي - ذي نار - بالقرنين التاسع والثامن قبل الميلاد".^٢

أما الباحث العربي محمد عزة دروزة فيذكر أن النقبين قد عثروا على نقوش ونقود احتوت أسماء ستة وعشرين ملكاً من ملوك الدولة المعينية^٣، والحضارة المعينية اليمنية من أقدم الحضارات كما هو معروف.

وعلى أية حال.. وسواء كان التعامل بالنقود المسكوكة في اليمن القديم يعود إلى القرن الحادي عشر أو السابع أو حتى الرابع قبل الميلاد، فإن ذلك يعتبر متقدماً كثيراً، خاصة إذا ما عرفنا أن أول تأسيس للعملة الإسلامية كان في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٤هـ. وكان عرب الشمال إلى ذلك الوقت يتعاملون إلى ذلك الوقت بالدينار البيزنطي، وكذا العملة الفضية الساسانية، في الوقت الذي تعيش شعوب أخرى بلا عملة نقدية، وتعتمد على في بيعها وشراؤها على المقايضة بين مزروعات الريف ومصنوعات الحضرة؛ وظلت على ذلك النمط من حياتها حتى فترة متأخرة..

لقد استعملت ممالك جنوب الجزيرة العربية نقوداً سُكّت من معادن الذهب والفضة والنحاس، وأصبح لكل مملكة عملة خاصة بها، تتعامل بها تجارياً في عملية البيع والشراء مع المناطق والشعوب المجاورة، وقد عثر في المعجم السبئي على أسماء العديد من العملات

١ - اليمن هي الأصل.. الجذور العربية للأسماء، فرج الله صالح ديب، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط: ١، ١٩٨٨م، ٣٤.

٢ - الجديد، سابق، ١/٢٥٤. "ذي نار" هي الأصل للاسم دينار الشائع اليوم، وسميت بذلك - على الأرجح - لأن على أحد وجهي العملة شعلة النار. أما العملة الأخرى درهم، وهي عملة مملكة ليديا غرب الأناضول فقد كان على أحد وجهي العملة صورة رخمة، كانت تسمى ذي رخمة. وسماها اليونانيون ذراخما. ومنه جاءت كلمة درهم. وهناك من يفسرهما تفسيرات اشتقاقية أخرى، وتبقى كلها ضمن المحتمل. ولا نستطيع الجزم بصحة هذا الرأي أو ذلك.

٣ - تاريخ الجنس العربي، سابق، ١/٣٣.

التي استخدمتها، سواء على المستويين العالمي أو المحلي، مثل "بلط" و "سلع"، كما ورد لفظ "رضيم/ رضى" التي ذكرت في النقوش السبئية؛ أما في مملكة قتيبان فقد عُرفت المسكوكات بمسمى "خبصت/ خبصتم"؛ أما لفظة "ورقم" فهي عبارة عن قطعة نقدية من الذهب، وذكرت الكتابات الزبورية بعض ألفاظ العملة التي كانت تتداول بين اليمنيين القدماء في حياتهم اليومية، مثل "تمرة" و "جمسة" و "نصف".^١

وبحسب ما ذكره المؤرخ محمد علي الأكوغ: كانت لدول اليمن عملة ذهبية وفضية وبرونزية^٢، وكانت هذه العملة تُضرب بمعامل خاصة عليها عملة حُذاق، وكانوا ينقشون على أحد وجه العملة صور الملوك وأسماءهم، وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند، وزينوها برموز سياسية واجتماعية، كصورة البوم أو الصقر، أو النسر الذي هو شعار الدولة الحضارية، أو رأس الثور رمز الفلاحة والزراعة، أو صورة الهلال، وهو رمز ديني، وبجانب تلك الرموز كتابة بالقلم الحميري كالحرايطيش.^٣

وعرف المعينون النقودَ وضربوها، وتعاملوا بها، مثل غيرهم من الشعوب، فقد عثر على قطعة نقدية "درهم" عليها صورة ملك جالس على عرشه، واضعا رجله على عتبة، وهو حليق الدقن، متدلٍ في شعره صفائر، وقد أمسك بيده اليمنى وردة، أو طيرا، وأمسك بيده اليسرى عصا طويلة، وخلفه اسمه، وقد كتب بحروف واضحة بارزة بالمسند، وهو أب يثع، وأما الحروف الأولى من اسمه، وهو حرف "ا" بخط المسند، دلالة على أنه أمر بضرب تلك القطعة، وهذه القطعة من النقود أهمية كبيرة في تاريخ "النميات" في بلاد العرب، في دراسة الصلات التجارية بين جزيرة العرب والعالم الخارجي، ولا بد أن يكون نقدُ أب يثع قد سبق بنقد آخر، سبق النقد اليوناني الذي وصل بلاد العرب؛ لأن درهم أب يثع مضروب ضربا متقنا، وحروفه واضحة جليلة دقيقة، دقة تبعث على

١ - التجارة في ممالك جنوب الجزيرة العربية، سابق، ١٢٢.

٢ - ينتج البرونز من خلط النحاس بالقصدير بمعدل حوالي ٩٠٪ من النحاس و١٠٪ من القصدير.

٣ - اليمن الخضراء مهد الحضارة، سابق، ٢١٦. وكانت العملة الذهبية من الذهب الإبريز الخالص الأصيل عن شائبة الغش.

٤ - النميات: علم العملات والمسكوكات.

الظن بوجود خبرة سابقة ودراية لعمالة الضرب، أدت بهم إلى إتقان ضرب أسماء الملوك على تلك النقود.^١

وفي العصر الإسلامي ضُربت السكة في عصر الدولة الزيادية في اليمن، حيث توجد بعض العملات اليوم التي تشير إلى ظهور أول عملة في عهد الأمير إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد سنة ٣٤٦هـ، كما يذكر النقش الذي على عملة الدينار نفسه في أحد أوجهه، وعلى الوجه الآخر: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له". وهناك دنانير أخرى بعبارات أخرى أيضا.

أيضا ضرب الرسوليون السكة الذهبية والفضية، في كل من الجند وعدن، سموه "الدينار الرسولي"، وظل التعامل به حتى وقت لاحق لها من انتهاء هذه الدولة التي مثلت أزهى فترة حضارية منذ انتهاء مملكة حمير وحتى قيامها في العام ٦٢٦هـ. وتذكر بعض المصادر أن الرسوليين تعاملوا أيضا - بالدرهم الفضية. وكانت تنقش على ظهر السكة أسماء السلاطين/ الخلفاء، وأيضا أسماء خلفاء بني العباس قبل انتهاء حكم بني العباس، إضافة إلى عبارات أخرى كالبسملة والشهادتين، ووردة ذي وريقات خمس، أو بعض الرسومات الأخرى التي تفننوا في نقشها.

ومما يؤسف له أن كانت عُملتنا اليمينية إلى منتصف القرن الماضي؛ بل إلى ما بعده بعقد ونيف هي العملة النمساوية التي ضُربت في القرن الثامن عشر في النمسا، وقد كانت معطلة هناك يومها، فاشتراها الإمام يحيى حميد الدين من النمسا، وجعلها عملته الرسمية، مع أن اليمينيين قد صكوا العملات قبل ذلك بألاف السنين^٢!

١ - انظر: العُمَلات اليمينية القديمة، دراسة تحليلية للعلاقات الخارجية قديما، نجيب علي صالح الويس، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م، ٦٢.

٢ - انظر: الهادوية بين النظرية السياسية والعقيدة الإلهية، ثابت الأحمدى، وزارة الثقافة اليمنية، ط: ١، ٢٠١٨م، ٣١.

التقويم التاريخي

وردت كلمة "ورخ" في النقوش العربية الجنوبية أصلا لكلمة التاريخ المتداولة اليوم التي يرجعها البعض إلى الأصل السامي "أرخو" التي تعني بالأكدية القمر، وبتغير منازل القمر تتغير الأيام، وبالتالي يعني التأريخ، وفي العبرية "يرح" أو "يارح" وتعني أيضا القمر، ولعل الاختلاف بين اللغتين في اللفظ فقط. وقد أشارت النقوش السبئية إلى هذا اللفظ في أكثر من عبارة؛ حيث استعمل اليمنيون القدماء: السبئيون والمعينيون والقتبانيون والحضرميون والحميريون كلمة "ورخ ه و" في كتاباتهم بالمعنى العلمي نفسه، المستعمل اليوم في كلمة "أرخت بها" أو "تاريخها".

وعرف اليمنيون التقويم من وقت مبكر كغيرهم من ذوي الحضارات العريقة التي كانت تؤرخ لأحداثها بتقويماتها الخاصة، خلافا للشعوب البدائية التي كانت تؤرخ بالأحداث، أو كانت بلا تقويم تاريخي تعتمد عليه في التوثيق، وكان التاريخ أو التوثيق على أشكال غير الشكل المعروف اليوم، بصيغ تعارفوا عليها آنذاك، وذلك لإثبات وثائقهم أو نصوصهم الدينية أو القانونية أو السياسية، فيكتبون الحدث منسوبا للشهر، فاسم الملك الحاكم، وعادة ما يتم تدوين نسختين أو نقشين للموقف الواحد في أكثر من مكان، وكانت المعابد والأسواق العامة هي موضع كتابة هذه النصوص عادة، كونها أماكن عامة. وقد تم العثور في النقوش على المعينية على نصوص بضيغة: "ي و م ن ت / ص ح ف ت ن / و ص ل و ت ن /" أي يوم الوثائق والقوانين وإعلانها للعامة، وأطلق المعينيون على أحد شهورهم اسم: "ورخ صفحتن" أي شهر الوثائق.^١

وقد كان لكل حضارة من الحضارات القديمة تقويمها الخاص المعتمد على الشمس أو القمر، وعادة ما تختلف التقويمات عن بعضها بنسب متفاوتة، غير أن ما هو موحد

١ - انظر: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، نورة النعيم، سابق، ١٥٦.

تقريبا لدى كل التقويمات في مختلف الحضارات هو عدة الشهور اثناعشر شهرا، وعدة أيام الشهر المتزاوجة فيما بين ٢٩ - ٣١. وكذا أيام الأسبوع سبعة أيام على تفاوت في الأيام بين الحساب الشمسي والحساب القمري. وكانت الشهور في بداية الأمر تأخذ من حيث مسمياتها الترتيب العددي، لا الاسمي، فكانوا يقولون: الشهر الأول، الشهر الثاني.. الثالث.. وهكذا. ولم تأخذ التسمية المعروفة اليوم إلا في وقت متأخر.

ومن التقويمات التاريخية القديمة التقويم الفرعوني والتقويم البابلي والتقويم الإغريقي والتقويم الصيني والتقويم الهندي والتقويم الفارسي، والملاحظ أن هذه كلها حضارات موعلة في القدم، ولها تجارها الخاصة مع تقويماتها وسنواتها الشمسية أو القمرية. ونتوقف عند التقويم العربي في شبه الجزيرة العربية أولا قبل أن نتكلم عن تقويمات حضارة جنوب الجزيرة العربية.

فقد كان عرب شبه الجزيرة العربية، وخاصة عرب الشمال يعتمدون ما يمكن أن يسمى بالتقويم النجمي، المعارف عليه، وغير المكتوب أو المدون في الغالب، توصلوا إليه بالتجربة والخبرة ومرور الزمن، وتم استخدامه في الجانب الزراعي، كما تم استخدامه كثيرا أيضا في الجانب الديني. وقد برع العرب في معرفة أوقات النجوم الطالعة والآفة، ومعرفة درجاتها وتباعدها عن بعضها، وما يرتبط بها من حرارة وبرودة ورياح وأمطار وغيرها، فارتحلوا وأقاموا من خلالها. وقد صدق الله عز وجل حين قال: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون). ولذا كثر التغني في الشعر العربي بالنجوم على فأخذت حظا وافرا من الحضور الشعري في الذهنية العامة حتى تسمى به البعض وتكنى وتلقب، واشتهرت نجوم دون أخرى كالشعري اليمانية والشعري الشامية، وكذا سهيل اليماني والسماك، وغيرها..

وإلى جانب التقويم النجمي أيضا اعتمدوا بدرجة ثانية على التقويم القمري، ثم التقويم الشمسي بدرجة ثالثة. وقسموا بموجبه فصول السنة إلى أربعة فصول، هي: الربيع

والخريف والصيف والشتاء. وقسموا إلى كل فصل إلى شهور، وهي بأسماء أخرى غير المتداولة اليوم كالتالي:

محرم: المؤتمر. صفر: ناجر. ربيع الأول: خوان. ربيع الآخر: وئضان. جمادى الأولى: حنين. جمادى الآخرة: رُبَّة. رجب: الأصم. شعبان: عادل. رمضان: ناتق. شوال: وعل. ذو القعدة: ورنه. ذو الحجة: بُرك.^١

أما أسماء الأسبوع في الجاهلية فهي كما يلي:

الأحد: أول

الاثنين: أهون

الثلاثاء: جُبار

الأربعاء: دبار

الخميس: مؤنس

الجمعة: عروبة

السبت: شيار.

وقد جمع هذه الأيام أحد الشعراء الجاهليين بقوله:

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار

أو التالي دبار فإن يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار.

أما عن الحضارة اليمنية القديمة فلقد أثبتت النقوش أكثر من تقويم لها، كالتقويم

السبئي، والتقويم الحضرمي، والتقويم المعيني، والتقويم القتباني، والتقويم الحميري.

١ - سمي شهر محرم بالمؤتمر لأن الناس يأترون فيه بترك القتال. وسمي صفر بذلك لأن ناجرا من أسماء الحرب، أي شهر الحرب. وسمي ربيع الأول بذلك لأن الحرب تشتد فيه فتخونهم فتقتصمهم، وربيح الثاني سمي وئضان: من الوبص وهو البريق للقتال. وسمي جمادى الأولى باسم حنين لحنين العرب إلى أوطانهم وهم في الارتباج. وسمي جمادى الآخرة بذلك لأنه تجتمع به لجماعة من الشهور التي ليست بحرم. وسمي رجب بالأصم، لأن الناس لا يسمعون فيه قعقة السلاح لأنه من الأشهر الحرم. وسمي شعبان بعادل لأنهم يعدلون فيه عن الإقامة لتشعبهم في القبائل، وسمي رمضان بناتق لكثرة المال عندهم بعد الإغارات في الشهر السابق. وسمي شوال بالوعل من وعل إذا لجأ فقد كانوا يهربون من الغارات. وسمي ذو القعدة ورنه من ورن إذا تحرك، وكانوا يتحركون فيه للحج. وسمي ذو الحجة بُرك لأن الحج يقع فيه، وفيه تكون البركة.

وتعدد التقويمات دليل على تعدد الرؤى ودقة الحسابات الفلكية التي يعتمد عليها المزارعون والصيادون ورجال الدين وكذا التجار في رحلاتهم التجارية.

وكان التقويم السبئي . كما يذكر البعض . يؤرخ بسنوات الكاهن الذي يتولى الكهانة في المعبد لمدة سبع سنوات، ومن أسماء الشهور السبئية التي وردت في النقوش القديمة: ذا فلسم، ذا نعم، ذا ألأت، ذا سبأ، ذا دين، ذا سحر، ذا نسور، كشيم، دثا، ذا يصرر، ذا أبهى، ذا نيلم، ثور، ذا هوبس، ذا مليت، ذا سلام، ذا صيدم، ذا فقحوم... إلخ. وهناك أيضا التقويم القتباني، ومن شهوره: شهر ذا برم، شهر ذا صراب، ذا بشمم، ذا تمنع، ذا سحر، ذا أهجو، ذا مسلعت، ذا ذبجتم..

وفي التقويم الحضرمي تم العثور في النقوش على أسماء شهور، أرخ القدامى بها، مثل: شهر صيد، شهر، شمس، شهر تردم، شهر كيهي. وفي التقويم المعيني أيضا تم العثور على أسماء بعض الشهور، مثل: ذا أثرت، ذا أبهى، ذا موصبم، ذا شمسي، ذا نور، ذا سمعي، ذا طفنت، ذا نعر.

ولبراعة اليمنيين في مختلف العلوم - ومنها علم الفلك - فقد نظم أحدهم - ويلقب بالبحر النعامي - قصيدة في أسماء الشهور الحميرية، وما يقابلها من الشهور الرومية، وما يصلح فيها للناس في معاشهم ونشاطهم من مأكّل ومشرب ونحوه، وما ينبغي له تجنبها في كل موسم أو فترة زمنية، حفاظا على صحة الإنسان، ولا تزال هذه الثقافة سائدة لدى الفلاحين الريفيين إلى اليوم، فلديهم تفاصيل متوارثة عن أغذية الصيف، وأغذية الشتاء؛ بل حتى عن الأوقات التي يكون الإكثار من الجماع فيها مضرا، والأوقات التي لا يكون فيها مضرا.^١

١ - هكذا عرف بلقبه "البحر النعامي" دون أن يعرف المترجمون اسما له، وهو من علماء القرن السادس الهجري.

كما اشتهر آخرون في علوم الجبر والمقابلة والمساحة، منهم العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشخر، من علماء القرن العاشر الهجري، له "الإراحة في علم المساحة".
وأيضا العلامة حسين بن عبدالله الوصابي له "التحفة الوصابية في الأعمال الحسابية".^١
ولآخرين مئات المخطوطات في هذا المجال، سواء ما كان منها اليوم قيد الحفظ أو قيد الإهمال، أو ما اندرس منها وهلك.

التقويم الحميري

يعتبر التقويم الحميري آخر التقويمات اليمنية القديمة وأكثرها دقة وعلمية، لأنه جاء نتيجة تراكمات للحضارات اليمنية السابقة، فأزاح الطريقة التقليدية السابقة، والتي تداخلت معها الأحداث التاريخية وتاريخ الملوك الذي أخذ جدلا واسعا، كما لم تأخذه أي حضارة قديمة، وقد تم العمل به في العام ١١٥ قبل الميلاد، على أصح الأقوال.^٢

وتربط الباحثة في التاريخ اليمني القديم الدكتورة اسمهان سعيد الجرو ظهور التقويم الحميري بتوحد القوتين السياسييتين السبئية والحميرية في العام ١١٥ قبل الميلاد، واللتين كانتا قائمتين على نسق التاريخ بأسماء أشخاص، ليحل محله التاريخ والتقويم الحميري الذي بدأ من هذا العام، وهو الذي ساد بعد ذلك.^٣

وظل كذلك إلى أن اعتمد التاريخ الإسلامي الهجري المعروف بعد الإسلام أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أي أنه ظل متعارفا عليه ومعمولا به لما يزيد عن ستمئة سنة. وينسبه البعض إلى مبعض بن أبعض الحميري.

١ - العلامة حسين بن عبدالله بن محمد الوصابي، من مواليد مدينة زبيد سنة ١٣٠٢هـ، تلقى علومه ومعارفه في مدينة زبيد وبرع في كثير منها، وكان مرجعية علمية من مراجع عصره. رحل إلى صنعاء، وأيضا إلى بلاد الشام، وعمل مدرسا في الجامع الأموي بدمشق. له أيضا: النفحة الزبيدية في المسائل الرملية، والرحلة الشامية، والرحلة الصنعانية. انظر: حسين بن محمد الوصابي، مجلة الإكليل، العدد: ٢٦، ٢٠٠٢م، ١٩٥.

٢ - انظر: التقويم في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وجدان مصطفى عسيري، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٩م، ص: ١٦٢ فما بعدها.

٣ - انظر: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، أ. د. اسمهان سعيد الجرو، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣م، ٢٥٩.

وهذه فصول السنة وشهورها في التقويم الحميري

- فصل الصيف ويسمى "دثأ" وفيه الشهور التالية:

ذا ثبتن "ذّ الثابة" أول شهور السنة الزراعية، ويقابله شهر ابريل في الميلادية - نيسان في السريانية.

ذا مبكر "مبكر"، يقابله شهر مايو في الميلادية - أيار في السريانية.

ذا قيظن "ذّا القياظ"، يقابله شهر يونيو في الميلادية - حزيران في السريانية.

فصل الخريف ويسمى "خرف" وفيه الشهور التالية:

ذا مذرآن "ذا المذراً"، يقابله شهر يوليو في الميلادية - تموز في السريانية.

ذا خرفن "ذ الخريف"، يقابله شهر أغسطس في الميلادية - آب في السريانية.

ذا علن "علان"، يقابله شهر سبتمبر في الميلادية - أيلول في السريانية.

فصل الشتاء ويسمى "سعسع" وفيه الشهور التالية:

ذا صربن "ذا الصراب"، يقابله شهر أكتوبر في الميلادية - تشرين الأول في السريانية.

ذا مهلتن "ذا المهلة"، يقابله شهر نوفمبر في الميلادية - تشرين الثاني في السريانية.

ذا ألن/ ذ ألل "ذا الآل"، يقابله شهر ديسمبر في الميلادية - كانون الأول في السريانية

فصل الربيع ويسمى "مليم" وفيه الشهور التالية:

ذا دثأ "ذ الدثأ"، يقابله شهر يناير في الميلادية - كانون الثاني في السريانية.

ذا حلتن "ذ الحلة"، يقابله شهر فبراير في الميلادية - شباط في السريانية.

ذا معن "ذا المعين"، يقابله شهر مارس في الميلادية - آذار في السريانية.^١

فقد عولجت جثث الموتى بشكل جيد من أشكال التحنيط، وكفنت بلفائف كتانية وجلدية، وكان المتوفى يُحنط، ويُدفنُ لابسا نعليه، وقد وضع في معصم يده، أو في رقبته قطعة صغيرة من الخشب، كُتِبَ عليها بخط المسند أهم المعلومات الخاصة به، وبالإله الذي كان يعبده في حياته.^١ ذلك أن طب اليمن قديم، يرجع تاريخه إلى الزمن الذي ساد فيه الطب الفرعوني الذي أخذ منه وأعطاه، ليس أدل على ذلك من موميאות الغراس اليمنية.^٢

هذه مجرد لمحات طفيفة وإشارات عجلت إلى المعالم المدنية في التاريخ اليمني القديم، وفي كتابه "اليمن.. ثلاثة آلاف سنة من الفن والحضارة في العربية السعيدة"، للباحث الألماني ويرنر دوم الذي أصدره عام ١٩٨٧م عقب زيارته لليمن، تطرق فيه لأبحاث حديثة حول تاريخ الفنون والتماثيل والمعتقدات الدينية التي تم اكتشافها من خلال نصوص المسند، وهي اكتشافات قليلة جدا، فلا تزال كثير من الحقائق غامضة، ولما تكتشف بعد. وإن ما تحت الأرض من الكنوز المطمورة أكثر مما فوقها.

١ - انظر: ملامح الفن اليمني، أبو العيون بركات، ومقدمة في الآثار اليمنية عبدالحليم نورالدين، في كتاب: الأشكال الحيوانية في الفن اليمني القديم، فتحي عبدالعزيز الحداد، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ١٩٩٢م، ٢٢.

٢ - لا بد من صنعاء، د. خالد الحديدي، د. ط. د. ت، ٤٠. وموميאות الغراس أولى الموميאות باليمن التي تم العثور عليها في أكتوبر ١٩٨٣، في منطقة شبام الغراس حوالي ٢٥ كم شمالي شرق العاصمة صنعاء. وهي تدل أن فن التحنيط كان موجودا على المستوى الشعبي عند اليمنيين، فيما كان عند الفراعنة على المستوى الرسمي فقط.

الفصل الثاني:

اليمن بعد الإسلام

اليمن في صدر الإسلام

حياة الدول والحضارات كحياة الإنسان، تبدأ طفولة فيفاعة فشبابة فرجولة فشيخوخة حتى تنتهي للهمم فالفناء المحتم، وهي سنة أزلية وكونية تنطبق على الأشخاص والهيئات والدول، وما الموت . في أحد أوجهه . إلا استمرار للحياة وتجديد لها، يأتي منها كما تأتي الحياة منه .

هاهنا بعض الأنجم انطفأت كي تزيد الأنجم الأخرى اشتعال

تفقد الأشجار من أغصانها ثم تزداد اخضراراً واخضراراً

والحضارة اليمنية واحدة من هذه العوالم التي أخذت دورتها الكاملة في السيرة والسيورة.. وكانت كغيرها واحدة من أعرق الحضارات القديمة التي سادت ثم بادت؛ بل إن أفول شمسها كان الممهد الرئيس لشروق شمس الإسلام؛ لأن أضواء النبوات تنسل من دياجير الجاهليات، ولم تبرز دعوات المصلحين والفلاسفة والعلماء عبر الزمن إلا حين وصلت المجتمعات . كل المجتمعات . إلى حالة من انسداد الأفق أمام عامة الناس، فتكون الاستجابة بقدر التحدي، كما أشار إلى ذلك آرنولد توينبي..

كان الحميريون وارثي حضارة أكثر منهم صانعي حضارة، فتلاشت بين أيديهم؛ لأن المجد اليمني قد بدأ بالترنح من عقود طويلة، ولم يكن خراب السد وغزو الأحباش إلا نتيجة حتمية لمقدمات طويلة من الخلل وفساد الحكم، كما هو الشأن بعد ذلك مثلاً في امبراطورية بني أمية التي انتهت عند واحد من أقوى رجالاتها، وهو مروان بن محمد، الملقب بمروان الحمار، لتجلده في الحروب وصبره على المكاره؛ لكن قوته الكبيرة وجلادته العتيدة لم تكن تجدي أمام التداعي الأكبر والانهيار الأعظم. ذات الشأن تماماً مع الإمبراطورية العثمانية التي انتهت عند واحد من كبار رجالات الامبراطورية، وهو

السلطان عبد الحميد؛ إنما كانت عظمته له وحده، أما انهيار الإمبراطورية فلجميع. وهذا هو منطوق التاريخ، ومنطق الأحداث الكبرى فيه..

لكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد

هذا الانهيار والتداعي الحضاري وارتكاس الدولة التي أدت إلى تمزق المجتمع كان السبب الرئيس والأكبر وراء الاستجابة السريعة والعاجلة للفكرة الجديدة التي جاء بها محمد بن عبدالله في الحجاز وما حولها. إنها فكرة الدولة الجديدة.. الحضارة الجديدة.. الفكر الجديد الذي قد تسترد الأمة عافيتها من خلاله.

لقد حدس اليمينيون الفكرة من اللحظات الأولى، مستشقين أبعادها الحضارية الكبرى، كونهم أهل حضارة أصلا. ولم يكن الأمر إلا كما يقول المثل: "وافق شن طبقة" فامتزجت الفكرة الجديدة مع بقايا أمشاج الفكر الأقل، في الوقت الذي رفضها مجتمع الحجاز، وخاصة في مكة لأول وهلة، لأن هذه الدعوة الجديدة تتناقى والمصالح الطبقية، أو قل وعادات القبيلة، بكل ما تحمله قيم القبيلة من نزعة التحرر الفردي وعدم الانصياع لفكرة الدولة أو لقانون الأمة، وللنظرة الضيقة في إطار الأنوية المفرطة، سواء أنوية الفرد أو أنوية الأسرة أو أنوية القبيلة، كأوسع مدى وأشمل نطاق بالنسبة للبدوي الذي لا تتجاوز رؤيته أرنبه أنفه..!

قد يقول قائل: القبيلة أيضا في اليمن حاضرة ومتجذرة، كما هو الشأن في أي مكان آخر، والجواب صحيح من منظوره الشكلاني السطحي؛ أما في الحقيقة فالقبيلة اليمنية قبيلة متمدنة متحضرة تنتمي إلى الدولة، لا إلى قيم البداوة، كما هو الشأن في بقية القبائل الأخرى. القبيلة في اليمن مستقرة، وليست متنقلة، والاستقرار دليل التحضر والانتماء والمدنية. القبيلة في اليمن مارست الزراعة والصناعة والتجارة والتدين بكل أشكاله، فيما القبيلة البدوية خالية من كل هذه، فهي تقتات على الرعي والصيد، وعلى ريع السنان والرمح من النهب والسلب والتقطع. القبيلة اليمنية أبحرت غربا وجنوبا، وشمالا، أما القبيلة البدوية فلم تتجاوز صحراءها، ولم تعرف من قيم التمدن والتحضّر إلا

ما وصل إليها من يد الغير. القبيلة اليمنية بنت القصور وشيدت السدود، أما القبيلة البدوية فلم يكن لها إلا الحيام وبيوت اللبن على أحسن الأحوال.

هذا هو الفارق الرئيس بين القبيلة المتمدنة، والقبيلة "المتبدونة" .. القبيلة التي رفضت فكرة السماء وحاربتها من أول وهلة، والقبيلة التي جعلت منها أو تعشمت فيها سلما لمجدها الآفل، وإن لم يكن ذلك لاحقا.

إن اليمنيين كانوا يمتلكون تراثا دينيا أكثر رقيا، وأقرب إلى الأديان السماوية من ديانات الشمال، مما جعل درجة استعدادهم لتقبل الدين الإسلامي أعلى مما كانت عليه لدى قبائل الشمال التي كانت مجادلاتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - تتم عن سذاجة، وعن عدم قدرة على تصور وفهم وتصديق مسألة وجود إله خالق كريم، واحد أحد لم يلد ولم يولد، خلق الكون كله ودبره. كما كانت أذهانهم عاجزة عن تصور وجود يوم آخر وحياة أخرى، فيها الجنة والنار والثواب والعقاب، وهي أمور أمكن لليمنيين أن يتصوروها ويفهموها ويصدقوها دون تردد، مما يدل على أن دياناتهم كانت أكثر رقيا كحياتهم وأقرب إلى الديانات السماوية، فقد جعلتهم حياتهم المستقرة وارتباطهم بالأرض والأمطار والمواسم الزراعية يتطلعون إلى السماء دائما، يرصدون النجوم، ويحسبون الفصول، ومن هنا وجدت عندهم آلهات تحلق في السماء، وتشكلت ديانتهم الرئيسية من ثلاث، أركانها الإله الأب وهو القمر، والإلهة الأم وهي الشمس، والإله الابن وهو نجم الزهراء، وأطلقت على هذا الثلاث اسماء: المقه، وذات حميم أو ذات بعدان، وعثر، وهذه الديانة أشبه ما تكون بديانة الحضارات التي نشأت فيما بين النهرين، وبلاد الشام..^١

من هنا توافد اليمنيون زرافات ووحدانا يبايعون النبي على الدعوة الجديدة، حتى كانوا عمودها الأقوى وركنها الشديد وحصنها المنيع.. من هنا كان اليمنيون قادة جيوش، ورجالات فتح، ورسل سلام إلى الأمم الأخرى في الدعوة الجديدة التي اعتنقوها وناصروا

١ - د. أحمد قايد الصايدي، اليمن.. الشعب والأرض والحضارة، مجلة دراسات يمنية، العدد: ٤٢، ١٩٩٠م، ٥٣.

قائدها. كانوا الطلائع الأولى في فتوحات الشام وأفريقيا والأندلس لاحقاً، لا لشيء إلا لأنهم قادمون من مجتمع الحضارة، مجتمع النظام.. مجتمع التمدن، فانسربوا متماهين معها حتى كادوا يكونون الظاهرة الأبرز في الدعوة الجديدة. ولأنهم أهل تمدن وتحضر فقد كانوا رقيقى القلوب، ليّني الأفتدة كما ذكر ذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديثه؛ لأن الحضارة ترقق الطباع وتهذب المشاعر، وتزكي السلوك، خلافاً للبداءة الخشنة التي ليست من ذلك في شيء. لذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر. جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن، هم أرق قلوباً وألين أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية".

وهذا ما أشار إليه عالم الاجتماع اليمني الدكتور حمود العودي بقوله: إن المجتمع اليمني والفرد اليمني يتمتع بمرونة وقدرة غير عادية على تغيير مواقفه ومفاهيمه وتعديلها أو استبدالها، وهو شديد التطوع والتجربة لكل ما يسمع عنه أو يعرض عليه ولا يحس في نفسه أو وجدانه ما يعيق فاعلية هذه القدرة وإشباع هذه الرغبة، طالما وأن الظروف الواقعية قد أعطته فرصة حقيقية لممارسة ذلك، فهو لا يتردد ولا يُخضع الأمر حتى لموازنين الربح والخسارة المادية. إن أول ما تتميز به مشاعر وأحاسيس الإنسان اليمني هو سرعة الاستجابة للأحداث من مركز القوة والتفاؤل الرامي إلى تحقيق الذات مهما كانت أخطاء الحساب؛ حيث لا ينظر إلى الأحداث والوقائع والمتغيرات التاريخية في هذا المجتمع إلا باعتبارها مجرد فرصة نادرة للتعامل معها بأي ثمن، مع افتراض مسبق وهام جداً، هو الحصول على المزيد من تحقيق الذات، وتأكيد وجودها من خلال هذا التعامل، والخروج في النهاية بالمزيد من المكاسب والفوائد المادية والمعنوية.^١

لقد توافد اليمنيون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصورة جماعية في السنة التاسعة للهجرة، حيث كانت وفود حمير، كوفد الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعاقر، وفروة بن مسيك المرادي، وبعث زرعة بن ذي يزن رسوله مالك بن مُرة الرهاوي بإسلامهم، وكتب إليهم النبي كتابه، وبعث إلى

١ - المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي، دراسة عن المجتمع اليمني، د. حمود العودي، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، سبتمبر، ١٩٨٠م، ١٠٨.

ذي يزن معاذ بن جبل. كما بعث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . خالد بن الوليد إلى نجران، ثم علي بن أبي طالب بعد ذلك، وأسلم بمجيئه من تبقى من أهل همدان. كما وفد عليه أهل كندة وحضرموت. "وقدم وائل بن حجر الحضرمي راغبا في الإسلام، فدعا له النبي . صلى الله عليه وسلم . ومسح رأسه، ونودي: الصلاة جامعة؛ سرورا بمقدمه. وأمر النبي معاوية أن ينزله بالحرّة؛ فمشى معه وكان راكبا، فقال له معاوية: اعطن نعلك أتوقى بها الرمضاء، فقال: ما كنت لألبسها وقد لبستها. وفي رواية: لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك. فقال: أردفني. قال: لست من أرداف الملوك. ثم قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي. قال: امش في ظل ناقتي كفاك بها شرفا.."^١

وفي السنة العاشرة للهجرة قدم أيضا وفد مذحج، ووفد نصارى نجران، واتفقوا مع الرسول أن تكون زكاتهم الخلل النجرانية والدروع والرماح التي لا مثيل لها حينها بأرض الحجاز. وأيضاً قدم وفد الصدف من حضرموت، ووفد عنس وخولان.

وكانت اليمن في عصر صدر الإسلام، وتحديدًا أثناء الخلافة الراشدة ١١ - ٤٠ هـ تنقسم إلى قسمين إداريين، صنعاء ومخاليقها، والجند ومخاليقها، فكانت مدينة الجند العاصمة الإدارية لقسم واسع من اليمن، يشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق: تعز، إب، لحج، عدن، الضالع، تهامة، وصاب، رداع، أبين، شبوة، حضرموت، المهرة، ظفار عمان، بينما كانت صنعاء العاصمة الإدارية لمخاليق ومناطق صنعاء ذمار، البيضاء، مارب، الجوف، عمران، المحويت، حجة، صعدة، نجران، إلى تخوم الطائف ومنتهى حد اليمن، فكان لليمن عامل بصنعاء، وعامل بالجند، ففي خلافة علي بن أبي طالب كان عبيدالله بن العباس واليا لصنعاء ومخاليقها، وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري واليا للجند ومخاليقها.^٢

١- اليمن في تاريخ ابن خلدون، سابق، ٢٤٥.

٢- الدور اليمني في العصر العباسي، محمد حسين الفرح، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ١٥٦.

ثم أصبحت اليمن ولاية واحدة عاصمتها صنعاء منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان ٤١. ٦٠هـ، حيث قال ابن الديبع: لما صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان استعمل على اليمن عثمان بن عفان الثقفي مدة، ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان، وجمع له ولاية المخلافين، صنعاء والجنند.^١

اليمنيون والدعوة المبكرة للإسلام

إن إقبال اليمنيين على الاستجابة للدعوة الإسلامية ومناصرتها والدفاع عنها ونشر لوائها في الوقت الذي جحدتها قريش، وناصبت محمدا وأتباعه العدا والكراهية لم يكن من قبيل المصادفات أو نزعة الطيبة والعاطفة التي جرى الكثيرون على تفسير هذا الموقف من خلالها، بقدر ما أنه كان يكمن وراء هذا الموقف الفريد لليمنيين من بين كل الذين عُرضت عليهم الدعوة بالسلم فرفضوها، وحاربوها داخل الجزيرة وخارجها أمران أساسيان، الأول: أن المضمون الفكري والاجتماعي الإنساني للدعوة، وما دعا إليه محمد من القضاء على الوثنيات المتعددة والعادات الخرافية والوحشية السيئة التي كانت سائدة في المجتمع المكي وما حوله من وأد البنات والمراباة والأنصاب والأزلام وغيرها، وإيجاد مجتمع مركزي قوي موحد ماديا وروحيا، يسوده نوع من المساواة والأخوة والعدل، كانت كل هذه المفاهيم تنسجم كليا مع جوهر الأصول العقلانية والوجدانية للمجتمع اليمني، ولم يجدوا بينهم وبينها أي عائق مادي أو معنوي؛ بل وجدوا فيها مفاهيم وأصول اجتماعية لإمكانية إقامة مجتمع عربي جديد قوي وموحد. الأمر الثاني حالة الضعف الذي فرض عليهم بالغزو من أحباش وفرس، حيث وجد اليمنيون في هذه الدعوة فرصة لا تعوض في الانطلاق والخروج من ضائقهم السياسية والاجتماعية، بالتنسيق والوحدة

١- قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع ص: ٩١، وأيضا الدور اليمني في العصر العباسي، ١٥٦.

مع إخوانهم وبني جلدتهم عرب الشمال في ظل دعوة وأيديولوجية جديدة جديدة بتوحيدهم واستعادة مجدهم والتغلب على كل مشاكلهم.^١

ونذكر هنا بعضا من الأعلام اليمنيين الذين ساهموا في تثبيت أركان الدولة الجديدة في عصر صدر الإسلام، ممن حفظ التاريخ ذكرهم، ولا يزالون خالدين في ذاكرة التاريخ ووعي الأمة.

دحية بن خليفة الكلبي.. سفير النبي

ليس ثمة جماعة كأهل اليمن تلقفوا دعوة الإسلام بحفاوة ومحبة كأهل اليمن، كما أشرنا سابقا، ومن هؤلاء الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي، الملقب بشبيه الملائكة، لأن جبريل كان يأتي الرسول - صلى الله عليه وسلم - على صورة دحية بن خليفة الكلبي، وإلى هذا أشار الهمداني شعرا في دامتته:

ومنا شبه جبريل ومنكم سراقا شبه إبليس اللعينا

ولهذا لعب دورا كبيرا في البعث والسفارات المبكرة، فقد بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى قبيلة كلب بدومة الجندل، كما أنه سفير الرسول أيضا إلى ملك الروم مرتين، مرة سنة ٧هـ، والأخيرة سنة ٩هـ. لتوفر شروط السفارة والتمثيل فيه. ويقال إن رسول الله صلى الله عليه تزوج عليه تزوج أخته شراف بنت خليفة الكلبي.^٢

١ - المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي، سابق، ١٢١.

٢ - انظر: يمانيون في موكب الرسول، محمد حسين الفرح، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ١/٨٧.

شرحبيل بن حسنة.. كاتب سر النبي ووحيه وفتاح الأردن وأمير فلسطين

هو شرحبيل بن حسنة الكندي، نسبة إلى أمه حسنة، بعد وفاة أبيه، عبدالله بن المطاع بن عمرو بن الغطريف بن عبد إل بن جثامة، بن مالك الكندي. أحد تجار العرب ومن القلة القليلة التي كانت تجيد القراءة والكتابة قبل البعثة، ومن أوائل مسلمي مكة وممن هاجروا إلى الحبشة.

كان يجيد الكتابة والتعبير، لذا عينه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ضمن كتاب الوحي، وأمره أن يتعلم اللغة والكتابة السريانية الأرامية، كما أمره بتعلم العبرية، وقيل عنه أنه كان كاتب سر النبي في كل شؤونه. وقد بعثه الرسول مع آخرين بعد تبوك إلى يوحنا بن رؤبة، ملك وصاحب أيلة - العقبة، وما إليها من بلاد الشام. وقد تولى أمر قبائل قضاة بدومة الجندل ووادي القرى وأعالي الحجاز، أيام أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. كما كان أميرا وقائد ربع الجيش العربي الإسلامي الذي وجهه أبو بكر الصديق لفتح الشام أواخر سنة ١٢هـ، وقد حقق جيشه أول انتصار في فتوح الشام. وفي صفر من سنة ١٣هـ سار شرحبيل بن حسنة بجيشه إلى الأردن، فدخلها، وافتتح منطقة جرش وما والاها من معان والبتراء ومنطقة الإرم والكرك والصلت إلى إربد وبيت راس، وكذلك سواد الأردن وجميع أراضيها، وهي منطقة الأغوار وما إليها من الضفتين الشرقية والغربية لنهر الأردن بفلسطين، فافتتحها. وواصل السير باتجاه طبرية وعاملة وعكا، ومنها تقدم إلى منطقة صور اللبنانية، وايضا واصل السير بجيشه حتى الجولان وحوران بسوريا، ثم إلى بصرى في أربعة آلاف فارس، كما ذكر الواقدي ذلك. وكان ممن دخل القدس مع عمر بن الخطاب حين افتتحها..^١

١ - نفسه، ١٠٩، فما بعدها.

عمار بن ياسر العنسي

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين، ينتهي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، سكن مكة من قبل الإسلام وبها تزوج، وكانت بيته من أوائل البيوتات التي دخلت الإسلام كعادة اليمينيين، ولاقت بشأنه العذاب، لأنه سابع رجل أعلن إسلامه. وفيه نزلت آية (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان). وكان من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، وروى عن رسول الله اثنين وستين حديثاً. وقد شهد عدداً من الوقعات منذ أيام صحبته الأولى إلى وفاته، كما أنه ثاني ولاية الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ١٩ هـ. كما كان من ضمن المدد في الجيش الفاتح لمصر. استشهد في معركة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وعمره ثلاثة وتسعون عاماً، كما تذكر بعض الروايات.^١

فروة بن مسيك المرادي

فروة بن مسيك بن الحرث بن سلمة المرادي، وينتهي نسبه إلى زيد بن كهلان بن سبأ. وفد على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر من مرة، فوجهه الرسول بدعوة قومه، أهل مذحج للإسلام، ثم أمره عليهم، واستمر أميراً حتى خلافة عمر بن الخطاب. وقد سأله الرسول عن موقعة يوم الردم: "يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ فقال: يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوؤه ذلك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً".^٢

١ - نفسه، ١٥٣.

٢ - السيرة النبوية، ابن هشام، سابق، ٤/٢٢٥.

ويوم الردم وقعة من أشهر المواقع الحربية بين اليمنين بزعامة مذحج من جهة، وبين بقايا الأبناء ومعهم همدان من جهة أخرى، ثاني أيام رمضان في السنة الثانية للهجرة في وادي مذاب بالجوف، غلبت فيها همدان مذحجًا، وقتلت بعضا من فوارسهم، أشهرهم "فوارس الأرباع" كما تذكر بعض الروايات، في الوقت الذي تذكر روايات أخرى أنهم لم يقتلوا جميعا^١. وقد كانت همدان - حاشد وبكيل يومها - أكبر قبائل اليمن عدة وعدة، ولديها من الخيول ما ليس لمذحج، وبينهما خلاف سابق، فخرجت في عشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل، متعاهدين مع المرزبان باذان بن ساسان بكتاب وعهد موثق، نسخة منه بالعربية، وأخرى بالفارسية، وأما صيغة ابتدائه فقد جمعت الصيغتين العربية والفارسية معا "باسمك اللهم ولي الرحمة والهدى"^٢.

وأفضت تلك الهزيمة إلى تغيير الجغرافيا السكانية في بلاد مذحج، ومنها الجوف تحديدا، إذ تم إجلاء أهلها منها من قبل سلطة صنعاء الفارسية، ومعها حلفها من همدان، وتوطين عشائر همدان فيها بدلا عن سكان الجوف الأصليين. وهو ذات الأسلوب الذي تتبعه فارس إلى اليوم حين تحتل بلدا ما من البلدان!

ولهذا فقد كتب إليهم الأسود العنسي - وهو أحد زعماء مذحج قبل رده -: "أيها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، وأنتم على ما أنتم عليه"^٣. والمقصود بالمتوردين هنا عشائر همدان، داعيا إياهم أن يأخذوا ما سلبوه منهم، مقابل تسليم أرضهم، فيما ذهب البعض إلى أن المقصود بالمتوردين هم الفرس.

كما قال فروة بن مسيك المرادي شعرا:

١ - هم أولاد الحصين بن قنان الحارثي، قائد مذحج في حروبها، كان له أربعة أبناء فوارس، كل منهم يقود رُبع مذحج. وقد ذكر ابن هشام في سيرته أن أحد فوارس الأرباع وهو قبيس بن الحصين ممن وفد على الرسول في السنة العاشرة للهجرة مع يزيد بن عبد المدان. وهذا يعني أنهم لم يقتلوا جميعا في يوم الردم، كما ذكرت بعض الروايات.

٢ - انظر: تاريخ مدينة صنعاء، للزاري، تحقيق ودراسة: د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، - دار الفكر، سورية، وقد كان العرب يبتدئون كتاباتهم بقولهم: باسمك اللهم. وكانت الفرس تبتدئ بقولها: باسم ولي الرحمة والهدى. وفي هذا الحلف ابتدأوا عقدهم بالصيغة الموحدة المذكورة!!

٣ - يمانيون في موكب الرسول، ١٨٧/١.

دعوا الجوف إلا أن يكون لأمكم بها عقر في سالف الدهر أو مهر
وَحِلُوا بِيَعْمُونَ فَإِنْ أَبَاكُمْ بها وحليفاه المذلة والفقير

وقد حاول فروة بن مسيك الاستنجاد بملوك كندة في حضرموت بعد ذلك لإخراج
الفرس من مذحج، إلا أنهم خذلوه، ولم ينصروه، فيمم رحله بعد ذلك إلى رسول الله،
وقال شعرا:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرَّجُلِ كان الرَّجُلُ عرْقُ نساءها
يممت راحلتي أمام محمد أرجو فواضله وحسن ثنائها

وعاد بعدها أميرا على مذحج، داعيا إياهم إلى الإسلام، فأسلموا. ذكر ذلك ابن
سمره الجعدي في طبقات فقهاء اليمن.^١

وظل يوم الردم عقدة في نفوسهم، وعارا في جباههم لا يمحوه إلا نصر أكبر في موقعة
جديدة، ففي السنة العاشرة للهجرة قرر زعماء مذحج ومعهم بعض زعماء همدان القضاء
على الفرس في صنعاء، وتحرير صنعاء من قبضتهم، وقد آل الحكم إلى شهر بن باذان
الذي لم يسلم، كما أسلم أبوه نفاقا، وحفاظا على منصبه السياسي، وأبقى قومه هناك
على ديانتهم المجوسية، ومن بين هؤلاء الزعماء الأسود العنسي قبل ارتداده عن الإسلام،
وعمر بن معديكرب الزبيدي، ودارت معركة حامية الوطيس في منطقة "شعوب"
بصنعاء، في أوئل ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، عرفت بعد ذلك بيوم صنعاء،
وكان قائد جيش اليمانيين قيس بن مكشوح المرادي، وقائد جيش الفرس شهر بن باذان،
وصلى اليمانيون في تلك الموقعة صلاة العيد، وسميت من يومها "المشهد" ولا تزال تعرف
بهذا الاسم إلى اليوم، وتزعم المعركة فروة بن مسيك المرادي الذي بنى مسجدا قريبا من
ذلك المكان، وسمي الحي باسمه إلى اليوم.

١ - طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمره الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت. ١٤.

وكان فروة بن مسيك ممن ساهموا في بناء الجامع الكبير بصنعاء الذي بني في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يزال إلى اليوم في صنعاء القديمة، كما ساهم بعد ذلك في فتوحات العراق أيام عمر بن الخطاب، وسكن الكوفة، كما سكنها معه أيضا عمرو بن معديكرب وقيس بن مكشوح المرادي أيام ولاية عمار بن ياسر العنسي عليها، وعاد آخر أيامه إلى صنعاء إلى نفس الحي، وفيه مات ودفن رحمه الله.^١

قيس بن المكشوح المرادي

وهو قيس بن هبيرة المكشوح بن عبد يغوث بن الغزيل المرادي، والمكشوح لقب لأبيه لا اسم.

كان من أشهر القادة العسكريين في مذحج قبل الإسلام، كما كان من أوائل من أسلم من أهل مذحج، ثم زار بعد ذلك المدينة المنورة، ونزل دار سعد بن عباد، مع أخته كبشة التي اشتهرت بجمالها، وأنها من الصحابيات، وقد تزوجها فيما بعد أبان بن سعيد بن العاص. وعاد قيس إلى اليمن. وفي العام العاشر للهجرة كان قائدا لجيش اليمانيين في يوم صنعاء، بين اليمانيين من جهة، والفرس وأتباعهم من جهة ثانية، كما أشرنا سابقا، وصرع قائد الفرس شهر بن باذان بسيفه حتى أجهز عليه.

"ووفى قيس بن مكشوح بالقسم الذي كان قد أقسمه بعد إخفاق حركة الجوف، بأن يأخذ بثأر فرسان مراد ومذحج الذين سقطوا في تلك الحركة، فقد أخذ قيس بثأرهم في موقعة يوم صنعاء، بقتل الملك شهر بن باذان، والعديد من فرسان الأبناء الفرس الذين بارزهم، فسقطوا بسيفه في المعركة، فقال قيس بن مكشوح في يوم صنعاء:

ووفيت لقومي واحتشدت لمعشر أصابوا على الأحياء عمرا ومرثدا

وكنت لدى الأبناء لما لقيتهم كأصيد يسمو في العزازة أصيدا

١ - انظر: يمانيون في موكب الرسول، ١/٢٠٨.

وكان ممن واجه الأسود العنسي حين ادعى النبوة، ثم قتله بسيفه في السنة الحادي عشرة للهجرة..

وفي ذلك قال الهمداني في دامتته شعرا:

وزار الأسود العيني قيسٍ بجمع من غطيف مردفينا
فعمم رأسه بذياب سيفٍ فطار القحف يسمعه حيننا
وهل غير ابن مكشوح همام يكون به من المتمرسينا

وقد عرف هذا اليوم بيوم صنعاء الثاني. وفيه استتب الوضع، ودخل عمال الرسول صنعاء، آمنين مستقرين.

وهناك أيضا يوم صنعاء الثالث وترعمه قيس بن مكشوح، تمثل في الثورة على بقايا الأبناء الذين تظاهروا بالإسلام، لكنهم بقوا على عصبيتهم الفارسية، فقتل "داذويه"، وأجلى "فيروزا" و "جشيشا" ومن معهما إلى خارج صنعاء، كما تم تسيير جيش الأساورة الفارسي ممن لم يسلموا وعددهم كبير بحرا وبراً، ليرحلوا عن بلاد اليمن وليعودوا إلى بلادهم.

وقد كان قيس من أبرز رجالات حروب الردة في الشام وقادتها الكبار، ومن رجالات اليرموك؛ حيث قاد فرقة الميسرة، كما قاد خالد بن الوليد فرقة الميمنة من الفرسان. ونفس الدور لعبه في القادسية بعد ذلك، كما سنرى لاحقا. وأيضا من قادة فتح القدس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن قادة معركة نهاوند سنة ١٩ هجرية. وفي ذلك قال شعرا:

جلبتُ الخيل من صنعاء تردي بكل مدجج كالليث سامي
إلى وادي القرى وديار كلب إلى اليرموك والبلد الشامي
فلما أن زوينا الروم عنها عطفناها صواهل كالسهام

العلاء بن الحضرمي الصدي

هو العلاء بن عبدالله بن عماد بن سلى بن أكبر الصدي الحضرمي، سكن مكة، وكان تاجرا ثريا في اليمن والطائف ومكة ويثرب والشام والبحرين، كما كان مزواجا، كثير الأولاد.

وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - واستمع إليه، وصار من كبار الصحابة والعلماء.. ولحسن منطقه، وجودة بيانه وحسن طلعه فقد ابتعثه الرسول إلى البحرين وملكها المنذر بن ساوى بعد الحديبية.^١

وبحكم العلاقة التجارية التي تربط العلاء بن الحضرمي مع أهل البحرين، وكون كثير من القبائل اليمنية تقيم هناك فقد كان أول من دعا أهلها للإسلام، منتقلا ما بين البحرين والمدينة، حاملا أكثر من كتاب من الرسول إلى أكثر من جهة هناك. قال ابن كثير: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، ملك البحرين، فأسلم المنذر على يديه، وأقام فيهم الإسلام والعدل.^٢ عدا اليهود والفرس هناك، فقد رضوا بالجزية. وكتب العلاء إلى النبي يخبره بذلك، فأقره على ما فعل. قال الهمداني عن العلاء بن الحضرمي: أغزاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى البحرين والمشقر، وهو أول من بنى مسجدا في أرض الكفر، وأول من ضرب الجزية على الكفار، وأول من بيّت الكفار ليلا.^٣

١ - كانت البحرين تمتد من عمان جنوبا إلى كاظمة "الكويت" شرقا، ومن جزيرة دارين جنوبا إلى تخوم اليمامة والربع الخالي، بما فيها الإحساء وشرق الجزيرة العربية، وكانت عاصمتها هجر. وهجر باللغة الحميرية: مدينة، أو قرية كبيرة، لأن المنطقة كاملة كانت تحت سلطتها إلى القرن الرابع الميلادي. وكانت سوقا تجاريا كبيرا، وسكنتها كثير من القبائل اليمنية حسبما أشار ابن خلدون، حكمها المناذرة بعد الحميريين، وأيضا الفرس.

٢ - البداية والنهاية، سابق، ٤/٣١١.

٣ - يمانيون في موكب الرسول، ١/٢٨٤. والمشقر: اسم حصن بالبحرين، كان مقر الهرمزان، عامل كسرى.

وفي العام ٩ هـ عين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العلاء بن الحضرمي أميراً على البحرين، وكتب إلى الناس كتاباً، فيه: "هذا كتاب من محمد بن عبد الله، النبي الأمي القرشي الهاشمي رسول الله ونبيّه إلى خلقه كافة، للعلاء بن الحضرمي ومن معه من المسلمين، عهد أعهدته إليكم، اتقوا الله أيها المسلمون ما استطعتم، فإني بعثت عليكم العلاء بن الحضرمي، وأمرته أن يتقي الله وحده لا شريك له، وأن يلين لكم الجناح، ويحسن فيكم السيرة بالحق، ويحكم بينكم وبين من لقي من الناس بما أنزل الله عز وجل في كتابه من العدل، وأمركم بطاعته إذا فعل ذلك، وقسم بقسط، واسترحم فرحم، فاسمعوا له، وأطيعوا، وأحسنوا مؤازرته ومعاونته، فُرقة..".^١

أما في العام ١٣ هـ فقد قام أبو العلاء الحضرمي بمهاجمة الفرس ومواجهتهم في مناطق السابون والغابة والزارة وجزيرة دارين التي كانت لا تزال تحت سيطرتهم إلى تلك اللحظة، منتصراً عليهم، وفي نفس العام أيضاً كان الزعيم اليماني جرير بن عبد الله البجلي قد دحر فلول الفرس المجوس في موقعة "البويب" التي مهدت للقادسية.

وفي العام ١٥ هـ كانت أول غزوة بحرية للمسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي باتجاه بلاد فارس، حيث تم فتح إقليم اصطخر، وهو من أهم أقاليم بلاد فارس، وكان جيشه هذا أول جيش إسلامي يغزو البحر. وفي نفس السنة عزله عمر بن الخطاب لقيامه بهذا الغزوة دون إذنه، كما تذكر بعض الروايات، وولى مكانه أبا هريرة، وفيها توفي رحمه الله.^٢

وإلى هنا تكون البحرين قد عادت إلى حضن الدولة الإسلامية العربية الجديدة، من أيدي الفرس، بعد أن كانت تحت النفوذ الفارسي.

١ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، دار النفائس - بيروت، ط: ٦، ١٤٠٧ هـ -، ٥٧٢.

٢ - انظر: الجامع.. جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الرشيد للنشر، د. ت. ١/٥٤. وانظر أيضاً: يمانيون في موكب الرسول، ١/٣٠١.

عمرو بن معدي كرب

هو عمرو بن معديكرب بن عبدالله بن عمرو بن عُصم بن عمرو بن زبيد الأصغر، وينتهي نسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان. وتنتمي قبيلة زُبيد إلى مذحج، ضمن مخلاف نجران. واشتهر عمرو بالفروسية قبل الإسلام وبعده.

كان عمرو بن معدي كرب، ومعه قيس بن هبيرة المكشوح المرادي من المناوئين للحضور الفارسي في اليمن قبل الإسلام، معتبرين إياهم "نُزَاعاً" في أرض اليمن ودخلاء، بزعامة باذان، عامل كسرى. كما شارك في موقعة "الردم" بوادي مذاب بالجوف، وهي الموقعة الشهيرة بين الفرس، ومعهم همدان التي تقدمت بعشرة آلاف فارس من جهة، وبين اليمنيين، بزعامة مذحج التي ينتمي إليها عمرو بن معدي كرب. وانتصرت همدان، ومعها جيش الأساور من الفرس على مذحج، كما ذكرنا سابقاً..

وفد على المدينة المنورة، وأسلم هناك بعد أن علم ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأمن به، وقيل أنه أسلم باليمن، حين سمع بالنبي، ولم يزره إلى المدينة، إلا بعد غزوة تبوك، سنة تسع للهجرة، وفيها حج وعاد إلى اليمن، واستشهد ابن كثير بشعر عمرو في قصيدة، منها:

إنني بالنبي موقنة نفسي وإن لم أر النبي عيانا
جاء بالناموس لذن الله وكان الأمين فيه المعانا
حكمة بعد حكمة وضياء فاهتدينا بنوره من عمانا
وعبدنا الإله حقا وكنا للجهاالات نعبد الأوثانا
واثلفنا به وكنا عدوا فرجعنا به معا إخوانا
فعلية السلام والسلم منا حيث كنا من البلاد وكانا

وظل في اليمن حتى العام ١١ هجرية، وهو العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، معارضا المجوس المتظاهرين بالإسلام، ومناوئا لوجودهم فيها، إلا أنه مطمئن البال، كون والي اليمن كلها هو معاذ بن جبل، بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضا كان باذان، عامل كسرى قد أعلن إسلامه، لكن بعد وفاة الرسول، قام الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه، بعزل معاذ وتولية فيروز الديلمي الفارسي، بدلا عن معاذ بن جبل، الأمر الذي استاء له اليمنيون كثيرا، خاصة مذحج، وعارضوا هذا القرار الجديد، خاصة وقد اشترأت أعناق الأبناء الفرس بصنعاء على الناس، وتفاخروا بذلك، وكان مستشار فيروز داذويه، الذي لا يطيقه عمرو، فبعث عمرو بهذين البيتين إلى الأبناء في صنعاء، وكان مقيما في تثليث نجران:

وما أن داذويه لكم بفخر ولكن داذويه فضح الذمارا
وفيروزا غدا سيصاب فيكم ويضرب في جموعكم القفارا

وقد تم قتل داذويه من قبل قيس بن هبيرة المكشوح المرادي، وفرار فيروز إلى خولان، ومنها إلى المدينة المنورة، وترحيل بقية الأبناء إلى بلادهم، كما سنى ذلك لاحقا، وتم تعيين المهاجر بن أبي أمية عاملا على اليمن بعد ذلك..

في العام ١٣ هجرية، كان عمرو بن معديكرب الزبيدي مع جموع المجاهدين الذين اتجهوا إلى الشام على رأي خمسمئة فارس وراجل من زُبيد، واشترك في موقعة اليرموك بعزيمة واستبسال، وقد كان قائدا لكراديس الميمنة. قال ابن حجر العسقلاني: "شهد عمرو بن معديكرب فتوح الشام، فقال ابن عائد في المغازي عن أبي مسهر، عن محمد بن شعيب، عن حبيب، قال: قال مالك بن عبد الله الحثعمي: ما رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك، فخرج إليه علج فقتله، ثم انهزموا وتبعهم، ثم انصرف إلى خباء عظيم، فنزل، ودعا بالجفان، ودعا من حوله، فقلت: من هذا؟ قالوا: عمرو بن معديكرب".^١

١ - الإصابة في تمييز الصحابة، سابق، ٥٧٠/٤.

وقد كتب الخليفة أبو بكر إلى خالد بن الوليد: "وقد تقدم إليك أبطال اليمن وأبطال مكة، ويكفيك عمرو بن معديكرب ومالك الأشتر".^١

ومن اليرموك واصل الجهاد في قنسرين مع كبار الصحابة الذين تم اختيارهم مع خالد بن الوليد، حتى عاد نحو حمص مرة ثانية، لفتحها بعد موقعة نهر اليرموك في رجب، سنة ١٥هـ، بعد القادسية، وكان قائد الميسرة فيها، واشترك في فتح حلب، ومعه العديد من الزعماء والقادة اليمنيين، بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومنها إلى انطاكية، ثم بطولته الحربية في جلولاء، مواصلاً ذلك الدور إلى بلاد أرمينية، ثم العودة نحو نهاوند، واستقر به الأمر في الكوفة آخر سنوات حياته. وسنشير إلى بطولاته في القادسية في معرض الحديث عنها.

وعمر هو صاحب القصيدة الشهيرة التي قالها قبل الإسلام، وفيها من القيم والشمائل الأصيلة التي يدعو لها ما فيها، ومنها:

لَيْسَ الْجَمَالَ بِمُنْزَرٍ	فَاعْلَمْ، وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ	وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ حَمْدًا
أَعَدَّدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا	بِعَةً وَعَدَاءً عَالِنْدِي
تَهْدًا، وَذَا شُطْبٍ يَبُ	دُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًّا
وَعَلِمْتُ أَيَّ يَوْمٍ ذَا	كَ مُنَازِلٍ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِي	دَ تَنَمَّرُوا حَلْقًا وَقَدًّا
كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي إِلَى	يَوْمِ الْهِيَاجِ بِمَا اسْتَعَدًّا
لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا	يُفَحَّصْنَ بِالْمُعْزَاءِ شَدًّا
وَبَدَّتْ لَمِيسُ كَأَتْهَا	بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
وَبَدَّتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي	تَحْفَى، وَكَانَ الْأَمْرُ جِدًّا
نَازَلْتُ كَبَشْتَهُمْ وَلَمْ	أَرَّ مِنْ نِزَالِ الْكَبْشِ بُدًّا

١ - فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٧م، ١/٦٢.

هُم يَنْدِرُونَ دَمِي، وَأَنْ
ذُرُّ إِنْ لَقَيْتُ بَأْنَ أَشُدًّا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ
بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لِحَدَا
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ
تُ وَلَا يَزِدُّ بُكَايَ زَنْدَا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ
وَحُلِقْتُ يَوْمَ حُلِقْتُ، جَلْدَا
أُغْنِي غَنَاءَ الدَّاهِي
نَ أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا
ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ
وَبَقِيْتُ مَثَلِ السَّيْفِ فَرْدَا

معاوية بن حديج السكوني

هو معاوية بن حديج بن جفنة بن تجيب أبو نعيم السكوني، سيد عشيرة تجيب السكونية بحضرموت. شارك في فتوح الشام في العام ١٣هـ على رأس قبيلته تجيب والسكون وكانوا من الجند وحضرموت، وفيهم أربعمئة فارس غير الراجلين والنساء والأطفال. وكان من قادة اليرموك وفتح دمشق، وعلى رأس كردوس، كما ذكرنا سابقا، ومنها انطلق في خلافة عمر بن الخطاب إلى القادسية في العراق.

وكما كان معاوية بن حديج من رجالات الفتح الإسلامي في الشام والعراق كان كذلك من رجالات الفتح في مصر، حيث وجهه عمر بن الخطاب بالمشاركة في فتوحات مصر بقيادة عمرو بن العاص، مع رجاله من تجيب، القبيلة الحضرية التي أسهمت في فتح حصن بابلين، وكان ممن شهد حرب صفين مع معاوية، وولاه معاوية إمرة جيش جهزه إلى مصر، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية، ثم ولي إمرة مصر ليزيد، وولي غزو المغرب مرارا، آخرها سنة ٥٠هـ، واستولى على صقلية، وفتح "بنزرت" .. له في أفريقيا آثار، منها آبار في القيروان، تُعرف بآبار حديج، وهي خارج باب تونس، منحرفة إلى الشرق، كان عاقلا حازما، واسع العلم مقداماز.^١

١ - الجامع، بامطرف، سابق، ٢/٤٩٧. ويمانيون في موكب الرسول، ١/٤٧٣.

وكان معاوية بن حديج ممن حمل خبر النصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب، بتوجيه من القائد عمرو بن العاص، ثم عاد لاختطاط الفسطاط سنة ٢١هـ، واستقرت فيها فرقة كبيرة من عشائر تجيب والسكون، منهم قيسبة بن كلثوم التجيبي السكوني "الذي شارك في الفتح مع عدد كبير من أهله وخيله، واختط بجوار الحصن، ثم تنازل عن مكان خطته ليبنى المسلمون فيه المسجد الذي عرف بمسجد عمرو بن العاص في الفسطاط، فاستحق قيسبة الثناء لذلك الصنيع، وقال الشاعر أبو قبان السكوني يذكر ذلك:

وقيسبة الخير بن كلثوم داره أباح حماه للصلاة وسلما

فكل مصلٍ في فنانا صلواته تعارف أهل المصر ما قلت فاعلما

وقال أبو مصعب بن سلمة الشاعر في قصيدة مدح بها عبدالرحمن بن قيسبة السكوني:

وأبوك سلم داره وأباحها لجباه قوم ركع وسجود"^١

وواصل معاوية بن حديج فتوحاته بعد ذلك باتجاه الدقهلية والبحيرة والصعيد، ثم بلاد النوبة أيام عثمان بن عفان، بقيادة ابن أبي السرح.

"إن الدور القيادي لمعاوية بن حديج السكوني منذ بداية فتح مصر قد اقترن بارتفاع مكانته في الرئاسة والزعامة إلى أعلى المراتب، حيث أصبح زعيما ألفه اليمانيون بمصر، والذين يمثلون الغالبية العظمى في الجيش العربي الإسلامي الذي فتح مصر، وفي القبائل العربية التي استقرت بمصر، فكان معاوية بن حديج - كما ذكر الهمداني: رأس اليمانية بمصر".^٢

قال عنه البلاذري في فتوح البلدان: "كان إذا وفد إلى الشام قُلت له الطرق، والتقليس أن يُضرب عليها قباب الرياحين".^٣

١ - يمانيون في موكب الرسول، ٤٧٤/١.

٢ - نفسه، وانظر أيضا: الإكليل، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ٢٠٢٣.

٣ - الإكليل، ٢٣١/٢.

وقال ابن الأثير: " إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ وَقَدَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ إِلَى مُعَاوِيَةَ زِينَتْ لَهُ الطَّرِيقُ بِقَبَابِ الرِّيحَانِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، فَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ أُحْتُهُ أُمُّ الْحَكَمِ، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَخِ بَخِ! هَذَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ. " ١.

وكانت وفاته في مصر سنة ٦٢ هـ على أرجح الأقوال، ودفن بجبل المقطم، وكان له أبناء وأحفاد نجباء لعبوا دورا إيجابيا كبيرا على أكثر من صعيد بعده، كعبد الرحمن بن معاوية الذي تولى منصب قاضي مصر، وقد كان محدثا فقيها بارعا، والذي بدوره خلف ابنه عبدالواحد بن عبدالرحمن بن معاوية السكوني الذي تولى قضاء مصر أيضا أواخر العصر الأموي، وبداية العصر العباسي، وأصبح واليا لمصر في خلافة أبي جعفر المنصور حتى توفي سنة ١٥٥ هـ. ٢

جريد بن عبدالله البجلي

زعيم قبيلة بجيلة، اشهر القبائل العربية التي أسهمت بدور فاعل في الفتوحات الإسلامية، وهو الذي أرسله الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهدم "الكعبة اليمانية" المسماة آنذاك "ذي الخلصة" والتي كان بعض اليمنيين يفاخر بها، مقابل كعبة مكة المكرمة التي كانوا يسمونها الكعبة الشامية، روى فيه البراء بن عازب حديثا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «يَأْتِيكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ خَيْرٌ ذِي يَمَنِ، عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٍ». قَالَ: فَمَا مِنَ الْقَوْمِ رَجُلٌ إِلَّا يَتَمَتَّى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَاكِبٌ، فَأَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَبَايَعَهُ وَهَاجَرَ. قَالَ: " مَنْ أَنْتَ؟ ". قَالَ: أَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى

١ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٧م، ٣/١٠٩.

٢ - انظر: يمانيون في موكب الرسول، سابق، ١/٤٩٦.

جَنْبِهِ، وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَصَدْرِهِ وَبَطْنِهِ، حَتَّى انْحَنَى جَرِيرٌ حَيَاءً أَنْ يُدْخَلَ يَدَهُ تَحْتَ إِزَارِهِ وَهُوَ يَدْعُو لَهُ بِالْبَرَكَاتِ وَلِدُرِّيَّتِهِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ وَظَهْرَهُ وَهُوَ يَدْعُو لَهُ "١".

وجرير بن عبدالله البجلي سادس ستة بسط لهم الرسول . صلى الله عليه وسلم . رداءه تكريما وتشريفا لهم، وكلهم يمانيون، وهم: وائل بن حجر الحضرمي، والحارث بن عبد كلال المداني، وأبرهة بن الصباح، والجد بن ربيعة الحكمي، وأبيض بن حمال الماري، وجرير بن عبدالله البجلي.

وهذا دليل على عظمة شأنهم وعلو مكانتهم، وعلى إخلاصهم في سبيل الدعوة الجديدة التي جاء بها محمد رسول الله، واستجاب لها اليمانيون . أهل الحضارة . قبل غيرهم من أهل البداوة الذين عارضوه وتصدوا لها.

أسلم على يديه عدد من أقبال المعافر وذي رعين وحوشب ذي ظليم بعد عودته من المدينة، عقب إسلامه، وحين عاد إلى الرسول رجع على رأس وفد من قبيلة بجيلة، كانوا قد أسلموا، ثم شهد مع النبي حجة الوداع، وهو الذي أمره . صلى الله عليه وسلم . أن يستنصت الناس أثناء خطبة هذه الحجة، ذلك لأنه كان فارح الطول، بهي الطلعة، ندي الصوت، خطيبا فصيحاً، فكان جرير يعيد كلام الرسول ليسمعه البعيد ممن لم يسمع..^٢

عاد جرير إلى اليمن، وكان له دور كبير في مواجهة ردة الأسود العنسي بصنعاء والقضاء عليها مع آخرين، أما بعد موته، وأثناء خلافة أبي بكر الصديق . رضي الله عنه . فقد ولاه مخلاف نجران.^٣، وقد قضى هناك على حركة الردة التي تبناها بعض الأشخاص، وثبت الحكم باقتدار وحنكة.

١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م، ٩/٣٧٢.

٢ - يمانيون في موكب الرسول، ١/٥٨٦.

٣ - الإكليل، الهمداني، ٢/١٥٥. ويمانيون، ١/٥٨٩. ونجران قديماً تشمل منطقة نجران وتتلث ووادي بيشة وتباله وبلاد السراة جميعها، وهي: بجيلة وختعم ونهد وأزد السراة "عسير حالياً".

أما حين بدأت فتوحات الشام والحيرة، ثم العراق لاحقاً، بعد ذلك . فقد انطلق جرير بن عبدالله البجلي على رأس طلائع أهل اليمن، ومعه ذو الكلاع الحميري وقيس بن المكشوح المرادي.

لقد كان جرير مع خالد بن الوليد في فتح الحيرة بالعراق، وكانت تحت سيطرة الفرس آنذاك، بعد أن لعب دوراً سياسياً وعسكرياً في ذلك.

وفي العام ١٣هـ توجه مع خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لمواجهة الروم هناك، وكان على واحد من أبرز قادة موقعة اليرموك؛ ولأن هذه المعركة كانت آخر أيام أبي بكر الصديق، فلم يتم إعلان النصر فيها إلا بداية أيام الخليفة التالي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان جرير بن عبدالله البجلي هو الذي حمل للخليفة نبأ النصر.

قال البلاذري: "وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة فسأل أن يأتي العراق، على أن يعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق، وقوم يزعمون أنه مر على طريق البصرة وواقع مرزبان المذار فهزمه".^١

وقال المسعودي في مروج الذهب: "وقد كان جرير بن عبدالله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت إليه بجيلة، فسرحهم نحو العراق، وجعل لهم ربع ما ظهروا عليه من السواد، وساهمهم مع المسلمين، وخرج عمر فشييعهم، ولحق جرير بناحية الأبله، ثم صاعد إلى ناحية المدائن".^٢

ليس ذلك فحسب؛ بل لقد واصل فتح الأنبار مطلع سنة ١٤هـ، قال البلاذري: "قالوا: وفتح جرير بوازيج الأنبار، وبها قوم من مواليه".^٣

١ - فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٨م، ٢٥٠.

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، سابق، ٢/٢٤٤.

٣ - فتوح البلدان للبلاذري، سابق ٢٤٣. والبوازيج تعني النواحي.

ولهذا استشعر الفرس الخطر الأكبر والزاحف من قبل العرب والمسلمين نحو امبراطوريتهم، فكان التحشيد والتجهيز للانتقام من كل ما سبق، في معركة أكبر، تغسل عارهم وتعيد اعتبارهم، فكانت بعدها القادسية.

ولجرير بطولات عظمت في القادسية، سنتكلم عنها لاحقا في معرض الحديث عن الدور اليميني في القادسية، وعن فتوحات المناطق الأخرى..

أبو موسى الأشعري

هو أبو موسى عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر الأشعري، سيد الفوارس، وفقه أهل البصرة، وهو من وادي زبيد بتهامة اليمن، ينتسب إلى الأشعر بن سبأ أخي حمير بن سبأ، وله ما يقارب ثلاثمئة وستين حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ووفقا للقاضي محمد بن علي الأكوغ، فالأشاعر قبيلة يمنية قوية الشوكة والشكيمة، مرهوبة الجانب، ومنازلها ما بين سيف البحر غربا إلى حزاز الجبال شرقا، وفيما بين شمير بناحية مقبنة جنوبا إلى بيت الفقيه شمالا، ومن مدنهم: زبيد وحيس وبيت الفقيه، وموانئهم: غلافقة والخوخة، وقبائلهم: الجماهر والركب والمعازية والقراشية والزرائق.^١

كان أبو موسى من السابقين للإسلام؛ إذ قدم مكة في السنة الرابعة للبعثة النبوية، فأسلم، ثم عاد إلى قومه مبشرا بالدعوة الجديدة، وظل في اليمن يدعو قومه حتى صلح الحديبية، ذهب بعده إلى المدينة وصحب النبي فترة طويلة، وشهد فتح الطائف مع الرسول، وكان من الصحابة المقربين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا فقد كان أحد

١ - انظر: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، نجم الدين عمارة اليميني، تحقيق: القاضي محمد بن علي الأكوغ، ٤٤.

الولادة الذين اختارهم الرسول على اليمن في السنة التاسعة للهجرة، لأنه كان عالماً بالقضاء والفقهاء ومسائل الدين.

قدم إلى المدينة المنورة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، على رأس جماعة من أصحابه للجهاد، وشهد القادسية أيام عمر بن الخطاب مع غيره ممن شهدوها من القادة اليمنيين وأيضاً فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب.

ولاه عمر بن الخطاب ولاية البصرة سنة ١٦ هـ، وهي من أكبر الأقاليم الإسلامية يومذاك، وقد أسسها تأسيساً جديداً واختط معالمها خلافاً لما كانت عليه سابقاً؛ إذ كانت أغلب بيوتها من القصب والقش، فأسس جامعها ودار الإمارة والسجن بالحجر واللبن، ومن ثم تأسست البيوت الأخرى فيها على هذا النمط، وعرفت أول دار فيها باسم دار ابن تبع، نسبة إلى الزعيم اليماني عبدالرحمن بن تبع الحميري. كما شق للبصرة نهرًا خاصاً بها، عرف بنهر الأبله، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب^١، كذلك قيامه بتوفير مياه الشرب لأهالي البصرة التي كانت تعاني من شحة المياه العذبة فيها، ويتضح ذلك أيضاً من شكوى الأحنف بن قيس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يذكر له قساوة حياة سكان البصرة وشحة مياه الشرب فيها، مقارنة بحياة سكان الأمصار الأخرى، ذات المياه الوفيرة الغنية الإنتاج، فأمر عمر - رضي الله عنه - أبا موسى بحفر نهر عذب، وقد استجاب أبو موسى لأمر الخليفة، فبدأ بحفر بئر الأجانة، لمسافة ثلاثة فراسخ، حتى أوصله البصرة، وكان شرب الناس سابقاً من نهر الأبله^٢.

وقد كتب عمر كتاباً إلى أهل البصرة قال لهم فيه: "أما بعد: فإنني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، ليأخذ لضعيفكم من قويكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم، وليحصي لكم فيأكم، ثم ليقسمه بينكم، ولينقي لكم طرقكم"^٣.

١ - انظر: الوثائق السياسية، سابق، ٥٢٢. وفتوح البلدان للبلاذري، ٣٤٨.

٢ - قبيلة الأشعريين ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، أزهار غازي مطر البهادلي، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، العراق، ٢٠٠٥م، ٨٤. والفرسخ حوالي ستة كيلو متر.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، سابق، ١/٤٢٤.

ولخبرته وكفاءته السياسية والإدارية فقد نظم دواوينها وقسم إدارتها وأعمالها وكان للبصرة في عام الرمادة فضل تزويد المدينة المنورة بالطعام والزراد، فكانت البصرة من أفضل الولايات الإسلامية تنظيمًا وترتيبًا وإدارة بفضل حنكة الزعيم اليماني أبي موسى الأشعري.

والصحابي الجليل أبو موسى الأشعري هو فاتح منطقة الأحواز/ الأهواز في إيران سنة ١٧هـ، كما ذكر البلاذري في فتوح البلدان؛ حيث فتح سوق الأهواز عنوة، وفتح نهر تيري عنوة، وتولى ذلك بنفسه في سنة سبع عشرة؛ ففتحها رستاقا رستاقا، ونهرا نهرا، والأعاجم تهرب بين يديه.^١

وفي تلك البطولات الملحمية التي سطرها أبو موسى الأشعري ورجالاته من اليمانيين ومن أبرزهم الربيع بن زياد الحارثي وغيرهم قال الشاعر:

لعمرك ما أضعاب بنو أينا ولكن حافظوا فيمن يطيعوا
أطاعوا ربهم وعصاه يوم أضعوا أمره فيمن يضيع
مجوس لا ينهنها كتاب فلاقوا كبة فيها قبوع
وولى الهرمزان على جواد سريع الشد يثفنه الجميع
وخلى سراة الأهواز كرها غداة الجسر إذ نجم الربيع

وقد كان فتح الأحواز على يد الزعيم اليماني أبي موسى الأشعري بداية الفتوحات التي تتالت في بلاد فارس؛ حيث فتح بعدها مدينتي: مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى، ثم السوس وتستر وجنديسابور وبرسيبوليس، عاصمة الامبراطورية الفارسية آنذاك. وجاء في تاريخ ابن كثير عن فتح بلاد السوس: "والسوس بلد قديم العمارة في الأرض، يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض، والله أعلم. وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس، وأن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب في أمره، فكتب إليه أن

١ - فتوح البلدان، البلاذري، سابق، ٣٦٦. والرساتيقي: السواد من الأرض. والسواد من البلد: قراه.

يدفنه، وأن يُغيب عن الناس موضع قبره، ففعل..^١ وقد أكمل أبو موسى فتح بقية مدن الأحواز سنة ٢٠هـ، وعاد إلى البصرة، كبرى الولايات الإسلامية التي شهدت تطورا كبيرا في عهده.

وأبو موسى الأشعري أيضا هو صاحب فكرة التقويم الإسلامي بالتاريخ الهجري، وقد كانت الرسائل والمواثيق تُرقم بلا تاريخ إلى تلك الفترة؛ حيث أشار على الخليفة عمر بن الخطاب بأهمية اتخاذ تاريخ معتمد للمسلمين، تؤرخ به الوثائق والرسائل، وبدوره فقد تشاور الخليفة مع أصحابه بالمدينة، وتم الاتفاق على التقويم الهجري المعروف إلى يومنا هذا.^٢

وظل واليا على البصرة من العام ١٦هـ، في فترة خلافة عمر بن الخطاب إلى العام ٢٩هـ أيام خلافة عثمان بن عفان. وخلال هذه الفترة شهدت البصرة انتعاشا عمرانيا وحضاريا لم تعهده من قبل، كما واصل فتوحاته في بعض المناطق الأخرى، كغزوه لبلاد آمد، وبلاد الأكراد حين كفروا، وفقا لابن خلدون، ويبدو أنه قمع حركات الردة التي كانت قد بدأت بالتلمل في هذه البلاد.

وأورد ابن حجر في الإصابة ما نصه: "كان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم القرآن، وأخرج البخاري من طريق أبي التياح عن الحسن البصري، قال: ما أتى البصرة راكبٌ خير لأهلها من أبي موسى".^٣

وكان أبو موسى الأشعري ممن لعب دورا إيجابيا في التحكيم في فتنة علي ومعاوية، نظرا لمكانته الكبيرة عند الجميع، إلا أن المشكلة كانت أكبر من الكل، فلم تفلح مساعيه، كواحد من عقلاء القوم، وللكاتب خالد محمد خالد كلام جميل بشأن أبي موسى في هذه الواقعة في كتابه رجال حول الرسول.

١ - البداية والنهاية، ابن كثير، سابق، ٧/١٠٢.

٢ - انظر: قرّة العيون بتاريخ اليمن الميمون، ابن الديبع، ٥٢، ويمانيون حول الرسول، ١/٨٧٥.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/١٨٢. وأيضا يمانيون في موكب الرسول، ١/٩١٧.

كان من كبار قادة الفتح الإسلامي في بلاد فارس، حيث روى البلاذري في فتوح البلدان أن أبا موسى استخلف الربيع بن زياد على منازر، وسار إلى السوس، ففتح الربيع منازر عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، حتى صارت منازر الكبرى والصغرى بيد المسلمين.^١ كذا أشار القرطبي وابن حجر العسقلاني في ترجمتهما للربيع. كما أنه فاتح منطقة "بيروذ" من أكراد إيران، بعد ذلك سنة ٢١هـ. قال ابن كثير: "إن جماعة من الأكراد، والتف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا، فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ، فقاتلهم، ثم استخلف على حربهم الربيع بن زياد، فهزم الله العدو".^٢ كما كان ثالث ثلاثة من القادة الفرسان الذين فتحوا إقليم كرمان الفارسي سنة ٢٣ هـ مع الزعيم اليماني عبدالله بن بديل أمير أصبهان، وسهيل بن عدي من الأحواز، وثالثهم الربيع بن زياد والي بلاد البحرين يومها.

قال البلاذري: "وقد كان أبو موسى الأشعري وجه الربيع بن زياد الحارثي ففتح ما حول الشيرجان، وصالح أهل بم والاندغار".^٣، وبقي هناك قائدا للفتوحات الإسلامية ولم يعد إلى البحرين، ليواصل بعد ذلك المسير نحو فتح بلاد سجستان سنة ٢٩هـ، وكان كسرى يزجر قد انتقل إليه من كرمان بعد أن غادرها مهزوما، وتم فتحها في رجب سنة ٣٠هـ، وبقي واليا عليها حتى سنة ٣٢هـ، واعتزل الفتنة أيام عثمان، ثم وليها مرة ثانية أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقد صحب معه كاتبه الحسن البصري، التابعي المشهور سنة ٤٥هـ، مواصلا الفتوحات الإسلامية حتى وصل كابول في أفغانستان، حتى سنة ٥٠هـ.

١ - فتوح البلدان، البلاذري، ٣٦٧..

٢ - البداية والنهاية، ابن كثير، ١٤٩/٧.

٣ - فتوح البلدان للبلاذري، ٣٧٩. والشيرجان من مدن إقليم كرمان.

الربيع بن زياد الحارثي

هو الصحابي الجليل الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي المدحجي، وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٣ هـ، ثم عاد إلى اليمن زعيماً على قومه في نجران، وفي السنة التالية غادر إلى العراق مع قومه، وضمن رؤساء مدحج، ولعب دوراً بطولياً رائداً في القادسية، وفي ذلك قال عمرو بن معدي كرب:

والقادسية حيث زاحم رستم كنا الحماة بهن كالأشطان
ومضى ربيع بالجنود مشرقاً ينوي الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباح قرى السواد وفارس والسهل والأجبال من مكران

وفي سنة ٥١ هـ ولاء معاوية بن أبي سفيان على خراسان، وهي من أهم البلاد الفارسية، بل عمق فارس هوية وحضارة، وكانت تتبع ولاية البصرة وواليها زياد بن أبيه، وأثناء توليته خراسان تم توطين خمسين ألف أسرة عربية فيها. يقول المؤرخ الفرغ تعليقا على ذلك: " .. وكانت تولية الربيع بالذات بالغة الأهمية؛ لأنه أكبر شخصية يمانية في العراق، وكان أغلب العرب بولايي البصرة والكوفة من اليمانية الذين جاؤوا من مناطق اليمن، واستقروا بولايي البصرة والكوفة في الفتوحات، فاستجابة خمسين ألفاً للمسير بعائلاتهم إلى بلاد خراسان مع الربيع بن زياد ستكون ممكنة أكثر من أي شخص آخر، فالربيع من زعماء اليمانية، وهو زعيم قبائل مدحج بالذات، ومعها طيء، كما أنه رأس اليمانية بالعراق آنذاك.. وقد قال الشاعر:

والبيت بيت بني الديان نعرفه في آل مدحج مثل الجوهر الغالي

وأيضاً:

إن تلق بني الديان تلقهم شم الأنوف غرة اليمن^١

١ - يمانيون في موكب الرسول، ١٥٦/٢.

قال الطبري: " ثُمَّ بُعِثَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ إِلَى حُرَّاسَانَ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا، مِنْ الْبَصْرَةِ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ الرَّبِيعِ، وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ. " ١.

ولم يتوقف طموح الربيع بن زياد عند هذا الحد فحسب؛ بل لقد تجاوزه غازيا إلى بلاد ما وراء النهر^٢، في آسيا الوسطى، وكان معه ابنه عبدالله بن الربيع الذي أصبح أحد قادة الفتح. توفي في مرو بخراسان سنة ٥٣هـ.

١ - تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط: ٢، ١٣٨٧هـ-، ٥/٢٢٦.

٢ - النهر: ما وراء نهر الأوكسوس، وهذه المنطقة اليوم تشمل أوزباكستان والجزء الجنوبي الغربي من كازاخستان والجزء الجنوبي من قيرغيزستان.

الردة اليمينية.. حقيقتها ودوافعها

بعيدا عن التعريف الإجرائي للردة التي أعقبت وفاة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت إلى جانب كونها ردة دينية، في جزء منها، كما أشارت الكثير من المصادر الكلاسيكية أيضا فإنها ردة سياسية؛ لأن بعض القبائل بقيت محافظة على دينها؛ لكنها متمردة على سلطة المدينة المركزية، كما سنرى. وهذا هو الأساس الذي تم التعامل معه من قبل الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ووزيره الأول يومها عمر بن الخطاب، واللذين استطاعا تثبيت أركان الإمبراطورية الإسلامية العربية في لحظة حرجة من لحظات التحول السياسي الكبير، ولولا ذلك الحزم والعزم من لحظاته الأولى لاندثرت دولة وحضارة بلغت المشارق والمغرب.

المهم.. بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم ارتدت أغلب القبائل العربية، وهو المشهد الذي استنفر عقل ووجدان الخليفة الأول في أول عملية امتحان سياسي لها ما بعدها، وبعد أخذ ورد لم يكن أمامه إلا المواجهة الحاسمة والحازمة مهما كلفت من ثمن؛ فهناك من ارتد عن الدين بالكلية، ورأى أن طاعة أبي بكر لا تلزمه، وليس معنيا بها، وهو ما أشار إليه الشاعر الحطيئة بقوله:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر؟!
أيورثها بكراً إذا مات بعده؟ فتلك وبيت الله قاصمة الظَّهْر!

وآخرون حضروا إلى المدينة وأقروا بالإسلام بجميع شعائره؛ عدا الزكاة فلن يسلموها، معلنين امتناعهم عن دفعها، فرد عليهم الخليفة بقوله: والله لو منعوني عقلاً مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم عليه. وهو ما يعني أن ذلك الإعلان كان أشبه ما يكون بالتمرد السياسي على دولة المدينة، خاصة أن بعضهم ظل محافظاً

على دينه، ولم ينتقل إلى دين آخر أو يعلن الحرب على الإسلام؛ لاسيما وقد سرى خبر خلاف كبار الصحابة يوم السقيفة بين القبائل، علما أن سلطة الدولة السياسية حتى ذلك اليوم لم تكن قد توطدت خارج المدينة "يثرب" فرأت بعض القبائل في وفاة محمد بن عبدالله فرصة للتخلص من أي سلطة جديدة؛ خاصة من المناوئين لقريش، القبيلة التي كانت ترى في نفسها الأفضلية على من سواها من قبائل العرب، وقد كان التزامها السابق لسلطة المدينة هو بناء على اتفاقيات قبلية سابقة جرت بينهم وبين محمد بن عبدالله، وبموت أحد الأطراف الموقعة على عقود الاتفاقيات يكون هذا الحلف منتهيا؛ أما دعوة أبي بكر التيمي فلا تخصهم ولا علاقة لهم بها، فهي شأن أهل "يثرب" وحدهم، وبالتالي فإن أي سلطة جديدة تستلزم اتفاقيات أخرى جديدة، وهو ما لم يكن يعتقده أبو بكر الصديق ووزيره الأكبر عمر بن الخطاب وكبار رجالات الصحابة، وخاصة من المكيين، فقد كانوا يعتبرون أن أبا بكر هو خليفة رسول الله، وأن سلطته امتداد له، مستحضرين الشواهد التي تعزز ذلك، كتقديم الرسول لأبي بكر للصلاة بالناس في مرض الموت. ولا نستطيع القول هنا أن جميع القبائل العربية خارج مكة والمدينة قد دخلت في الإسلام واعتنقته عقيدة، وإن دانت للرسول بالسمع والطاعة، لأن بعضهم كان ينظر لذلك من باب الاتفاق السياسي بين القبيلة من جهة والسلطة المركزية في المدينة من جهة ثانية، مثلهم مثل نصارى نجران أو بعض اليهود، أي أن التبعية تبعية سياسية، فرضتها المصالح التجارية والعلاقات الاجتماعية فقط. ولم يكن أمام أبي بكر وسلطة المدينة بشكل عام إلا المواجهة العسكرية أمام هذه القبائل لإخضاعها من جديد.

هذا عن الردة بشكل عام في أرجاء الجزيرة العربية، فماذا عن الردة في اليمن؟

ذكرنا سابقا أن فكرة الإسلام نفسها صادفت محبة في وجدان وعقل اليمني التواق لاستعادة مجده التليد، كون هذا التشريع الجديد فكرة جماعية بالمقام الأول، يقوم على فلسفة قانونية وتشريعية حضارية، وهي الحال التي كان عليها اليمانيون قبل الإسلام، ومن ثم فقد كانوا من أوائل المناصرين له والمؤمنين بفكرته. وإذا كان محمد رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - يذهب إلى القبائل لعرض فكرته عليها ودعوتهم للدين الجديد فإن اليمينيين بأنفسهم قد أتوا زرافات ووحدا - وقد ضربوا أكباد الإبل - من اليمن حتى وصلوا المدينة لإعلان إسلامهم وانضمامهم للدعوة الجديدة، فكانوا هم السابقين الأوائل، في الوقت الذي لا تزال قريش نفسها تنصب شراك المكائد لمحمد وقومه ممن اتبعه، وإذا كان البعض من قريش أو نحوها من القبائل قد دخل الإسلام "مغما" فإن اليمينيين قد دخلوه "مغما"؛ مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيله، فكانوا قوام الدعوة الجديدة وركنها العتيد في بواكير فجرها الأول. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بإلحاح: هل سينقض اليمينيون اليوم ما أبرموه بالأمس؟ وهل سيرتدون عن دينهم الذي حموه منذ أيامه الأول؟ بالطبع لا. ليعقبه السؤال الأهم هنا: إذن ما طبيعة الردة التي كانت في اليمن؟

وقبل الشروع في الدخول المباشر في الإجابة نشير أولا إلى أن البعثة النبوية قد جاءت وصنعاء تحت حكم الاحتلال الفارسي، فيما القبائل اليمنية لم يهدأ لها حال منذ مقتل سيف بن ذي يزن على يد الفرس، وكان الغضب اليمني ضد الفرس قد بلغ مداه، بقيادة زعيمهم "باذان" الذي بادر لإعلان إسلامه حفاظا على منصبه الذي أقره عليه محمد بن عبدالله؛ كون الإسلام يقوم على الفكرة الواحدة لا على الجنس أو القومية، ولم يستطع اليمينيون معارضة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الاعتراض عليه، وإن كان في نفوسهم من هذا العامل الفارسي ما فيه، أضف إلى ذلك أن بقية باقية من حساسية الصراع العدناني القحطاني لا يزال يعتمل في بعض النفوس، وأن هناك من رأى أنه قد اجتمع على اليمينيين تحديان اثنان: التحدي العدناني "القرشي" والتحدي الفارسي، وكلاهما مما تشمئز منه نفس الإنسان اليمني في تلك المرحلة؛ لاسيما ولما يتغلغل الإسلام في نفوس الناس، أو يعرفوا عنه كثيرا؛ علما أن التملل السياسي وحركة الرفض تلك قد قامت ولا يزال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قيد الحياة، وقد ضاقوا ذرعا بتصرفات "باذان" الفارسي الذي أوغل في ظلم وإهانة اليمينيين، متذرعا بالولاء للدين الجديد، وبشرعية "المنصب" السياسي الذي منحه إياه محمد بن عبدالله،

فقد "عبهلة" حركة الرفض هذه، التي أطلق عليها خصومه ردة دينية، للنيل منه، ولسلبه شرعية الانتفاضة ضد "بازان"، وقد لقب نفسه "رحمان اليمن" على غرار "رحمان اليمامة" مسيلمة الحنفي "الكذاب". معترفاً بنبوة محمد، علماً أن دعوة "عبهلة" لم تشمل اليمن كل اليمن؛ بل "مذحج" فقط، أما همدان وحمير وأقبال حضرموت ومعظم خولان فلم يستجيبوا لدعوته، ولم يقدموا له ولاء؛ بل كانوا على النقيض من ذلك، فقد ساعدوا "الأبناء" على الخلاص منه بعد أن تلقوا رسائل من رسول الله تحثهم على الاستمساك بدينهم، والتجمع يداً واحدة ضد الأسود العنسي.^١

وللدكتور حمود العودي، عالم الاجتماع اليمني رأي آخر من منظور اجتماعي، إذ يفسر حركة "عبهلة" حركة رد فعل سلبي تجاه بعض المتغيرات السلبية التي فرضت على اليمنيين، وخيبت آمالهم في الطموح نحو استقلالهم الوطني والتحرر من بقايا الفرس، وقد عملت سلطة المدينة على توطيدهم أكثر، وإعطائها صبغة شرعية باسم الإسلام، في الوقت الذي كانوا يتطلعون إلى الخلاص منها، أضف إلى ذلك أن زكاة بلادهم تُجبي من اليمن، وتُحمل إلى المدينة، دون النظر في فقراء اليمن أنفسهم، وقد أشارت تعاليم الإسلام إلى أن الزكاة تؤخذ من أغنياء القوم، وتُرد على فقرائهم، لكن ما حصل كان مخالفاً لتعاليم الإسلام نفسه، فكانت ثورة عبهلة.^٢

وذكر الأكوخ أن دعوة العنسي "عبهلة" قد شملت كل مخاليف اليمن، فجاءت كتب الرسول - صلى الله عليه وسلم - يأمر الرجال لمحاولته أو مصاولته، فقامت ضده القبائل فقتلته.^٣ وعبهلة أول من وسم القرشيين بلفظ "المتوردين" في رسالة إلى معاذ بن جبل مخاطباً إياه: أيها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه.^٤

١ - انظر: تاريخ اليمن في الإسلام، د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، ط: ٨، ٢٠١٣م، ٧٨.

٢ - المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي، سابق، ١٢٣.

٣ - انظر: الوثائق السياسية اليمنية قبيل الإسلام، سابق، ١٤٨.

٤ - تاريخ الرسل والملوك، سابق، ٣/٢٢٩.

ولما استولى عبهلة على صنعاء وقتل شهر بن باذان تزوج امرأته التي تأمرت عليه لاحقاً مع قيس بن المكشوح المرادي الذي بعثه الرسول لمحاربة عبهلة، وأن يستميل الأبناء لجانبه، كما بعث بعده فروة بن مسيك المرادي سندا ودعماً له. وتذكر بعض الأخبار أن الرسول حث الأبناء على مواجهة عبهلة، ففعلوا، رغبة منهم لتثبيت سلطتهم في اليمن، وقد فقدوا دعم فارس.^١

وعلى أية حال.. واختصاراً للجدل المستحضر بشأن عبهلة ومعه أيضاً قيس بن المكشوح المرادي، وعمرو بن معديكرب وفورة بن مسيك المرادي الذي أثاره الكثير من المؤرخين وخاصة المعاصرين، فحركة عبهلة تندرج ضمن مفهوم الردة، سواء الردة الدينية أو الردة السياسية، مهما كانت نبل مقاصده وسلامة نيته، ومهما كان شعوره القومي تجاه وطنه، علماً أن مفهوم الوطن لم يكن متبلوراً في تلك الفترة في الذهنية الجمعية، كما هو الشأن عليه اليوم، وما قام به من مناوئة ومواجهة للسلطة المركزية في المدينة يندرج ضمن إطار التمرد على شرعيتها، ولهذا تمت مواجهته من قومه بدرجة رئيسية.

أما عن ردة كندة من حضرموت فترجع بدرجة أولى إلى التعسف الذي كان من قبل الوالي زياد بن لبيد البياضي الذي استصفى كرائم أموالهم زكاة، رغم نهي الإسلام عن ذلك؛ حيث عمد إلى أخذ "بكرة"^٢ ووسمها، فإذا الناقة للعداء بن حجر أخي شيطان، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها، وكان اسمها شذرة، وظنها غيرها. فقال العداء: هذه ناقتي. فقال شيطان: صدق، فأطلقها وخذ غيرها. فاتهمه زياد بالكفر ومباعدة الإسلام. فمنعهما عنها وقال: صارت في حق الله. فلجأ في أخذها، فقال له: لا تكونن شذرة عليكم كالبسوس. فنادى العداء: يا آل عمرو، أضام وأضطهد! إن الدليل من أكل في داره! ونادى حارثة بن سراقه بن معدي كرب، فأقبل إلى زياد وهو واقف، فقال: أطلق "بكرة" الرجل وخذ غيرها. فقال زياد: ما لي إلى ذلك سبيل. فقال حارثة: ذاك إذا كنت يهودياً، وأطلق عقالها وبعثها وقام دونها، فأمر زياد شباباً من حضرموت والسكون فمنعوه

١ - انظر: حروب الردة، د. إلياس شوفاني، دار الكنوز الأدبية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٥م، ١١٩.

٢ - ناقة

وكتفوه، وكتفوه أصحابه وأخذوا البكرة، وتصايحت كندة، وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم، وغضبت حضرموت والسكون لزياد، وتوافى عسكريان عظيمان من هؤلاء، ولم يحدث بنو معاوية شيئاً لمكان أسرائهم، ولم يجد أصحاب زياد سبيلاً يتعلقون به عليهم، وأمرهم زياد بوضع السلاح فلم يفعلوا، وطلبوا أسراءهم فلم يطلقهم، ونهد إليهم ليلاً فقتل منهم وتفرقوا، فلما تفرقوا أطلق حارثة ومن معه. فلما رجع الأسرى إلى أصحابهم حرضوهم على زياد ومن معه، واجتمع منهم عسكري كثير، ونادوا بمنع الصدقة، فأرسل الحصين بن نمير، وسكن بعضهم عن بعض، فأقاموا بعد ذلك يسيراً.^١

ومن هنا سميت ردة حضرموت أو كندة، مع أن القضية في أساسها خلاف "إجرائي" في أمر الصدقات، تطور من وجهة نظر أحد الأطراف إلى ما رآه ردة دينية، وهو في الواقع غير ذلك.

وهكذا نزع الردة أو ما يسمى بالردة في اليمن إلى منطلقين اثنين: المنطلق الأول: الوطني، القومي، العروبي الخالص في مواجهة "المتوردين" من الفرس الذين لا يأنس لهم اليمنيون من سابق، وليسوا في نظرهم إلا محتلين، تشبثوا بقشة الشرعية الإسلامية لمواصلة احتلالهم.

المنطلق الثاني: مقاومة الظلم أو التعسف الذي لاقاه اليمنيون من قبل الوالي الذي عمد إلى أخذ كرائم الأموال في الصدقة، رغم نهي الإسلام عن ذلك. وهناك ردة أخرى لكنها فردية أو قليلة، تم القضاء عليها داخلها في الأغلب، ثم حسن إسلامهم.

وعلى أية حال، وأياً يكن الأمر.. فبعد انتهاء أمر الردة في اليمن، والتي لا تشبه ردة بعض القبائل العربية الأخرى، توافدت جموع اليمنيين للمشاركة بعد ذلك في الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق وفارس وما وراءها، فخرجت حمير التي كانت من أولى

١ - انظر: الكامل في التاريخ، سابق، ٢٣٠/٢.

القبائل التي خرجت ملبية طلب الخليفة أبي بكر الصديق، ومعها نساؤها وأطفالها.^١، وما كان لدولة الخلافة أن تنهض بحروب التحرير دون الاعتماد على قوة وخبرة اليمينيين العسكرية، وكثافتهم البشرية.^٢

دور اليمينيين في القضاء على الردة

توفي محمد - صلى الله عليه وسلم - في المدينة سنة إحدى عشرة للهجرة النبوية، بعد ما يقارب ثلاثة وعشرين عاما على دعوته الجديدة، ولما تتجذر بعد في أطراف الجزيرة العربية وشرقها، خاصة في الشام والعراق، ولذا فعند إعلان وفاته ارتدت نسبة كبيرة من العرب عن الدعوة، وكل قبيلة أو فريق يعلل سبب رده بعلّة تختلف عن الآخر.

وقد لعب الخليفة الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - دورا كبيرا في التصدي لهذه الحالة العنثية التي كادت أن تعصف بالدعوة الجديدة لولا ثبات القائد ورباطة جأشه، ومعه جنوده المخلصون، وخاصة من أهل المسجدين مكة والمدينة، وأيضا أهل اليمن الذين استنجد بهم الخليفة، فلبوه زرافات ووحدانا، ذائدين عن الدعوة الجديدة بشجاعة واستبسال..

يقول الواقدي عن الدور اليمني في حروب الردة بعد أن أرسل الخليفة أبوبكر رسائله إلى ملوك اليمن: وكان الذي بعثه بالكتب إلى اليمن أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فما مرت الأيام حتى قدم أنس رضي الله عنه يبشره بقدوم أهل اليمن، وقال: يا خليفة رسول الله، وحققك على الله، ما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر إلى طاعة الله ورسوله، وأجاب دعوتك، وقد تجهزوا في العدد والعديد والزرد والنضيد، وقد أقبلتُ إليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال، وأي رجال؟! وقد

١ - أهل اليمن في صدر الإسلام، سابق، ١٢٦. وانظر أيضا: تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري الياضي، المطبعة السلفية، ط: ١، ١٣٥٤هـ - ١/٧٦.

٢ - نفسه، ١٣٠.

أجابوك شعثا غربا، وهم أبطال اليمن وشجعانها، وقد ساروا إليك بالذراري والأموال والنساء والأطفال، وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك، ووصلوا إليك، فتأهب إلى لقاءهم. قال: فسُرَّ أبو بكر رضي الله عنه، وقد لاحت غيرة القوم لأهل المدينة. قال: فأخبروه، فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم، وأظهروا زينتهم وعددهم، ونشروا الأعلام الإسلامية، ورفعوا الألوية المحمدية، فما كان إلا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا، قوم في أثر قوم، وقبيلة في أثر قبيلة، فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير، وهم بالدروع الداودية، والبيض العادية، والسيوف الهندية، وأمامهم ذو الكلاع الحميري، رضي الله عنه؛ فلما قرب من الصديق رضي الله عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه، وأشار بالسلام، وجعل ينشد ويقول:

أنتك حمير بالأهلين والولد أهل السوابق والعالون بالرتب
أسد غطارفة، شوس عمالقة يردوا الكماة غدا في الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا وذو الكلاع دعا في الضرب والنسب
دمشق لي دون كل الناس أجمعهم وساكنيها ساهويهم إلى العطب

قال: فتبسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فأبشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين. فقال الإمام علي: صدقت، وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أنس رضي الله عنه: وسارت حمير بكتائبها وأموالها، وأقبلت من بعدها كتائب مذحج، أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق، وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادي رضي الله عنه، فلما وصل إلى الصديق رضي الله عنه، جعل يقول:

أنتك كتائب منا سراعا ذوو التيجان أعني من مراد
فقدمنا أمامك كي ترانا نبيد القوم بالسيف النجاد

وينقل المؤرخ المعاصر الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي بعضا من الروايات التي فصلت حادثة التوارد من قبل اليمنيين على أبي بكر الصديق للانضمام للجيش المتصدية للردة "ويبدو أن الخليفة لاحظ جيدا بعد الجهد الذي بذله أهل المدينة في القضاء على الردة وحركات المعارضة أنهم أُرهبوا، وأنهم قدموا من الضحايا الشيء الكثير.. وأن الأمر يستوجب إشراك العرب الآخرين في الجهد الجديد، إلا أنه كان يدرك أيضا أن أهل مكة تجار، وأن إقدامهم على القتال بطيء، كما أن بقية الجزيرة في الشمال والشرق كانت مرتدة؛ لهذا نراه يخص أهل اليمن من المؤمنين والمسلمين، أي أنه لم ينتدب مرتدا من اليمن، وأرسل لهم بكتاب مع أنس بن مالك يدعوهم إلى الجهاد. استجاب أهل اليمن لطلب الخليفة، وخرجوا إلى المدينة، وقد صورت الروايات خروجهم في شبه كتائب يتلو بعضها بعضا، وأن أهل المدينة أظهروا زينتهم وخرجوا لاستقبال كتائب أهل اليمن، فأشرفت تلك القبائل قوم في إثر قوم، وقبيلة في إثر قبيلة، فكانت أول قبيلة ظهرت من قبائل حمير، يتقدمها ذو الكلاع الحميري، وأقبلت بعدها كتائب مذحج وإمامهم قيس بن هبيرة، ثم أقبلت الأزدي^١.

ورغم أن الحديثي ينتقد هذه الرواية من حيث عدم الإشارة إلى تفاصيل حروب هذه القبائل، وعدم توفر المعلومات التفصيلية التي تبين كيفية تشكيل هذه الجيوش التي سارت إلى الشام.. إلخ؛ إلا أنه يضيف: من الواضح أن "حمير" كانت من أولى القبائل التي خرجت ملبية طلب الخليفة أبي بكر، ومعها نساؤها وأطفالها، فقد اتجه أنس بن مالك أولا إلى ذي الكلاع الذي بادر إلى استنفار قبيلته، ولعل توجه أنس إلى ذي الكلاع يعود إلى دوره في الدفاع عن الإسلام ضد حركة عبهلة "الأسود العنسي" إضافة إلى مكانة حمير، بوصفها قبيلة كانت في السلطة إلى وقت قريب؛ إذ رغم أن الدولة الحميرية سقطت إثر غزو الأحباش لليمن إلا أن نظمها وتقاليدها، وكثيرا من مظاهر قوتها كانت قائمة، وقد عُرف الحميريون بتقاليدهم في الحرب وصناعة السلاح، ثم إن كتلة ذي

١ - أهل اليمن في صدر الإسلام، د. نزار عبداللطيف الحديثي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د. ط، ١٢٦.

الكلاع ارتبطت بالنقوش القديمة بالحروب..^١، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته أن عُرْوَةُ بِنُ مَسْعُودٍ وَعَيْلَانُ بِنُ سَلَمَةَ لم يشهدا حِصَارَ الطَّائِفِ بين الرسول صلى الله عليه وسلم وثقيف، فقد كانا بـ "جُرَشَ" يَتَعَلَّمَانِ صِنْعَةَ الْعَرَادَاتِ وَالْمَنْجِنِيقِ والدبابات فقدموا وقد انصرف رسول الله^٢. وجرش على مسافة ١٥ كم جنوب خميس مشيط التابعة لمنطقة عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية اليوم. ويحتوي الموقع على بقايا مبان ضخمة بعضها من الحجارة وأخرى من الطين.^٣، فلم تُجث الممارسات والعادات الحربية من جزيرة العرب بسقوط دولة سبأ؛ بل استمرت التنظيمات الحربية وعاداتها والمفاهيم الحربية في بعض التنظيمات الحربية في العصر الجاهلي والعهود الإسلامية الأولى.^٤

ويعقب بالقول: شاركت حمير في حروب التحرير في وقت مبكر من خروجها، وترد الإشارة إلى ذي الكلاع في أول معركة مع البيزنطيين سنة ١٣ هـ بين "أبل وزيزا" بقيادة خالد بن سعيد، ومن المحتمل أن جيش حمير كان من الخيالة، إضافة إلى مُشاة يرمون النبل.. وقد خرجت قبائل أخرى بعد حمير إلى جبهة الشام. ويذكر الأزدي وصول خثعم في حوالي الألف مقاتل، وعليها ابن ذي السهم الخشمي، وأنهم التحقوا بيزيد بن أبي سفيان، كما اجتمع إلى الخليفة جمع من همدان ومراد والأزد مع قبائل أخرى بلغ ثلاثة آلاف، وقيل ألفا، فسيرهم الخليفة مع هاشم بن عتبة، والتحقوا بأبي عبيدة، ثم أعقبهم حمزة بن مالك الهمداني ومعه أربعمئة من عبيدة، وقيل أعقبهم في أكثر من ألفي مقاتل، ملتحقا بأبي عبيدة.^٥

١ - نفسه، ١٢٦.

٢ - انظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٠م، ١/٢٣٧.

٣ - موقع جرش الأثري، على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9

٤ - التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، د. محمد سلطان العتيبي، ط: ١، ٢٠٠٧م، ١٣.

٥ - أهل اليمن في صدر الإسلام، ١٢٧.

الدور اليمني في معركة اليرموك

مع بداية فترة الخلفاء الراشدين الأربعة ابتدأ اليمنيون لعب دور جديد في الدعوة والجهاد في الشمال والشرق، ذلك أن فائض النشاط، وفائض الخبرة القتالية المتوارثة قد أهلتهم لهذا الدور الذي وسع من جغرافية الامبراطورية الإسلامية، ابتداء من الشام، فالعراق ففارس فالأندلس... إلخ.

لقد "أصبح أهل اليمن عنصرا أساسيا في جيش الخلافة في الشام، غير أن معلومات الرواة عن حروب التحرير لا تمثل واقع مشاركة أهل اليمن تمثيلا دقيقا، لأن الروايات التي تحدثت عن خطط الشام أو خطط الفسطاط أشارت إلى قبائل شاركت في حروب التحرير بأحجام كبيرة، وقدمت واقعا أوسع مما قدمته الروايات عن تشكيلات الجيوش، فذكرت كتلا قبلية أخرى، إذ أنها لم تذكر زمن خروجها أو دورها في حروب التحرير، مثل الأوزاع من حمير في الشام، وهي كتلة قبلية شبيهة بذي الكلاع، فهي أيضا بطون من قبائل متعددة، تجمعت حول الأوزاع بين جبلة، فكأنها أيضا كتلة شكّلت سابقا لأغراض عسكرية، كذلك رعين والمعافر، وهما أيضا كتلتان من بطون قبلية متعددة، فيها من همدان والأشعريين والسكاسك، وهذه الكتلة كانت تقيم في المعافر من منطقة حمير.. وكذلك آل أبرهة بن الصباح من ذي أصبح، والذين خرجوا في عهد الخليفة عمر بقيادة أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة، ويقال أنه كان إذا سار، سارَ خلفه خمسمئة، وقيل خمسة آلاف رجل من حمير تحت ركابه..^١

وكان أولئك اليمانيون هم الموجة الأولى من مستنفري أهل اليمن، وكانوا يمثلون الغالبية العظمى في الجيش الذي بعثه أبو بكر إلى الشام في صفر في صفر ١٣هـ، بقيادة أربعة أمراء، منهم أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة الكندي، ثم أسند أبو بكر القيادة

العامّة إلى خالد بن الوليد، فانضم إليهم في شهر ربيع ١٣هـ، وهزموا الروم في موقعة أجنادين في ستة جمادى الأولى سنة ١٣هـ.^١

وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد رسالة جاء فيها: " .. وقد تقدم إليك أبطال اليمن وأبطال مكة، ويكفيك بن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الاشتر..".^٢

وقد تم تقسيم الجيش إلى ستة وثلاثين كردوسا، يضم كل كردوس ألف مقاتل، كان على رأسها من الزعماء اليمانيين: شرحبيل بن حسنة الكندي ودحية بن خليفة الكلبي وذو الكلاع الحميري وحوشب ذو ظليم والسمط بن الأسود الكندي ومعاوية بن حديج السكوني وجندب بن عمرو بن حممة الدوسي وعمرو بن معديكرب الزبيدي وامرؤ القيس بن عابس الكندي ومسروق العكي، وكان قيس بن مكشوح المرادي على رأس فرقة من الخيل وراء الميسرة.^٣ فالعدة - كما نرى - أغلبها يمني، سواء كانوا من أصيلي اليمن نفسه، مثل همدان ومذحج وحضرموت وكندة وخولان، أو من يمني الشتات والتخوم، أي القبائل والعشائر القاطنة خارج اليمن في ضواحي المدينة، مثل خثعم وقضاة وجدام وعاملة، أو في محيط الشام مثل غسان، أو العراق، مثل لخم.^٤

وحملت الروم على ميمنة المسلمين، وكان فيها الأزد ومذحج وحضرموت وخولان، فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام، وقاتلوا قتالا شديدا، وثبتوا ثباتا حسنا، وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا صبورا جميلا، وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين عن الميمنة، فابتدر منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهو المقدم على زبيد والأمير عليهم، وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مئة وعشرون سنة إلا أن همته الشجاعة، فلما نظر إلى قومه - وقد

١ - يمانيون في موكب الرسول، ١/٦٨٢.

٢ - فتوح الشام، سابق، ١/٦٢. هناك من المؤرخين من ينسب منطقة "بابا عمرو" بدمشق للصحابي الجليل عمرو بن معديكرب الزبيدي.

٣ - يمانيون في موكب الرسول، ١/٥٩٩.

٤ - انظر: اليمن السعيد من بليقوس إلى علي، راضي دغفوس، ترجمة: محمود طرشونة، المركز الوطني للترجمة، تونس، ١: ٢٠١٥م، ٣٢٢.

انكشفوا - صاح في قومه يا آل زبيد تفرون من الأعداء وتفزعون من شرب كاس الردى؟ أترضون لأنفسكم بالعار والمذلة؟ فما هذا الانزعاج من كلاب الأعلاج؟ أما علمتم أن الله مطلعٌ عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فإذا نظر إليهم وقد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم بصبره، فأين تهربون من الجنة؟ أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار؟ قال فلما سمعتُ زبيدُ كلام سيدهم عمرو بن معد يكرب فرجعوا إليه وعطفوا عليه عطفة الإبل على أولادها، فاجتمعوا حوله زهاء من خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة، وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة، فأزالوا الروم عن أماكنهم^١.

وهكذا كانت تلك البطولات اليمينية التي لعبها القادة السبب في الانتصار على الروم في واحدة من معارك الإسلام الفاصلة التي كان لها ما بعدها.

بعد موقعة اليرموك استقرت كثير من القبائل اليمينية في بلاد الشام كخولان ومذحج وذو الكلاع وهمدان، ممن لم يلتحقوا بالمعارك الأخرى، وكان قد أقعدهم العذر أو السن، وبرز هناك العديد من الشخصيات مثل أبو مسلم عبدالله بن ثوب، رئيس قراء أهل الشام، وهو من خولان، وأيضاً أبو إدريس الخولاني، واستقرت خولان في حمص وداريا، كما استقرت مذحج في اللاذقية وغوطة دمشق وكيسان وحمص وداريا. واستقرت بطون من همدان في الأردن، واستقرت الأشاعرة في طبرية، وبعضهم دمشق، وحين تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أقطعهم البثنية وحران؛ أما الأزدي فقد توزعوا على دمشق وحمص والرملة.

وخلاصة القول: إن اليمينيين أفراداً وقبائل شاركوا مشاركة فعالة في أحداث فتح الشام، وخاصة في معركة اليرموك، واختار جلهم - إن لم يكونوا كلهم - الاستقرار في القطر

١ - فتوح البلدان، سابق، ١/١٩٥.

السوري بعد انتهاء القتال، متخلين نهائيا عن بلدهم الأصلي اليمن، أو عن مساكنهم في ضواحي المدينة ومكة.^١

الدور اليمني في معركة نهاوند

كانت معركة نهاوند سنة ٢٠ هجرية على أصح الأقوال، وتعتبر من المعارك التي هيات لما بعدها من الفتوحات العربية الإسلامية، ولعب فيها اليمنيون دورا بطوليا رائدا، وقد سميت بمعركة "فتح الفتوح" لتلك الانتصارات التي تلتها، وكانت هي فاتحتها.. ويجمع أغلب المصادر التاريخية فإن أبطال هذه المعركة كانوا من اليمنيين الذين شاركوا في المعارك السابقة، وكسبوا الخبرات الحربية والعسكرية، كما كانوا رجالات قيادة لا يشق لهم غبار. ومن أبرز قادة هذه المعركة عمار بن ياسر العنسي الذي كان واليا على الكوفة أيام عمر بن الخطاب، وكانت نهاوند قريبة منها، وحذيفة بن اليمان، وجريز بن عبدالله البجلي وقيس بن مكشوح المرادي والأشعث بن قيس الكندي وأبو موسى الأشعري والأقرع بن عبدالله الحميري وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر الحضرمي وعمرو بن معدي كرب..

أما بعدها فقد تم فتح إقليم همدان ببلاد فارس بقيادة جريز بن عبدالله البجلي، وتم فتح أذربيجان على يد الأشعث بن قيس الكندي، وأصبهان على يد أبي موسى الأشعري، وواصل قيس بن مكشوح فتوحاته بعد ذلك إلى مصر كما سنرى لاحقا..

وقد كان الأشعث بن قيس أول والٍ لبلاد أذربيجان في الإسلام حتى نهاية خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

١ - اليمن السعيد من بلقيس إلى علي، سابق، ٣٢٦.

الدور اليمني في معركة القادسية

بادئ ذي بدء نستطيع القول: أنه إلى جانب كون معركة القادسية إسلامية وثنية، فهي أيضا عربية فارسية، قطب رحاها يتمثل في طرفين اثنين:

الأول: سياسي، بقيادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أحد عظماء التاريخ الإنساني قاطبة الذي أراد تأمين الجزيرة العربية قوميا من جهة الروم شمالا، ومن الفرس شرقا. في طريق مشروعه الحضاري الكبير، لبسط نفوذ الامبراطورية العربية الإسلامية الجديدة.

الثاني: عسكري، ميداني، قوامه اليمنيون بدرجة رئيسية الذين شكلوا أغلبية الجيش الإسلامي العربي في هذه المعركة كما سنرى، عددا وعدة وخبرة وكفاءة؛ فكان اليمنيون هم قطب الرحى وحجر الزاوية في معركة القادسية، كما كانوا قبل ذلك في "اليرموكيتين" وإن كان دورهم في القادسية أبرز وأقوى.

وقبل أن نبسط القول أكثر في الحديث عن القادسية والدور اليمني الأكبر، نشير إلى ما سبقها من المعارك في العراق، وكانت بمثابة التمهيد لها، والدور اليمني الأعظم أيضا في هذه المعارك، وكيف كان اليمنيون هم اللاعبون الأساس في عملية الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس وما وراءهما..

١. موقعة الجسر

كانت موقعة الجسر في شعبان سنة ١٣هـ، بينها وبين معركة اليرموك أربعون يوما فقط، بقيادة أبي عبيدة الثقفي والمثنى بن حارثة الشيباني، أما من الفرس فقد كان على رأسها "بهمن بن جاذوية" في موقعة الجسر بالحيرة. وفي هذه المعركة أرسل عمر بن

الخطاب جرير بن عبدالله البجلي مع قبيلته بجيلة كاملة مددا للمثنى بن حارثة الذي استمد الخليفة لإنجاز النصر. وقد انتهت المعركة بانتصار الفرس وهزيمة المسلمين.^١

٢. موقعة المذار

لم تكن وقعة موقعة الجسر على المسلمين والعرب سهلة، بسبب ما نالهم من الهزيمة؛ وإذا كان البعض قد استسلم أو انهزم معنويا فإن الزعيم اليماني جرير بن عبدالله البجلي الذي سمع بهذه الموقعة قد استنفر قواه، هو ومن معه من الجند والفوارس، معلنا النفير والاقتصاص من تلك الواقعة، فسار على رأس قبيلة بجيلة اليمانية إلى العراق، وفي موقعة المذار "المزار كما ينطقها الفرس ويكتبونها" عسكر هناك بجنوده، وكلهم أمل بالنصر، وروح وثابة، مشرئين لساعات اللقاء الحاسمة مع الفرس.

وبدأت ساعة الصفر، وحمي الوطيس، بين الطرفين، الإسلامي العربي، بزعامة جرير بن عبدالله البجلي، والفارسي المجوسي بزعامة "المرزبان" على رأس عشرة آلاف من الأساورة الفرس. وعلى الرغم من فارق العدد والعدة مع الفرس إلا أن النصر كان في نهاية المعركة لصالح جرير بن عبدالله البجلي وقومه اليمينيين، ومعه قليل من العرب من غير اليمن، قال ابن كثير: أرسل عمر جرير بن عبدالله في أربعة آلاف إلى العراق.^٢

وفي نهاية المعركة كان النصر حليف المسلمين، إذ قتل جرير القائد الفارسي وجندله صريعا، وفشل الفرس حتى عادوا القهقري، وكبر المسلمون، وعاد بعضهم يحمل نبأ النصر إلى مركز الخلافة في المدينة المنورة، بينما بقي الآخرون هناك يجرسون الثغور ومكاسب النصر العظيم.

١ - البداية والنهاية، سابق، ٧/٣٥.

٢ - البداية والنهاية، ٧/٢٦.

٣. موقعة النخلة والبويب

اشتهرت بموقعة البويب أكثر، وهما موضعان متقاربان، يفصل بينهما نهر صغير، ويقال للنخلة أحيانا النخيلة، وكانت في رمضان سنة ١٣ هـ. أراد الفرس الانتقام لأنفسهم من العرب، واستعادة امتياز النصر الأسبق في موقعة الجسر، إلا أنهم لم يكونوا يدركون معنى عظمة القائد في أي معركة، فليس كل قائد يسهل بلعه أو القضاء عليه. كان أمامهم مرة أخرى الزعيم اليماني جرير بن عبدالله البجلي الذي أصر على قيادة هذه المعركة، حفاظا على مكتسبات النصر السابق في المذار، فحشد الفرس ما حشدوا بقيادة زعيمهم "مهران" في الوقت الذي استعد جرير بن عبدالله البجلي لمواجهةهم بقبيلته بجيلة التي كان على رأسها، ودارت المعركة بين الطرفين، وآلت إلى نصر مؤزر للعرب والمسلمين بزعامة جرير الذي كان على رأس عشرة آلاف فقط، بينما كان مهران على رأس مئة ألف من قومه..!

قال ابن كثير: "وَأَقَعَ جَرِيرٌ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَسَ، وَقَتَلَ قَائِدَهُمْ، وَهَزَمَهُمْ عِنْدَ النَّخِيلَةِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْفَرَسِ يَوْمَئِذٍ وَغَرِقَ قَرِيبٌ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ بِالْعِرَاقِ نَظِيرَ الْيَرْمُوكِ بِالشَّامِ، وَذَلَّتْ لَهَا رِقَابُ فَارِسٍ.. وَبَعَثُوا بِالْبَشَارَةِ وَالْأَخْمَاسِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".^١

وذكر البلاذري ما نصه: "فتولى قتل مهران جرير بن عبد الله، والمنذر بن حسان بن ضرار الضبي، فقال: هَذَا أَنَا قَتَلْتَهُ، وَقَالَ هَذَا أَنَا قَتَلْتَهُ، وَتَنَازَعَا نِزَاعًا شَدِيدًا".^٢

وقال ابن كثير: وَاخْتَزَرَ رَأْسَهُ جَرِيرٌ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ.^٣

١ - البداية والنهاية، ٧/٣٦.

٢ - فتوح البلدان، سابق، ٢٥٠.

٣ - البداية والنهاية، ٧/٣٦.

ليس ذلك فحسب؛ بل لقد واصل فتح الأنبار مطلع سنة ١٤ هـ، قال البلاذري:
"فتح جرير بوازيج الأنبار، وبها قوم من مواليه".^١

وهكذا ظل جرير بن عبدالله البجلي القائد الأول، وحارس أمجاد المسلمين والعرب في العراق حتى السنة التالية، وفيها استبدله الخليفة عمر بن الخطاب بسعد بن أبي وقاص الذي تزعم معركة القادسية، منطلقا من المدينة المنورة، على رأس أربعة آلاف مجاهد، منهم ثلاثة آلاف من اليمن، وألف من غيرهم..

وهنا استشعر الفرس الخطر الأكبر والزاحف من قبل العرب والمسلمين نحو امبراطوريتهم، فكان التحشيد والتجهيز للانتقام من كل ما سبق، في معركة أكبر، تغسل عارهم وتعيد اعتبارهم، خاصة وأن جزءا كبيرا مما كانوا يعتبرونه من ولايتهم في البحرية وما حولها قد سقط قبل ذلك على يد العلاء بن الحضرمي اليمني، فكانت بعدها القادسية التي تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ، لا تزال دماء الفرس فوارة إلى اليوم منها، ولما يغسل عار هزيمتها نصر بعد..!

١ - فتوح البلدان للبلاذري، ٢٤٣.

الدور اليمني في معركة القادسية

سبقت الإشارة إلى أن معركة القادسية، التي كانت في المحرم من سنة ١٥هـ، وأيضا ما سبقها من المواقع الأخرى كالجسر والمذار والبويب، وإن كانت رايتها إسلامية إلا أنها مصبوغة بالصبغة القومية العربية التي تحمل نفسية التحدي بين العرب الجدد الفاتحين، وبين الفرس الذين كانت حضارتهم تترنح آنذاك، بما تحمله هذه النفسية لدى الطرفين من الاحتقانات السابقة، بسبب النزاع التاريخي بينهما، كطبيعة حتمية لأي حضارتين متجاورتين، لا بد أن يعتريهما الصراع والتعالي على بعضهما البعض، ولا بد أن يتناوشا ثقافيا كما يتناوشان سياسيا وعسكريا، ومن هنا كانت تلك الملاحم الشعرية والأدبية لدى العرب والفرس على حد سواء التي تمجد من شأن جنس كل منهما وتحتقر الآخر؛ ولهذا قد قال جرير بن عبدالله البجلي في موقعة البويب لأصحابه حين رأى خلا في صفوفهم: "لا تفضحوا العرب اليوم، فاعتدلوا..".^١

لذا ركز الخليفة عمر بن الخطاب - وهو السياسي البارع - في قيادته لمعركة القادسية على أهل اليمن، أكثر العرب المتحاملين على الفرس، والمتضررين منهم، بحكم الصراع اليمني/ الفارسي في صنعاء وما حولها منذ ما يقارب مئة سنة على تلك المعركة، حتى كانت فارس تعتبر اليمن إحدى ولاياتها المهمة في جنوب الجزيرة العربية؛ حيث جلب لهذه المعركة رجالات اليمن الأشداء المقاتلين، وقد أنفل الخليفة عمر بن الخطاب - بحسب المسعودي في مروج الذهب - جرير بن عبدالله وقومه من بجيلة ربع ما ظهروا عليه من السواد، كنوع من الترغيب في الجهاد ودفع الناس لهذه المعركة الحاسمة.^٢ وكانت بجيلة اليمنية لوحدها ربع عدد الجيش في القادسية، حسبما أشار الطبري إلى ذلك؛ ولذا وجه الفرس إليها وحدها ستة عشر فييلا من أصل اثنين وثلاثين فييلا، يملكها الجيش الفارسي.^٣

١ - يمانيون في موكب الرسول، ١/٦٠٧.

٢ - مروج الذهب، المسعودي، سابق، ٢/٢٤٤.

٣ - يمانيون حول الرسول، ١/٦١٥.

"ويرجع ذلك إلى أنهم كانوا بسبب عددهم وتدريبهم واندفاعهم قوة مهمة لدعم جهود الخليفة، فاليمن كانت لها دولة إلى ما قبل الإسلام بقليل، ولا زالت تحتفظ بتقاليد ونظم تلك الدولة التي من ضمنها التقاليد والنظم العسكرية، كصناعة السيوف والرماح والقسي والعرادات والمجانيق، وكان العرب في الحجاز مطلعين على الخبرة العسكرية لأهل اليمن".^١

والواقع أنه لم يكن باستطاعة العرب . كقوى قبلية . مواجهة فارس، باعتبارها دولة، ذات امتداد تاريخي قديم، لولا اليمن التي تضاهيها وتناظرها قوة وشكيمة، وذات عمق حضاري وامتداد تاريخي عريق؛ إذ مهما بلغت قوى القبيلة فلن تستطيع مواجهة قوى الدولة على أي نحو كان، خاصة وأن القوى البشرية للفرس قد بلغت زهاء مئة وعشرين ألفاً، فيما قوة العرب والمسلمين خمسون ألفاً ونيفاً على أصح الروايات التي اختلفت بشأن عددها.

ويذكر المؤرخ الفرح، استناداً إلى ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية أن قائد ميمنة الجيش العربي الإسلامي في القادسية هو جرير بن عبدالله البجلي، بينما كان قيس بن المكشوح المرادي قائد الميسرة.^٢ ومن المعروف في تقاليد الجيوش القديمة أن قائد الميمنة في الجيش يُعتبر النائب الأول للقائد العام للجيش، فيما قائد الميسرة النائب الثاني. وفي القادسية كان قائدا الميمنة والميسرة يمينيين، من أبرز وأشجع قادات اليمن وفرسانها.

قال الطبري: "ثُمَّ إِنَّ الْفُرسَ هَرَبَتْ مِنْ دَيْرِ قُرَّةٍ إِلَى الْمَدَائِنِ يُرِيدُونَ نَهَاوَنْدَ، وَاحْتَمَلُوا مَعَهُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّبِيحَ وَالْفَرْزَنْدَ وَالْحَرِيرَ وَالسِّلَاحَ وَثِيَابَ كِسْرَى وَبَنَاتَهُ، وَخَلَّوْا مَا سِوَى ذَلِكَ، وَأَتْبَعَهُمْ سَعْدُ الطَّلَبِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ عَرْفُطَةَ حَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَوَجَّهَهُ مَعَهُ عِيَاضَ بْنَ غَنَمٍ فِي أَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَةِ النَّاسِ هَاشِمَ بْنَ عَتْبَةَ

١ - أهل اليمن في صدر الإسلام، ١٣٥.

٢ - انظر البداية والنهاية ٧/٥٠. ويமானيون حول الرسول، ١/٢٤٨.

بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِمْ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ زَهْرَةَ بْنَ حَوِيَّةَ التَّمِيمِيَّ" ١.

ومن المعلوم أن قيس بن مكشوح المرادي كان من رجالات اليرموك قبلها، وحين تم توجيهه بالذهاب إلى القادسية من قبل الخليفة أطاع الأمر، مستبشرا بالأمر، وقد ذكر ذلك شعرا عقب القادسية بقوله:

فلما أن زوينا الروم عنها عطفناها صواهل كالسهام
أتينا القادسية بعد شهرٍ مرشقة نواصيها دوامي
فناهضنا هنالك جمع كسرى وأبناء المرازبة الطغام

وله يوم القادسية كما ذكر الطبري خطبة حث فيها القوم على الصبر والعزيمة في مواجهة العدو. يقول الطبري: "قام قيس بن مكشوح، فقال: يا معشر العرب إن الله قد من عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد عليه الصلاة والسلام، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، ويختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام وانتال القصور الحمر والحصون الحمر" ٢.

وقال الطبري أيضا في سياق حديثه عن مجاهدي القادسية: "أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّرْفَ فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّحْعِ لَمُتَرَبِّعٌ، سِيرُوا مَعَ سَعْدٍ فَتَنَزَعُوا إِلَى الشَّامِ، وَأَبَى إِلَّا الْعِرَاقَ، وَأَبَوْا إِلَّا الشَّامَ، فَسَرَّحَ نِصْفَهُمْ إِلَى الشَّامِ وَنِصْفَهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ.. وكان فيهم من حضرموت والصدف ستمئه، عليهم شداد بن ضمعج، وكان فيهم ألف وثلاثمئة من مذحج، على ثلاثة رؤساء: عمرو بن معديكرب على بني منبه، وأبو سيرة

١ - تاريخ الرسل والملوك، ٣/٥٧٨.

٢ - نفسه، ٣/٥٥٤.

بن ذؤيب على جعفي ومن في حلف جعفي من إخوة جزء وزيد وأنس الله ومن لفهم،
وزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلية في ثلاثمة،^١.

قال الأزدي في سياق حديثه عن معركة القادسية والدور اليمني فيها: "أخرج ابن أبي شيبه عن ابن عباس، (فسوف يأتي الله بقوم) قال: هم أهل القادسية. وأورد الألويسي والبعوي عن الكلبي أنهم الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس"^٢، وقيل ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية.^٣

ومن فرسان اليمن الكبار الذين شهدوا القادسية الربيع بن زياد الحارثي الذي ذكره ابن حجر العسقلاني في كتاب "الإصابة في تاريخ الصحابة" أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير، فقالوا ما نعرفه إلا الربيع بن زياد. فقال عمر: صدقتم. والربيع بن زياد ممن تولى إمارة البحرين، ثم شهد القادسية وغيرها من فتوح تحرير العراق، وفيه قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

ومضى ربيع بالجياد مشرقا ينوي الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباح قرى السواد وفارس والسهل والأجبال من مكران^٤

وأياضا الصحابي الجليل الأشعث بن قيس الكندي الذي قدم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - على رأس ثمانين رجلا من قومه، وكان من أبطال القادسية ونهاوند، وكان ملكا قبل الإسلام، وملكاً بعده، ولذا قال فيه الشاعر:

لستُ كالأشعث المعصب بالتاج غلاما قد ساد وهو فطيم

١ - نفسه، ٣/٤٨٤.

٢ - نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون، محمد بن علي الأهدل الحسيني اليمني الأزهرى، مطبعة زهران، مصر، ط: ١، د. ت، ١٩.

٣ - نفسه، ٢٠.

٤ - تاريخ ابن خلدون، ٣/٩. وانظر أيضا اليمن في تاريخ ابن خلدون، ٣٦٤. وهو الصحابي والأمير الفاتح الربيع بن زياد بن أنس بن عبد المدان بن عبدالديان الحارثي المذحجي، اعتزل الفتنة أيام عثمان وعلي، وأيام علي ومعاوية، ولم يظهر إلا بعد أن استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان، وتولى بلاد خراسان سنة واحد وخمسين.

جده آكل المرار وقيس خطبه في الملوك خطب عظيم
فله عزة الملوك وللأشعث تاجان حادث وقديم

وتولى الأشعث بن قيس الكندي عقب الفتوحات الإسلامية التي كان واحدا من أبطالها بلاد أذربيجان وأرمينية، وظل واليا على أذربيجان منذ فترة عمر بن الخطاب حتى بداية فترة معاوية بن أبي سفيان.

وقد حسم المسلمون النصر في معركة القادسية التي كان اليمينيون قطب رحاها، وكتلتها الأكبر؛ إذ قتل عمرو بن معديكرب قائد جيش الفرس "رستم" ويقال أن الذي قتله هو قيس بن مكشوح المرادي، فيما تذكر بعض الروايات شخصيات أخرى، كزهير البجلي أو كثير بن شهاب الحارثي الذي قتل الجالينوس أيضا. وكلهم يمنيون، وقد ذكر قيس بن مكشوح نفسه أنه قاتل رستم ضمن قصيدته:

أتينا القادسية بعد شهرٍ مرشقة نواصيها دوامي
فناهضنا هنالك جمع كسرى وأبناء المرازبة الطغام
على جرد مقدمة خفاف ضوامر شزّب صم الحوام
فلما أن رأيت الخيل جالت قصدت لموقف الملك الهمام
فأضربُ قرنه فهوى صريعا بسيف لا أفل ولا كُهام

قال ابن كثير: "وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام، مثل طليحة الأسدي وعمرو بن معد يكرب وجريز بن عبدالله البجلي...".^١ وعمرو بن معد يكرب هو "الرجل الألف" الذي أمد به عمر بن الخطاب سعدا حين كتب إليه يمدّه بألفي رجل، فأرسل إليه عمرو بن معد يكرب، وطلحة بن خويلد الأسدي فقط. فقد ذكر ابن كثير، قال: أخرج الطبراني عن محمد بن سلام الجمحي، قال: كتب عمر إلى سعد: إني أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معد يكرب، وطلحة بن خويلد.^٢

١ - البداية والنهاية، ٥١ / ٧.

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة، سابق، ٤ / ٥٧١.

وذكر ابن سعد عن الواقديّ، عن ربيعة، عن عثمان: لما ولي النعمان بن مقرّن كتب إليه لما توجه إلى نهاوند: إن في جندك عمرو بن معديكرب، وطليحة بن خويلد، فأحضرهما وشاورهما في الحرب.

وذلك إشارة إلى أنهما لا يحتاجان إلى توجيهات، فهما أهل حرب وقتال. فشرع عمرو بالقتال، ثم ألقى بنفسه بين صفوف الأعداء يضرب فيهم يمّنة ويسرة، فلما رآه المسلمون هجموا خلفه يحصدون رؤوس الفرس حصداً، وأثناء القتال وقف عمرو وسط الجند يشجعهم على القتال قائلاً: يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً أشدّاء، فإن الفارسي إذا ألقى رمحه يئس؛ فلما رآه أحد قادة الفرس يشجع أصحابه رماه بنبل، فأصابته قوسه ولم تصبه، فهجم عليه عمرو فطعنه، ثم أخذه بين صفوف المسلمين واحتز رأسه، وقال للمسلمين: اصنعوا هكذا. وكان عمرو صاحب فكرة استهداف الفيلة أولاً قبل الفرسان وقطع خراطيمها، فقال: "ألزموا سيوفكم خراطيمها، فإن مقتل الفيل خرطومها". ومن ثم بدأت قوات الفرس تترنح بعد ذلك.

يقول ابن خلدون عن اليوم الثالث من أيام القادسية: ".. ثم أصبحوا في اليوم الثالث، وقد أصبح الفرس على مواقفهم، وأعادوا الصناديق على الفيلة، وأحدقوا الرجال بها يجمونها أن تُقطع وُضنها، فتزاحفت الكتائب طعنا وضرباً.. وكان هذا اليوم يوم عماس شديداً، وأبلى فيه قيس بن مكشوح وعمرو بن معدي كرب".^١

وكانت الليلة الليلاء.. ليلة الهرير التي كان بطلها عمرو بن معدي كرب، حيث اقتحم بعد منتصف تلك الليلة معسكر الفرس بمئتي فارس من أصحابه وتبعه قيس بن مكشوح المرادي مع مجموعة أخرى من قومه.^٢ واجتلدوا بالسيوف منذ منتصف الليل حتى شروق الشمس، كلامهم الهرير لا ينطقون، وكانت نتيجتها مقتل ألفين وخمسمئة من جيش

١ - تاريخ ابن خلدون، سابق ٥٣٤/٢. وانظر أيضاً: اليمن في تاريخ ابن خلدون، الفرخ، ٢٨٩.

٢ - تذكر بعض الروايات أن قيس بن مكشوح كان قائد ميسرة الجيش.

العدو، وإصابة أضعافهم، وهذه الليلة هي التي رجحت كفة النصر النهائي في اليوم التالي لها، وفيه أنشد عمرو بن معدي كرب:

اثبتوا للقوم ضرباً بسيوف حميرية
واخطبوا الحور إلى الله بضرب الفارسية

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن سعد بن أبي وقاص قد أصيب منذ بداية المعركة بمرض حال دون خروجه، إذ أصابه عرق النساء ودماميل، واكتفى بالإشراف والتوجيه فقط من القصر المطل على مكان المعركة، وهو ما حز في نفس الزعيم جرير البجلي الذي تأثر ربما بصدى النصر المنسوب لسعد بن أبي وقاص الذي لم يخرج إلى قيادة المعركة في الوقت الذي لعب هو الدور الأبرز، فقال:

أنا جرير وكُنيتي أبو عمرو قد نصر الله وسعد في القصر

وهو نفس الشعور الذي خالَج آخرين من اليمينيين، فقال كثير بن شهاب، وهو أحد فرسان بجيلة:

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أئيم

أما بشر بن الحثعمي أحد فرسان المعركة، فقد قال كان متدمرا من سعد بن أبي وقاص، مشيدا بجرير بن عبدالله البجلي، إذ قال:

أنختُ بباب القادسيّة ناقتي وسعدُ بن وقاصٍ عليّ أمير
وسعدُ أمير شرّه دونَ خيرهِ وخيرُ أميرٍ بالعراقِ جريـرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلُ وعند المثنى فضة وحريـر
تذكّر هداك الله وقَعَ سيوفنا بباب قُدَيْسِ والمكْرُ عسير
عشيةً ودَّ القومُ لو أنّ بعضَهُم يُعار جناحيّ طائر فيطير
إذا ما فرغنا من قرع كتيبةٍ دلّفنا لأخرى كالجبال تسير

ترى القومَ فيها واجمين كأنَّهُمَّ جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفيرٌ

فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب بما قال لهما، وما ردا عليه، وبالقصيدتين، فكتب أن اعطهما على بلائهما، فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم.

ليس ذلك فحسب؛ بل لقد ذكر أن عمرو اختلف مع سعد بن أبي وقاص على توزيع الغنائم آخر المعركة؛ لأن عمر بن الخطاب كان قد كتب إلى سعد يوم القادسية أن يعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن، فقال سعد لعمرو بن معدى كرب: ما معك من القرآن؟ قال: ما معي شي؛ قال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن؛ فقال عمرو:

إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحدٌ قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ ولا سوية إذ تُعطى الدنانير!

وقد دحض المؤرخ الفرخ هذه الرواية عازيا الخلاف إلى بشر بن ربيعة الخثعمي اليميني وكثير بن شهاب الحارثي من جهة، وبين سعد بن أبي وقاص من جهة أخرى، بعد أن أعطى سعد من الغنائم كلا منهما ألف دينار، وفاض بعض المال فلم يعطهم منه، ووزعه على حفظة القرآن، فاعترضا على ذلك... إلخ.

وعقب انتهاء المعركة ظلت الوفود اليمانية هناك في العراق، بعد أن وجه بذلك الخليفة عمر بن الخطاب؛ ذلك لأن في نفسه حذر القائد واحتياط الزعيم من أن يفكر الفرس ولو بعد حين بالانتصار لأنفسهم والزحف على الجزيرة العربية من شرقها، فسيجها باليمانيين الفوارس، أهل البأس والخبرة والشجاعة، وجعل منهم سدا منيعا أمام الفرس هناك، وهو ما كان فعلا..

وقد تم اختطاط مدينة الكوفة لقرىها من الحيرة، فتم اختطاطها على عشرين ألفاً في بداية الأمر وزادت بعد ذلك. يقول الشعبي: "كنا أهل اليمن اثني عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة"؟^١ أما بشر بن عبدالوهاب القرشي فيذكر أنه كان في الكوفة خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، ستة وثلاثون ألف دار لليمن، وأربعة عشر ألف دار لسائر العرب.^٢ ويقال إن أول بيت بني باليمن في الكوفة كان في خطة كندة اليمنية.^٣

يقول طه حسين في معرض حديثه عن العصبية القبلية وكيف حاول الخليفة عثمان بن عفان أن يعالجها: "وكان أبو موسى الأشعري، عامل عمر على البصرة، فأقره عليها عثمان أعواماً.. والكثرة من أهل البصرة مضرية، وفيهم ربيعون كثيرون، وفيهم قلة يمانية، ولأمر ما أحب عمر أن يولي رجلاً من اليمن على البصرة وكثرة أهلاً مضرية، وأن يولي ثقفياً هو المغيرة بن شعبة على الكوفة وكثرة أهلها يمانية، وأن يولي قرشين مضرين على الشام ومصر وكثرة العرب فيها يمانية أيضاً، يريد بذلك في أكبر الظن أن يقاوم العصبية حتى يزيلها، فيخالف بين عصبية الولاة وعصبية الرعية".^٤

وهكذا كما كانت القادسية عربية - فارسية، فهي في جوهرها يمنية فارسية، بحكم الأثرية اليمنية في جيشها الذين استماتوا ثأراً لأنفسهم، ورد اعتبار لتاريخهم الذي كان الفرس قد نالوا منه سابقاً، في حين كانت اليمن تترنح وتميل إلى الضعف والدعة قبيل الإسلام..

ولم يكن من نساء العرب قاطبة في القادسية كما كان الأمر مع بجيلة والنخع، قال الواقدي: "لم يكن من قبائل العرب أكثر نساء من نساء بجيلة والنخع وكانوا في ألف وسبعمائة امرأة".^٥

١ - أهل اليمن في صدر الإسلام، ١٩٣.

٢ - نفسه، ١٩٣.

٣ - نفسه، ١٤٨.

٤ - الفتنة الكبرى، عثمان، طه حسين، دار المعارف، ط: ١٢، ١١٤.

٥ - فتوح الشام، سابق، ٢/١٧٨.

ويذهب المؤرخ المعاصر راضي دغفوس إلى أن عُدة سعد بن أبي وقاص كانت حوالي
سبعة عشر ألفاً وأربعمئة رجل، منها سبعة آلاف وأربعمئة يمني.^١

١ - اليمن السعيد من بلقيس إلى علي، سابق، ٣٣٨.

اليمنيون في العصر الأموي

الأحداث بشكل عام، والسياسية منها بوجه خاص سلسلة واحدة ممتدة لا تنقطع، كل منها متممة لما قبلها وممهدة لما بعدها، يأتي كل حدث مما قبله كما يأتي اليوم من أمس، وكما يأتي الغد من اليوم، أو قل كما يأتي الليل من النهار، والنهار من الليل. فلا تستطيع فصل حدث عن آخر مهما كان الأمر، بما في ذلك الأحداث التي قد تبدو متناقضة ومتنافرة، فما التناقض والتنافر أحيانا إلا الوجه الآخر للاتساق والاتصاق!.. كانت النبوة ببعثها الجديد انعكاسا تآتت من نقيضه وهو الجهل؛ إذا لولا اشتداد حناس الظلم والظلمة التي سادت قبل البعثة لما كانت البعثة أصلا. وشكلت انطلاقة جديدة بأحداثها ومسارها التي انبثقت منها، فكانت فترة الخلافة الراشدة امتدادا لفترة النبوة، وكان العهد الأموي امتدادا للفترتين معا، فيما كانت الخلافة العباسية امتدادا لكل ما سبق. وهكذا تتخلق الأحداث من بعضها في متوالية زمنية تبدو كما لو أنها سلالة من كائنات حية..

على أية حال.. تأثر المسلمون في الأقطار الإسلامية بما كان يجري في عاصمة الدولة الإسلامية "المدنية المنورة" يومها، من خلافات بين الأمويين والعلويين من وقت مبكر، فانقسموا إلى قسمين، كما انقسموا هناك، ومنها مصر، حيث وقف بعض اليمنيين في مصر مع الخليفة عثمان بن عفان، وتزعم هذا الفريق معاوية بن خديج الكندي وخارجة بن حذافة السهمي ومسلمة بن مخلد الأنصاري وعمرو بن قحزم الخولاني، بينما تزعم الفريق العلوي في مصر محمد بن حذيفة الذي سيطر على مصر بعد خروج عبدالله بن سعد أبي سرح منها، وظل الصراع محتدما هناك بقوة حتى جاء عمرو بن العاص في

خلافة معاوية بن أبي سفيان وحسمه لصالح الأمويين.^١ وغلبت الفريق العثماني الفريق العلوي، واستمرت القبائل اليمنية مصر ومعها بقية القبائل العربية الأخرى في مؤالات الأمويين والذود عنهم لفترة طويلة، مع حدوث بعض القلاقل والخروجات المعارضة، إلا أنها غير مؤثرة في البداية، كثورة القبائل اليمنية من قبيلة "أصبح" في البداية، والتي تزعمها كرب بن أبرهة زعيم حمير. ومهما يكن فالأمر يعتره الشك بالنسبة للدولة الأموية، إذ اليمنيون غير مأموني الجانب، لاسيما وهم يمثلون أغبية كبيرة في مصر، ولهم القول الفصل، فأرسل الوالي الأموي هناك عبدالعزيز بن مروان إلى والده الخليفة مروان بن الحكم يقوله له: "كيف المقام ببلد ليس فيه أحد من بني أبي؟! فأدرك الخليفة خطورة الأمر، ثم أمدته بعدد كبير من القبائل العدنانية من أجل إحداث بعض التوازن مع القبائل القحطانية اليمنية هناك.^٢

لقد كانت قبيلة كلب إحدى قبائل حمير بن سبأ في الشام مقربة كثيرا من معاوية بن أبي سفيان، وكان لرجالها الأمر والنهي وصدر المجلس والمشورة، حتى إن معاوية بن أبي سفيان قد اصهر إليهم وتزوج ميسون بنت بحدل الكلبية الشاعرة، أم يزيد. ولدهاء معاوية، وتفوقه السياسي، ومعرفته بأحوال العرب وتاريخهم، وفي إطار الاستزادة من تاريخ الملوك وأسرار حكمهم فقد كان مولعا بأخبار ملوك اليمن وتاريخها بشكل عام؛ إذ قام باستقدام عبيد بن شريه الجرهمي من اليمن، وكان من علماء اليمن ومن الراسخين في تاريخ ملوكها وأخبارهم، وخصص له وقتا يوميا يسمع منه أخبار ملوك اليمن وتاريخها الحضاري، وقد تم تدوين تلك المسامرات والمرويات في كتاب "أخبار الملوك الماضين" لعبيد بن شريه، ويقال إنه أول كتاب تم تدوينه بعد الإسلام.

وقد مات معاوية بن أبي سفيان وكان على خاتمه عبدالله بن محصن الحميري، وقائد شرطته زميل بن عمرو العذري الحميري، وكان قبله على نفس المنصب قيس بن حمزة الهمداني، وقاضي دمشق والشام أبو إدريس عائذ بن عبدالله الخولاني، وقد بقي هذا في

١- انظر: دور القبائل العربية في صعيد مصر، د. ممدوح عبدالرحمن الريطي، مكتبة مدبولي، ط: ١، د. ت، ١٢٨.

٢- نفسه.

منصبه حتى خلافة عبد الملك بن مروان، وكان على قضاء البصرة وأعمالها القاضي عمران بن الحصين الخزاعي، وعلى قضاء الكوفة القاضي شريح الكندي، وعلى قضاء مصر سليم بن عثر التجيبي الحضرمي^١. وكان قد ولي بعضا من اليمانيين أقاليم مهمة في ولايته، فقد كان شريك بن الأعور الحارثي أميرا لإقليم كرمان ببلاد فارس، وطلحة بن عبدالله الخزاعي أميرا لسجستان، وزهير بن قيس البلوي الحميري أميرا للقيروان، ومسلمة بن مخلد أميرا لمصر.

وفي عهد عبد الملك بن مروان تولى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث سجستان وبست والرحج، وحارب من هنالك بعضا من أمم الترك، كما حارب من يلي تلك البلاد من ملوك الهند، وفيه قال أعشى همدان قصيدة طويلة، ومنها:

يا أيها القرم الهجان الذي ييطش بطش الأسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذي ينمي إلى الغائب والشاهد
تجبي سجستان وما حولها متكئا في عيشك الراغد
إن تك من كندة في بيتها فإن أخوالك من حاشد^٢

ولهذه الوجاهة والحضور لديه فقد أعلن ثورته على الخليفة عبد الملك بن مروان، وبايعته بلاد سجستان وكرمان وفارس والبصرة والكوفة، وحين واجهه الحجاج هزمه حتى لجأ إلى تخوم الشام، وقد أخفقت ثورته بعد سنتين من قيامها، ثم لجأ إلى بلدة رتبيل ومات بها سنة ٨٤هـ.^٣

وبرز في عهد عبد الملك بن مروان أيضا رجاء بن حيوة الكندي الحضرمي، ممن انتقل من اليمن إلى الشام، وأبرز إنجازاته هو الإشراف على بناء المسجد الأقصى بالقدس سنة ٦٦هـ، وكان وزيرا لعبد الملك بن مروان، ثم لسليمان بن عبدالمملك، ثم لعمر بن عبدالعزيز.

١- اليمن في تاريخ ابن خلدون، سابق، ٣٧٢.

٢- الدور اليمني في العصر العباسي، محمد حسين الفرح، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ٣١٨. والبيت الأخير إشارة إلى أمه الحاشدية، وهي أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني الحاشدي.

٣- نفسه، ٣١٩.

قال عنه الحافظ ابن كثير: "وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، كَبِيرُ الْقَدْرِ، ثِقَّةٌ فَاضِلٌ عَادِلٌ، وَزَيْرٌ صِدْقٌ لِحُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ مَكْحُولٌ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: سَلُوا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا رَجَاءَ بْنِ حَيَّوَةَ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَوَثَّقُوهُ فِي الرَّوَايَةِ".^١

وقال أيضا: "رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ - وَكَانَ وزير صدق لبني أمية - قال: استشارني سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ أَنْ يُولِي لَهُ ابناً صَغِيراً لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ مِمَّا يَحْفَظُ الْحَلِيفَةَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ، ثُمَّ شَاوَرَنِي فِي وِلَايَةِ ابْنِهِ دَاوُدَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ غَائِبٌ عَنْكَ بِالْقُسْطِ طَبِئِيَّةً وَلَا تَدْرِي أَحْيًى هُوَ أَوْ مَيِّتٌ، فَقَالَ: مَنْ تَرَى؟ فَقُلْتُ: رَأَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَى فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقُلْتُ: أَعْلَمُهُ وَاللَّهِ خَيْرًا فَاضِلًا مُسْلِمًا يَجِبُ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ، وَلَكِنْ أَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ إِخْوَتَكَ أَنْ لَا يَرْضُوا بِذَلِكَ، فَقَالَ: هُوَ وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَأَشَارَ رَجَالٌ أَنْ يَجْعَلَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيَرْضَى بِذَلِكَ بَنُو مَرْوَانَ".^٢

وتواصلت التعيينات والرئاسات اليمانية في مختلف المجالات في عهود الخلفاء من بعده، فمثلا في عهد الوليد بن عبد الملك ولى خالد بن عبدالله القسري مكة المكرمة، وولى على مصر قره بن شريك. وفي ذات الفترة أيضا كان من القضاة اليمينيين: أبو بكر بن عمرو بن حزم قاضي المدينة، وأبو بكر بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي قاضي القيروان، وعبد الواحد بن عبدالرحمن السكوني، قاضي مصر، وتلاه في ذات المنصب من القضاة اليمينيين عمران الكندي، ثم القاضي عياض بن عبدالله الأزدي، وعبدالله بن عامر اليحصبي الرعيني قاضي دمشق، وكان الفقيه حنش الصنعاني يتولى عشور أفريقيا.^٣

وتتالت الرئاسات والقيادات من بعده، في عهد سليمان بن عبد الملك، حتى حضرته الوفاة وهو بدابق من أرض قنسرين، وكاد الخلاف يعصف بالبيت الأموي بشأن من

١- البداية والنهاية، ابن كثير، ٩/٣٣٢. وانظر أيضا: الدور اليميني في العصر العباسي، ٤٦١.

٢- البداية والنهاية، ٩/٢٠٥.

٣- اليمن في تاريخ ابن خلدون، سابق، ٣٩٨.

يخلفه، فابنه قاصر وبعيد في نفس الوقت، فأقنعه وزيره رجاء بن حيوة الكندي اليميني أن يعدل في العهد بالخلافة إلى غير ابنه، فعهد بها إلى عمر بن العزيز الخليفة الصالح رحمه الله، وكتب سليمان بعد البسملة: "هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا وأطيعوا واتقوا الله، ولا تختلفوا فيطمع فيكم". وختم الكتاب. وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم الكتاب. وأمر كعب بن جابر العنسي، صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته، وأن يبايعوا عمر بن عبدالعزيز.^١، وقد ذكرنا ذلك سابقا.

وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز برز القائد العربي المسلم المعروف السمع بن مالك الخولاني، أمير الأندلس والفتح العربي الأول لفرنسا. وأيضا الجراح بن عبدالله الحكمي / والي خراسان، وقد كان قبل ذلك واليا على بلاد أرمينية. ثم عبد الرحمن بن نعيم القشيري الذي ولي بلاد خراسان بعد الجراح.^٢

وتلا الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي توفي سنة ١٠١هـ الخليفة يزيد بن عبد الملك من العام ١٠١ إلى العام ١٠٥هـ، وفي عهده أيضا تواصل الدور اليميني شامخا، كما كان من قبل، فبرز خلال هذه الفترة سعيد بن عمرو الحريشي المذحجي، أحد كبار الأمراء اليمينيين في بلاد الشام، ووالي خراسان أيام الخليفة يزيد بن عبد الملك من ١٠٣ : ١٠٤هـ.^٣، وأيضا عبد الواحد بن عبدالله القسري والي الطائف، ثم مكة والمدينة بعد ذلك بعد عزل الخليفة لعبد الرحمن بن الضحاك. وظل واليا على الحجاز حتى عام

١- البداية والنهاية، سابق، ٩/٣٣٢، واليمن في تاريخ ابن خلدون، ٤١٥. و ذهب بعض المؤرخين أن رجاء بن حيوة كان كاتب الخليفة، إلا أن المؤرخ محمد حسين الفرخ قد ذهب إلى أنه وزيره، وأن كاتبه رجل آخر اسمه سليمان أو سلامة بن نعيم الحميري اليماني. وبذا تجتمع ثلاثة مناصب سيادية مهمة لليمنيين في عهد هذا الخليفة، وهي الوزير، وقائد الشرطة، والكاتب.

٢- اليمن في تاريخ ابن خلدون، ٤٢٠. وقد عزل عمر بن عبدالعزيز الجراح بن عبدالله الحكمي على إثر الشكاوى التي وردت منه، لأنه كان يؤاخذ من أسلم من أهل الذمة، ويعتبر إسلامهم فرارا من دفع الجزية، فامتحنهم بالختان، وكتب إلى الخليفة بذلك، فرد عليه الخليفة: إن الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا.

٣- كانت إمرته على خراسان تحت إمرة الوالي ابن هبيرة على بلاد العراق التي تعتبر خراسان يومها تابعة لها، وكان يكاتب الخليفة يزيد مباشرة، متجاوزا ابن هبيرة، فحبسه، حتى تم عزل ابن هبيرة من بلاد العراق وتولية الأمير اليميني خالد بن عبدالله القسري عليها في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك مطلع حكمه، فأخرجه من السجن وأكرمه عام ١٠٥هـ-، في السنة الأخيرة من حكم الخليفة يزيد..

١٠٧هـ، في عهد الخليفة هشام بن عبدالمملك، ثم الجراح بن عبدالله الحكمي الذي تولى في عهد الخليفة يزيد أرمينية وأذربيجان، وبشر بن صفوان الكلبي الذي ولاه الخليفة بلاد مصر، ثم بلاد المغرب بعد الفوضى التي سادت فيها، وعين بدلا عنه في مصر أخاه حنظلة بن صفوان الكلبي. وظل الأمير اليمني بشر بن صفوان واليا على بلاد المغرب العربي . ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب وموريتانيا . حتى وفاته في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩هـ.^١

وكان أبرز هؤلاء جميعا الجراح بن عبدالله الحكمي، والي أرمينية وأذربيجان كما ذكرنا بعد أن انهزم المسلمون قبله هناك في إحدى معاركهم مع التركمان، فولاه الخليفة يزيد على هذه البلاد وأمدّه بجيش كثيف فهزمهم هزيمة منكرة، واستولى على حصونهم وغنم ما فيها، وقد كان نصيب كل فارس في جيشه من الغنيمة ثلاثمئة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفا، وظل هناك حتى توفي الخليفة يزيد، وجاء هشام بن عبدالمملك من بعده وأقره على عمله، وبقي فيه حتى استشهاده في العام ١١٢هـ.^٢

وتأتي فترة أحد كبار صقور بني أمية، وأطولهم عمرا في الحكم، وهو الخليفة هشام بن عبدالملك الذي ظل عشرين سنة في الحكم، ١٠٥ - ١٢٥هـ، وتتواصل معه مسيرة اليمانيين الريادية في الحكم والقيادة كما سنرى.

وكان من أوائل ما أقره الخليفة الجديد هو إقراره للقائد الفاتح الجراح بن عبدالله الحكمي كما ذكرنا آنفا، لأهميته، ولطبيعة شخصيته القيادية التي يندر أن يملأها قائد آخر. وكذا توليه على بلاد العراق ومشارقتها وبلاد السند الأمير اليمني خالد بن عبدالله القسري، بعد عزله لابن هبيرة، وظل واليا على هذه البلاد حتى سنة ١٢٠هـ. وقد عين

١- نفسه، ٤٣٤ فما بعدها.

٢- نفسه، ٤٣٥، فما بعدها. قال البلاذري: وولى يزيد بن عبدالملك الجراح بن عبدالله الحكمي من مذبح أرمينية، فنزل برذعة، فرجع إليه اختلاف مكابيلها وموازينها، فأقامها على العدل والوفاء، واتخذ مكيالا يُدعى الجراحي، فأهلها يتعاملون به إلى اليوم. وقد شملت فتوحاته بلاد جورجيا وغيرها من أرجاء القوقاز، وتم ترسيخ السلطان العربي الإسلامي في أرجائها.

خالد أخاه أسد بن عبدالله القسري^١ واليا على بلاد خراسان سنة مئة وسبع، كما ولى على السند الجنيد بن عبدالرحمن، وفي سنة مئة وعشر جمع خالد "الصلاة والأحداث والشرط والقضاء" بالبصرة لبلال بن أبي بردة الأشعري. وقد كان حازما عادلا، ساد في عهده العدل والسلام، وكان أبرز إنجازاته استصلاح الأراضي والاهتمام بالزراعة وشق الأنهار، وكان مضرب المثل في العطاء والكرم، فكان يجلس وبين يديه المال، فيقول: إن هذه الأموال ودائع، ولا بد من تفرقتها. وفيه قال الشاعر:

إليك ابن كرز الخير أقبلت راغبا لتعبر مني ما وهى وتبددا
إلى الماجد البهلول ذي الحلم والندى وأكرم خلق الله فرعا ومحتدا
إذا ما أناس قصروا بفعالهم نهضت فلم تلق هنالك مفقدا
فيا لك بحرا يغمر الناس موجهُ إذا يُسأل المعروف جاش وأزبدا
فلو كان من الدنيا في الناس خالد لجود بمعروف لكنت مخلدا^٢

١- له بطولات وإنجازات تكلم عنها المؤرخون حين دخل بلاد خراسان، ومنها تشييده لمدينة بلخ، وتسويرها على سبعة أبواب، وبعد بنائها نقل إليها بعضا من العرب والمسلمين، ووزع عليهم الأراضي والمساكن، وخطهم بالمجتمع درءا لأية عصبية من نوع ما قد تنشأ، وأصبحت المدينة بعد ذلك إسلامية، وعاصمة لولايته، وفيها توفي عام ١٢٠هـ - أشار إليها الشاعر ثابت قطنة الأزدي الذي كان نصيرا المهالبة سابقا، قال فيها في واحدة من قصائده، ومنها:

أرى أسدا تضمن مفضعات تهيئها الملوك ذوو الحجاب
سما بالخيل في أكناف مرو توفزهن بين هلا وهاب
ملاحم لم تدع لسراة كلب مفاخرة ولا لبني كلاب

يقتضي الإنصاف هنا الإشارة إلى ما ذكره الطبري وابن الأثير أن أسدا خطب على المنبر بعد أن استتب له الأمر، قائلا: "من يروم ما قبلي أو يترمرم، وخالد أخي، ومعني اثنا عشر ألف سيف يمانى" فاشتكاه أهل خراسان إلى الخليفة، فكتب الخليفة إلى أخيه خالد في العراق أن يعفيه من منصبه، فأعفاه في رمضان سنة ١٠٩هـ -، ومن ثم عاد، فساعد أخاه خالدًا في أعمال العراق. وقد عاد إلى ولايته مرة ثانية سنة ١١٧هـ - في نحو خمسة آلاف رجل، على رأسهم محمد بن مالك الهمداني، ومعه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي، وهو ما أثار غضب الشاعر الكميت بن زيد الأسدي المتعصب، وصاحب القصيدة الشهيرة في الفخر بعدنان على قحطان، وكانت سببا لسقوط بني أمية. وقد قال في هذه الحادثة قصيدة، يحرض فيها أهل مرو عليه، مطلعها:

ألا أبلغ جماعة أهل مرو على ما كان من ناء وُبعد
فلا تهنوا ولا ترضوا بخف ولا يغزوكم أسدُ فيردي
وكيف وأنتم سبعون ألفا رماكم خالد بشييه بقرد

٢- نفسه، ٤٣٨.

وعين الخليفة هشام بن عبد الملك الأمير اليميني كلثوم بن عياض القشيري المدحجي عاملا على دمشق، وحين قامت بعض الانتفاضات والتمردات في بلاد المغرب عينه الخليفة واليا عليها، فأخذ التمرد وقضى عليه هناك حتى قتل في آخر معاركه مع البربر سنة ١٢٣هـ.^١

ومن ولاية مصر من الأمراء اليمينيين في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الكلبي الذي أقره الخليفة على عمله، وقد كان واليا عليها من العام ١٠٢، وظل حتى العام ١٠٦هـ، ثم عبدالله بن الحبحاب، ثم حفص بن الوليد الحضرمي، ثم عبد الملك بن رفاعة اللخمي، ثم الوليد بن رفاعة اللخمي ١٠٩-١١٧هـ، ثم عبدالرحمن بن خالد الفهمي اللخمي، وكان من رجال الحديث الثقات، وفي العام ١٠٩هـ عمل قائدا لشرطة مصر، ثم ولاه على مصر كاملة فيما بين ١١٧-١١٨هـ. وفيما بين ١١٩-١٢٤ تولى مصر للمرة الثانية حنظلة بن صفوان الكلبي.^٢

ومع بداية خلافة الوليد بن يزيد بعد الخليفة هشام، ابتدأت راية بني أمية في الانحدار، كون هذا الخليفة غارقا في لهوه ومجونه، إضافة إلى أنه قد ارتكب كثيرا من الحماقات منذ أول عهده، أهمها قتل خالد القسري، وكان أحد زعماء اليمانية وكبارها آنذاك، الأمر الذي أغضب عليه اليمانية الممسكة بأزمة الأمور في الدولة، وقد انتهى صريعا، ولم تدم فترة ولايته من جمادى الآخرة إلى ذي الحجة من العام ١٢٦هـ فقط؛ ليخلفه في الحكم يزيد بن الوليد "الناقص"، سنة واحدة فقط، ومن ثم تؤول الخلافة إلى آخر حاكم أموي، وهو مروان بن محمد، الملقب بالحمار.^٣

وكم كان مروان هذا قصير النظر، ضحل الفكر والتفكير حين عمد إلى إقصاء اليمانية وعزلهم؛ بل والتضييق عليهم مع أن عرش بني أمية من أول يوم لم يقيم إلا على أكتاف

١- انظر: الكامل في التاريخ، سابق، ٤/٢٢٥.

٢- اليمن في تاريخ ابن خلدون، سابق، ٤٤٢.

٣- لقبه الناس بالناقص لأنه أنقص من الأعطيات التي اعتمدها الخليفة الوليد من قبله، وأعادها إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الحازم. أما مروان بن محمد فقد لُقّب بالحمار، لتجلده في الحروب وصبره على المكار.

وأعضاء اليمانية، من لدن معاوية وحتى هشام، ولذا فقد بدا كعنز السوء، يخفر نهايته بيده؛ بل نهاية الإمبراطورية الأموية كاملة؛ فتندلع ثورة اليمانية في كل من مصر والشام واليمن والعراق والمغرب وغيرها من البلدان. ليس ثورات فحسب؛ بل لقد ادعى بعضهم الخلافة لنفسه، كما هو الشأن مع عبدالله بن يحيى اليماني، المعروف بطالب الحق الذي ادعى الخلافة لنفسه في شبام حضرموت سنة ١٢٩هـ، ومروان بن محمد قائم، وقد بويع بأمر المؤمنين، ودخلت تحت إمرته مناطق كثيرة، منها مكة المكرمة وما والاها..

ونكتفي بواحدة من تفاصيل هذه المعارك هنا، كما أوردتها المسعودي في مروج الذهب؛ حيث قال: نهض عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فأخذ ثوباً جلدأ فدفعه إلى أربعة من غلمانها، ثم جعل يدخل دُور بني هاشم، ويقول: يا بني هاشم، هذا الكميت قال فيكم الشِّعرَ حين صمّت النَّاسُ عن فضلكم، وعرض دمّه لبني أميَّة، فأثبوه بما قدرتم؛ فيطرح الرجلُ في الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم، وأعلم النَّساء بذلك، فكانت المرأة تبعث ما أمكنها، حتى إنَّها لتخلع الحُلِّي عن جسدها، فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته ألف درهم، فجاء بها إلى الكُميت، فقال: يا أبا المستهل، أتيناك بجهد المقلِّ، ونحن في دولة عدونا، وقدَّ جمعنا لك هذا المال، وفيه حُلِّي النَّساء كما ترى، فاستعن به على دهرِك؛ فقال: بأبي انت وأمي، قد أكثرتم وأطيبتم، وما أردتُ بمدحي إياكم إلاَّ الله ورسوله، ولم أك لأخذ لذلك ثمناً من الدنيا، فاردده إلى أهلّه ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة، فأبى، فقال: إن أبيت أن تقبل فإنِّي رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس، لعلَّ فتنةً تحدثُ فيخرج من بين أصابعها بعضُ ما نحب، فابتدأ الكُميت، وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد، وربيعه بن نزار وإياد وأثمار ابني نزار، ويكثر فيها من تفضيلهم، ويطنب في وصفهم، وأنهم أفضل من قحطان،

١- عزل مروان الضحاك بن وائل السكسكي اليماني عن ولاية اليمن، وولى بدلا عنه قاسم بن عمر الثقفي، وعن مصر حفص بن الوليد الحضرمي، وعين بدلا عنه حسان بن العتاهية التجيبي الحضرمي الذي عزله وعين على الفور بعده حوثرة بن سهيل، وعزل حنظلة بن صفوان الكلبي اليماني، مستبدلا بإياه بوالٍ آخر، وعزل عن الأندلس أبو الخطار حسام الكلبي اليماني.

فأغضب بها بين اليمانيّة والنزاريّة، ومطلع القصيدة:

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ نَاسٌ نَقُولُ مُسْلِمَنَا

إلى أن انتهى إلى قوله تَصْرِيحًا وتَعْرِيفًا بِالْيَمَنِ فيما كان من أمر الحَبْشَة وغيرهم فيها، وهو قوله:

لَنَا قَمْرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدِي الْمُهْتَدِينَا
وَجَدْتَ اللَّهُ إِذْ سَمَى نَزَارًا وَأَسَكَّنَهُمْ بِمَكَّةَ قَاطِنِينَا
لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خَالِصَاتٍ وَلِلنَّاسِ الْقَفَى وَلَنَا الْجَبِينَا
وَمَا ضَرَبْتَ هَجَائِنَ مِنْ نَزَارٍ فَوَالجِ مِنْ فُحُولِ الْأَعْجَمِينَا
وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيرَ عَلَى عِتَاقٍ مَطَهَّرَةً فَيَلْفُوا مُبْلِغِينَا
وَمَا وَجَدْتَ نِسَاءَ بَنِي نَزَارٍ حَلَاتِلَ أَسْوَدِينَ وَأَحْمَرِينَا

وقد نقض دِعْبِلُ بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها، وذكر مناقب اليمَنِ وفضائلها من مُلوكها وغيرها، وصرح وعرض بغيرهم، كما فعل الكميت، وذلك في قصيدته التي أولها:

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا طَعِينَا كِفَاكَ اللَّوَمَ مَرَّ الْأَرْبَعِينَا
أَلَمْ تُحْزِنِكِ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي يُشِيبَنَّ الذَّوَابَّ وَالْقُرُونَا
أَحْيِي الْعُرَّ مِنْ سَرَوَاتِ قَوْمِي لَقَدْ حَيَّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا
فَإِنَّ يَكُ أَلَّ إِسْرَائِيلَ مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ بِالْأَعَاجِمِ فَآخِرِينَا
فَلَا تَنْسِ الْخَنَازِيرَ اللَّوَاتِي مُسَخَّنَ مَعَ الْقُرُودِ الْخَاسِئِينَا
بَأَيْلَةَ وَالْخَلِيجِ لَهُمْ رَسُومٌ وَآثَارُ قَدُمَنْ وَمَا مُحِينَا
وَمَا طَلَبُ الْكَمِيتِ طِلَابٌ وَثَرٍ وَلَكِنَّا لِنَصْرَتْنَا هُجِينَا
لَقَدْ عَلِمْتَ نَزَارًا أَنَّ قَوْمِي إِلَى نَصْرِ النَّبِوةِ فَآخِرِينَا

وهي طويلة. ونمي قول الكميت في النزاريّة واليمانيّة، وافتخرت نزارٌ على اليمَنِ، وافتخرت اليمَنُ على نزار، وأدلى كل فريق بما له من المناقب، وتحزبت الناس، وثارَت

العصبية في البدو والحضر، ففتح بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية، ثم تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعه في القدم، وفعل عقبه بن سالم بعمان والبحرين، وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وعمان، كيانا لمعن، وتعصبا من عقبه بن سالم لقومه من قحطان..^١

وفي هذا السياق ذكر البردوني أن سيوف بني أمية من المتعصبين ضد اليمانية قد نالت من ثلاثة شعراء يمينيين قتلا، وهم: يزيد بن المفرغ الحميري، على يد عبيدالله بن زياد، أخي معاوية غير الشرعي من "سُمية" وواليه في العراق. ثم الشاعر عبدالرحمن بن عبدالله الحارث المعروف بأعشى همدان الذي قتله الحجاج صبرا، رغم كثرة الشافعين له. ثم وضاح اليمن، وثلاثتهم أكثروا من التغني والتفاخر باليمن واليمانية وأمجادها.^٢

وقد قُتل مروان بن محمد آخر خليفة أموي بسيف القائد اليماني عامر بن إسماعيل المسلمي المدحجي، وهو من كبار القادة الشجعان الذي أسسوا الدولة العباسية، وتولى إقليم واسط بالعراق أيام خلافة أبي جعفر المنصور.^٣

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، سابق، ١٩٠/٣.

٢ - قضايا يمنية، عبدالله البردوني، ط: ٥، ١٩٩٦م، ٢٠٤. هبت الريح ذات يوم وعباد بن زياد واقف، وكان ذالحية كثة وطويلة، فنفسها الريح، فأنشأ يزيد على الفور:

ألا ليت للحي كانت حشيشا فنطعمها خيول المسلمينا

فغضب منه ابن زياد، وكتاب إلى أخيه عبيدالله يخبره بما قال ابن المفرغ الحميري، فنقل الكلام عبيدالله إلى معاوية، فوجهه معاوية بتأديبه، ولكن دون أن تصل العقوبة إلى القتل، والأرجح أنه لم يُقتل كما ذهب البردوني؛ بل تم تعذيبه بتلك الصورة المشينة المذكورة في البداية والنهاية لابن كثير؛ أما الأعشى فقد كان ممن تم سبيهم ببلاد فارس، وأشفقت لحاله إحدى النساء، ففكت رباطه وأطلقت سراحه، وقيل في ذلك كلام كثير، اشتهر من بينها:

من كان يفديه من الأسر ماله فهمدان تقديها من الأسر أيورها!

أما وضاح اليمن، فهو من ذي رعين الحميري، من كلال، هاجر إلى صنعاء، ثم إلى الشام أيام عبد الملك بن مروان. والعجيب أن القحطانية والعنانية عادت من جديد في عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي في أدبيات الثوار اليمنيين الذين تغنوا بها كثيرا، واعتبروها إحدى ركائز ومنطلقات النضال الوطني ضد الإمامة.

٣- الدور اليماني في العصر العباسي، ٣٠٠. علما أن بعض المصادر تتسبب مقتل مروان لسيف آخر.

وهكذا . وعلى الرغم من بعض الحالات الاستثنائية التي اعترت الحالة اليمنية الأموية . فقد قامت الخلافة الأموية على أكتاف اليمنيين الوارثين للحضارة، والمتصلين بحضارة جديدة، كما أسلفنا، وحين بدأت شمس بني أمية بالأفول، وشمس بني العباس بالسطوع كانت أول راية رفعت للعباسيين في مصر على يد اليمنيين الذين ضاقوا بالتعسف الأموي هناك خلال فترة حكمهم، بزعامة عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مروان الجيشاني، وكان معه يحيى بن مسلم الأشيخ، مولى قبيلة زهرة بأسوان. ^١ وكان مروان بن محمد آخر خليفة أموي قد أفرط في قمع القبائل اليمنية هناك إثر ثورة قاموا بها، لكنها لم تنجح، فقمعهم بشدة، ومع هذا القمع إلا أنها تجددت وعادت بحدة أكبر. وفي عام ١٣٢هـ حين قتل مروان بن محمد وانتهت الدولة الأموية كاملة، قام صالح بن علي قائد الجيوش العباسية بإقطاع اليمنيين أراضٍ واسعة بالصعيد، وأقطع الجيشاني مساحات واسعة في بلدة الميمون وقرى أهناس. ^٢

١ - القبائل العربية، سابق، ١٣٢.

٢ - الولاة والقضاة، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، تحقيق: حسين نصار، بيروت، ١٩٥٩م، ١٠١.

اليمنيون في مصر وشمال أفريقيا

اتصال اليمنيين بمصر قديم جدا، قدم الحضارتين اليمنية والمصرية معا، وهو اتصال تجاري في أغلبه، ولم يكن جديدا، مرتبطا بمجيء الإسلام واشتراك أبنائه في الفتوحات العربية المصرية التي عززت هذا الاتصال والتواصل من خلال الفاتحين في الجيش الجديد بقيادة عمرو بن العاص في العام ٢١هـ، في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وجه قبيلة همدان - المشاركة في جيشه - بالمرابطة في الجزيرة بعد أن فتحوا الإسكندرية، وذلك لحماية الفسطاط من الجهة الغربية. كما أقام من الجهة الجنوبية الشرقية البكيليون والأرحبيون من اليمنيين، وتفرعت منهم عدة بطون، هاجر بعضها لاحقا، فيما بقي البعض الآخر هناك.

وكان أغلب جيش عمرو بن العاص الذي فتح مصر وجزءًا من شمال أفريقيا من اليمنيين من قبائل كهلان وحمير، فمن كهلان قبائل مالك^١ وبنو الحجر ومدحج وبنو راشد التي ناصرته الإمام عليا في حروبه مع معاوية، وأيضا قبيلة خولان المعروفة، وارتبعوا الصعيد والمنيا، وبرز منهم من أهل العلم الكثير هناك، وبعض آثارهم شواهدهم القبورية لا تزال ماثلة إلى اليوم؛ حيث وجد شاهد قبر باسم محمد بن خالد الخولاني، المتوفى سنة ٢٠٨هـ بمدينة أسوان من صعيد مصر، وعائشة بنت عيسى الخولاني، ت: ٣٢٨. ثم قبيلة مراد، وارتبع أبناءهم الصعيد والفيوم ومنف، وبرز منهم قيس بن الحارث المرادي المفتي المشهور في زمنه، وفتح أيام عمرو بن العاص إقليما يسمى إلى اليوم قرية القيس،

١- عاش منهم بالصعيد بنو المغيرة من الأزدي بن مالك، ومن أبرزهم زياد بن المغيرة العنكي الذي شيد جامعا في ديروط، توفي سنة ٩١هـ.

٢- تنتمي إلى بني مالك بن كهلان، واختطوا أماكنهم بالجزيرة، ومن هذه الأسرة برز أبو جعفر الطحاوي رئيس الأحناف في مصر في القرن الرابع الهجري، وسلامة بن عبد الملك الطحاوي الذي قاد ثورة ضد الخليفة العباسي المأمون

ويذكر المؤرخون أن قبيلة مراد من أوائل القبائل اليمنية التي اختلطت بالمصريين واندجحت معهم.

ومن حمير قبيلة مالك من بطون قضاة الذين كانوا مع عمرو بن العاص، ومنهم قبيلة "بلى" ^١، والبلويون هم من تولوا قصف حصن بابلون بالمنجنيق، كما أشار إلى ذلك عمرو بن العاص بقوله:

يوم لهمدان ويوم للصدف والمنجنيق في "بلى" تختلف

وقد تفرعت بطون كثيرة من هذه القبيلة الكبيرة، وسكنوا أكثر من مكان. وإلى جانب هؤلاء أيضا قبيلة جهينة القحطانية الكثيرة العدد والتي نزلت الصعيد، ثم تفرقت بعد ذلك إلى الصعيد الأعلى وبلاد النوبة، بل وامتدوا إلى إقليم كردفان ودار فور. والهميسع وحضرموت، ومن الهميسع تفرعت عدة بطون، وعسكروا بالجيزة، ومنهم عرب "جيشان" بالصعيد، القبيلة التي اشتهرت بالعلم، وبرز منهم عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني، وأبو غنيم من أئمة القراءات في عصره، وكريب بن مخلد من شعراء مصر. وهذه القبيلة أول قبيلة يمنية ناصرت العباسيين في مصر، وخرجوا على حكم بني أمية. ^٢

وبرز الدور الأكبر لليمنيين في فتح الإسكندرية ومطاردة فلول الرومان المتبقية، وبرز في معارك الإسكندرية عمرو بن شريك بن سمي المرادي، وعوف بن مالك الأزدي، وكذا جند المهرة الذين وصفهم عمرو بن العاص بقوله: "أما مهرة فقوم يقتلون ولا يُقتلون، وأما غافق فقوم يقتلون، وأما بلى فأكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا". ^٣

١- بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

٢- انظر: دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، د. ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم الربيطي، مكتبة مدبولي، د.ت. ٩٠ فما بعدها.

٣- فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م، ١١٢.

وكانت الفرقة المهرية - نسبة إلى المهرة - من أكثر الفرق عددا وعدة، حيث كانت ألفين وتسعمئة مجاهد، بقيادة تميم بن فرع المهري القضاعي الحميري، أول من اقتحم سور الاسكندرية الحصين بفرقته.^١

وتذكر المصادر التاريخية أن فاتح مدينة دمياط هو المقداد بن عمرو البهراني الحميري، من أبناء صعدة باليمن، وهو فاتح قلعة الفرعاء الحصينة مع القائد اليماني أبرهة بن الصباح، وقد كان المقداد أول فارس من الصحابة في الإسلام.^٢

ومن خطط قبائل اليمن التي تشير إليها المصادر خطة كل من "بلي" و "أسلم" و "بني بحر"، وهم من قبيلة قضاة الشهيرة. وقد حددت المصادر الأماكن التي اتخذت فيها القبائل اليمنية منازلها، فذكرت أن قبيلة بلي التي كان لها دور ملموس في فتح البلاد، أقامت خلف دار خارجة بن حذافة، بينما أقامت قبيلة الصدف - وهي بطن من حضرموت - بالفسطاط إلى الجنوب من مهرة. واختطت قبائل يحصب والمعافر ورعين والكلاع وسبأ بالفسطاط أيضا، وجميعها من القبائل اليمنية. وتوسعت مهرة وغافق في الأرض الواقعة بين حصن بابلون ونهر النيل، وذلك من الجهة الشمالية الشرقية للحصن.^٣

وذكر صاحب كتاب فتوح مصر عن ارتباع القبائل وتوزعها في سياق حديثه عن عمرو بن العاص وتوزيع هذا القبائل ما نصه: "وكان إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب لكل قوم بريعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا.. وكانت "هذيل" تأخذ في بنا وبوصير، وكانت "عدوان" تأخذ في بوصير، وقرى "عك" التي يأخذ فيها عظمهم بوصير ومنوف ودسبنس وأتريب، وكانت "بلي" تأخذ في منف وطرايبة، وكانت "فهم" تأخذ في أتريب وعين شمس ومنوف، وكانت "مهرة" تأخذ في تتنا وتمي، وكانت "الصدف" تأخذ في

١ - يمانيون حول الرسول، ١/٤٧٣.

٢ - يمانيون في موكب الرسول ١٤٩ و ١/٤٤٨.

٣- دور اليمنيين السياسي في الأندلس، كارم محمود إسماعيل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩١م، ٦.

الفيوم، وكانت "تجيب" تأخذ في تمي وبسطة ووسيم، وكانت "لحم" تأخذ في الفيوم وطرايبة وقريط، وكانت "جدام" تأخذ في طرايبة وقريط، وكانت "حضر موت" تأخذ في بيا وعين شمس وأتريب، وكانت "مراد" تأخذ في منف والفيوم، ومعهم عبس بن زوف، وكانت "جمير" تأخذ في بوصير وقرى أهناس، وكانت "خولان" تأخذ في قرى أهناس والبهنسي والقيس.. وكانت "المعافر" تأخذ في أتريب وسخا ومنوف..^١

ومن أبرز الزعماء اليمنيين الذين نزلوا مصر أبرهة بن الصباح الحميري. قال عنه أبو موسى الأشعري: "لو كانت الخلافة تُستحق بالشرف لكان أحق الناس بها أبرهة بن الصباح، فإنه من أبناء ملوك اليمن التابعة الذين ملكوا مشارق الأرض ومغاربها".^٢

وهو الزعيم الذي فرش له النبي رداءه، وعامله معاملة الملوك، فانطلق ضمن قيادات جيش الفتوحات إلى الشام أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مع القائد اليمني ذي الكلاع الحميري. ثم عاد إلى مصر سنة ١٩هـ، أو ٢٠هـ على خلاف بين الروايات، مع عدد من أبناء أسرته؛ حيث اختطوا لهم خطة خاصة بالجيزة بعدها بأشهر، مع قبيلة ذي أصبح، وقبيلة همدان اليمنيتين اللتين اتخذ كل منهما خطة خاصة به. وحين قرر الفاتح عمرو بن العاص فتح مدينة "الفرما" أسند قيادة الفتح إلى أبرهة بن الصباح، ومعه الصحابي اليمني المقداد بن عمرو البهراني، وذلك عند فتح مدينة دمياط، وجزيرة "تنيس" في العشر الأوائل لشعبان سنة عشرين للهجرة، ذكر تفاصيل الواقعة كاملة ابن كثير في البداية والنهاية. ولم يدم بقاءه هناك كثيرا؛ إذ عاد بعدها إلى الشام بين أهله الذين تبقوا هناك، وفيها توفي.^٣

١ - فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم، تقديم وتحقيق: محمد صبيح، ٩٩.
٢ - رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٠م ٤٤١. وانظر أيضا: الأخبار الطوال، لأبي قتيبة الدينوري. وعن الاسم أبرهة، فإنه الأصل السرياني والحميري لإبراهيم، فأبرهة، تعني إبراهيم. الإكليل: ٨، أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش.
٣ - انظر: يمانيون حول الرسول، ١/٤٤٨.

دور القبائل اليمينية في مصر

دخلت القبائل اليمينية فاتحة كأغلبية عسكرية في جيش عمرو بن العاص، ولم يقتصر دورها على مجرد الفتح وتأمين المنطقة الإسلامية الجديدة فحسب؛ بل لعبت دورا إيجابيا لاحقا؛ حيث تعاملوا برفق ولين وحسن خلق مع أهل تلك البلاد، وامتزجوا بهم، وتعاملوا معهم، في مختلف مجالات الحياة، كونهم أهل تجربة وخبرات سابقة في مختلف المجالات، خاصة التجارة والزراعة؛ فتوزعوا في مختلف المناطق وبنوا المساكن والدور، وكانوا ضمانة أساسية للدولة الجديدة من هجمات القبائل المحيطة التي كانت تهددها من ناحية الغرب من قبل، وتغير على الصعيد بين الحين والآخر. وكذا من جهة الجنوب؛ حيث كان النوبيون المسيحيون مصدر قلق للدولة الإسلامية الجديدة، والذين لم يتصالحوا مع العرب الجدد بسهولة، وظلت المعارك بين الطرفين حتى وقت متأخر. وكانت فيها الغلبة للقبائل العربية "اليمينية" القادمة من الشرق؛ بل لقد تكفلت قبيلة ربيعة وحلفاؤها عملية التصدي للنوبيين في عهد الدولة الطولونية بقيادة أبي عبدالرحمن العمري^١، فمزقتهم شر ممزق. وكانت قبائل يافع على وجه التحديد هناك ترى أنها جاءت إلى مصر حبا في الجهاد في سبيل الله، فكانت مستعدة لأي اشتباك مع أي مُغير عليها.. وأغلب هذه القبائل اليمينية التي اختطت الفسطاط كانت من همدان ويافع وبكيل وذوي أصبح والحجر وبني الأزد، وأقامت بالجيزة بعد عبورها النيل إلى الجهة الغربية وعسكرت فيها.^٢

١- بقدر ما مثل العمري عامل أمن واطمئنان للدولة الطولونية بقيادة والي أحمد بن طولون، كان قلقه منه خشية منازعته العرش، لاسيما وقد كان شبه مستقل في مصر عن الخلافة العباسية، وقد انتهى هذا الرجل قتيلًا على يد أبناء عمومته اليمينيين لخلافات جرت بينهم.

٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، سابق، ١/٢٠٦. ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، سابق، ٤/٦٧. وأيضا دور القبائل العربية، سابق، ١٠٦.

وحيث توجه عمرو بن العاص بعد ذلك لفتح إقليم برقة كان جيشه يتكون من أربعة آلاف يماني من حضرموت وبللى وهمدان ومراد ومهرة وغافق وخولان وتجب وحمير ومذحج وذى رعين وذى الكلاع والسكاسك والمعافر ولخم وجدام والصدف، وكان رجال هذه القبائل تحت قيادة قادة يمينيين، منهم معاوية بن حديج وشريك بن سمي المرادي وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري، ولقوة هذا الجيش "اليمني" ومهافته التي كان قد سمع بها الكثير فقد تمكن عمرو بن العاص من السيطرة على برقة دون مقاومة، وتم الصلح مع أهلها على أساس دفع الجزية البالغة نحو ثلاثة عشر ألف دينار، وكان فتحها سنة ٢١هـ.^١

وقبل هذا كان معاوية بن حديج السكوني أحد أبرز القادة الكبار الذين ساهموا في فتح الاسكندرية التي اشتركت فيها الفرقة المهربية اليمنية، بألفين وتسعمئة مجاهد، بقيادة القائد اليمني تميم بن فزع المهري أول قائد عسكري يقتحم سور الاسكندرية الحصين. وكان معاوية بن حديج - ممن زف خبر بشرى الفتح من مصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة، وحمل إليه خمس الغنائم، ثم عاد إلى مصر، وساهم في اختطاط الفسطاط، ثم واصل الفتوحات والتعريب أيضا بعد ذلك في البحيرة والدقهلية والصعيد، ثم بلاد النوبة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، مع ابن أبي السرح، قال عنه الهمداني: أنه رأس اليمانية في مصر.^٢

وتوالى الفتوحات في أقاليم شمال أفريقيا بعد مصر، سواء بقيادة عمرو بن العاص نفسه، أو بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح بعده؛ حيث كانت أغلب حملته العسكرية إلى القيروان من اليمينيين عدا نفر قليلين من قريش كما تذكر المصادر، وكانوا السبب الرئيس للنصر في معركة ذات الصواري عام ٣٤هـ التي تمكن الجيش الإسلامي من تدمير القوة البحرية للروم.^٣

١، دور اليمينيين السياسي في الأندلس، سابق، ٨.

٢ - انظر: فتوح البلدان للبلاذري، ٢٢٢. ويمانين حول الرسول، ٤٧٣. والإكليل للهمداني، ٢/٢٣٠.

٣- انظر: تاريخ المغرب العربي، سعد زغلول عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ١١٩. ودور اليمينيين، سابق، ١١.

"وعبرت مجموعة عربية أخرى سنة ٧٣هـ من قبائل عرب حضرموت، واشتغلوا بالتعددين في أرض "البجة"^١، وأطلق عليهم الحضارمة أو الحدارية"^٢. وظلت القبائل العربية اليمنية هناك هي الحامية والمدافعة عن مصر إلى القرن الرابع الهجري. وتذكر المصادر التاريخية أن معاوية بن أبي سفيان كان يفضل الحضرميين والأزديين لتولي الأعمال، لأنهم أهل أمانة.^٣

وخلال هذه الفترة تشكل أول أسطول بحري للعرب المسلمين بقيادة عبدالله بن قيس الحارثي اليماني، قائد الأسطول وأمير البحر أيام عمر بن الخطاب، فتوقف اثناء فتنة عثمان ثم علي، وأعيد بناؤه وتأهيله من جديد أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٦هـ، على يد القائد اليماني عقبة بن عامر الجهني الذي غزا بهذا الأسطول جزيرة رودس باليونان، سنة ٤٧هـ. كما غزا معاوية بن حديج جزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط سنة ٤٩هـ.

لقد كان من أبرز الولاة اليمنيين في مصر خلال العهد الأموي:

- الصحابي عقبة بن عامر الجهني القضاعي الحميري، والي مصر فيما بين ٤٤-٤٧هـ.
- معاوية بن حديج السكوني التجيبي الحضرمي، والي مصر فيما بين ٤٨-٥١هـ.
- قره بن شريك العبسي المذحجي فيما بين ٨٩-٩٦هـ.
- عبد الملك بن رفاعة اللخمي فيما بين ٩٦-٩٩هـ.
- شرحبيل الحميري ٩٩-١٠١هـ.
- بشر بن صفوان الكلبي ١٠١-١٠٢هـ.
- حنظلة بن صفوان الكلبي ١٠٣-١٠٦هـ، ثم مرة ثانية فيما بين: ١١٩-١٢٤هـ.
- حفص بن الوليد الحضرمي ١٠٨-١٠٩هـ، ثم مرة ثانية فيما بين: ١٢٤-١٢٨هـ.
- الوليد بن رفاعة اللخمي ١٠٩-١١٧هـ.

١- نسبة إلى البُجاة الذين كانوا يسكنون شرق الصعيد الأعلى، والبجة كلمة فرعونية قديمة تعني المُحارب.

٢- دور القبائل العربية، سابق، ١١٦.

٣- فتوح مصر والمغرب، سابق، ١٧١.

- عبدالرحمن بن خالد الفهمي اللخمي ١١٧-١١٨ هـ.

- عبدالملك بن مروان اللخمي ١٣٢-١٣٣ هـ.^١

إلى جانب هذا الدور الإيجابي الذي لعبته القبيلة اليمينية الفاتحة في مصر بعد الفتح الإسلامي ورجالها الأبطال، أيضا لعبت دورا إيجابيا على الصعيد الزراعي والتجاري، ومختلف الحرف الأخرى خلال فترة الخلافة الراشدة والحكم الأموي والعباسي، فشكّلت نهضة مجتمعية كبيرة، خاصة بعد أن أسقط الخليفة العباسي المعتصم العطاءات عن هذه القبائل سنة ٢١٨ هـ، وكانت تعتمد بدرجة رئيسية على ريع الديوان الأموي فالعباسي قبل ذلك، فالتجّهت إلى النشاط الزراعي والتجاري، ومن ثم انتعشت هاتان الحرفتان بصورة لم تكن معهودة من قبل.^٢؛ لاسيما وقد كان للوالي أحمد بن طولون اهتمام كبير في هذا الجانب، فبلغ الخراج في عهده أربعة ملايين دينار، ونهضت حركة التعمير في البلاد، وزاد الإنتاج، وملا الأسواق العامة في مصر. وهو ذات النهج الذي سار عليه الإخشيدون بعد ذلك. وقد ذكر الاصطخري أن الثمار والنخيل والمزارع تمتد من أسوان إلى الإسكندرية.

"وازدهرت صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية في بلدان الصعيد، واشتهرت بها مدن طحا والأشمونيين والبهنسا وإهناس، بالإضافة إلى ذلك اشتغلت القبائل العربية باستخراج المعادن في الصحراء الشرقية في شرقي أسوان، كما اشتهرت بمدينة اخميم صناعة المنسوجات المختلفة، وكانت ذات شهرة عالمية".^٣

وتذكر المصادر التاريخية أن القبائل العربية الفاتحة - وأغلبها من اليميين - قد استأجرت الضياع والأراضي الزراعية الواسعة من النوبيين وقاموا باستصلاحها وزراعتها، ثم اشتروا

١- الدور اليميني في العصر العباسي، ٤٠٢.

٢- انظر: مصر العربية الإسلامية، علي حسني الخربوطلي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ٥٥.

٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ١/١٥٩. وانظر: القبائل العربية في صعيد مصر، سابق، ١٧٥.

كثيرا منها بعد ذلك، ومالوا إلى الدعة والتحضر أكثر من ذي قبل، مخففين من ارتباطهم السياسي والعسكري المباشر بمركز الدولة الإسلامية في دمشق أو بغداد.^١

ولخبرة اليمنيين في التعدين والصناعات الاستخراجية سابقا، فقد نقلوا هذه المهنة معهم إلى هناك، فيذكر أن القبائل العربية كان لها دور في استخراج المعادن في حقول شرق أسوان، مستغلين عبيدهم من السودان الذين اشتغلوا في هذه الحقول. كما كانوا يستخرجون الذهب والتبر من بلاد البجة، وكانوا يقسمونها مع أهلها.^٢

على الصعيد الاجتماعي اندمجت القبائل العربية الفاتحة مع المجتمع المصري وحمل بعضهم أسماء الأماكن المصرية التي نزلوها، فانتسبوا إليها، وتبادلوا تعلم المهارات والحرف والخبرات بينهما، فبرز رجال من قبيلة الأزدي اليمنية في أكثر من مجال مثل عبدالواحد الطحاوي، والفقير أبو جعفر الطحاوي، وسلامة بن عبد الملك الطحاوي الأزدي الذي قاد ثورة ضد الخليفة العباسي المأمون. ومن العادة العربية "اليمنية" التي انتقلت معهم إلى هناك عادة التعدد في الزواج، فتزوجوا أكثر من زوجة، ولم تكن هذه العادة من العرف الجاري في مصر آنذاك، لذا تضاعف عدد السكان وزاد تعدادهم سبعة اضعاف خلال نصف قرن على ما كان عليه في البداية.^٣ ومن هنا تعمقت الهوية العربية كثيرا، وتداخلت العادات والتقاليد والمناسبات في المأكل والمشرب والأفراح والأتراح، وارتبط العرب بعضهم ببعض في الجزيرة العربية، ولا تزال ظاهرة الكرم الصعيدى المتميز في مصر ظاهرة تميزهم عن غيرهم إلى اليوم.^٤ فقد ذكر المقرئ أن من كان يريد السفر من القاهرة إلى أسوان لا يحتاج في سفره إلى نفقات أو أعباء أثناء الطريق؛ لأن العرب بالصعيد قد أنشأوا دورا للضيافة بالقرى التي سكنوها، وخصصت هذه الدور لمن مر بها من أهالي البلاد البعيدة،

١- انظر حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، راشد البراوي، النهضة، القاهرة، ١٩٤٨م، ٢٣٦. وأيضا القبائل العربية، سابق، ١٧٧.

٢- تاريخ الرسل والملوك ٩/٢٠٣.

٣- انظر القبائل العربية، سابق، ٢١٤.

٤- من العادات السلبية التي انتقلت إلى هناك عادة قطع الطريق، التي كانت سمة لدى عرب الشمال، وبقيت هناك فترة؛ لذا تنبتهت الدولة لاحقا لهذه العادة، فجددت بعضا من أبناء هذه القبائل العربية ووظفتهم في حماية الطرقات.

وكانت دور الضيافة معدة للراحة والنوم والمأكل والمشرب للضيوف، وفيها العاملون عليها لراحة الضيوف الغرباء وعابري السبيل.^١

أما على الصعيد الثقافي فيكفي التحول الروحي والوجداني من قبل المصريين بالإسلام ثقافة ولغة وتشريعا، تاركين اللغة القبطية وثقافة الرومان التي جثمت سبعة قرون على المصريين، فبرز العديد من الشعراء والأدباء والفقهاء الذين شكلوا النواة الأولى للثقافة الإسلامية العربية الجديدة، ويعود الفضل بعد الله في ذلك إلى أحمد بن طولون الذي اهتم بهذا الجانب اهتماما بالغا ومن بعده الأخشيديون، ومن هنا ارتبطت مصر ارتباطا جذريا بالعروبة والإسلام، ومثلت مدينة الفسطاط أشبه ما يكون بالعاصمة الثقافية والعلمية، كما مثل الأزهر أيضا جامعة إسلامية وعربية مفتوحة لكل الوافدين بعد ذلك، ولا يزال إلى اليوم.

وخلال العصر الأموي والعباسي الأول انتشرت المذاهب الفقهية، وحركة التصوف والشعر ومجالس الأدب، تأثرا بما كان عليه الحال في دمشق وبغداد والمدينة، وصارت الفسطاط والقاهرة من المدن المصرية تنافسها؛ وربما تفوقت عليها لاحقا في بعض الجوانب. وبرز فيها المئات في مختلف المجالات من فقه وحديث ولغة وتصوف ورواية. وكم من هذه الأسماء التي تنتهي عادة بلقب الأسواني أو الصعيدي أو الجيزي، وهي الألقاب التي اتخذها أكثر العرب بعد اندماجهم وحلولهم بأسوان. ومن العجيب أن اللغة العربية صارت لغة القبط المسيحيين واليهود يومها والمسلمين على حد سواء، ولا تزال كذلك إلى اليوم.^٢

١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ١/١٩٠. وأيضا القبائل العربية ص ٣٧.

٢- القبائل العربية، سابق، ٢٥١. ومن أشهر الشخصيات اليمينية في مصر، سواء التي دخلت مع الفتح أو التي لحقت بعد ذلك، أو ولدت هناك: عبدالرحمن بن ملجم المرادي، والتابعي عبد الرحمن بن جبير العامرين، وأبو تميم الجيشاني، وأبو أمية عبيد بن مخيمر المعافري، وهو أول من قرأ القرآن بالمسجد الجامع هناك. وسعيد بن كثير بن مسلمة الأنصاري القحطاني،

ويذكر القلقشندي في صبح الأعشى أن أول من قال بمذهب أبي حنيفة بمصر هو أبو الفضل اسماعيل بن اليسع الكندي، وكان أهل مصر قبله لم يعرفوا مذهب أبي حنيفة ولم يألفوه.^١

الولاية اليمينية في شمال أفريقيا

كما كان اليمينيون أغلبية كبيرة في مصر، ولعبوا دورا كبيرا في مختلف شؤون الدولة، فقد كانوا كذلك في شمال أفريقيا، لارتباط شمال أفريقيا بمصر، ولأن كثيرا منهم ممن وصل إلى مصر قد واصل الدور فاتحا أو واليا أو جاييا في بقية أرجاء شمال أفريقيا، وشواهدهم إلى اليوم معلومة هناك. وقد تولى شؤون أفريقيا من الصحابة والتابعين اليمينيين عدد أمراء فيما بين ٤٤ هـ - ١٢٩ هـ، وهم:

- معاوية بن حديج، فاتح أفريقيا وثالث ولاية اليمينيين لمصر.
- رويفع بن ثابت، أمير طرابلس.
- مسلمة بن مخلد أمير مصر والمغرب.
- زهير بن قيس البلوي، أمير أفريقيا.
- سفيان بن وهب الخولاني.
- حسان بن النعمان الغساني
- موسى بن نصير
- عبدالله بن موسى بن نصير
- بشر بن صفوان، حنظلة بن صفوان، ١٢٤ - ١٢٩ هـ.^٢

١ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١/٤١٨.

٢ - الدور اليميني في العصر العباسي، سابق، ٥٢٦.

قال ابن خلدون: "فتح معاوية بن حديج كل افريقية"^١. ويقول عنه في موضع آخر أيضا: "... ثم أغزى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني أفريقية سنة أربع وأربعين، وكان عاملا على مصر فغزاها"^٢.

- أما عن الولاة اليمينيين في العصر العباسي في شمال أفريقيا فهم:
- محمد بن الأشعث، أول ولاة أفريقيا الشمالية في العصر العباسي فيما بين ١٣٣-١٣٤هـ، ثم مرة ثانية فيما بين ١٤١-١٤٨هـ.
 - المخارق بن غفار، أمير طرابلس فيما بين ١٤٤-١٥٠هـ، ووالي أفريقيا الشمالية سنة ١٥٠-١٥١هـ.
 - عمر بن حفص، والي أفريقيا فيما بين ١٥١-١٥٤هـ.
 - يزيد بن حاتم المهلبي، والي المغرب العربي فيما بين ١٥٤-١٧٠هـ.
 - داود بن يزيد بن حاتم، والي أفريقيا الشمالية فيما بين ١٧٠-١٧١هـ.
 - روح بن حاتم المهلبي، والي أفريقيا الشمالية فيما بين ١٧١-١٧٤هـ.
 - حبيب بن نصر المهلبي، والي أفريقيا الشمالية فيما بين ١٧٤-١٧٦هـ.
 - الفضل بن روح بن حاتم، والي أفريقيا الشمالية فيما بين ١٧٧-١٧٨هـ.
 - العلاء بن سعيد المهلبي، والي أفريقيا الشمالية فيما بين ١٧٨-١٧٩هـ.
 - الأمير هرثمة بن أعين، عاشر الولاة اليمينيين لأفريقيا الشمالية في العصر العباسي فيما بين ١٧٩-١٨١هـ.
 - محمد بن مقاتل العكي، أمير أفريقيا الشمالية فيما بين ١٨١-١٨٤هـ.

١ - تاريخ ابن خلدون، ٢/١٢٩. والمقصود بأفريقية هنا، وفي بعض المصادر أيضا هي تونس بدرجة رئيسية، وما جاورها من بعض البلدان القريبة، من ليبيا والجزائر، وليس قارة أفريقيا المعروفة اليوم بخارتها السياسية. علما أن اسم أفريقيا يعود إلى الملك الحميري أفريقيس بن ذي المنار بن الرائش، كما سلف القول سابقا.

٢ - نفسه، ٢/١٨٥. وقد كان معاوية بن حديج والي مصر فيما بين ٤٣-٤٤هـ، بعد عبدالله بن عمرو بن العاص الذي وليها بعد وفاة والده عمرو بن العاص، كما في فتوح البلدان للبلادري، ص: ٢٣٠. وهناك روايات أخرى تقول غير ذلك.

وعلى الصعيد العلمي كان اليمينيون أول من أدخل المذهب المالكي إلى بلاد المغرب العربي، وهناك برز العديد من العلماء اليمينيين الذين نشروا العلم في بداياته الأولى كالمحدث عبدالرحمن بن زياد بن أنعم المعافري، ت: ١٦١هـ، وإلى جانبه أيضا: الفقيه البهلول بن راشد الرعيني، وابن أبي حسان اليحصبي، ومعاوية الصمادحي، وغيرهم. وكان فقيه المغرب الأول سحنون بن سعيد التنوخي، وغيرهم الكثير.

اليمنيون في أرمينية وخراسان وبلاد السند

في كل بقعة من بقاع الأرض كانوا، وعلى كل سفح وجبل وتل شهدت الأرض ببطولاتهم وأمجادهم.. قادة جيوش.. ولاة أمصار.. ورجال دولة. في الشرق، كما هو في الغرب على حد سواء.

ونستعرض هنا بعضا ممن تحدثت عنهم المصادر التاريخية، وعن أدوارهم البطولية في الشام وبلاد السند وأرمينيا وخراسان^١.

عياض بن غنم الأشعري

لقد كان من رجالات الفتح الإسلامي من الزعماء اليمنيين في أرمينية الصحابي الجليل عياض بن غنم الأشعري الذين سبقوا الأشعث بن قيس، وقبل أن يفتح بلاد أرمينية فقد كان من رجالات الفتح الإسلامي في الشام، وفي موقعة اليرموك تحديدا على رأس ألف رجل من الأشاعر من تهمامة، تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح، وقد وجهه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يوجه عياضاً على رأس ثمانية آلاف لفتح ديار بكر وربيعة الفرس، وهي بلاد الجزيرة الفراتية^٢ سنة ١٦ هـ، التي ظل الفتح فيها سنتين متتاليتين، بعدها واصل الفتح باتجاه بلاد أرمينية من أرض الروم، وظل مواصلا فتوحاته حتى عام ٢٢ هـ، وحينها عاد، وكتب إلى عمر بن الخطاب: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عياض بن غنم الأشعري إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، سلام الله عليك ورحمته

١ - بلاد الشام المعادل الآخر لما يسمى باليمن، وهي تشمل سوريا الكبرى وفلسطين. السند: تقع في باكستان الآن وشمال الهند. تمتد هذه البلاد غربا من إيران إلى جبال الهملايا. أرمينيا: اسمها حاليا جمهورية أرمينيا، تقع في بلاد القوقاز من أوراسيا، فيما بين غرب آسيا وشرق أوروبا، تحدها تركيا من الغرب وجورجيا من الشمال وأذربيجان من الشرق وإيران من الجنوب، وهي من الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتي، ومن الدول القديمة التي حكمتها المسيحية، وتحكمها حاليا الكنيسة الأرمينية الوطنية؛ أما خراسان فهي بلاد واسعة تتاخم العراق من الغرب، والهند وأفغانستان من الشرق، ومن الجنوب كرمان وسجستان، ومن الشمال تركستان، وبحر الخزر.

٢ - هي إقليم يمتد عبر شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا، وهي الجزء الشمالي من وادي الرافدين، يحدها من الشرق جبال زاغروس ومن الشمال جبال طوروس وإلى الجنوب بادية الشام ومنخفضات الترتار والحبانية.

وبركاته، أما بعد، فالحمد لله الذي أيد الإسلام بنصره، وأدحض الشرك بقهره، فقد أوردنا الأعداء موارد المهالك، وضيعنا عليهم المسالك، ولم يجدوا في الأرض نفقا، ولا في السماء مرتقى، فأظهروا الجنوح إلى السلم، فأقررناهم على ذلك، ومنهم من أسلم وباع. وقد نشر الله أعلامنا، وأعز ديننا، وقهر عدونا، وأعلى كلمتنا، وأظهر شريعتنا، والسلام عليك وعلى جميع المسلمين".^١

الأشعث بن قيس الكندي

ذات يوم من أيام القادسية.. وقف الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي - ملك حضرموت وفتح وأمير أذربيجان لاحقا - أمام قومه، مخاطبا إياهم: يا معشر العرب لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً منكم على الموت، ولا أسخى أنفسا عن الدنيا، تنافسوا ولا تجزعوا من القتل فإنه أمان الكرام، ومنايا الشهداء.^٢

قال الطبري: قدم على سعد بن أبي وقاص بسيراف الأشعث بن قيس في ألف وستمئة من أهل اليمن.^٣، وفي تاريخ ابن خلدون: سار سعد إلى سيراف، فنزلها واجتمعت إليه العساكر، ولحقه الأشعث بن قيس في ثلاثين ألفا.^٤

وقال البلاذري في فتوح البلدان: روى الكلبي: أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان سنة ٢٠هـ ففتحها وصالح أهلها، ثم كفروا، فغزاها الأشعث بن قيس ففتح حصن باجروان، وصالحهم على صلح المغيرة، ومضى صلح الأشعث حتى اليوم.^٥

وظل الزعيم اليمني الأشعث بن قيس الكندي أمير الحامية العربية في أذربيجان حتى استقر الحكم هناك نهائيا سنة ٣٠هـ، في خلافة عثمان بن عفان، وقد واصل فتح بقية المناطق في أذربيجان إيران، وأذربيجان القوقاز، وأسكن فيها من أتباعه من العرب

١ - فتوح الشام، الواقدي ٢/١١٣.

٢ - تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٤/٨٧.

٣ - نفسه. وسيراف مدينة أثرية قديمة، تقع في محافظة بوشهر في جنوب إيران.

٤ - اليمن في تاريخ ابن خلدون، محمد حسين الفرح، ٢٩٤.

٥ - فتوح البلدان، البلاذري، ٢٦٤.

المسلمين الكثير، داعيا أهل هذه المناطق إلى الإسلام، وكان هذا الفتح هو أول فتح عربي إسلامي لهذه المناطق، كما كانت هذه السكنى والاستيطان أول سكنى واستيطان عربي إسلامي في تلك المناطق، وفيها اندمج العرب بغيرهم من أهل تلك البلاد تحت راية الإسلام الموحدة، وقد بقي الأشعث واليا عليها حتى نهاية فترة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لمدة ثمانية عشر عاما، عاد بعدها إلى الكوفة سنة ٤٢هـ، ثم توفي هناك.

عدي بن عدي الكندي

كان فقيها قاضيا أميرا على أرمينية فيما بين ٩٦. ١٠١هـ، كان أبوه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد الفتوحات الإسلامية، واستقر بمدينة الرها ومات بها سنة ٤٠هـ، أما ابنه عدي فقد ولاه سليمان بن عبد الملك بلاد أرمينية، وظل واليا عليها حتى نهاية خلافة عبد الملك بن مروان بعده، وإليه ينسب نهر "عدي" هناك، لأنه شق نहरًا في البيلقان. وكانت له قبل ذلك أدوار مشهودة ضد الخوارج الصفرية الذين ظهروا هناك، كما ساهم في إعادة دولة الخلافة الإسلامية هناك عقب فتنة ابن الزبير؛ حيث انشغل الخلاء الأمويون بها، وبدأت بعض أطراف البلاد تتفلت من أيديهم، ومنها بلاد أرمينية، لكنها عادت إلى حضن الدولة الإسلامية بعد ذلك، وقد اشتهر بالصلاح والتقوى.^١

الجراح بن عبدالله الحكمي المذحجي

ينتسب إلى ديار حَكَم في وادي مور من تهامة، ولا تزال ثمة أسر إلى اليوم معروفة بهذا اللقب، وفي البلاد المجاورة للمنطقة، وكان والده ممن ارتحلوا إلى بلاد الشام، وقبل أن يتولى الجراح بلاد أرمينية تولى منصب أمير البصرة فيما بين ٨٦. ٩٦هـ، ثم نائبا ليزيد بن المهلب، أمير العراق فيما بين ٩٦. ٩٩هـ، ثم واليا لخراسان في ٩٩. ١٠٠هـ، ثم أميرا

١ - انظر: الدور اليميني في العصر العباسي، سابق، ٥٨٢.

لإقليم كرمان في أوائل خلافة يزيد بن عبد الملك الذي ولاه أرمينية وأذربيجان سنة ٢٠٣هـ.

"وفي أوائل سنة ١٠٤هـ دخل الجراح بن عبدالله الحكمي بلاد أرمينية وأذربيجان - القوقاز. في جيش عربي إسلامي من جند الشام والجزيرة الفراتية، غالبيتهم من اليمانية، وكان جيش ملك الخزر يحاصر بعض الأقاليم الإسلامية، فلما دخل الجراح تلك البلاد تقهقروا منها".^١

قال البلاذري: "ولي الجراح بن عبدالله الحكمي من مدحج أرمينية، فنزل برذعة، فرجع إليه اختلاف مكابيلها، فأقامها على العدل والوفاء، واتخذ مكابيلها يدعى الجراحي، فأهلها يتعاملون به حتى اليوم".^٢

وواصل الجراح بن عبدالله الحكمي فتوحاته باتجاه أرض شروان ومدينة الباب والأبواب^٣ من جبال القوقاز، ومنها إلى أرض مملكة خيزان الخزرية. قال البلاذري: "... ثم إن الجراح عبر نهر الكر، وسار حتى قطع النهر المعروف بالسمور، وصار إلى الخزر، فقتل منهم مقتلة عظيمة".^٤

وقال ابن الأثير: "سار الخزر إلى الجراح، وعليهم ابن ملكهم، فالتقوا عند نهر الران، واقتتلوا قتالا شديدا، وحرص الجراح أصحابه، واشتد القتال، فظفروا بالخزر وهزموهم، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتل منهم خلق كثير، وغنم المسلمون جميع ما معهم...".^٥

ولقوة عزيمة هذا الأسد اليماني الهصور وشدة بأسه وعلو همته، فلم يكتف بما أنجز؛ بل واصل الفتوحات باتجاه حصن "بلنجر" أحد أشهر حصون بلاد القوقاز، واستولى

١ - الدور اليمني في العصر العباسي، سابق، ٥٨٧.

٢ - فتوح البلدان، سابق، ٢٠٨.

٣ - مدينة في جبل القوقاز بناها الملك أنوشروان، وجعلها بينه وبين بحر الخزر، ليأمن غزوات أهل تلك البلاد.

٤ - فتوح البلدان للبلاذري، سابق، ٢٠٨.

٥ - الكامل في التاريخ، سابق، ٤/١٨٨.

عليه عنوة بعد معركة عنيفة معهم لأهمية هذه الحصن وصعوبة الوصول إليه، قال ابن كثير في سياق حديثه عن الجراح الحكمي وفتوحاته في بلاد أرمينية: "... في سنة ١٠٤ هـ غزا الجراح بن عبدالله الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان أرضَ الترك، ففتح بلنجر، وهزم الترك، وأغرقهم في الماء، وسبى منهم خلقا كثيرا، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر، وأجلى عامة أهلها، والتقى هو والخاقان الملك فجرت بينهم وقعة هائلة، آل الأمر فيها إلى انهزام خاقان، وتبعهم المسلمون، فقتلوا منهم خلقا كثيرا لا يُحصون".^١

مضيفا: "في سنة ١٠٥ هـ غزا الجراح بن عبدالله الحكمي بلاد اللان، وفتح حصونا كثيرة، وبلادا متسعة الأكناف من وراء بلاد بلنجر، وأصاب غنائم جمّة، وسبى خلقا من أولاد الترك".^٢

الحسن بن قحطبة الطائي

كان الأمير والزعيم اليمني الحسن بن قحطبة الطائي من أبرز قادة الجيش الإسلامي مطلع الخلافة العباسية، بقيادة أبي جعفر المنصور الذي ولي الجزيرة الفراتية وبلاد أرمينية في عهد خلافة أخيه أبي العباس السفاح إلى العام ١٣٦ هـ، باعتباره أحد النقباء الاثني عشر للدعوة العباسية الجديدة، وحين أصبح أبو جعفر المنصور خليفة بعده، استخلف الحسن بن قحطبة أميرا على أرمينية، ثم ذهب لمواجهة عمه عبدالله بن علي الذي دعا لنفسه بالخلافة في بلاد الشام، ثم ذهب بجنده باتجاه الجزيرة الفراتية، فوجه الخليفة أبو جعفر المنصور الحسن بن قحطبة أن يتقدم بجيشه إلى الموصل، وينضم إلى الجيش الذي بعثه من العراق بقيادة أبي مسلم الخراساني. وحين التقى الجيشان في "نصيبين" من الجزيرة الفراتية كان الحسن بن قحطبة على ميمنة الجيش بداية الأمر، ثم انضمت الميمنة إلى اليسرة، وكان النصر في نهاية المعركة لجيش أبي جعفر المنصور، بعدها كتب إليه أبو جعفر

١ - البداية والنهاية، ابن كثير، سابق، ٩/٢٣٠.

٢ - نفسه، ٩/٢٣١.

المنصور أن يعود على عمله، واليا لأرمينية، وقد عاد وظل واليا عليها حتى انتهاء فترة الإمام المنصور، وجزء من فترة الإمام المهدي من بعده.^١

وذكر البلاذري أن انتفاضة حصلت أثناء ولايته على أرمينية برئاسة موشائيل الأرمني، فأمدّه الإمام المنصور بمدد، قمع بموجبه تلك الانتفاضة، وقتل قائدها موشائيل "واستقامت الأمور للحسن، وهو الذي ينسب إليه نهر الحسن بالبيلقان، والباغ الذي يعرف بباغ الحسن ببردعة".^٢

وفي العام ١٦٢هـ وجهه الخليفة المهدي لغزو الروم بعد أن اعتدى الروم على الثغور الإسلامية، وقد أبلى في معاركه تلك بلاء حسنا حتى دوح الروم وكتب له النصر. وظل واليا على بلاد أرمينيا حتى العام ١٦٧هـ، حيث استعفى الإمام المهدي ذلك المنصب فأعفاه، ثم سكن في الجزيرة الفراتية إلى أن مات سنة ١٨١هـ عن أربعة وثمانين عاما.

جعفر بن حنظلة البهراني

ينتسب إلى قبيلة بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير، وردت على لسان أحد الشعراء:

بلي وبهراء وخولان إخوة لعمر بن حاف فرع من قد تفرعا

كان من قادة الجيش العربي الذي دخل خراسان في ولاية أسد بن عبدالله القسري أثناء الخلافة الأموية في عهد هشام بن عبدالملك سنة ١١٦هـ، ولما مات القسري استخلف جعفرًا على خراسان، وظل فيها حتى العام ١٢٠هـ، انتقل بعدها إلى العراق، وكان من أبرز رجالات الدولة، ولذا كان من مستشاري الخليفة أبي جعفر المنصور حين قامت الخلافة العباسية، كما كان من مؤيدي قتل أبي مسلم الخراساني. وفي العام ١٣٩هـ

١ - انظر: الدور اليميني في العصر العباسي، سابق، ٦٠١.

٢ - فتوح البلدان للبلاذري، سابق، ٢١٢. وبردعة هي عاصمة أرمينية آنذاك.

ولاه الخليفة أبو جعفر قيادة أولى غزوات الصوائف إلى أرض الروم في تركيا، وقد توفي سنة ١٥٠هـ.^١

جبريل بن يحيى البجلي

القائد اليميني جبريل بن يحيى بن قرّة البجلي، باني مدينة المصيصة التي أخرجها الروم سنة ١٣٣هـ، حيث وجه الخليفة المنصور سنة ١٣٩ صالِح بن علي العباسي بنائها، وبدوره فقد وجه جبريل بن يحيى بنائها، فبناها، وأسكن فيها الناس، وبحسب الطبري، فقد انتهى من بنائها سنة ١٤١هـ. كما قام أخوه مسلمة بن يحيى البجلي أيضا ببناء مدينة "أذنة" التي فرغ من بنائها سنة ١٤٢هـ، وهي إحدى مدن تركيا حاليا، كما هو الحال مع المصيصة، فكلتاهما اليوم في تركيا.^٢

وإلى جانب بنائه المصيصة فقد بنى أيضا سور مدينة سمرقند، كما ذكر ذلك ابن الأثير في تاريخه عن جبريل بن يحيى " حيث قال: "وفي سنة ١٥٩هـ مات حميد بن قحطبة بخراسان، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد، وولى حمزة بن مالك سجستان، وولى جبريل بن يحيى سمرقند، فبنى سورها، وحفر خندقها".^٣

ومكث جبريل أميرا لسمرقند إلى خلافة هارون الرشيد، كما أصبح ابنه إبراهيم من بعده واحدا من أمراء الثغور والصوائف إلى بلاد الروم. وذكر الطبري أنه في سنة ٨٨هـ غزا إبراهيم بن جبريل الصائفة، ودخل أرض الروم من درب الصفصاف، فخرج لقتاله ملك الروم "نقفور" وجرت بين الطرفين معركة حاسمة، هزم فيها نفقور، واندرحت قوته، وكان النصر حليف المسلمين.

١ - الدور اليميني في العصر العباسي، سابق، ٦٠٨.

٢ - نفسه، ٦٠٩.

٣ - الكامل في التاريخ، ٥/٥٣.

معيوف بن يحيى الهمداني

قال عنه المؤرخ محمد حسين الفرخ: "هو القائد اليماني أبو حميد معيوف بن يحيى الحجوري الهمداني، أمير وقائد الغزوات الصيفية إلى أرض الروم، في أعالي تركيا منذ سنة ١٥٣هـ، وفتح جزيرة قبرص مع ابنه حميد بن معيوف سنة ١٩٠هـ".^١

مضيفاً: كانت أولى الغزوات التي قادها إلى أرض الروم في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٣هـ. قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: في سنة ١٥٣هـ غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجوري، فصار إلى حصن من حصون الروم ليلاً وأهله نياماً فسبى وأسر من كان فيه من المقاتلة، ثم صار إلى اللاذقية المحترقة ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبي سوى الرجال البالغين".^٢

العباس بن جعفر الخزاعي

قال عنه المؤرخ الفرخ: هو الأمير اليماني العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي، حفيد الأمير محمد بن الأشعث، والي أفريقيا الشمالية سنة ١٤١-١٤٨هـ، وكان أبوه جعفر بن محمد الأشعث وزير ديوان خاتم الخليفة ببغداد، ثم ولاة الرشيد خراسان سنة ١٧١-١٧٣هـ، ثم استقدمه الرشيد وولى مكانه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، فمكث العباس بخراسان والياً عليها سنة ١٧٣-١٧٥هـ، ثم استقدمه الرشيد إلى العراق.^٣

وفي سنة ١٨٧هـ وجهه الرشيد مع ابنه القاسم بن الرشيد لغزو أرض الروم. قال الطبري: دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم. قال الطبري: دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان ١٨٧هـ، فأناخ على "قرة" وحاصرها، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا، فبعثت إليه الروم تبذل له

١ - الدور اليماني، سابق، ٦١٠.

٢ - تاريخ الرسل والملوك، ٩/٢٨٤. ويعلق الفرخ بقوله: والأصوب أن المدينة التي فتحها معيوف اسمها انطاكية المحترقة.

٣ - الدور اليماني، سابق، ٦١٢.

ثلاثمئة وعشرين رجلا من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم إلى ذلك، ورحل عن قرّة وحصن سنان صلحا.^١

وحين غزا الرشيد عام ١٩٠ هـ أرض الروم كان العباس بن جعفر الخزاعي وأخوه عقبة بن جعفر من كبار قيادات الجيش الإسلامي، وقد وجهه الخليفة هارون الرشيد مع المأمون إلى خراسان سنة ١٩٣ هـ.

عبدالله بن طاهر الخزاعي

هو الأمير اليماني عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، تولى أبوه طاهر بن الحسين الجزيرة الفراتية والموصل وما جاورهما أيام المأمون، فيما بين ١٩٩-٢٠٤ هـ، فاستقدم المأمون واليه طاهر إلى العراق، وولاه جاني بغداد وإمرة الشرطة، واستخلف عبدالله بن طاهر على الجزيرة الفراتية وعاصمتها الرقة، ومكث نائبا لأبيه عليها فيما بين ٢٠٤-٢٠٥ هـ، حتى تم استقدمه نائبا لأبيه في بغداد أشهر معدودة، ليوليه الخليفة بعدها بلاد الجزيرة الفراتية والثغور من جنوب تركيا إلى حدود أرض الروم، وحرر الثغور التي كان الروم قد سيطروا عليها، ثم زاد في بناء مدينة "المصيصة" التي تم بناؤها أيام خلافة أبي جعفر المنصور، واستمر في ولايته إلى العام ٢١٠ هـ.^٢

المهلب بن أبي صفرة الأزدي

قال عنه ابن كثير في تاريخه: أنه غزا بلاد الهند في أيام معاوية بن أبي سفيان عام ٤٤ هـ.^٣

وقال البلاذري عن غزواته في السند والهند: غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة الأزدي في أيام معاوية سنة أربع وأربعين، فأتى المهلب "بنة" و "اللاهوار" وهما ما بين "الملتان" وكابل، فلقى العدو، فقاتلهم ومن معه، وفي غزوة "بنة" يقول الأزدي:

١ - تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٩١.

٢ - الدور اليماني، ٦١٣.

٣ - البداية والنهاية، ابن كثير، ٩/٤٢.

ألم تر أن الأزدي ليلة بُيتوا ببنة كانوا خير جيش المهلب
فأذعنت تلك المناطق للمصالحة وأداء الجزية، ثم مضى إلى بلاد "القيقان" وهي
جنوب غرب باكستان على تخوم إيران.^١

راشد بن عمرو الجديدي

هو الأمير راشد بن عمرو الجديدي الأزدي، كان أميراً قائداً لربع خراسان سنة فيما
بين ٤٢. ٤٤هـ، ثم وفد على معاوية بن أبي سفيان إلى دمشق. قال الحسن بن أحمد
الهمداني: "وفد راشد بن عمرو الجديدي الأزدي إلى معاوية بن أبي سفيان، فاستشرفه،
فأجلسه معه على السرير، وحدثه طويلاً، فلما خرج أتبعه بصره حتى خرج، ثم أقبل
معاوية على من عنده من قريش، فقال: أيسركم أن يكون هذا من قريش؟ قالوا: وما
يسوؤنا من ذلك؟ قال: لو كان من قريش لنازعني الخلافة، وإني له الآن لخائف، وما
الرأي إلا أرمي به نحر العدو، فولاه وأغزاه بلاد السند".^٢ وقد قيل فيه شعرا:

غزا السند ميمون النقية حازم من الأزدي جلدًا للصعاليك رافع
ترى عينه ما لا يرون إذ سما بعيني قطامي خضيب الأشاجع
وإن الجديدي ابن عمرو على الكرى وغب السرى صقر بعلياء واقع

وقد ظل أميراً للسند، واستشهد هناك في إحدى غزواته سنة ٥١هـ.^٣

١ - الدور اليمني في العصر العباسي، ٦١٨. ومنطقة بنة هي "بانو" حالياً في شمال باكستان، والمملتان: مملتان حالياً، وهي في البنجاب الغربية، واللاهوار: لاهور حالياً شمال شرق باكستان على تخوم الهند.

٢ - الإكليل، ٢/٢٨٨.

٣ - الدور اليمني، سابق، ٦١٩.

عبدالرحمن بن الأشعث الكندي

الأمير اليماني عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، من كبار القادة في العراق. عينه الحجاج بأمر من عبد الملك بن مروان على بلاد سجستان ومكران إلى ثغر السند سنة ٧٩هـ. وذكر المسعودي في مروج الذهب أن الحجاج ولاة بلاد سجستان وبست والرحج، فحارب من هنالك من أمم الترك، وهم أنواع، يقال لهم: الغوز والخلج، وحارب من يلي تلك البلاد من ملوك الهند.^١ وقد ظل عليها أميرا وعلى ما يليها، وأذعن له الجميع، دافعين الجزية ومعلنين الولاء حتى تمرد على الأمويين أنفسهم لاحقا في العام ٨٠هـ، فما بعده، ولقب نفسه ناصر المؤمنين، فقمع تمرده وانتهى عام ٨٢هـ.

وقد رافق الشاعرُ أعشى همدان ابن الأشعث في تلك الغزوات والفتوحات، فقال في

ذلك:

ولم تك من حاجتي مكران ولا الغزو فيها ولا المتجر
وُخبرت عنها ولم آتها فما زلت من ذكرها أذعر
بأن الكثير بها جائع وإن القليل بها مقتر
وإن لحى الناس من حرها تطول فتجلم أو تُضفر
وما كان بي من نشاط لها وإني لذو عدة موسر
ولكن بعثت لها كارها وقيل انطلق كالذي يؤمر
هو السيف جرد من غمده فليس عن السيف مستأخر
وقد قيل إنكم عابرون بحرا لها لم يكن يُعبر
إلى السند والهند في أرضهم هم الجن لكنهم أنكر
وما رام غزوا لها قبلنا أكابر عادٍ ولا حمير
ولا رام سابور غزوا لها ولا الشيخ كسى ولا قيصر

١ - مروج الذهب، المسعودي، ٣/١٣٨.

ومن دونها معبر واسعٌ وأجر عظيم لم يؤجر

خالد بن عبدالله القسري

ولاه الخليفة هشام بن عبدالملك بلاد العراق ومشارقتها إلى السند وخراسان وإلى تخوم الصين. وإلى ذلك أشار الشاعر الفرزدق شعرا بقوله:

وما الشمس ضوء المشرقين إذا أنجلت ولكن ضوء المشرقين بخالد
ستعلم ما أثنى عليك إذا انتهت إلى حضرموت جامحات القصائد

وقال فيه أيضا الشاعر جرير:

لقد كان داء بالعراق فما لقوا طبيا شفى أدواءهم مثل خالد
شفاهم بحلم خالط الدين والتقى ورأفة مهدي إلى الحق قاصد
حميت ثغور المسلمين فلم تُضع وما زلت رأسا قائدا وابن قائد
تعد سراويل الحديد مع القنا وشعث النواصي كالضراء الطوارد
وإنك قد أعطيت نصرا على العدا ولقيت صبرا واحتساب المجاهد
إذا جمع الأعداء أمر مكيده لغدر كفاك الله كيد المكايده

وإلى جاني من ذكرنا، فثمة الكثير من الولاة والأمراء والقادة اليمنيين في تلك البلاد الذين نشروا الإسلام فيها لأول مرة، ثم رأسوها بحنكة واقتدار، ومن هؤلاء أيضا منصور بن جمهور الكلبي الذي سميت باسمه مدينة المنصورة عاصمة بلاد السند، وعمرو بن حفص الملقب بـ"هزار مرد" أي ألف رجل، وروح بن حاتم المهلبي، والي الأحواز وبلاد فارس، ونصر بن محمد بن الأشعث والي بلاد السند، وكان قبلها والي فلسطين، والمغيرة بن يزيد بن حاتم، وأخوه داود بن يزيد بن حاتم، وبشر بن داود المهلبي..إلخ.

١ - انظر: الدور اليمني في العصر العباسي، ٦٢٥.

أما ولاية خراسان من اليمنيين فهم: الربيع بن زياد الحارثي وعبدالله بن الربيع الحارثي والمهلب بن أبي صفرة الأزدي ويزيد بن المهلب والمفضل بن المهلب ويزيد بن المهلب والجراح بن عبدالله الحكمي وعبدالرحمن بن نعيم الأزدي وسعيد بن عمرو الحرشي وأسد بن عبدالله القسري وعبد الجبار بن عبدالرحمن الأزدي وأبو عون عبدالملك الأزدي وحميد بن قحطبة الطائي والفضل بن سليمان الطوسي الطائي وجعفر بن محمد الأشعث والعباس بن جعفر الخزاعي والغطريف بن عطاء الجرشي وحمزة بن مالك الخزاعي ومنصور بن يزيد الحميري ومحمد بن الحسن بن قحطبة وطاهر بن الحسين الخزاعي وطلحة بن طاهر الخزاعي وعبدالله بن طاهر الخزاعي وطاهر بن عبدالله بن طاهر الخزاعي ومحمد بن طاهر الخزاعي.. إلخ.^١

١ - انظر ترجمة هؤلاء الأعلام في الدور اليمني في العصر العباسي، للفرح.

اليمنيون في العصر العباسي

الدور اليمني في التمهيد للعصر العباسي

بادئ ذي بدء نستطيع القول أن الدور اليمني في العصر العباسي قد ابتدأ قبل أن يبدأ العصر العباسي نفسه، وذلك بحكم اشتراكهم في الجماعات السرية والعلنية التي ساهمت بقوة في إسقاط الخلافة الأموية من وقت مبكر كما رأينا سابقاً، ومن ثم واصلوا دورهم في الخلافة العباسية، كما كان الأمر سابقاً أيام الأمويين، ومن قبلهم الخلفاء الراشدين والمؤسس الأول للدولة الجديدة.

وما تجدر الإشارة إليه هنا ابتداءً هو علاقة الصحابة والنسب بين العباسيين واليمنيين منذ عبدالمطلب بن هاشم، فقد كان لعبدالمطلب جدة يمنية من كندة، من بني حجر آكل المرار بن الحارث الكندي الحضرمي، وهي أم كلاب بن مرة. قال ابن هشام: "كان العباس بن عبدالمطلب وربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب رجلين تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسئلا: ممن هما؟ قالوا: نحن بنو آكل المرار، يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً".^١

ونستعرض هنا طرفاً من هذا الدور الذي لعبوه، أينما تواجدوا وفي أكثر من مكان، على امتداد جغرافية الخلافة الأموية نفسها، واستطاعوا. مع آخرين أيضاً. تثبيت أركان الدولة الجديدة التي تطلعوا لأن يلقوا ما يستوجبهم لهم الحق الذي قدموه والدور الذي لعبوه بكفاءة واقتدار، فكانوا مع العلويين والعباسيين جنباً إلى جنب ضد بني أمية الذين هضموهم حقهم المستحق كما هضموا آخرين. وقد كان من بين النقباء الاثني عشر

١ - السيرة النبوية، ابن هشام، ٤/٢٥٥.

للدعوة العباسية الجديدة ستة من اليمن. ومن بين نظراء النقباء العشرين ثلاثة عشر يمنيا. كما أن الدور الأبرز الذي لعبه علي بن جديع الكرمانى اليمنى قد حدد مصير المعركة سلفا لصالح العباسيين ضد بنى أمية. يقول المؤرخ الدكتور فاروق عمر: "كان علي بن جديع الأزدي الكرمانى زعيم قبائل الأزدي اليمانية، والمعروف أن كسب ابن الكرمانى للدعوة العباسية كان النقطة الفاصلة التي حددت مصير الثورة، ووضعتها على طريق النجاح".^١

ولا ننسى الإشارة هنا فيما يتعلق بالمناصرة اليمانية للعلويين إلى أن موقفهم ذلك لم يعد أن يكون مجرد مناصرة سياسية لجماعة ما ظلمها بنو عمها، الأمويون، ومن بعدهم العباسيون، ونكلوا بهم وشردوهم وقتلوهم، فتحركت النخوة اليمانية الجامحة، مناصرة هذه الجماعة، كموقف سياسي لا معتقد ديني كما تريد هذه الجماعة أن تسوقه للناس، بأن اليمانيين من قديم الزمان متشيعين لما يسمونه آل البيت..!!

وقد ذكرنا سابقا أن أول راية علنية رُفعت للعباسيين رفعها اليمانيون في مصر ولا يزال حكم بنى أمية قائما. وتلاحقت بعدها الرايات حتى طُويت صفحة بنى أمية للأبد؛ أما المعركة الأم في دمشق العاصمة الأموية فقد كان أبطالها هم اليمانيون، كما ذكر المؤرخ فاروق عمر، بقوله: "كان سقوط الكوفة وواسط والموصل والبصرة ودمشق نتيجة مساعدة القبائل العربية التي انضمت إلى جانب العباسيين، وفي حصار دمشق استغاث عبدالله بن علي العباس بالقبائل اليمانية لتتخلى عن الأمويين، قائلا: إنكم وإخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم دفعتم إلينا مدينة دمشق، وقتلتم الوليد بن معاوية، وأنتم منا، وبكم قوام أمرنا".^٢

١- انظر: الدور اليماني في العصر العباسي، محمد حسين الفرخ، ٩٩.

٢- نفسه، ٧٦. وأيضا الدور اليماني في العصر العباسي، ١٤٩.

الدور اليمني بعد قيام الدولة العباسية

تولى أبو العباس السفاح، أول خليفة عباسي الحكم عام ١٣٢هـ، وكان من ولاته اليمنيين زياد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي على المدينة ومكة واليمامة، ومحمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد المدان الحارثي على اليمن، وسفيان بن معاوية المهلب على البصرة، وأبو عون عبدالمملك بن يزيد الأزدي على مصر، ومحمد بن الأشعث الخزاعي على بلاد فارس أولاً، ثم بلاد المغرب التي ظل فيها من عام ١٣٣ إلى ١٣٧هـ، ومن كبار القادة العسكريين اليمنيين الذي لعبوا أدورا بطولية رائدة في التأسيس للدولة الجديدة القائد اليمني زياد بن صالح الخزاعي، وكان من كبار القادة في ولاية خراسان وما وراء النهر، ومن النقباء الاثني عشر للدولة العباسية، وقد تصدر لمئة ألف جندي صيني بعثهم ملك الصين إلى "فرغانة" إحدى مدن الدولة الإسلامية آنذاك، فتصدى لهم وهزمهم هزيمة منكرة؛ حيث قتل منهم نحو من خمسين ألفاً، وأسر نحو من عشرين ألفاً، ولحق بقيتهم بالصين، وذلك في ذي الحجة، سنة ١٣٣هـ. وقد تأمر على بخارى وسمرقند بعد ذلك. "أوزبكستان حالياً". كما كان أيضاً الأمير محمد بن خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري البجلي اليماني أول أمير للكوفة في العصر العباسي، ثم أمير المدينة المنورة والحجاز ١٤١-١٤٤هـ، وكان أبو جعفر المنصور يسميه سيد اليمن.^٢

قبل ذلك كان مالك بن الهيثم هو الذي حسم المعركة في بلاد خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني ضد نصر بن سيار والي الأمويين، وقد عينه أبو مسلم على شرطته

١- انظر: اليمن في تاريخ ابن خلدون، سابق، ٥٠٤. كان عدد أفراد الجيش العربي الإسلامي بولاية خراسان زهاء ستين ألفاً. بينهم سبعة وأربعون ألفاً عربياً، اليمنيون منهم زهاء اثنين وعشرين ألفاً. ولذا فحين فتحت جرجان بقيادة يزيد بن المهلب، قال الشاعر الطرماح:

وتقدمت أزد العراق ومذحج للموت يجمعها أبوها الأكبر
قحطان تضرب رأس كل مدحج تحمي بصائرهن إذ لا تبصر
٢- الدور اليمني في العصر العباسي، ٢٤٤.

هناك^١ ولدوره فقد كان أبناؤه وأحفاده من بعده ولاة في الدولة العباسية، فكان ابنه نصر بن مالك صاحب الشرطة وأحد نظراء النقباء وقادة الغزوات إلى بلاد الروم، ثم أصبح أميراً للشرطة في بغداد أيام الخليفة المهدي، حتى وفاته، فعين الخليفة أخاه حمزة بدلا عنه، وقد كان قبل ذلك أميراً لسجستان ثم خراسان. وكان عبدالله بن مالك صاحب شرطة بغداد في خلافة الهادي والمهدي والرشيد، وفي سنة ١٨٩هـ ولاة الرشيد طبرستان والري والرويان ودنباوند وقومس وهمدان. وكان ثابت بن نصر بن مالك "الحفيد" أميراً للثغور في جنوب تركيا حتى أيام خلافة الأمين. وكان العباس بن عبدالله بن مالك أميراً للري شمال إيران، وكان محمد بن عبدالله بن مالك والياً للأمين على اليمن فيما بين ١٩٤. ١٩٥هـ. والمطلب بن عبدالله بن مالك أميراً للموصل ثم مصر، وأحمد بن نصر بن حمزة أميراً للكوفة أيام الخليفة المستعين بالله بن محمد بن المعتصم، ٢٤٨. ٢٥٢هـ، ومنصور بن نصر بن حمزة بن مالك أميراً لواسط بالعراق.^٢

وكان من القادة اليمانيين أيام خلافة أبي جعفر المنصور موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي، وقد جمع له الخليفة ولايتين معا، وهما ولاية الجزيرة الفراتية وولاية الموصل.^٣

وفي ذي الحجة ١٣٦هـ ولي الخلافة أبو جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، والمؤسس الحقيقي للدولة الجديدة التي استمر فيها إلى العام ١٥٨هـ، وكعادة من سبقه من خلفاء بني أمية، أو سلفه السابق أبو العباس، فقد كانت اليمانية عمود دولته وركنه الشديد؛ وسبق أن قال لهم: السلطان سلطانكم، والدولة دولتكم، خاصة وقد تزوج ابنة القيل اليمني منصور بن عبدالله الحميري، وولد منها ابنه الخليفة محمد المهدي، وقد قال له أبوه يوصيه: عليك بأهل اليمن والإقبال عليهم بوجهك وبرك، واعرف حقهم فإنهم دعائم النبوة وعدة الإسلام وفي ذلك قال الشاعر الحسن بن هانئ "أبو نواس" مادحا حفيد أبي جعفر:

١- تاريخ الرسل والملوك، سابق، ٩/٨٥..

٢- الدور اليمني في العصر العباسي، سابق، ٣٤٦ فما بعدها.

٣- نفسه، ٣٥١. ومناطق قبيلة خثعم اليوم رداغ من البيضاء، وبيشة وتباله من جبال السراة كما ذكر الهمداني.

وما مثل منصوريك منصور هاشم ومنصور قحطان إذا عد مفخر

فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا وعبد مناف والداك وحمير^١

والواقع أن أبا جعفر نفسه لم يعمل بوصيته هذه هو بنفسه، ناهيك عن ابنه، فقد عين على اليمن معن بن زائدة واليا، وكان من الفجور والظلم بمكان، حتى قيل إنه قتل خمسة عشر ألفا من اليمنيين، وسد أفواه الآبار بالرصاص، ولذا لم تستقر البلاد في عهده، وقد عبر هو بنفسه في إحدى رسائله للخليفة بقوله:

إذا نحن زدنا من عطاء قبيلة لُنْكَفَى أذاها زاد فينا انتقامها

فإن أطماعها نار وإن عطاءنا لهبٌ إذا زاد زاد ضرامها

ويرى المؤرخ الفرخ أن أبا جعفر المنصور لم يضمّر لليمنيين أي شر، بل على العكس من ذلك، كان فخورا بهم، وإنما قصد بمقولته تلك: أسمعني أصوات الخارجين على الحكم. وهو ما كان.

وقد لعب أحد أحفاد الصحابي الجليل جرير البجلي . واسمه جرير بن يزيد . دورا كبيرا في إجهاض انقلاب أبي مسلم الخراساني على الخليفة أبي جعفر المنصور، حيث استطاع إقناعه المثلول بين يدي الخليفة، وقد كان بمنأى عنه، ومن ثم كان الفتك به. قال الطبري: "وجه أبو جعفر المنصور إلى أبي مسلم الخراساني جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، وكان واحد أهل زمانه، فخدعه وردّه"^٢.

ولما مثل أبو مسلم الخراساني بين يدي أبي جعفر المنصور واجهه المنصور بعدة تهم، من بينها قيامه بقتل سليمان بن كثير الخزاعي اليماني، نقيب نقباء الدعوة العباسية بخراسان. قال الطبري: قال أبو حفص: وكان أمير المؤمنين دعا عثمان بن نهيك . العكي اليماني وهو صاحب شرطته . وأربعة من الحرس وقال لهم: إذا ضربت بيدي إحداهما على الأخرى فاضربوا عدو الله، فلما ضرب المنصور بيديه وثبوا على أبي مسلم وقتلوه،

١- نفسه، ٥٠٧. وانظر أيضا: تاريخ الموصل، ٣/٢١٨.

٢- تاريخ الرسل والملوك، ٩/١٦٢.

وذلك لحمس بقين من شعبان سنة ١٣٧هـ^١. وقد كان من رجالات الدولة العباسية إلى وقت متأخر، فقد كان والي البصرة أيام الرشيد حتى توفي وهو أمير عليها عام ١٧٥هـ. ثم تولاهما أيضا مالك بن علي الخزاعي اليماني.

ومن القادة اليمانيين الذين برزوا أيام أبي جعفر المنصور الأمير اليماني عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي الأزدي المهلبي، المعروف بلقب "هزار مرد" وتعني بالفارسية "ألف رجل". قال عنه الأصفهاني: كان من أشد الفرسان وأشجعهم، وولاه الخليفة أبو جعفر المنصور بلاد السند، فحكمها تسع سنين ١٤٢-١٥٢هـ، ثم وُلي بعدها أفريقيا الشمالية. قال البلاذري: ولى أبو جعفر المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي، وهو الذي سمي "هزار مرد" وكان المنصور به معجبا، فدخل أفريقيا، وغزا حتى بلغ أقصى بلاد البربر، وابتنى هناك مدينة سماها العباسية^٢.

وفي العام ١٧٤هـ، قامت ثورة القليل الهيصم بن عبدالرحمن الحميري باليمن أيام حكم هارون الرشيد، الذي اتخذ من جبال حجة حصنا مكينا له، إلا أنه وقع في شرك الخيانة لاحقا في بيشة من تهامة، وتم أسره وسوّقه إلى بغداد، وهناك أعدم^٣. إلخ. كما أن معن بن زائدة نفسه تم قتله على يد محمد بن عمرو بن يزيد الأشباوي وأخيه في دار الإمارة بسجستان، بعد أن لحقه من حضرموت إلى هناك سنة ٥١هـ ثارا لأبيه الذي قتله معن، وقد كان زعيم الإباضية بحضرموت، مع أن الرشيد نفسه كان على علاقة طيبة باليمانية، كون أمه الخيزران بنت عطاء الجرشية من الجرشيين، من بني أسامة، ابن الأزدي، وفي هامش قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون ذكر المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوغ أنها من حمير ثم من خيوان، ويقال إنها من بني الحارث بن كعب من أهل نجران. ولذا فقد كان عبدالله بن مالك الخزاعي اليماني هو صاحب شرطة الرشيد، وأمير الشرطة بالعراق، كما كان عليه سابقا في خلافتي المهدي والهادي، وقد وولاه الرشيد سنة ١٨٩هـ طبرستان

١- انظر: الدور اليماني في العصر العباسي، سابق، ٢٩٥.

٢- انظر: الدور اليماني في العصر العباسي ٥٤٧.

٣- اليمن الأرض والإنسان، الشماحي، ١٠٣.

والري والرويان ودنباوند وقومس وهمذان، وكان معه حين فتح بلاد الروم، وولاه أحد حصونها، وفي العام ١٩٢هـ ولاء اليمن.^١ وكان جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي صاحب ديوان خاتم الخليفة.^٢ كما ولى حميد بن معيوف الهمداني سواحل بحر الشام إلى مصر. كما ولى الرشيد أيضا على الموصل الأمير يحيى بن سعيد الحرشي المذحجي إلا أنه أساء السيرة فيهم، فاستبدله الخليفة بمرثمة بن أعين الحضرمي سنة ١٨٢هـ، واستمر فيها إلى عام ١٩٠هـ.^٣

ومن كبار الأمراء والقادة اليمانيين الأمير رُوح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي اليماني، تولى القيادة في الأهواز وجهات فارس بمشارك العراق ١٣٨-١٤١هـ، ثم في طبرستان بأعالي إيران ١٤٢-١٤٣هـ، وأصبح واليا لبلاد السند ١٥٩-١٦١هـ، ثم واليا للبصرة والكوفة ١٦٥-١٦٨هـ في خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور، ثم تولى فلسطين ١٧٠-١٧١هـ وأفريقيا الشمالية ١٧١-١٧٤هـ في خلافة الرشيد.^٤

وعلى مختلف الاتجاهات، وفي أرجاء بلاد الخلافة كان اليمانيون أبرز رجالاتها وأشهر قادتها، فمن الولاة اليمانيين في العصر العباسي الأول في الحجاز: زياد بن عبيدالله الحارثي، والي الحجاز واليامة فيما بين ١٣٣-١٤١هـ، ومحمد بن خالد القسري، والي المدينة المنورة فيما بين ١٤١-١٤٤هـ، ثم عبدالله بن الربيع الحارثي فيما بين ١٤٥-١٤٦هـ، ثم الهيثم بن معاوية العتكي، والي مكة فيما بين ١٤١-١٤٣هـ، ثم البصرة بعد ذلك، ١٥٥-١٥٦هـ.

١- تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ١٠/٩٧. والدور اليماني في العصر العباسي، سابق، ٢٢١. وهذه الأقاليم من أقاليم شمال إيران.

٢- انظر: قرّة العيون، تحقيق الأكوخ، ١٢٦. والدور اليماني في العصر العباسي ٢٠٦ فما بعدها.

٣- الدور اليماني في العصر العباسي، سابق، ٣٦١.

٤- الدور اليماني في العصر العباسي، سابق، ٢٨٣.

الولاة اليمينيون في العصر العباسي في العراق ومصر

أما الولاة اليمينيون في العراق في العصر العباسي الأول فهم: سفيان بن معاوية المهلبي والي البصرة فيما بين ١٣٢-١٣٣هـ، ثم وليها مرة ثانية فيما بين ١٣٩-١٤٥هـ، ثم يزيد بن منصور الحميري، أمير البصرة فيما بين ١٥٢-١٥٣هـ، ثم الهيثم بن معاوية العتكي عليها فيما بين ١٥٥-١٥٦هـ، ثم روح بن حاتم المهلبي، أمير السند، فوالي البصرة فيما بين ١٦٥-١٦٨هـ، ثم واليا لأرمينية، فأميرا على فلسطين أيام الرشيد، فيما بين ١٧٠-١٧١هـ، ثم جرير بن يزيد البجلي، أمير البصرة، وقد وصف أنه من دهاة عصره، ثم مالك بن علي الخزاعي، والي البصرة، وقائد طريق خراسان في فيما بين ١٨١-١٩٠هـ على أرجح الأقوال، ثم عامر بن إسماعيل المسلي المذحجي والي إقليم واسط بالعراق، وهو الذي قتل آخر خلفاء بني أمية بسيفه، ثم طه بن إسحاق الكندي، أمير الكوفة فيما بين ١٣٦-١٤٧هـ، ثم إسحاق بن الصباح الكندي، والي الكوفة فيما بين ١٥٩-١٦٤هـ، ووليها مرة ثانية فيما بين ١٨٠-١٩٠هـ، ثم مالك بن الهيثم الخزاعي، والي الموصل فيما بين ١٣٨-١٤٥هـ، ثم إسماعيل بن خالد القسري، والي الموصل فيما بين ١٥١-١٥٤هـ، ثم موسى بن كعب الخثعمي، والي الجزيرة وأمير الموصل فيما بين ١٥٥-١٥٨هـ، ثم فيما بين ١٦٦-١٦٧هـ، ثم خالد بن يزيد المهلبي أمير جرجان، ثم أمير الموصل في خلافة هارون الرشيد، ثم المطلب بن عبدالله الخزاعي، والي الموصل فيما بين ١٩٤-١٩٨هـ، ثم ذو اليمينين^١ طاهر بن الحسن الخزاعي، أمير العراق والمشرق فيما بين ١٩٦-٢٠٥هـ، ثم علي بن الحسين الهمداني، أمير الموصل وأذربيجان فيما بين ١٩٨-٢٠٢هـ، ثم السيد بن أنس الأزدي، أمير الموصل وأذربيجان فيما بين ٢٠٢-٢١١هـ، ثم محمد بن حميد الطائي، أمير الموصل وأذربيجان فيما بين ٢١٢-٢١٤هـ.

١ - لقب بذلك لجمعه كلتا يديه على السيف ثم الضرب بهما

وأما الولاة والأمراء والقادة اليمينيون في مصر خلال العصر العباسي الأول فهم: أبو عون عبد الملك الأزدي، أمير مصر فيما بين ١٣٢-١٤١هـ، ثم محمد بن الأشعث الخزاعي، والي مصر ١٤١هـ، ثم أمير أفريقيا فيما بين ١٤٢-١٤٨هـ، ثم حميد بن قحطبة الطائي، والي مصر فيما بين ١٤٢-١٤٣هـ، ثم يزيد بن حاتم المهلي، والي مصر فيما بين ١٤٣-١٥٢هـ، ثم عبدالله بن عبدالرحمن التجيبي، أمير مصر فيما بين ١٥٢-١٥٥هـ، ثم محمد بن عبدالرحمن التجيبي، أمير مصر سنة ١٥٥هـ، ومات في نفس العام، ثم موسى بن علي اللخمي، أمير مصر فيما بين ١٥٥-١٦١هـ، ثم سلمة بن رجاء الكندي، أمير مصر فيما بين ١٦١-١٦٢هـ، ثم يحيى الحرشي، أمير مصر فيما بين ١٦٢-١٦٣هـ، ثم منصور بن يزيد الرعيني، أمير مصر فيما بين ١٦٣-١٦٤هـ، ثم موسى بن مصعب، أمير مصر فيما بين ١٦٧-١٦٨هـ، عسامة المعافري، والي مصر فيما بين ١٦٨-١٦٩هـ، ثم مسلمة بن يحيى البجلي، والي مصر فيما بين ١٧٢-١٧٣هـ، ثم محمد بن زهير الأزدي، والي مصر سنة ١٧٣هـ، ثم داود بن يزيد بن حاتم، أمير أفريقيا فيما بين ١٧٠-١٧١هـ، ووالي مصر فيما بين ١٧٣-١٧٤هـ، ثم هرثمة بن أعين، أمير مصر سنة ١٧٨هـ، ثم الليث بن الفضل، والي مصر فيما بين ١٨٢-١٨٧هـ، ثم مالك بن دهم، والي مصر فيما بين ١٩٢-١٩٣هـ، ثم حاتم بن هرثمة، والي مصر فيما بين ١٩٤-١٩٥هـ، ثم جابر بن الأشعث الطائي، والي مصر فيما بين ١٩٥-١٩٦هـ، ثم المطلب بن عبدالله الخزاعي، والي مصر فيما بين ١٩٨-٢٠٠هـ، ثم سليمان بن غالب البجلي، أمير مصر فيما بين ٢٠١-٢٠٢هـ، ثم عبدالله بن طاهر الخزاعي، والي الجزيرة والشام ومصر فيما بين ٢٠٦-٢١٢هـ، ثم هرثمة بن نصر الجبلي، والي مصر فيما بين ٢٣٣-٢٣٤هـ، ثم حاتم الجبلي، أمير مصر سنة ٢٣٤هـ، ثم عبدالرحمن الخزاعي، والي مصر فيما بين ٢٣٦-٢٣٨هـ.

الدور اليميني في الأندلس

ليس ثمة أمة امتدت شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً بالهجرة والفتوحات والتجارة والتولي كاليمينيين، حيث لم تخل منهم بقعة من بقاع الأرض إلا ودخلوها؛ وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر. كانوا رجالاً دولة وقادة فتوحات، ثم مهاجرين ومعتزين، ولا يزالون في غمرة البحث عن فردوسهم المفقود منذ خراب السد وإلى اليوم؛ لأن استعادة الحضارة ـ أي حضارة ـ لأي أمة ليس بالأمر السهل، خاصة حضارة ضاربة في جذورها في عمق التاريخ القديم، تأمر عليها من يدعون أنهم من أبناء جلدتها قبل غيرهم..

وكما لعب اليمينيون الدور الأبرز في تثبيت أركان الدين الجديد في المدينة، فدمشق، ففارس، فمصر، أيضاً كان لهم نفس الدور في بلاد الأندلس "اسبانيا والبرتغال" بصورة لم تكن لأي شعب من شعوب المنطقة. وستكلم هنا عن هذا الدور الكبير في تلك البلاد التي بلغت حداً لا نظير له من الرقي والتقدم آنذاك.

دور اليمينيين في فتح الأندلس

توارد اليمينيون إلى الأندلس على أكثر من مرحلة ومهمة، وقد كان أول اتصال اليمينيين بالأندلس حين أرسل موسى بن نصير أول حملة بحرية من المغرب إلى الأندلس بقيادة عياش بن أخيل الحميري الذي غزا جزيرة صقلية وعاد محملاً بالغنائم؛ إذ مشى في البحر إلى صقلية، فأصاب مدينة يقال لها سرقوسة فغنمها وجميع ما بها وقفل سالمًا غانمًا^١ وتلتها غزوات أخرى، كان قادتها وأكثر جيشها من اليمينيين الفاتحين، كعبدالله

١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط: ٣، ٩٨٣ م، ١/٤٢.

بن موسى بن نصير، وعبدالله بن حذيفة الأزدي. وحملة استطلاعية أخرى منفصلة عما سبقها سنة ٩١هـ، قوامها أربع سفن بقيادة طريف بن مالك المعافري اليميني، ونزل في إحدى الجزر المهجورة هناك في الأندلس، عرفت لاحقا باسم جزيرة طريف، نسبة إلى اسم القائد اليماني الذي نزلها بجنده لأول مرة، ثم عاد إلى موسى بن نصير، وعلى إثر هذه الحملة الاستطلاعية كانت غزوة طارق بن زيادة بجيشه البالغ سبعة آلاف مقاتل إلى هناك، فيهم العديد من القادة اليمينيين، وخمسة آلاف آخرين بقيادة طريف بن مالك المعافري مددا لمن قبله. وكان النصر في النهاية للجيش العربي الإسلامي بقيادة طارق بن زياد. وفي العام ٩٣هـ دخل الأندلس موسى بن نصير نفسه، على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفا، معظمهم من القبائل اليمينية، وفيهم من القادة اليمينيين الكبار محمد بن أوس الأنصاري وعياش بن أخيل الحميري وحنش بن عبدالله السبئي وعلي بن رباح اللخمي وصبيح اللخمي.^١

وفي "الإمامة والسياسة" يذكر ابن قتيبة الدينوري أن الخليفة سليمان بن عبد الملك سأل موسى بن نصير، قائلاً له: فمن كان من العرب فرسانك؟ قال: حمير.^٢

ويذكر صاحب كتاب "آكام المرجان" أن اليمينيين نزلوا على شواطئ الأندلس الشرقية، وقد أتيح لهم أن يكونوا في آن واحد مقاتلين وزراعا وتجارا.^٣

وكما لعبت قبيلة غافق دورا بارزا في فتح مصر وشمالي أفريقيا، وشكلت ثلث رجال القبائل العربية، البالغ عددها ثلاثة آلاف وخمسمئة رجل في جيش عمرو بن العاص فإنها قد لعبت نفس الدور أيضا في فتح الأندلس؛ حيث التحق بعض أفرادها بجيش موسى بن نصير، وأيضا رجالات من لحم وتجب من حضرموت، وغيرهم، من كبار

١- انظر: جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٨٣م، ٤٣٠. وانظر أيضا: دور اليمينيين السياسي في الأندلس، كارم محمود إسماعيل يوسف، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م، ٤٠.

٢- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٠م، ٢/١١٥.

٣- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، إسحاق بن الحسين المنجم، عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ - ١٦٠.

القادة المعروفين آنذاك، مثل النعمان بن عبدالله بن النعمان الحضرمي. وشاركت أيضا في فتح الأندلس ضمن حملة موسى بن نصير قبيلة مذحج، وكانت بقيادة المنذر اليماني، كما شاركت حمير ببعض أفرادها وقادتها مثل عياش بن أخيل الحميري الذي تولى منصب رئيس الشرطة لموسى بن نصير. وكذا المعافر، سواء في حملة طارق بن زياد بقيادة عبد الملك بن عامر المعافري، أو حملة موسى بن نصير، ومن ضمن قادتها الكبار أبو عبد الرحمن عبدالله بن يزيد المعافري، وأيضا سليمان بن قيس التجيبي وبشر بن قيس التجيبي ويعيش بن عبدالله الأزدي.^١

ولطيب تلك البلاد، ورقة هوائها، واندماج العرب القادمين مع أبناء تلك البلاد فقد بقي أغلبهم فيها، قاطنين مع أهلهم وذويهم، ولم يعد منهم إلا القليل، فنشروا الإسلام، ونشروا معه اللغة العربية بين السكان الأصليين، وعاش الجميع بوثام وانسجام، حتى لقد تسموا بـ "البلديين" "وكان معظم البلديين ينتمون إلى القبائل اليمانية، وقلة منهم كانت تنتمي إلى قبائل أخرى من مَضر وربيعة".^٢

لقد اعتمد الأمويون بالأندلس على اليمانيين القضاعيين في الأمور البحرية في بادئ الأمر، وأنزلوهم في المناطق الساحلية الشرقية، وعهدوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ السواحل، وقد سمي هذا الإقليم بـ "أرش اليمن" أي: أعطيتهم من الأرض، وكانت "بجانة" أهم قاعدة لهم في هذا الإقليم؛ ولذا لقب أهلها بالبحريين. وكان بيت بني الأسود من البيوت البحرية المشهورة في مدينة "بجانة"، وقد ظهر اسم خشخاش ووالده سعيد بن أسود ضمن قادة الأساطيل التي قاتلت "النورمان" في عهد الأمير محمد الأول، وازداد النشاط البحري في عهد الأمير هشام الأول: ١٧٢ - ١٨٠هـ، على الساحل الشرقي للأندلس، وكان قوام هذا النشاط حملات بحرية قام بها جماعات من

١- دور اليمانيين السياسي في الأندلس، سابق، ٤١ فما بعدها. وانظر أيضا: الإمامة والسياسة، ١٤٩. الجدير بالذكر هنا أن نهاية موسى بن نصير وأبنائه - وهم الفاتحون والقادة والولاة في الأندلس - قد لقوا نهاية سيئة من الخليفة سليمان بن عبد الملك، بل يذهب البعض أن موسى مات مقتولا غيلة بتدبير الخليفة نفسه، وهذه من أحابيل السياسية ومسارها الخبيثة.

٢- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، عبد الواحد ذنون طه، دار الرشيد للنشر، بغداد، د. ط، ١٩٨٢م، ٢١٥. وانظر أيضا: دور اليمانيين السياسي في الأندلس، ٥٣.

البحارة والمجاهدين، هاجموا فيها بعض الثغور والجزر القريبة. وقد زاد هذا النشاط أيضاً في عهد الأمير الحكم ١٨٠ - ٢٠٦هـ، حيث ذكرت بعض الروايات؛ بأن الحكم الأول وجه حملتين إلى الجزائر الشرقية عام ١٨٢هـ، وعام ٢٠٠هـ، مع نشاط بحري.^١

ومن أشهر القبائل اليمنية ورجالاتها التي شاركت في الفتح العربي الإسلامي الأزدي، وهم بنو الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومن أبرز قادة هذه القبيلة ورجالاتها يعيش بن عبدالله الأزدي، وغيث الأزدي الذي ثار فيما بعد على عبدالرحمن الداخل سنة ١٧٢هـ، بعد أن فر من المشرق واستقر هناك. واستوطن أبناء هذه القبيلة فيما بعد في غرناطة ثم اشبيلية وجيان.

وإلى جانب الأزدي أيضاً قبيلة غافق من قبيلة عك القحطانية التهامية، واستقروا على طول الطريق المفتوح في كل من الجزيرة الخضراء وشدونة والبيرة وغرناطة؛ بل لقد عُرفت مدنٌ بأسمائهم، مثل مدينة غافق في قرطبة التي استقر فيها أسود بن سليمان بن يعيش الغافقي، والد سليمان بن أسود الذي تولى القضاء للأمير هشام بن عبدالرحمن بن معاوية، وأيضاً قرية الغافقين قرب طليطلة التي استقر فيها دينار بن واقد بن رجاء بن عامر بن مالك الغافقي، أحد من دخل إلى الأندلس مع الفاتحين، وأيضاً "مريانة الغافقين" في شرق اشبيلية، وكلمة مريانة تعني "التبة" وأيضاً حصن غافق الذي استقر فيه سعيد بن سليمان الغافقي وسليمان بن أسود الغافقي.^٢

ومن القبائل اليمنية الأخرى هناك لحم وجدام، واستقروا في أكثر من مكان على امتداد البلاد، وأبناء قبيلة تحيب من مذحج، وكذا المعافر، ومن أشهر رجالات المعافر في هذه الفترة طريف بن مالك المعافري، وعبدالمالك بن عامر المعافري، وأبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المعافري، وثلاثتهم قادة عسكريون بارزون، وتعتبر قبيلة المعافر من أولى

١ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل إبراهيم السامرائي، د. عبد الواحد ذنون طه، د. ناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٠م، ٤٠٨.

٢ - دور اليمنيين السياسي في الأندلس، سابق، ٥٦.

القبائل اليمنية التي استقرت في الأندلس؛ أما حضرموت فكانت أقل القبائل اليمنية مشاركة في فتح الأندلس، وقد ذكر المؤرخون من هؤلاء النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي الذي عاد من هناك مع موسى بن نصير إلى الشام؛ حيث الخليفة سليمان بن عبد الملك، وظل في الشام حتى خلافة هشام بن عبد الملك الذي قابله وسأله حوائجه: فرد عليه: حاجتي أن تردني إلى ثغري، ولا تسألني عن شيء، فأذن له فرجع، واستشهد في أقصى ثغور الأندلس.^١

خولان وهمدان ويحصب ومراد

لعل قبيلة خولان من أشهر القبائل اليمنية التي دخلت الأندلس واستقرت فيها، ومن أشهر قادتها السمح بن مالك الخولاني، والي قرطبة، وأيضا بنو نجيح بن سالم بن أبي مسلم الخولاني، ونسبت بعض الأماكن إلى خولان، ويقول البعض أنها لا تزال تحمل هذا الاسم إلى اليوم مثل قلعة خولان الواقعة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية.

أما عن همدان ورجالها، فقد ذكر ابن حزم أنها سكنت في منطقة "البيرة"^٢، ولهم إقليم هناك عرف باسم إقليم همدان، قريبا من غرناطة إلى الجنوب منها، وأول من سكنها من اليمنيين يزيد بن الشمر الهمداني، كما أن فيها أسرة همدانية عرفت ببني الحديدية، في وادي بيرة هناك.^٣

وفي منطقة "البيرة" هذه نفسها هي التي احتضنت أيضا اليمنيين القادمين من جند الشام بعد ذلك، وحملت بعض مناطقها أسماء يمنية لاحقا، مثل: إقليم ربع اليمن، وإقليم اليمنيين، وجزء أرش اليمن.^٤

وأما عن يحصب فمنهم عبدالرحمن بن طريف اليحصبي الذي تولى قضاء قرطبة في عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وسعيد بن عياض اليحصبي الذي أصبح مسؤولا عن

١- نفسه، ٦٥.

٢- جمهرة أنساب العرب، سابق، ٣٩٧.

٣- دور اليمنيين السياسي في الأندلس، ٨٢.

٤- نفسه، ٩٠.

الشرطة في قرطبة في إمارة هشام بن عبدالرحمن بن معاوية ١٧٢-١٨٠هـ، وغيرها من
أعلام يحصب الذين استقروا في أكثر من منطقة.^١

وعن مراد القبيلة المدحجية المعروفة بشدة بأسها وقوة عزميتها وإصرارها فقد عاشوا
في قرطبة بدرجة رئيسية، وكان لهم حصن غرب قرطبة عُرف بحصن مراد، ومنها تفرقوا
في اشبيلية واستجة وسرقسطة وغيرها.^٢

وهناك أيضا العديد من القبائل اليمينية الأخرى التي شاركت في الفتوحات واستقرت
هناك، في أكثر من مدينة، وكان لها دور إيجابي لاحقا في تثبيت أركان الدولة الجديدة
والحفاظ عليها، سواء اليمينيون القادمون من الجزيرة العربية أم القادمون من الشام، من
القبائل التي كانت قد هاجرت إلى بلاد الشام أثناء فترة صدر الإسلام وبقيت هناك،
ومن هذه القبائل، المعافر وجدام وكلب وغسان ولخم وحمير وذو الكلاع وإلهان وكلب
وحضرموت والصدف ويحصب وشعبان وذو أصبح وذو رعين وغيرها.

١- نفسه، ٧٧.

٢- نفسه، ٧٠.

الدور السياسي لليمنيين في الأندلس

كمال أسلفنا سابقا، إلى جانب الدور الإيجابي الكبير الذي لعبه اليمنيون في جانب الفتوحات الإسلامية العربية في بلاد الأندلس، كان لهم أيضا دور سياسي بارز وكبير على أكثر من صعيد. ففيما بين ٩٥. ١٣٨ هـ وهو عصر الولاة في الأندلس حكم الأندلس واحد وعشرون واليا من المسلمين، منهم تسعة ولاة يمنيين أو من أصول يمنية، كانوا أكفأ من حكمها وسير شؤونها، وهم: عبدالعزيز بن موسى بن نصير البلوي، وأيوب بن حبيب اللخمي، والسمح بن مالك الخولاني، وعبدالرحمن بن عبدالله الغافقي "تولى الأندلس مرتين" وعنبسة بن سحيم الكلبي، ويحيى بن سلمة الكلبي، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي، وثعلبة بن سلامة العاملي، وأبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي.

وقد سجل المؤرخون بطولات السمع بن مالك منذ الوهلة الأولى حتى خر شهيدا في موقعة "تلوزة" التي كانت من أكبر المواقع الحربية بين العرب المسلمين من جهة، وجيش "أكيتانية" من فرنسا حينها من جهة أخرى، فكان السمع بن مالك يظهر في كل مكان وسيفه ينطفئ دما، وهو يشدد على عساكره بقوله وفعله، مرددا: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم). حتى أصابته طعنة خرّ على إثرها صريعا عن جواده، وأصيب المسلمون بنكسة كبرى، انسحبوا على إثرها من المعركة، وخسروا فيها كثيرا من الجنود والفرسان، ولم يجمع شتات العرب المسلمين بعدها إلا القائد اليماني العظيم عبدالرحمن الغافقي^١.

وتجمع الروايات على الثناء على عبدالرحمن الغافقي الأزدي اليماني؛ بل تذهب بعضها إلى القول بأنه أعظم ولاة الأندلس أجمعين، وأكثرهم فضيلة، وأشدّهم إخلاصا في القيام بما تفرضه الأندلس على واليها من الواجبات، والواقع أن تلك المصادر لم تتباغ في ذلك

١ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، الأمير شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت، ٧١.

كثيرا، فقد كان عبدالرحمن - في واقع الأمر - منظما قادرا، وجنديا باسلا، وربما شاركه في إحدى هاتين الصفتين بعض من سبقه من ولاة الأندلس، مثل السمح بن مالك أو عنبسة بن سحيم، ولكنه يمتاز عن هذين وغيرهما بأنه كان سليما من نزعة العصبية التي أفسدت على معظم هؤلاء الحكام أعمالهم. وقد كان الرجل من غافق، إحدى بطون كهلان اليمانية.^١ كما كان رجلا صارما عادلا، محببا في جنده، لنزاهته، ولعدم رغبته في حطام الدنيا لنفسه، وكان أيضا محل احترام صلحاء المسلمين، لمعرفته بالحديث النبوي، ومصاحبته لأحد أولاد الخليفة عمر.^٢

١ - فجر الأندلس، د. حسين مؤنس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٨٥م، ١٥٥.
٢ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ٨٤.

الثورات اليمانية في الأندلس

حين انتهى حكم بني أمية ووفد عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس في العام ١٣٨ هـ بعد ما يقارب ست سنوات من التخفي والتنقل كان اليمانيون أول من بايعوه أميراً على الأندلس، نكاية بالوالي الذي اختلفوا معه وهو الصميل بن حاتم، المناوئ لليمانية القحطانية والمتعصب مع القيسية، ولما بايعه اليمانيون استطاع أن يقلب موازين الحكم هناك ويثبت أركانه بقوة؛ حيث بايعه اليمانيون من أهل رية بعد أن استقبلوه ومعهم الزعيم اليماني جدار بن مسلم بن عمرو المذحجي، قائد جند الأردن هناك. ومنها تقدم نحو "شدونة" وفيها استقبله كبار القادة اليمانيين مثل غياث بن علقمة اللخمي حاكم المنطقة وأبو علفة الجذامي وزيايد بن عمرو الجذامي، ومعهم جميع اليمانيين. ومن شدونة تقدم نحو اشبيلية ذات الأغلبية الشامية واليمانية وبايعه كبار القوم من اليمانيين مثل أبي الصباح اليحصبي وحيوة بن ملامس الحضرمي وغيرهم. وقد دارت المعركة الحاسمة بين عبد الرحمن الداخل وأغلب رجاله من اليمن، والصميل بن حاتم وأغلب رجاله من القيسية، فانتصر الداخل عليه وقتل أبرز قادة جيشه، وفر الصميل معترفاً بالهزيمة، وبمسالة اليمانيين الذين رجحوا كفة النصر، منشداً:

ألا إن مالي عند طيء وديعة ولا بد يوماً أن تُرد الودائع

سلوا يمنا عن فعل رحمي ومنجلي فإن سكنوا أثنت علي الوقائع

ولذا فقد فكر اليمانيون باغتيال عبدالرحمن الداخل عقب انتصارهم على الصميل بن حاتم، كونهم رجالاً النصر، ويذكر المقرئ في نفح الطيب أن أبا الصباح رئيس اليمانية قد دعاهم إلى التخلص من عبدالرحمن الداخل، قائلاً لهم: يا معشر يمن هل لكم إلى فتحين في يوم، فقد فرغنا من يوسف والصميل، فلنقتل هذا الفتى ابن معاوية فيصير لنا

الأمر.. إلا أن ذلك لم يتم وانكشف السر، وأسرها الفتى الأموي في نفسه، إلى أن اغتال ابن الصباح بعد أعوام، ولهذا السبب فقد عين عبدالرحمن الداخل عبد الرحمن بن نعيم الكلبي اليمني قائدا لشروطته، ليأمن غوائله، وغوائل قبيلته، كما عين أيضا بعد ذلك أبا الصباح اليحصبي حاكما على اشبيلية، وعين رزق بن النعمان الغساني اليمني حاكما على الجزيرة الخضراء. وخطب خطبته الأولى في المسجد الجامع في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ، واعد الناس أنه سيحكم بينهم بالعدل، الأمر الذي يجعل اليمنيين يتخلون عن فكرتهم ويبيعونه^١.

ثورة رزق بن النعمان الغساني

ولم تدم العلاقة طيبة كثيرا، إذ سرعان ما ساءت العلاقة بين الأمير الجديد عبدالرحمن الداخل وبين اليمنيين بعد أن بدأت قوته تتعاضم وبعد أن بدأ يبني حاشية موازية أو شبه موازية لقوة اليمنيين هناك ممن لحقه من بني عمه الأمويين الذين أفلتوا من قبضة العباسيين ومن مواليهم، فامتعض منه اليمنيون، وبدأت الاضطرابات والقتال تعم البلاد، فقد قام رزق بن النعمان الغساني بثورة ضده سنة ١٤٣هـ بعد أن حاول الأمير عزله عن ولاية الجزيرة الخضراء وتعيين آخر مكانه، فطرد رزق بن النعمان الحاكم الجديد، وأعلن تمرده على الأمير، بل وزحف بجنده اليمنيين الموالين له إلى كورة شذونة القريبة من الجزيرة الخضراء واستولى عليها، ثم سار إلى اشبيلية تسانده القبائل اليمنية واستولى عليها، إلا أن الأمير حاصرها بجنده حتى استولى عليها، وهزم "رزق" بعد أن سلمه أهل اشبيلية للأمير تقريبا إليه^٢.

١ - نفسه، ٦٨٦. أما يوسف الفهري فقد قتله أحد اليمنيين لاحقا سنة ١٤١هـ - وسلم راسه لعبدالرحمن الداخل، وأما الصميل ابن حاتم فقد مات مخنوقا أيضا في نفس السنة.
٢ - الكامل في التاريخ، سابق، ٥/١٣٦.

ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي

كان من كبار القادة العسكريين، نزل أولا في باجة جنوب البرتغال حاليا، وكانت له اتصالاته مع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الخصم القوي للأمير الأموي عبدالرحمن الداخل عن طريق والي العباسيين في أفريقيا محمد بن الأشعث المخزومي الذي زاره سنة ١٤٥هـ وقامت ثورته في العام التالي لها، أي سنة ١٤٦هـ، واستطاع أن يضم إليه اليمينيين المستائين من تصرفات الأمير، وكان على رأس هؤلاء واسط بن مغيث الطائي وأميرة بن قطن الفهري، وقد خطب في باجة الجمعة لأبي جعفر المنصور ورفع راية العباسيين السوداء على رمح، معلنا خروج عبدالرحمن الداخل على الخلافة الإسلامية العباسية في بغداد وتمرده عليها، ومخالفته لإجماع المسلمين، وكاد حقا أن يعمل على إسقاط الأمير الأموي في الأندلس، خاصة وقد آزر العلاء بن مغيث زعيم يمني آخر هو غياث بن علقمة اللخمي الذي خرج من شدونة ومعه عدد من اليمينيين لمؤازرة العلاء إلا أن الخليفة صالحه وعاد إلى شدونة؛ أما العلاء فلم يرضخ لأي مفاوضات وواصل سيره باتجاه "قرمونة" التي يقيم فيها الأمير، وحاصرها لمدة شهرين إلا أنه لم يستطع اقتحامها، وبعد مضي هذه المدة تملل الثوار من صفوف العلاء بن مغيث اليحصبي، وغادر البعض مواقعهم، الأمر الذي جعل عبدالرحمن الداخل يستغل هذا التراجع ويخرج على رأس سبعمئة فارس وآخرون من المشاة، فواجه جيش العلاء، كما أحكم عليهم الطوق أيضا من خلفهم مولاه بدر بجيش كبير، وهنا كانت الهزيمة النكراء والقضاء على ثورة اليحصبي وقتله وقتل ما يزيد عن ستة آلاف رجل من أتباعه، ويقال أنه أول من رفع راية العصيان في الأندلس على عبدالرحمن الداخل.^١

١ - أنظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، سابق، ١١٤. وتذكر المصادر أن عبدالرحمن الداخل قد قطع رأس اليحصبي ورؤوسا كثير من أتباعه الكبار، وحُملت إلى قرطبة، وأفرغ ما فيها، ثم حشيت بالملح والكافور لحفظها، وخرمت آذانها، وعلقت عليها أوراق فيها اسم كل واحد منهم، وتم إرسالها بعد ذلك إلى القيروان في المغرب، وقد أحدثت فرعا في قلوب الناس، واستاء من ذلك الخليفة أبو جعفر المنصور كثيرا، وقال: الحمد لله الذي جعل البحر بيننا.

ثورة سعيد اليحصبي المطري

كان من الطبيعي بعد أن حصل من القسوة في التعامل مع ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي أن تحدث ردة فعل عكسية لها تجاه الأمير الأموي عبدالرحمن الداخل، المتطلع للحكم والسيادة في بلاد الأندلس، فكانت ثورة سعيد اليحصبي المطري سنة ١٤٨هـ، في مدينة "بلبة" جنوب غرب الأندلس، بعد أقل من ثلاث سنوات على ثورة العلاء اليحصبي قبله، إذ أن حاسة الثأر لدى اليمينيين قوية، خاصة وقد أعقب الثورة السابقة كثير من التصرفات الهوجاء من قبل الأمير، الأمر الذي جعل اليمينيين يستعيدون أنفاسهم ويستجمعون قوتهم من جديد. وكان على رأس المنضمين إليه زعيم قبيلة يحصب هناك خليفة بن مروان اليحصبي وكثير من اليمينيين، فصحبهم جميعا وتوجه إلى اشبيلية واستولى عليها، ثم انضم إليه زعيم قبيلة ذي الكلاع اليمينية مسلم بن معاوية الكلاعي، وما يسر لهم سرعة الاستيلاء عليها أن أغلب اليمينيين كانوا قد استقروا فيها وسيطروا عليها من وقت مبكر. وما قوى خطر هذه الثورة على الأمير عبدالرحمن هو وعد غياث بن علقمة اللخمي زعيم اليمينيين في شذونة بمساندة سعيد اليحصبي إذا ما هاجمه الأمير، كما وعده آخرون أيضا من رؤوس اليمانية هناك، فتحصن اليحصبي في قلعة "زاعوق" في اشبيلية، وهناك هاجمه الأمير عبدالرحمن الداخل، وأطبق عليه الحصار، وحين علم بمدد غياث بن علقمة اللخمي قطعه عليه، وكانت معركة قوية هناك حتى قتل اليحصبي مع سالم بن معاوية الكلاعي اليميني واحتز الأمير رأس اليحصبي وعلقه على رمح، وقد اتخذ اليمينيون الذين تبقوا في الحصن خليفة بن مروان اليحصبي زعيما لهم عوضا عن سعيد الذي قتل، ولم يستسلموا، واستمرت المعركة، حتى انتصر الأمير مؤخرا عليهم بعد محاصرتهم من جديد. وعلى الفور قامت انتفاضة أخرى في مدينة جيان تبنتها قبيلة أسد

اليمنية التي استشارها ما حصل لإخوانهم، بزعامة عبدالله بن خراشة الأسدي، إلا أنها لم تتمكن من إحراز أي نصر يذكر، وسرعان ما صالحهم الأمير^١.

ثورة أبي الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي

كان أبو الصباح من أوائل من نادى بسرعة التخلص من الأمير عبدالرحمن الداخل، رغم أنه من أول المبايعين والداعمين له أمام معارضة يوسف الفهري والصميل بن حاتم، إلا أن ذلك ما لم يكن، فمال إلى مصالحته، ومال الأمير إلى مهادثته بعد أن علم بالدعوة وأسرها في نفسه، لمكانة أبي الصباح بين قومه، ولقوته الكبيرة هناك. ولم يسبق لأبي الصباح أن يشترك في أي ثورة يمنية ضد الأمير قبل هذا اليوم، لكن ذلك لم يكف وحده، فلا يزال قلب الأمير يشتعل حقدا عليه، ولم ينس له دعوته السابقة، فعزله عام ١٤٩ هـ عن ولاية اشبيلية، وعين بدلا عنه قريبه عبدالملك بن عمر المرواني، ذلك أن ثقة الأمير باليمنيين قد تلاشت، وخاصة قبيلة يحصب الذين ثار منهم اثنان قبل ذلك.

وقد عارض أبو الصباح قرار العزل، داعيا اليمنيين إلى الانتفاضة على الأمير، وحشد حوله حشودا كبيرة أكبر من حشود الثورات اليمنية السابقة، الأمر الذي جعل الأمير يعرض عن المواجهة، ويلجأ إلى فكرة المصالحة، داعيا الأمير اليمني لزيارته إلى قرطبة بعد أن أوفد إليه أحد مواليه وبصحبته عهد أمان له. وذهب أبو الصباح إلى قرطبة العاصمة، يصحبه أربعمئة فارس من أتباعه، ورغم ذلك إلا أن النية كانت مبيتة للغدر والقتل "فما أن دخل أبو الصباح قصر الأمير، تاركا فرسانه على بابه بأمر من الأمير نفسه، حتى قام عبد الرحمن بمعاتبته، وأغلظ له القول وتهدده، فرد عليه أبو الصباح بغلظة كذلك، وعندئذ طلب الأمير خنجرا من جارية له سوداء، وحاول قتل أبي الصباح بيده، فلم يفلح لشدة المقاومة، فأمر الأمير فتيان القصر، فأوثقوه، ثم طعنه في أوداجه بالخنجر حتى وهنت

١ - الكامل في التاريخ، سابق، ٥/١٨٧.

قواه، ثم أمر فتيانه بالإجهاز عليه، وبعد ذلك لفه في رداء صوف، ونحاه جانبا، وأمر بإزالة آثار دمه، ثم استدعى وزراءه لاستشارتهم في قتله، موها إياهم أن أبا الصباح مسجون عنده، فلم يشر أحد منهم بالقتل، وقالوا له: إن بالباب أربعمئة فارس من قومه، وجند الأمير غائب، ولا نأمن أن يحدث من جراء ذلك بلاء. وشذ عن هذا الرأي وزيره وابن عمه عبدالملك بن عمر المرواني الذي أشار بقتله، وعندئذ أخبرهم الأمير بأنه قتله، وأمر بإخراج رأسه إلى أولئك الفرسان الذين كانوا ينتظرون زعيمهم بالباب، ونادى منادٍ أن أبا الصباح قد قتل، فمن أراد أن يعود إلى بلده فليعد وله الأمان، فافترقوا ولم يحدث شيء.. ولعل موقف فرسان أبي الصباح السلي كان سببه شدة الوقعة وتأثيرها المفاجئ على نفوسهم، وعدم وجود قائد محنك يقودهم ويقوي من عزيمتهم ويدفعهم إلى الانتقام.^١

وقد كان لمقتل أبي الصباح أثر بالغ على القبائل اليمانية في غرب الأندلس، لأنه كان سيد عرب هذه المناطق، وكان أقرباؤه زعماء لكور متعددة فيها، فازدادت نقيمتهم على عبد الرحمن، وتحينوا الفرص للثورة عليه. وقد سنحت لهم الفرصة في سنة ١٥٦ هـ/ ٧٧٢ م. عندما كان الأمير مشغولاً بالقضاء على إحدى ثورات البربر في وسط البلاد، فثار اليمانيون في إشبيلية ولبلة وباجة بقيادة حيوة بن ملامس الحضرمي، وعبد الغفار اليحصبي، وانضم إلى الثورة أيضاً كل من عمر بن طالوت اليحصبي وكلثوم بن يحصب، وقصدوا جميعاً قرطبة. ومما زاد في خطر هذه الثورة انضمام العديد من البربر المؤيدين لليمانيين في المنطقة إليها. وقد سارع عبد الرحمن للقضاء عليها وإخمادها، واستخدم أسلوب التفريق بين البربر واليمانيين، مستعيناً بمواليه من البربر مثل بني "خليع" وبني "وانسوس" وغيرها؛ فداخل هؤلاء بني جلدتهم في معسكر الثوار، وأقنعوهم بالتخلي عن زعماء الثورة والانضمام إلى عبد الرحمن الذي وعدهم بالعطاء وضمهم إلى الديوان. وفي

١ - دور اليمانيين السياسي في الأندلس، سابق، ١٨٢. وانظر: البيان المغرب لابن عذارى ٢/٥٤.

المعركة التي وقعت فيما بعد بين الطرفين تحلى البربر عن حلفائهم اليمنيين، وانضموا إلى جيش عبد الرحمن، ف وقعت الهزيمة على الثوار وقتل معظم قادتهم^١.

ثورة حيوة بن ملامس الحضرمي

يشبه موقف حيوة بن ملامس الحضرمي موقف أبي الصباح اليحصبي؛ حيث كان من أوائل من وقفوا مع عبدالرحمن الداخل في البداية وقاتلوا معه باستبسال وشجاعة، وكان من أقرب الناس إلى قلب الأمير الذي مدحه شعرا يوما ما، وقال فيه:

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حيوة بن ملامس
أخو السيف قاري الضيف حقا يراها عليه ونافي الضيم عن كل بائس

ومع هذا إلا أن الحياة لا تدوم على حال واحدة، وخاصة ما اتصل منها بشؤون السياسة والحكم، فلها أحول، وللأحوال أهوال.

كان تعامل عبدالرحمن الداخل قاسيا مع اليمنيين الذين وفوا معه وضحوا وقاتلوا حتى وطدوا أركان حكمه، حتى مال عنهم وقرب بدلا عنه أقاربه الذين جلبهم بعد ذلك من المشرق، ولما رأى الأمير حيوة ما فعله بسابقه من بني عمومته هناك، استاء منه، معلنا ثورته عليه عام ١٥٦ هـ في اشبيلية، ومعه عبدالغفار اليحصبي، زعيم لبلة، وأيضا عمرو بن طالوت اليحصبي وكلثم بن يصب، وثلاثتهم أبناء عمومة أبي الصباح، كما انضم إليهم أيضا عبدالواحد بن سويد الكلاعي، زعيم قبيلة ذي الكلاع اليمنية هناك، الذين أثروا على البربر معهم وحالفوهم الثورة ضد الأمير^٢.

"لقد قام هؤلاء الزعماء اليمنيون بثورتهم تحت شعار المطالبة بدم أبي الصباح اليحصبي، وكانوا يهدفون إلى تحقيق هذا الطلب، وإلى السيطرة على الحكم في نهاية

١ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، سابق، ١١٥.

٢ - نفسه، ١٨٥.

المطاف. وقد بدؤوا ثورتهم بالسيطرة على المناطق الواقعة في غرب الأندلس، والمناطق المحيطة بقرطبة، فقد تمكن حيوة من بسط سيطرته على اشبيلية واستجة وعدد من المناطق الواقعة في الغرب، وتمكن عبدالغفار من السيطرة على المناطق المجاورة لقرطبة، ومن ثم اجتمع الثائرون، وساروا نحو قرطبة، مطالبين بدم زعيم اليمينيين أبي الصباح، ومنتهزين فرصة غياب الأمير عبدالرحمن عن قرطبة؛ حيث كان قد خرج لمواجهة ثورة خطيرة اندلعت شمال شرق الأندلس، قام بها البربر، بزعامة رجل منهم من قبيلة مكناسة، يدعى: شقنا..^١.

وحين علم الأمير بأمر الثورة اليمينية ترك خروجه للبربر وعاد نحو قرطبة، مجهزا ابن عمه عبدالملك بن عمر المرواني على رأس حملة عسكرية لمواجهة الثائرين عليه، فيما بقي الأمير من ورائه يمدده بالجند بين فينة وأخرى، وجرت معارك طاحنة جرح فيه عبدالملك نفسه، وتابع الأمير بنفسه سير المعركة بعد ذلك، وقام بمراسلة البربر الملتحقين بالقبائل اليمينية عن طريق البربر المواليين له داخل جيشه، وأقنعهم أن انتصار اليمينيين سيكون على حساب البربر أيضا الذين سينكلون بهم، واعدوا إياهم بالأعطيات والامتيازات الرفيعة بعد الانتصار، فتم إقناع البربر بذلك سرا، وفي اليوم الأخير من المعركة الحاسمة، دبر البربر لليمنيين مكيدة أنهم لن يستطيعوا القتال معهم إلا على ظهور الجياد الأصيلة، ما لم فسيتخلون عنهم، فاضطر اليمينيون إلى إعطائهم الجياد الأصيلة، وما أن بدأت المعركة حتى انضم البربر بعدتهم وعتادهم إلى جيش عبدالرحمن، والتفتوا إلى اليمينيين مقاتلين إياهم، حتى انهزم اليمينيون، وقتل قائد ثورتهم حيوة بن ملامس الحضرمي، وقتل بعد ذلك بعض الرموز الذين كان قد اشتبه بهم في قرطبة وزج بهم السجن، ثم سار إلى اشبيلية على رأس جيشه وحرسه وقتل عددا من أهلها ممن ناصروا الثوار اليمينيين ومالأمهم على ذلك. ومن هنا ترك عبدالرحمن كل اعتماده على عرب الأندلس، مستبدلا العبيد والموالي بهم، وكانوا أربعين ألفا.^٢

١ - نفسه، ١٨٦. وانظر: البيان المغرب لابن عذارى ٢/٥١.

٢ - الكامل لابن الأثير، سابق، ٥/١٩٧.

ثورة سليمان بن يقظان الكلبى

بينما كان الأمير عبدالرحمن الداخل مشغولاً بأهل اشبيلية والانتقام منهم لمساندتهم حيوة بن ملامس الحضرمي استغل سليمان بن يقظان الفرصة لإعلان ثورة أخرى سنة ١٥٧هـ في سرقسطة، وقد جمع إلى جانبه الكثير من اليمينيين، أهمهم الحسين بن يحيى الأنصاري، ففزع الأمير لهذه الثورة، واكتفى بما قد صنع بالاشبيليين، معلناً مواجهتها؛ فأعد حملة عسكرية، أسند قيادتها إلى ثعلبة بن عبيد الجذامي، واتجهت إلى سرقسطة، ودار القتال أياماً، صمد فيها الثوار اليمينيون، ودخلوا في هدنة، خرقتها سليمان بن يقظان وقبض على ثعلبة، وسيطر الثوار على المدينة، غير مكتفين بذلك، بل لقد دعا الثوار الفرنجة لغزو الأندلس والقضاء على خصمهم عبدالرحمن الداخل، وفعلاً حضر شارلمان بجنوده لتسلم مدينة سرقسطة أولاً ثم الزحف إلى قرطبة إلا أنهم رفضوا ذلك مؤخراً بعد أن تدارسوا أمر استدعاء الفرنجة الذين يتطلعون لابتلاع الجميع ولن يسلم من فتكهم أحد. وعادت جيوش شارلمان كسيرة عقب اندلاع ثورة عليه في بلاده من القبائل السكسونية، ومعه سليمان بن يقظان الذي اتهمه بالغدر والخيانة، إلا أن أهل سرقسطة قد هجموا على مؤخرة جيش شارلمان وأنقذوا حياة سليمان والعودة به سالماً.

وظلت الأمور غير مستقرة وعبدالرحمن الداخل غير مطمئن للجميع فأحدث فتنة بين اليمينيين أنفسهم، إذ أوعز إلى الحسين بن يحيى الأنصاري باغتيال سليمان بن يقظان، مستغلاً خلاف الزعامة الحاصل بينهما، مقابل توليه على سرقسطة، وقد تم ذلك، إذ دبر الحسين بن يحيى من يغتال سليمان في المسجد الجامع أثناء صلاة الجمعة سنة ١٦٤هـ، وعقب قتله قدم إليها عبدالرحمن بنفسه، وولى عليها الحسين بن يحيى بعد أخذ ابنه رهينة لديه. وعقب عودة الأمير إلى قرطبة تبعه عيشون بن سليمان بن يقظان بقصد اغتياله، ومنتكراً بطلب مقابلة الأمير بقصد إسدائه النصح، فقبل الأمير ذلك،

وطلب الحرس منه عدم الاقتراب من الأمير، فطعن أحدهم بخنجر مسموم كان قد خبأه وحاول الهرب إلا أنهم أمسكوه وقتلوه.

ورغم تولية الداخل للحسين الأنصاري سرقسطة إلا أن حاسة الثأر لم تنم لديه، فقد أعلن ثورته على الأمير ومحاوله انفصال إمارته عن قرطبة والاستقلال بها، وأرسل عليه الأمير حملة قضت على تمرده، وقبضت عليه وتم إعدامه!!.

وكانت هذه الثورة هي خاتمة الثورات والانتفاضات التي قام بها اليمينيون في الأندلس، ذلك لأن اليمينيين كانوا يرون أنفسهم أنهم صاحب اليد الطولى التي تثبتت ملك عبدالرحمن الداخل في الأندلس، ولولا استبسالهم وإخلاصهم معه ما قامت له دولة هناك، وبالتالي فقد كان يجب أن ينالوا حقهم من التقدير والمشاركة في الحكم، لا أن يتم تهميشهم أو التنكر لجميلهم في الوقت الذي كان يرى الداخل أن تفرد اليمينيين وحدهم بالمناصب قد يخل بمعادلة الدولة الوليدة التي ينشدها، فأفرط في القمع، وأفرط اليمينيون في الثورات.^١

وقد كان صراع القيسية واليمانية منذ وقت مبكر على تأسيس الإمارة الإسلامية في الأندلس أحد العوامل التي أدت في النهاية إلى سقوط دولة الأندلس الإسلامية، وعملت على زعزعة استقرارها خلال فترة التأسيس فما بعدها.

١ - دور اليمينيين السياسي في الأندلس، سابق، ١٨٩ فما بعدها.

المنصور بن أبي عامر المعافري

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري "الحجرية اليوم بتعز" جدّه من الداخلين الفاتحين الأوائل، وكان من الأبطال الشجعان والقادة الكبار الذين دخلوا الأندلس. وقصة المنصور في نجاحه من القصص التي تلفت الانتباه وتستدعي التأمل.

درس القرآن وعلوم الفقه والحساب والتفسير في الجزيرة الخضراء - دسكرة اليمينين آنذاك - على يد والده، ثم انتقل إلى قرطبة، ودرس على يد مشائخها وعلمائها، وفيها بان تميزه وظهر نبوغه.

في مطلع شبابه افتتح مكتبًا بجوار قصر الخلافة لكتابة الشكاوى المرفوعة للخليفة الأموي، وذلك للإئناق على تعليمه بقرطبة، وهذا العمل الصغير مكنه من الاتصال بأهل القصر من الخدم والحراس وغيرهم والذين نقلوا أخباره إلى سادة القصر خاصة السيدة "صبح البشكنسية" أم ولي العهد "هشام المؤيد" فعهدت إليه بعدة وظائف كتابية، وهذا مهد له السبيل لأن يتصل بالخليفة الحكم بن عبد الرحمن الذي أسند إليه مهمة الإشراف على أملاك ولي العهد "هشام" ثم إدارة الخزانة العامة ودار الموارث وغيرها من المناصب الهامة لما رأى منه عزمًا وطموحًا وتفانيًا في العمل، وكان عمر المنصور وقتها لم يتجاوز السابعة والعشرين، فلقب "بفتى الدولة".

ظل المنصور مضطلعًا بالمناصب الهامة والأعمال الجسيمة في الدولة، والقلوب حوله مؤتلفة، ولكنه قام بعمل كان هو الأعظم في هذه المرحلة من حياته؛ حيث استطاع - بقوة عزمه وسرعة تصرفه - أن يقضي على مؤامرة دُبرت من جانب بعض الصقالبة الموالي بالتعاون مع بعض الأمويين؛ وكانت تهدف إلى قتل الخليفة الجديد "هشام المؤيد"

وتعيين عمه "المغيرة" وذلك سنة ٣٦٦هـ، فحفظ بذلك دولة الخلافة من السقوط في دائرة الصراعات الداخلية التي عادة تعصف بأساس أي ملك ثابت مهما كانت قوته وثباته.

زادت مكانة المنصور بن أبي عامر في الأندلس بعد دوره الرائع في إنقاذ الخلافة من غائلة الصراعات والخلافات الداخلية، فقام الخليفة "هشام المؤيد" بتعيينه وزيراً للدولة الأندلسية، وأصبحت مسؤوليات المنصور بن أبي عامر أعظم مما سبق بكثير، وهذا جعله يفكر ملياً في وضع الأندلس، ويحاول خدمة دولة الإسلام بها، وذلك بعد أن اتضح له عدة أمور، منها:

أولاً: ضعف شخصية الخليفة الجديد "هشام المؤيد" وعدم صلاحيته لهذا المنصب الخطير، خاصة أنه صغير السن، مشغول باللهو واللعب مع أقرانه.

ثانياً: زيادة الأخطار المحدقة بالمسلمين والآتية من ناحية الشمال؛ حيث اسبانيا النصرانية، خاصة بعد أن تنفسوا الصعداء بموت الخليفة القوي "عبد الرحمن الناصر" الذي خضد شوكتهم سنوات كثيرة.

ثالثاً: ظهور بوادر لانقسامات داخلية خطيرة في دولة الإسلام بالأندلس؛ وذلك لزيادة العصبية القبلية، وكثرة الطامعين من ولاة الأقاليم المترامية في الانعزال والاستقلال عن جسد الدولة الأم.

رابعاً: فساد بعض رجال الحكم والوزارة أمثال "جعفر المصحفي" وولده "محمد" الذي كان يتولى رئاسة الشرطة، وفي عهدهما انتشر الفساد والفسق واختل الأمن واضطربت الأمور.

خامساً: زيادة نفوذ الصقالبة الموالي، وهم في الأصل عبيد عند الخليفة "الناصر" اشتراهم واصطنعهم في الحراسة والجند والجيش، وترقوا حتى صاروا قوة كبيرة يُخشى بأسها،

وقد زاد نفوذها داخل قصر الخلافة، حتى إنهم هموا بالانقلاب على الخليفة "المؤيد" عدة مرات.

كل هذه الأسباب دفعت "المنصور بن أبي عامر" لأن يعين التفكير والترتيب في كيفية مواجهة كل هذه الأخطار المحدقة، وفي النهاية قرر أن يتحرك لمواجهة هذه الظروف العسيرة، وأن يأخذ زمام المبادرة بنفسه فقام بالخطوات الآتية:

١- قام بحجز الخليفة الصوري الصبي "هشام المؤيد" بقصره واستقل هو بتدبير الأمور وتولى لقب الحجابة - تلقب بالحاجب المنصور - وهذه الخطوة وإن كانت هي سبب نقمة كثير من الناس على المنصور إلا أنها في واقع الأمر كانت أهم خطوة؛ لأن غياب القائد الموجه والرأس المدبر يجعل كل الجهود تذهب هباءً منثورًا.

٢- بعد أن أصبح المنصور هو الحاكم الحقيقي للأندلس قام بعزل الوزير "جعفر المصحفي" وولده "محمد" وحاسبهما على أموالهما الطائلة من أين جاءت؟ وكيف تضخمت؟ وأسفر التحقيق عن كثير من الانحرافات لدى الوزير "المصحفي" الذي زج به في السجن وقضى فيه نحبه، وانتهى عصر الفساد معه.

٣- شعر الصقالبة الأشداء أن المنصور يعمل على سحق نفوذهم، فقرروا القيام بمبادرة وانقلاب سريع واجتمعوا على قائد لهم اسمه "درسي" ولكن "المنصور" اليقظ كان أسرع منهم، فقبض على قادة التمرد، وحاكمهم بشدة، وفرق شملهم، ووزعهم على الأقاليم حتى لا يعودوا للتجمع والتدمير.

٤- أما الطامعون من رجال الدولة وولاة الأقاليم البعيدة والعصبيات العربية القديمة والموروثة منذ أيام الفتح الأول، إضافة إلى التهديد الخارجي المتمثل في إسبانيا النصرانية المتربصة، والتي قامت بالفعل بالهجوم على ديار المسلمين وذلك في شهر رجب ٣٦٦ هـ كلا الخطرين رأى "المنصور" أن يواجههما بأفضل الأساليب على الإطلاق، وهو إطلاق شرارة الحملات الجهادية، وبذلك يرد عادية الصليبيين، وفي نفس الوقت يشغل هؤلاء الطامعين من الولاة بقضية إسلامية، ويوجه طاقتهم لحرب أعداء الإسلام، وكانت هذه

الحملات هي أنجح الحملات الجهادية التي قام بها مسلمو الأندلس ضد اسبانيا الصليبية طوال عمر دولة الإسلام في الأندلس على طول عمرها.

ومنذ اللحظات الأولى لإطلاق "المنصور بن أبي عامر" شرارة الحملات الجهادية ضد اسبانيا الصليبية سرت روحٌ جديدة في قلوب المسلمين، واشتعلت الحمية في قلوبهم، فتقاطر المجاهدون المتطوعون على الأندلس من كل مكان، وخاض "المنصور" أكثر من خمسين معركة ضد الصليبيين انتصر فيها جميعاً، ولم تنكس له راية أبداً، حتى سرى الاعتقاد بين كل الناس؛ مسلمهم وكافرهم بأن "المنصور" مؤيد من السماء. والحق أن "المنصور" قد اعتمد في سياسته الجهادية على أسلوب الغزوات المستمرة المتعاقبة، والذي كان يرمي من خلاله إلى غاية بعيدة المدى لم يفكر فيها أحد من قبله من أمراء الأندلس، أو لم يقدرها عليها وهي سحق الممالك الاسبانية الصليبية سحقاً تاماً، وأن يفكك عراها التي بدأت في الالتحام والاستقواء، وبالتالي يجعل اسبانيا النصرانية كلها أرضاً مسلمة، وكانت معظم حروب المسلمين من قبل "المنصور" للدفاع ورد عادية النصارى، فلما جاء عهد "المنصور" كان هو البادئ بالغزو دائماً، ولم يقبل من النصارى - قط - صلحاً أو مهادنة، ولم يقنع إلا بالنصر الكامل؛ لذلك فهو أحق الناس بوصف "المنتصر دائماً" وبالقطع بعد "خالد بن الوليد" رضي الله عنه وجيل الصحابة الأفاضل، ومن أشهر معارك "المنصور" ضد الصليبيين: معركة "شنت منكس"^١ ومعركة "برشلونة"^٢ ومعركة "جليقية"^٣ ومعركة "صخرة جربيرة"^٤.

قال عنه بامطرف في الجامع إنه أحد الشجعان الدهاة. وعنه قال المستشرف "رينو":
جال غزاة المسلمين تحت راية المنصور في قشتالة وليون وتابارة وأراجون وكتلونوية إلى أن وصلوا إلى غاشقونوية وجبل فرنسا. وجاست خيله في أماكن لم يكن خفق فيها علم إسلامي من قبل، وسقطت في أيدي المسلمين مدينة "شنتياق" من جليقية، وهي

١ - معركة جرت عام ٣٧١هـ، قادها الأمراء الأسيبان ضد المنصور.

٢ - كانت سنة ٣٧٥هـ، وقد استطاع المنصور اقتحام المدينة بجيشه الإسلامي.

٣ - موقعة في أقصى غرب اسبانيا، كانت ملجأ لملوك وأمراء "ليون" الخارجين عن طاعة المنصور.

٤ - كانت في ٢٤ شعبان ٣٩٠هـ، في مكان وعر يسمى جربيرة.

أقدس معهد مسيحي في أسبانيا.. وقد بنى مدينة الزاهرة بشرقي قرطبة على النهر الأعظم، وبنى قنطرة على النهر محاكيا الجسر الأكبر بقرطبة، وزاد في الجامع مثليه. وله شعر جيد..^١.

وفاته

فوافته المنية في ٢٧ رمضان سنة ٣٩٢ هـ بمدينة "سالم"، ودفن بها بعد أن دفن معه غبار كل معاركه، وكان يحتفظ به طوال رحلته الجهادية الطويلة، ولم ير الأندلس حاكمًا مثل المنصور بن أبي عامر في خدمته لدينه وأمته، وسحقه لأعدائها، وتحقيقه أمنها ورخاءها، ويقال: إنه غزا أربعة وستين غزوة، وكان يجمع تراب كل غزوة في كيس صغير، ويحتفظ به. وقد كُتِبَ هذان البيتان من الشعر على شاهد قبره، وهما أدق وصف لهذا البطل التاريخي العظيم:

آثاره تُنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبدًا ولا يحمي الثغور سواه

وهكذا لعب اليمينيون الدور الأبرز والأكبر في الأندلس، سواء على صعيد الجهاد والفتوحات أو على صعيد السياسة والعمران، فكانوا رواد المجتمعات وسادة القوم. وإلى هذا الدور أشار الشاعر ابن دراج القسطلي^٢ بقوله، ضمن قصيدة له:

من الحميريين الذين أكفهم سحائب تهمي بالندى وبحور

لهم بذل الدهر الأبّي قياده وهم سكّنوا الأيام وهي نفور

وهم ضربوا الآفاق شرقا ومغربا بجمع يسير النصر حيث يسير

وهم نصرُوا حزب النبوة والهدى وليس لها في العالمين نصير

١ - الجامع، بامطرف، سابق، ٢/٣٦٨.

٢ - هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج، أصل أهله من بربر صنهاجة الذين جاءوا إلى الأندلس في أيام الفتح مع طارق بن زياد في الأغلب، ثم استقرّوا في قسطلّة دراج بقرطبة، توفي سنة ٤٢١ هـ.

الدولة الرسولية

مدخل عام

قامت الدولة الرسولية في اليمن فيما بين: ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م - ٨٥٨هـ - ١٤٥٢م. أي ما يزيد عن قرنين وربع القرن من الزمان. وكانت دولة سنية، شافعية. وتعتبر هذه المرحلة هي أزهى وأرقى مراحل التقدم الحضاري والاستقرار السياسي في تاريخ اليمن الإسلامي؛ إذ لم تشهد اليمن قاطبة في تاريخها الإسلامي ما شهدته من الازدهار والاستقرار أثناء قيام الدولة الرسولية؛ وهي أعظم دولة شهدها اليمن منذ سقوط مملكة حمير قبل الإسلام. ومن المؤرخين من يرى أن الدولة الرسولية في اليمن كالدولة العباسية في العراق.

والدولة الرسولية تنتسب إلى جد مؤسسها الأول، وهو نورالدين عمر بن علي بن رسول، عقب انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن، بوفاة الملك المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي، آخر حكام الدولة الأيوبية في اليمن؛ حيث عمل عمر بن رسول على تنظيم البلاد بحيث تكون تحت سيطرته الكاملة، فعزل من ولائها من يخشى مقاومته، وقام بتولية أتباعه، ومن يثق بهم على المدن والحصون^١، واتخذ من منطقة الجند في عدينة "تعز حالياً" عاصمة لدولته الجديدة. وظل السلطان المنصور يحكم بلاد اليمن ويثبت دعائم دولته، واستطاع توحيد معظم البلاد تحت حكمه، ونعمت اليمن خلال حكمه

١ - العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، شمس الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الخزرجي الأنصاري، مخطوط، مصور، ١٩٣. ويرجع للقب "رسول" يرجع لجدهم الأول محمد بن هارون أثناء خدمته لدى الخلفاء العباسيين في العراق. ويرى بعض المؤرخين كابن تغري بردي أن الرسوليين ينحدرون من أصول تركمانية. والأصح أنهم من أصول عربية، يمنية حميرية.

بالأمن والاستقرار، وأنشئت في عهده الكثير من المنجزات الحضارية، مثل المساجد والمدارس والقصور ونشطت التجارة وعم الأمن.

وقد امتد حكمه حتى مكة المكرمة؛ حيث قدمها في موكب كبير في شهر رمضان من العام ٦٣٩هـ، وطرد منها المماليك المصريين، ولاحق فلولهم إلى "ينبع" في المدينة المنورة، وأبطل السلطان نور الدين عن مكة سائر المكوسات والجبايات والمظالم، وكتب بذلك مربعة، وجُعلت قبالة الحجر الأسود.^١

وذكر ابن الديبع في تاريخه أن السلطان عمر بن رسول زارها سنة ٦٣٥هـ ف ألف فارس، وبذل لكل جندي مقيم بمكة يُقبل إليه ألف دينار، وفرسا وكسوة، فمال إليه أكثرهم.^٢

وقبل ذلك - وتحديدًا في سنة ٦٣١هـ - أرسل إلى الشريف راجح بن قتادة بقناديل من الذهب والفضة، ليعلقها بالكعبة، بدلًا من تلك التي استباحها بنو قتادة أثناء صراعهم مع أخيه الشريف راجح.^٣

بعد وفاته سنة ٦٤٧هـ،^٤ تولى الخلافة ابنه المظفر يوسف بن عمر بن رسول حتى العام ٦٩٤هـ الذي تُعتبر فترته أطول فترة حكم خلال الحكم الرسولي كاملاً، ٤٧ سنة. وبسط كامل نفوذه على كل اليمن شمالًا وجنوبًا، شرقًا وغربًا، حتى وصل مكة المكرمة، وبسط نفوذه عليها سنة ٦٥٣هـ، وكان عهده من أزهى العصور وأكثرها استقرارًا وتقدمًا. ولخبرته بطبيعة الحكم ودهاليز السياسة فلم يمت حتى عهد لابنه عمر من بعده بالخلافة، فتولى الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن رسول الخلافة عام ٦٩٤هـ إلا أن ذلك أثار

١ - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن الخزرجي، غني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١/٧٠. وانظر أيضًا قرة العيون، ٣٠٧.

٢ - قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون، أبو الضيا عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة أبي ذر الغفاري، ط: ٢، ١٩٨٨م، ٣٠٦.

٣ - بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، دكتور محمد عبدالعال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ٣٥٥. أيضًا كان عمر بن رسول قد بنى جامع عائشة، وكان اسمه مسجد الهليلجة، نسبة إلى شجرة هناك، وهو مسجد سابق اعتمرت منه السيدة عائشة رضي الله عنها.

٤ - مات قتلاً، قتلته ابن أخيه في قصره، عن طريق جماعة من مماليكه.

سخط أحد إخوان عليه؛ إذ خرج عليه أخوه المؤيد في السنة التالية، إلا أن الملك الأشرف عمر هزمه وأسرهم، وقد كانت فترته قصيرة، فتوفي في العام ٦٩٤هـ؛ ليخلفه أخوه الملك المؤيد داود بن يوسف الذي انقلب على أخيه وظل في السجن حتى وفاة أخيه قبله، وقد بقي في الحكم فيما في الفترة ما بين: ٦٩٦- ٧٢١هـ، علما أنه سُقي من نفس الكأس التي سقى أخاه منها؛ إذ خرج عليه أخوه المسعود سنة ٦٩٦هـ، ثم ابن أخيه الناصر محمد سنة ٦٩٧هـ إلا أنه استطاع القضاء على تمردهما، كما استطاع القضاء على حركات التمرد القبليّة "الزيدية" في شمال البلاد أيضا، وظل خليفة حتى وفاته سنة ٧٢١هـ؛ ليخلفه من بعده ولده المجاهد علي بن داود الذي امتدت فترة حكمه من سنة ٧٢١ إلى سنة ٧٦٤هـ، أي ٤٣ عاما. ويُقال أنه حين تولى الحكم لم يكن يتجاوز عمره خمسة عشر عاما؛ ولذا كثرت في عهده القلاقل والاضطرابات بسبب عدم خبرته، ومن ضمن الثائرين عليه عمه أيوب بن يوسف، ثم ابن عمه عبدالله بن أيوب، وغيرهما من القبائل كالمعازبة والقرشيين.^١

عقب وفاته في العام ٧٦٤هـ تولى الخلافة من بعده ابنه الأفضل العباس بن علي بن داود الرسولي الذي عمل على تهدئة الانتفاضات القائمة ضد الدولة في أكثر من منطقة، وبقي في الخلافة حتى العام ٧٧٨هـ.

وبعد وفاته تولى الحكم من بعده الأشرف إسماعيل بن العباس ٧٧٨ : ٨٠٣هـ، وعاد الاستقرار للدولة، عدا ما كان من تمردات قبيلة المعازبة التهامية "الزرائق" فقط، لكنه قمع انتفاضتهم وكسر شوكتهم، وكانت فترة حكمه من أفضل فترات حكام الدولة الرسولية.

في العام ٨٠٣هـ تولى الخلافة ابنه السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي، وواصل تنفيذ حملاته على بلاد المعازبة "الزرائق" حتى أخضعهم جميعا لطاعته، كما طارد

١ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي، تحقيق: محمد علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٢٤٦. والقرشيين: قبيلة خارج زبيد، أما المعازبة فهم الزرائق.

المتمردين عليه من الزيدية في شمال اليمن حتى كسر شوكتهم وأخضعهم لسلطانه، وبقي محافظا على ملكه وسلطنته حتى وفاته في العام ٨٢٧هـ.

وتولى الحكم بعده ابنه المنصور عبدالله بن أحمد الرسولي فيما بين ٨٢٧ : ٨٣٠هـ. واتسم حكمه بالحكمة واللين وحسن التدبير، لكن حكمه لم يدم أكثر من ثلاث سنوات، حتى خلفه أخوه الأشرف إسماعيل بن أحمد الرسولي، لفترة أقصر من فترة أخيه فيما بين: ٨٣٠ : ٨٣١هـ، وتم خلع إثر انتفاضات قبلية، أتت بعمه الظاهر يحيى بن إسماعيل من السجن وبايعوه خليفة. وبقي في الحكم من العام ٨٣١ حتى العام ٨٤٢هـ. وبهذا التاريخ يبدأ العد التنازلي للدولة الرسولية بصراعات بينية بين الأمراء بعضهم البعض، وبينهم وبين القبائل والمدن من جهة أخرى، لتنتهي في العام ٨٥٨هـ بالملك المسعود.

وبهذا التاريخ تبدأ الدولة الطاهرية "سنية" وعاصمتها رداع، التي انتهت في العام ٩٤٥هـ. بصراعها مع البرتغاليين في البحر الأحمر، ومع السلطة الزيدية بصنعاء التي استعانت بالأتراك العثمانيين للقضاء عليها.

معالم العهد الرسولي

ذكرنا سابقا ألا مثل لأى دولة فى اليمى منى مملكة حمير غير الدولة الرسولية اللى أبانت الوجه الحضارى لليمن، وأسفرت عن مدينة راقية، وقوة ضاربة لا مثل لها آنذاك. وهذا الرقى الحضارى والمدنى نابع أساسا من قوانين وأنظمة متقدمة جعلت الإنسان هدفا وغاية على كل حال، مهما كان دينه أو لونه أو جنسه، فقد مارس اليهود كافة طقوسهم الدينية، ومارسوا كل أنشطتهم اليومية بكل حرية ويسر أثناء الحكم الرسولى، ولم يواجهوا من المضايقات والاحتقار ما كانوا يلاقونه من الأئمة الزيدية قبل ذلك أو بعد. لقد صار منهم الصانع والحرفى والطبيب، إلى حد أن أطباء بعض السلاطين كانوا يهودا؛ خلافا لغيرها من أنظمة الحكم اللى استعبدت الإنسان وجعلته مسخا، بل وعدما، كما هو الشأن لدى الإمامة الهاشمية فى شمال اليمن اللى دمرت الأرض والإنسان، وأحالت الجنان الممرعات إلى فيانى قاحلات، بفعل سياستها الفاشلة ونظرتها للإنسان.

الأسس السياسية والعسكرية

يأتى على رأس الهرم السياسى فى الدولة الرسولية "السلطان" أى صاحب السلطة، وبحسب صاحب كتاب "الألقاب الإسلامية" فإن لقب السلطان كان لقبا من ألقاب التشريف الشخصى، ولم يصبح لقباً عاماً متداولاً إلا بعد أن وُجد الولاية المستقلون.^٢ وتأثر الرسوليون بالخلفاء العباسيين فلقبوا أنفسهم ألقاباً دينية، المؤيد والناصر والمنصور والمظفر، بعضها مضافة إلى لفظ الجلالة، كنوع من الهيبة الدينية والسياسية معا. كما اتخذوا أيضا وليا للعهد، وهو ما جعل الحكم ينتقل بسلاسة من الخليفة إلى ولي عهده

١ - نفسه، ٢/٢٤٧.

٢ - انظر: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، د. حسن الباشا، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ٦٠.

- كما كان الشأن عند الخلفاء العباسيين - عدا مرات قليلة حصلت فيها حروب التنافس على الحكم عقب وفاة السلطان/ الملك. وهي ميزة لا توجد لدى الهادوية نظريا، وإن كانت موجودة عمليا، وكان الفراغ الذي يخلفه "الإمام" هو السبب الرئيس لاندلاع معركة من اللحظات الأولى لوفاة الإمام، ولذا بدا تاريخهم كله سلسلة من الحروب ونهرا من الدماء وتلالا من الجماجم.

وكان السلطان يقود الجيوش ويراسل الحكام والملوك خارج دولته، ويستقبل كبار القادمين إليه، ويعين الوزراء والقادة والأمراء والقضاء ويوزع الإقطاعيات والمنح على من يرى.

أما بالنسبة للجيش في الدولة الرسولية، فيذهب بعض الباحثين إلى أن الدولة الرسولية دولة عسكرية، كحال الدولة الأيوبية التي سبقتها، ولم توطد نفوذها إلا بالقوة القاهرة في بداية أمرها، نظرا لأن هناك من اليمينيين من اعتبر آل رسول غير يمينيين، ومن ثم فالخضوع لحكمهم غير ممكن. أضف إلى ذلك صراع آل رسول مع الإمامة الزيدية في شمال البلاد، وهي جماعات حربية عسكرية، وتمتلك موروثا قتاليا كبيرا؛ كونها تأسست على الدم من بواكيرها الأولى. ولا ننس أيضا العامل الجغرافي كمحدد رئيس من محددات الصراع والحرب، فللطبيعة أحيانا أحكامها الخاصة في النصر والهزيمة، وكأنها تقاتل مع الإنسان! وإلى جانب الصراع الداخلي الذي خاضته الدولة الرسولية خاضت أيضا صراعا مريرا من جهة البحر مع القرصنة الأحباش والهنود والمماليك المصريين، حتى استطاعت تأمين البحر الأحمر تجاريا وسياسيا بالقضاء على القرصنة بعد ملاحقتهم في البحار.

لقد كان حضور الرسوليين في البحر الأحمر على شقين اثنين: أحدهما عسكري، والآخر تجاري؛ خلافا لما كان عليه الوضع سابقا منذ انتهاء ممالك حمير، إذ كان حضور اليمينيين في البحر الأحمر تجاريا فقط، وذلك بحكم الدويلات التي كانت تتنازعه قبل ذلك، وبحكم الحروب الداخلية والأهلية التي سببتها الإمامة، فلم تتوحد اليمن كاملة قبل الدولة الرسولية، وبالتالي فقد انشغلت كل دويلة فيها باهتماماتها الخاصة، وعرف اليمن

لأول مرة الأسطول البحري المنظم في عهد الدولة الرسولية منذ مملكة حمير، وإن كان الأيوبيون قبل ذلك قد امتلكوا أسطولا خاصا بهم في عدن إلا أنه أشبه ما يكون بالوكيل القائم لحماية مصالح الأيوبيين في مصر أكثر منه لحماية المصالح اليمنية؛ أما في الدولة الرسولية فقد امتلكت سفنا خاصة بها..

وقد استمرت هذه السفن تقوم بواجبها في حماية الشواطئ اليمنية، وفي حراسة المراكب التجارية في عرض البحر خلال العهد الرسولي؛ بل زادت القطع البحرية وتنوعت أكثر من ذي قبل، وأصبحت تشكل أسطولا قويا، تعتمد عليه الدولة في خوض المعارك البحرية.^١

وتكونت عناصر الجيش اليمني في العصر الرسولي من اليمنيين ومن الأحباش والمماليك، موزعين على وحدات عسكرية قتالية مدربة كالفرسان أو الخيالة والرجالة أو المشاة، والرماة وغيرهم.^٢ وقد اختلف المؤرخون في العدد الذي وصل إليه الجيش اليمني في الدولة الرسولية حتى قيل أنه وصل في بعض المعارك إلى ستين ألفا، بينما يذهب آخرون إلى أنه أقل من ذلك، مزودين بأسلحتهم الدفاعية والهجومية، وبوسائل النقل والرايات والأعلام، والطبول والأبواق، ويزيّر رسمي موحد للجميع، موزعين على الحصون والثغور على امتداد الدولة.^٣

وسنشير إلى بعض التفاصيل عن الدولة الرسولية والبحر الأحمر في المبحث الخاص عن اليمن والبحر الأحمر.

١ - الدولة الرسولية في اليمن، دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، محمد بن يحيى الفيحي، الدار العربية للموسوعات، ط: ١، ٢٠٠٥م، ٣٨٨.

٢ - نفسه، ٣٦٧.

٣ - نفسه، ٣٧٧.

العلاقات الخارجية

عادة الدول الكبيرة والامبراطوريات الواسعة أن يمتد نفوذها خارج أراضيها، تأثرا وتأثيرا. وقد كان لليمن إبان الدولة الرسولية حضور واسع خارج محيطها، نظرا لشهرتها وقوتها الداخلية والخارجية. ليس على النطاق العربي أو الإسلامي فقط؛ بل تعداه إلى دول الحضارات القديمة كالصين والهند والحبشة وغيرها، كما سنرى.

فقد امتد تأثير الدولة الرسولية إلى الصين، إذ يُروى أن ملك الصين حرم الختان على المسلمين في بلده، فانزعج مسلمو الصين من هذا القرار، فكاتبه السلطان الملك المظفر يشفع إليه في الإذن لهم بالختان، وأرسل إليه بهدية سنوية، فقبل شفاعته، وأذن لهم في ذلك.^١

ففي عهد السلطان المظفر أرسل إلى مصر ٥٠٠ فارس بكامل عدتهم وعتادهم، مشاركة من اليمن في الجهاد ضد الصليبيين، كما أرسل العديد من التحف والهدايا إلى سلطان مصر الظاهر بيبرس، في سفارتين اثنتين: الأولى عام ٦٦٩ هـ والثانية عام ٦٧٤ هـ، ويرد الظاهر بيبرس من جهته بالهدايا عليه.^٢، وتبعها العديد من السفارات المتبادلة بين الدولتين.

وقدم إسماعيل بن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول هدية للسلطان المملوكي في مصر صحبة التاجر برهان الدين إبراهيم المحلى والطواشى افتخار الدين فاخر، وهى عشرة خُدّام طواشية، وبعض عبيد حبوش، وست

١ - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن الخزرجي، عناية: محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، د. ط، ١/٢٣٥.

٢ - بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، دكتور محمد عبدالعال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م، ٣٧٤.

جوارٍ، وسيفا بجلية ذهب مرصّع بعقيق، وحياصة بعواميد عقيق مكلّلة بلؤلؤ كبار ووجه فرس عقيق، ومراة هندية محلّاة بفضّة قد رصعت بعقيق وبراشم برسم الخيول ورماحا عدّة متتين، وشطرنجا عقيقا أبيض وأحمر، وأربع مراوح مصفّحة بذهب ومسك، وألف مثقال وسبعين أوقية زباد، ومئتين وستة عشر رطلا من العود، وثلاثمئة وأربعين رطلا من اللبان، وثلاثمئة وأربعة وستين رطلا من الصندل، وأربعة "براني" من الشند، وسبعمئة رطل من الحرير الخام ومن البهار والأقطاع، وغير ذلك من تحف اليمن.^١

وفي عهد السلطان الملك الناصر توطدت العلاقات السياسية أكثر، وتبادل الطرفان الهدايا، فأرسل ملك الصين إليه هدايا ثمينة ممثلة في: "أنواع التحف والثياب المذهبة والمسك العال والعود الرطب والآنية الصيني، قومت بعشرين ألف مثقال".^٢ وبدوره فقد أرسل له الناصر هدية عوض هديته "فيها من أنواع التحف وشجر المرجان، وأنواع الوحوش، كالمها وحُمُر الوحش والأسود المؤلفة والفهود المؤدبة".^٣

وكان السلطان الملك الناصر يرسل الأموال لتفرق في مكة المكرمة في كثير من السنين، فضلا عن الصلوات السنوية التي كان يبعثها للشريف حسن، ولخطيب ومؤذن الحرم المكي الشريف، وفي المقابل كان يُدعى له في الخطبة بالمسجد الحرام، وعلى قبة زمزم بعد السلطان المملوكي.^٤

ويعكس لنا هذا الوصف في طبيعة الهدية المرسلة الحالة التي وصلوا إليها في ترويض وتدريب الحيوانات المتوحشة، وكيف أصبحت أليفة. أيضا الاهتمام بالحيوانات، وتخصيص حدائق خاصة بها في ذلك الزمن. هي من عادة من لوازم الملوك الكبار.

١ - انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين، دار الكتب، مصر، د. ط، ١٢/٦٦.

٢ - تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، د. ط، ١٩٨٤م، ١٨٩.

٣ - نفسه، ١٩٠.

٤ - الدولة الرسولية في اليمن، سابق، ١٦٧.

وهذا التواصل الحضاري بين البلدين الحضاريين هو - في الواقع - امتداد للعلاقات اليمينية الصينية، وقد كان الصينيون وأيضا الهنود قد ألفوا موانئ اليمن وأسواقها.^١ وذات الأمر أيضا تكرر في عهد السلطان الملك الأشرف، وصلته هدية "من بنجالة"، أرض الهند، فيها من أنواع التحف والطرف والطيور والأفيال الملبسة بأنواع السندس، في شهر ربيع الآخر، سنة ٧٩٣هـ".^٢

وأيضا كانت هناك تبادلات للهدايا بين في خلافة الملك الظاهر؛ حيث "وصلت هدية من صاحب دهلك، فيها فيل وأسد وزراف، وعبيد وجوارٍ وزباد، وغير ذلك من التحف السنينة، نهار الثلاثاء ١٤ من شهر رمضان سنة ٨٣٣هـ".^٣

وتعكس هذه الهدايا بين الملك اليميني، وملوك الصين والهند والحبشة حسن العلاقات السياسية بين الجميع، وهي إحدى السياسات التي اتبعتها الدولة الرسولية التي لم تكن تستعدي غيرها.

الزراعة

انتعشت الزراعة في عهد الدولة الرسولية، كما لم تشهدها من قبل، بحكم الأمن الذي عم المجتمع، وبحكم القوانين العادلة المتعلقة بالعشور وأنصاف العشور، وكذا ضرائب ومكوس المبيعات في الأسواق. فكان كل مزارع حين يبذر يحس أنه سيحصد ثمرة بذره بعد شهر، ولن يشاركه فيها أحد، كما هو الشأن مع الزيدية الإمامية التي كانت تستحوذ على أموال الناس ومزارعهم وتحتال عليهم بشتى الدعاوى، وبالتالي تتراجع الزراعة ويركد النشاط اليومي، لأن المواطن لا يضمن نتيجة عمله.

١ - فتحي سلطان طارق، العلاقات التجارية بين العرب والصين في القرون الوسطى، مجلة أدب الرفادين، العدد: ١٣، ١٩٨١م، ٣٦.

٢ - تاريخ الدولة الرسولية، سابق، ١٠٦.

٣ - نفسه، ٢٢٧. وانظر أيضا: البحر الأحمر والجزر اليمينية تاريخ وقضية، د. سيد مصطفى سالم، دار الميثاق للنشر والتوزيع، صنعاء، ٢٠٠٦م، ٢٠. ودهلك اليوم إحدى الجزر الكبرى التابعة لدولة أرتيريا.

ليس ذلك فحسب؛ بل لقد قامت الدولة الرسولية بتخفيض الضرائب والرسوم على المزارعين، تشجيعاً لهم، فزاد الإنتاج وتنوعت المحاصيل والمزروعات حتى كانت اليمن تصدر ما يفيض من المزروعات في اليمن إلى خارجها. ومن ضمن ما كانت تصدره اليمن في العهد الرسولي إلى الهند والصين "الأرز" الذي زرع في زبيد، ولقي اهتماماً كبيراً من الرسوليين وأيضاً الطاهريين بعدهم حتى فاضت كميات هذا المحصول، كما زرع أيضاً في بعض مناطق حجة.^١، وأيضاً الحمص الذي تمت زراعته في تعز وإب.^٢

ولم يقف ملوك بني رسول عند هذا الأمر؛ بل استقدموا كثيراً من المحاصيل الزراعية من خارج البلاد، وعينوا لها مشاتل زراعية، من أجل معرفة صلاحية زراعتها في كل منطقة من مناطق اليمن.. كما قاموا أيضاً بالعديد من الإصلاحات الزراعية حتى ينهضوا بالزراعة فحفروا الآبار، وشقوا القنوات والبرك للمزارعين، من أجل توفير المياه للأراضي الزراعية في أنحاء البلاد.^٣

لهذا انتعشت البلاد زراعياً واقتصادياً، وعاش الناس في رفاه من العيش غير معهود من ذي قبل. فعلى سبيل المثال يذكر صاحب الروض المعطار عن زبيد ما نصه: "وليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد، ولا أغنى أهلاً، ولا أكثر خيراً منها، وهي واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه والموز، وغيره.. وبها مجتمع التجار من أرض الحجاز وأرض الحبشة، وأرض مصر الصاعدين في مراكب جدة."^٤

وذكر ابن الجاور في تاريخه أن ليس لأهلها حديث سوى الأكل، يقول زيد لعمرو: ما تصبحت اليوم؟ يقول: فطير دخن وقطيب، أو: ملتح وسليط. ويقول مضر لجعفر: ما تعوفت؟ يقول: رغيف خبز بر بفلس وقطعة حلاوة بأربعة فلوس، فصار المبلغ ستة

١ - ملح الملاحه في معرفة الفلاحة، سابق، ٧٠.

٢ - نفسه، ١٠٢. وانظر أيضاً: اليمن في العهد الأيوبي، سابق، ٣٦٢.

٣ - الملك الأفضل الرسولي جهوده السياسية والعلمية، يوسف بن عبدالعزيز بن محمد الحميدي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠٠٨م، ٤٠.

٤ - الروض المعطار في أخبار الأقطار، محمد بن عبدالمنعم الحميري، د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط: ٢، ١٩٨٤م، ٣٨٤.

فلوس. ويقول خالد لزيد: إني أكلت اليوم أكلة تكفيني ثلاثة أيام؛ فطير وحليب وقند شرقي، وترفت إلى أن شبت. وفي ذلك أنشد علي بن أبي السنوي يقول:

قلت يوما لرئم ذات إعجاب وذات صدر رحيب ذات أكعاب
وذات قد رشيق كالقضيب إذا ما ماد من فوق دعص الرمل رياب
وقد أشارت بكف وهي معرضة وأقبلت مثل ظبي بين أسراب
تريد مني وصالا قلت يا سكني رفقا عليّ فإن الجوع أزرى بي
جذي الثريد إذا ما جئت مقبلة نحوي ولا تأخذي مسكا وأطيباً^١
واستعملي من فطير الدخن مع لبنٍ وصاحبيني به صباحا على الباب
فإن قلبي إلى حب الفطير صبا وليس قلبي إلى حب النسا صابي^٢

كما ذكر ابن الجاور أيضا عن فرائح وبهجات أهل زبيد أنهم يصطافون إلى الفازة، حيث البحر إلى الغرب من المدينة، وينزل فيه النساء مع الرجال في بحر خليط مليط وهم في شرب ولعب ورقص وقصف وزائد وناقص. وما يخرج إلى هذه الأماكن إلا في كل أسبوع يومين يوم الاثنين ويوم الخميس وإذا رجعوا من هناك دخلوا البلد رأسا واحدا.^٣

كما قال عنها المقدسي أنها أعمر من مكة وأكبر وأرفق.^٤

١ - الأصل: أطيابا، لكنه "تقوت" أي دخلها سناد الإقواء. وله مثل في قصيدة النابغة الذبياني.

٢ - تاريخ المستنصر، سابق، ١٠٣.

٣ - نفسه، ٣١.

٤ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٩١م،

المعالم الثقافية والعلمية

لم تهتم دولة في اليمن بالتعليم كما اهتمت به الدولة الرسولية، ابتداء بمؤسسها وانتهاء بآخر ملك؛ إذ أسس السلطان نورالدين عمر بن رسول سبع مدارس، هي: المدرسة المنصورية في الجند، وأخرى بالاسم نفسه في حد المنسكية بوادي سهام، والمدرسة الغرابية في مغربة تعز، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤذن المدرسة عبدالله بن غراب، والمدرسة الوزيرية في مغربة تعز أيضا بأسفل حافة الملح، بالقرب من حصن تعز، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الإمام أحمد بن عبدالله الوزيري الذي درّس فيها مدة طويلة، والمدرسة المنصورية العليا، والمدرسة المنصورية السفلى في زيد، الأولى لأصحاب المذهب الشافعي، والثانية لأصحاب مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ومدرسة بالمنسكية بسهام، ومدرسة في عدن، أوقف لها أوقافا كثيرة في لحج وعدن، ووضع في كل مدرسة مدرسا ومُعيدا، ودرّسة، وإماما ومؤذنين ومعلما وأيتاما يتعلمون القرآن، وخصص لكل واحد وقفا.^١

وأسس المدرسة المنصورية بمكة المكرمة، وكان يتصدق على أهل مكة والمجاورين لها كل سنة بصدقة جلييلة.^٢

وذكر ابن الديبع نسبة إلى الجندي أنه ابنتى في كل قرية من التهائم مسجدا، وأوقف عليها أوقافا جيدة، وكان النوري مفازة تهلك بها الناس، فابنتى بها مسجدا، وجعل فيها إماما ومؤذنا، وشرط لمن يسكن معه مساحة من الزرع، فسكنها أناس حتى صارت قرية جيدة.^٣

١ - انظر: قرّة العيون في تاريخ اليمن الميمون، سابق، ٣١٢. وأيضا العقود اللؤلؤية، سابق، ١/٨٢. وانظر: تاريخ إب، دراسة تاريخية لمدينة إب وما حولها، الأستاذ الدكتور مظفر الأدهمي، منشورات جامعة إب، د.ت. ٢٠٠٠.

٢ - قرّة العيون، ٣٠٨.

٣ نفسه، ٣١٢.

ولم يقتصر إنشاء المدارس على السلطان المنصور عمر الرسولي؛ بل اهتمت أخته "خاتون" الملقبة "الدار النجمي" ابنة علي بن رسول، فاشترت دارا في مدينة جبلة، وحولتها إلى مدرسة، وسمتها باسم زوجها الأمير نجم الدين بن أبي بكر بن زكريا، وعرفت بالمدرسة النجمية.^١

وأسس المظفر يوسف بن المنصور عمر المدرسة التاجية بزبيد، والمدرسة المعروفة بمدرسة القراءات بزبيد، وقفها على قراءة القرآن، وأيضا مدرسة للحديث النبوي، وفي كل مدرسة من هذه المدارس مدرس وطلبة وإمام ومؤذن، وأوقف عليهم وقفا جيدا، يقوم بكفاية الجميع منهم.^٢ وكان عالما محققا في شتى الفنون.

كما بنى خادمه بدر المظفري في مدينة زبيد مدرسة للفقهاء على مذهب الإمام الشافعي، ومدرسة لأصحاب الحديث، ومدرسة لقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع، ودار مضيف.^٣

وبنت الحرة مريم بنت الشيخ العفيف، زوجة السلطان الملك المظفر مدرسة في زبيد، وهي المدرسة المعروفة بمدرسة مريم، وتُعرف بالسابقية أيضا.^٤

وقد بلغ إنشاء المدارس في عهد السلطان المظفر ذروته، فقد ابنتى هو وأفراد عائلته وحاشيته وخدمهم ٣١ مدرسة.^٥ ومما يُنسب للملك المظفر قوله: "لا بارك الله في وإل من في رعيته من هو أعلم منه".^٦

وبنى الملك السلطان المؤيد مدرسته المعروفة بالمدرسة المؤيدية في مغربة تعز، ورتب فيها إماما ومؤذنا، وقيما ومعلما، ووقف عليها من الأراضي والكروم ما يقوم بكفاية

١ - تاريخ إب، سابق، ٢٠١.

٢ - تاريخ المستنصر، سابق، ١١٣.

٣ - نفسه، ١/٢٣٣.

٤ - نفسه، ١/٢٨٨.

٥ - تاريخ إب، سابق، ٢٠٨.

٦ - تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر محمد الحبشي الوصابي، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط: ٢، ٢٠٠٦م، ١٥١.

الكل منهم، كما وقف عليها عدة من الكتب النفيسة.^١، وقد بلغت مكتبته الخاصة نحو مئة ألف مجلد، وكان لديه زيادة على عشرة نساخ ينسخون الكتب، وتُرفع إلى خزائنه بعد مقابلتها وتحريرها.^٢

كما بنت أم السلطان الملك المجاهد المدرسة الصلاحية في زبيد، ورتبت فيها إماما ومؤذنا وقِيّما ونازحا للماء إلى المطاهر بها، ومدرسا للشرع، ومدرسا في الحديث النبوي، ومدرسا في النحو، وطلبة في كل فن من الفنون، وأوقفت من خيار ما تملكه ما يقوم بكفاية الجميع، وابتنت قبالة المدرسة المذكورة خانقاه، كما بنت مدرسة أخرى في قرية المسلب من وادي زبيد، ومدرسة أخرى في قرية السلامة بكل ما تحتاجه هذه المدارس من المعلمين والوقف والجرايات..^٣

وقد فاقت مدارس الأميرات من نساء الحكام الرسوليين التي تم بناؤها على نفقاتهن الخاصة من حيث العدد المدارس التي ابتناها ملوك وأمراء الدولة الرسولية نفسها، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأتها الأميرات الرسوليات أربعاً وثلاثين مدرسة.^٤

الأعجب - ولا عجب في الدولة الرسولية - أن الجوّاري أيضاً كان لهن مساهمات علمية ودينية، منهن ثلاث جوارٍ من جوّاري أم السلطان الملك المجاهد، إحداهن: الحاجة سمح التي ابتنت مسجداً عند سوق الشباك بزبيد، والثانية الحاجة قنديل التي ابتنت مسجداً شمالي باب القرتب بزبيد، وكانت الثالثة الحاجة غصون التي ابتنت مسجداً جنوبي دار السلطان، وقد قدّمن الأوقاف الجيدة التي تفي بحاجة القائمين على هذه المساجد.^٥

١ - تاريخ المستبصر، سابق، ٢٨٥.

٢ - تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، ط: ٢، ١٩٨٥م، ١٢٨.

٣ - تاريخ المستبصر، ١٠١. وانظر أيضاً كتاب العطايا السنوية، سابق، ٧٦.

٤ - د. محمد علي العروسي، نساء شيدن مدارس العلم في اليمن في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مجلة الإكليل، العدد: ٣٧ و ٣٨، ٢٠١٥م، ٣٩.

٥ - كتاب العطايا السنوية والمواهب الهنية في المناقب اليمانية، الملك الأفضل العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي، دراسة وتحقيق: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، ٢٠٠٤م، ٧٧.

وقد كان السلطان الملك المجاهد نفسه عالما وأديبا وشاعرا، يجالس العلماء ويجلهم ويكرمهم، وقد ذكر الإمام العلامة جمال الدين الرمي أنه أعطاه في أول يوم دخل عليه أربعة شخوص من الذهب، وزن كل شخص منها مئتا مثقال، مكتوب على وجه كل شخص منها:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ولا الشح يبقيها إذا هي ولت

والملك المجاهد نفسه هو الذي مدّن "ثعبات"، وبني سورها، واخترع فيها المخترعات الفائقة والبساتين الرائقة، وبني فيها المساكن العجيبة والقصور الغربية، وله من الآثار الدينية مدرسة في مكة المشرفة، ملاصقة للحرم الشريف، يصلي المصلي فيها وهو يشاهد البيت الحرام، رتب فيها إماما ومؤذنا وقيما ومعلما وأيتاما ومدرسا وطلبة. ^١ اسمها المدرسة المجاهدية. وقد جعل وقفها في ثلاثة مواضع من وادي زبيد، موضع في أعلاه، وموضع في وسطه، وموضوع في أسفله. ^٢

وابتني مدرسة في مدينة تعز، وجعلها جامعا في تلك الناحية، كما ابنتي أيضا جامعا في "ثعبات"، وجامعين اثنين في زبيد، وابنتي الزيادة الغربية في جامع عدينة بتعز، ومدرسة في دار العدل هناك، ووقف على جميع هذه المدارس أوقاف جيدة من محاسن أملاكه. ^٣ أيضا بنى المدرسة المجاهدية في دار العدل بتعز. وبني العديد من الجوامع التي كانت بدورها تؤدي دورا تعليميا إضافة إلى المدارس النظامية آنذاك.

وقد اشتهر السلطان المجاهد بالذكاء والفظنة والفصاحة وقول الشعر، ومشاركته في العديد من الفنون الأدبية حتى قيل أنه أعلم بني رسول. ومن أعماله التأليفية:

١- الأقوال الكافية والفصول الشافية في البيطرة

١ - تاريخ المستبصر، ١٠٥.

٢ - كتاب العطايا السنبة والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، سابق، ٧٥.

٣ - تاريخ المستبصر، ١٠٧.

٢- كتاب في الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها

٣- الإرشاد في علم الفلاحة

٤- ديوان شعر^١.

وبنى السلطان الملك الأشرف مدرسة حسنة الشكل، بها بابان شرقي وغربي، وباب يماني، ومقدم فسيح، وشمسية رحبية، وتكوين عجيب، وابتنى فيها مطهرا نفيسا، ورتب فيها إماما ومؤذنا وقيما ومعلما وأيتاما يتعلمون القرآن ومدرسا على المذهب الشافعي، ومعيدا، وعدة من الطلبة، ومدرسا للحديث، وآخر للنحو والأدب، ووقف فيها نفائس الكتب في كل فن، وأوقف عليها وقفا جيدا، وزاد الزيادة الشرقية في جامع عدينة^٢.

وينسب إليه من المؤلفات:

١- العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك

٢- فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفظن في أخبار من ملك اليمن

أيضا فإن للسلطان عمر بن يوسف بن عمر بن رسول كتابا في فن الزراعة، "ملح الملاحه في معرفة الفلاحة" قسمه تقسيما علميا منهجيا: على سبعة أبواب:

الباب الأول: فيما يحتاج إليه من الفلاحة في معرفة أوقاتها للزرع والغرس وأعمال الأرض وإصلاحها.

الباب الثاني: في الزرع وما يلحق به.

الباب الثالث: في أنواع المزروعات من الحبوب

الباب الرابع: في الأشجار المثمرة من الفواكه

الباب الخامس: في الرياحين والورود

الباب السادس: في الخضروات والبقوليات

الباب السابع: في طرد الآفات عن الزروع والفواكه والأشجار.

١ - رحلة السلطان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة، د. محمد عبدالرحمن راشد الثنيان، ١٢٦.

٢ - تاريخ المستنصر، سابق، ٢٦٠.

كما أن لنجله السلطان الملك المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول
عدة مؤلفات، منها:

- ١- العقد النفيس في مفاكهة الجليس
 - ٢- البيان في كشف علم الطب للعيان
 - ٣- المخترع في فنون من الصنّع
 - ٤- اللمعة الكافية في الأدوية الشافية
 - ٥- المعتمد في الأدوية المفردة
 - ٦- درج السياسة في علم الفراسة
 - ٧- تيسير المطالب في تسيير الكواكب
 - ٨- الأربعين في الحديث النبوي الشريف
- أيضا لابنه الذي أعقبه في الحكم "الأشرف" عدة مؤلفات، منها:

- ١- التبصرة في علم النجوم
- ٢- الاسطرلاب
- ٣- الإشارة في العبارة في علم الرؤيا
- ٤- التفاحة في علم الفلاحة
- ٥- تحفة الآداب في التواريخ والأنساب
- ٦- جواهر التيجان في الأنساب
- ٧- الدلائل في معرفة الأوقات والمنازل
- ٨- شفاء العليل في الطب
- ٩- المعتمد في الأدوية المفردة
- ١٠- المغني في البيطرة
- ١١- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

وكما ذكرنا سابقا فقد كان لابنه "المجاهد علي" أربعة مؤلفات، فإن لابنه الملك
"الأفضل عباس" بعده عدة مؤلفات، منها:

- ١- بُغية ذوي الهمم في أنساب العرب والعجم
- ٢- العطايا السنينة والمواهب الهنية في المناقب اليمينية
- ٣- نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون
- ٤- الدرر والعقيان المختصر من تاريخ ابن خلكان
- ٥- بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين
- ٦- نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء
- ٧- نزهة الأبصار في اختصار كنز الأختيار
- ٨- دلائل الفضل في علم الرمل
- ٩- الألغاز الفقهية

ولا ننسى الإشارة هنا إلى أن أعظم سفر إبداعي في تاريخ العلوم تم إبداعه في العهد الرسولي وهو كتاب "عنوان الشرف الوافي في الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي". وتم تأليفه بطريقة هندسية بديعة، بقي حديث الخاصة والعامة مذ ذلك التاريخ وإلى اليوم؛ كون الكتاب واحداً؛ لكنه يضم بين دفتيه خمسة علوم، إذا قُرى على حسب سياق السطور فهو علم الفقه، وإذا قُرى أوائل السطور عموديا فهو علم العروض، وإذا قُرى من آخرها عموديا فهو علم القوافي، وإذا قُرى العمود الأول الذي يخرق الصفحة فهو تاريخ الدولة الرسولية، والعمود الثاني علم النحو.

فقد جعل ثلاثة علوم منه تتقاطع، فلا يختل معنى كل علم بهذا التقاطع، وهي الفقه، والتاريخ، والنحو، وأما علم العروض فقد بدأ بكل سطر منه بالحرف الذي يبدأ به السطر في علم الفقه، والتزم في علم القوافي بأن يبدأ كل سطر منه بالحرف الذي يبدأ به السطر في علم الفقه. ألفه الشيخ إسماعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقرئ، تلميذ الإمام جمال الدين الرمي، قاضي قضاة الدولة الرسولية، وقد فرغ من تأليفه سنة ٨٠٤هـ -١٤٠١م.

أيضا كتاب القاموس المحيط للعلامة مجد الدين الفيروز آبادي^١، ولشهرة الدولة الرسولية في الآفاق اشتهر الكتاب حتى صار المعجم الأول؛ بل لقد استبدل أهل اللغة كلمة "معجم" بكلمة "قاموس" بعد ذلك، إشارة إلى القاموس المحيط. وألفه للأشرف الرسولي إسماعيل بن عباس، وكان الأشرف قد تزوج ابنته، وولاه قضاء الأقضية باليمن عام ٧٩٧هـ، وذلك في أوج ازدهار الدولة الرسولية، فاصطبغ كتابه بشهرة هذه الدولة، وقد أعرض الناس عن كل معاجم اللغة واكتفوا بالقاموس.

أيضا قاموس الملك الأفضل العباس بن المجاهد بن علي الذي احتوى على نحو ألف ومئتي كلمة تتعلق - في أكثرها - على فن الطبخ والملابس وعلم الفروسية والصحة وعلم التشريح، مدونا مفرداتها التي وضعت باللغة العربية التي وُضعت في العمود الأول، وبجوار كل كلمة منها ما يقابلها باللغة الفارسية والتركية والإغريقية والبيزنطية القديمة والصقلية والأرمينية والمغولية في أعمدة موازية لها.^٢

لقد تم تكريم أهل العلم في الدولة الرسولية بصورة لا مثيل لها؛ إذا أغدق السلاطين الملوك عليهم الخلع والسنايا، وأجزلوا لهم الرواتب، وأذنوهم من مجالسهم وحلقاتهم، وعفوا عن أي رسم من مكس أو ضريبة على أي عالم أو أديب أو فقيه؛ ليس ذلك فحسب؛ بل لقد كان بعض الملوك يحضر حلقات العلماء مع جموع الحاضرين، وإلى ذلك أشار ابن المقري حين حضر الملك الأشرف حلقة مع من حضر بقوله:

وحلقة علم يسقط الطير فوقها منزهة الأرجا عن اللغو والهجر
بها ظل أهل العلم حولك عكفا كما عكفت زهر النجوم على البدر

وأعجب من هذا حين أكمل الإمام جمال الدين الريمي "٧١٠-٧٩٢هـ" تأليف كتابه "التفقيه شرح التنبيه" ٢٤ مجلدا، قدمه للملك الأشرف، فحُمل الكتاب على رؤوس

١ - اسم الكتاب بالكامل: القاموس المحيط، والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من كلام العرب شامطيظ.
٢ - انظر: ارتفاع الدولة المؤيدية، جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف الرسولي، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ط: ١، ٢٠٠٨م، ٤. "مقدمة القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ".

الطلبة بأطباق الفضة، وبأثواب الحرير والديباج من منزل القاضي جمال الدين الريمي إلى قصر الملك الأشرف، في موكب مهيب، حضره العلماء والأمراء والطلبة، واستقبله السلطان الأشرف، ثم أجازته بـ ٤٨ ألف درهم، وتعادل ١٢ ألف دينار، تقديرا للعلم والعلماء.

وذات الشأن أيضا مع كتاب مجد الدين الفيروز أبادي "الإصعاد في الاجتهاد" ٣ مجلدات، قدمه للملك الأشرف إسماعيل في حفل بهيج؛ إذ حُمل الكتاب إلى باب السلطان في زفة كما تُزف العروس، والطبول تفرع، يرافقه العلماء والأمراء، فكافأه الملك بثلاثة آلاف دينار.

أيضا كان مثل ذلك بالنسبة للأديب والشاعر ابن المقري وكتابه "عنوان الشرف الوافي" المذكور سابقا، إذ قدمه المؤلف للملك الناصر، نجل الملك الأشرف الذي توفي والمقري لا يزال مشتغلا به.

ولما علم علماء الأقطار الإسلامية الأخرى بهذه المنزلة الكبيرة للعلم والعلماء لدى الحكام الرسولين في اليمن قصدوا بلاد اليمن، واتصلوا بأمرائها وملوكها، ونالوا منهم الخلع والهدايا والمال الوفير، كالحجاجي والصاغاني والبيلقاني والحافظ المحب الطبري الذي أهدى كتبه للملك المظفر، وقدم إليه من بلاد الهند صفي الدين محمد بن عبدالرحيم، وآخرون. ولعل أشهر من قدم من خارج اليمن الإمام المحدث ابن حجر الهيتمي العسقلاني، شارح صحيح البخاري، قدم إلى اليمن بعد أن استدعاه الملك الأشرف إسماعيل، فأكرمه بمئة ألف دينار. وأيضا العالم اللغوي مجد الدين الفيروز أبادي، استدعاه الملك الأشرف، وكان ببلاد الهند، فقدم منها، فأحسن استقباله وضيافته وإكرامه، وولاه منصب قاضي الأقضية، وسكن مدينة زبيد حتى توفي سنة ٨٧١هـ.

ومن خلال البحث في المصادر والمراجع التاريخية والمتخصصة التي تناولت تاريخ الدولة الرسولية أمكن حصر ما يزيد عن مئة وخمسين مدرسة شُيدت في العصر الرسولي، منها

ثلاث مدارس في مكة المكرمة، والباقي موزعة على مختلف بلدان ومدن اليمن^١، ولا يخطرن ببال القارئ أن هذه المدارس كمدارس اليوم، إنما كانت مدارس أشبه بالأكاديميات المبكرة، يقصد كلا منها مئات الطلبة من مختلف الأصقاع، من بينهم مريدون من خارج اليمن، من الهند وشرق أفريقيا، ويدرسون مختلف العلوم والفنون، ويغادرونها علماء متفقيين، كل منهم في مجال تخصصه. ومن وظائف هذه المدرسة إلى جانب المعيد والمعلمين والطلبة والكتب التي تُدرس، أيضا جامع خاص بهم، وإمام يؤمهم في صلاتهم، ومؤذن، وقيّم، وناظر الوقف ونائبه، وحافظ الكتب، والسقاء. وكان هذه المدرسة أكاديمية أو جامعة مصغرة. وكانت هذه المدارس تدرس علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه وأصوله وعلوم اللغة والأدب، وعلم التصوف والتاريخ والفلك والحساب والطب والزراعة والبيطرة.

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن المدارس النظامية المفصولة عن المساجد في عهد الدولة الرسولية قد اقتصر وجودها على اليمن الأسفل فقط، ولم تذكر المصادر التاريخية وجود أي مدارس لهم في شمال البلاد، رغم سيطرة الرسوليين عليها. ولعل ذلك راجح إلى طبيعة التمويل للمدارس في تلك الفترة، وهو تمويل ارتبط بالوقف، وبريع الأراضي، وبتعاون الناس أيضا، أي أن انتشار المدارس يدخل ضمن المطالب الاجتماعية إلى جانب التوجه الرسمي للدولة، وهذا ما لم يكن موجودا في ثقافة البيئة "المهادوية" المتعصبة، التي تعتمد تجهيل العامة من الناس، في الأوساط القبلية، وتعتمد ترويضهم للقتال معها فقط، ولا تتبنى ذلك ضمن توجهها الرسمي، عدا ما كان من أمر المطرفية فقط التي أسست المدارس ووقفت عليها الأوقاف، فعمل الإمامان أحمد بن سليمان وعبدالله بن حمزة على إبادتهم فكريا وماديا، حتى صاروا أثرا بعد عين، وعلى الرغم من الأوقاف التي كانوا قد أوقفوها لمدارسهم إلا أن الأئمة سيطروا عليها بعد ذلك، على حرمة مال الوقف؛ وحصل أن تأثر الناس في اليمن الأعلى إبان الفترة القاسمية بثقافة الدولة الرسولية، وأيضا الطاهرية،

١ - انظر: مدينة حبيس اليمنية، تاريخها وأثارها الدينية، عبدالله عبدالسلام الحداد، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٩م، ٩٦.

فأوقفوا بعض أموالهم للتعليم، فحصلت طفرة تعليمية، لكنها لم تدم، وصار التعليم يورق ذهن الإمامة، إلى حد أن بعضهم قد صادر أراضي الأوقاف لمصالحه الشخصية، على هيئة أموال الوقف وقداستها في ثقافة المجتمع؛ وتذكر المراجع التاريخيَّة المعاصرة أن الإمام المهدي عباس كان جشعاً في شراء الأراضي، حتى انتهى به الأمر إلى شراء الأوقاف من الأموال وإخراجها عن الوقفيَّة العامَّة إلى الملكيَّة الخاصَّة، إضافة إلى النقل والمعاوضة بين أملاكه الخاصَّة وأملاك الأوقاف في ضواحي صنعاء، كشعوب والصفافية وبئر العزب ومناطق أخرى. ومال الوقف محرَّم لا يجوز نقله ولا استبداله ولا المعاوضة فيه، كما أشار إلى ذلك العلامة ابن الأمير في رسالةٍ إلى الإمام المهدي في ذي الحجَّة ١١٨٠ هـ، ناصحاً إياه عن ذلك، كما نصحه آخرون، لم يقبل نصيحتهم؛ بل عاقبهم وسجنهم وصادر أموالهم، كما حدث مع أحد أقرب رجالاته ووزيره القاضي العلامة يحيى بن صالح السحولي.^١

وفي واحدةٍ من الحماقات التاريخيَّة، وسياسةِ الهمجيَّة والحقد التي أتبعها هؤلاء أن عمدَ الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٢٨ م، إلى مُصادرة الوقف على أكبر مدرسة دينيَّة، عُرفت عند البعض بجامعة الأشاعرة، كانت تُدرِّسُ مختلفَ فنون العلم، في زبيد بتهامة، ولمدينة زبيد شهرتها العلميَّة التي تجاوزت المحليَّة إلى القطرية، وتوافد عليها آلاف المريدين على ما يزيد عن ثمانمئة عام، وتخرج منها آلاف العلماء في مختلف المجالات، ولم يبق بعد تلك المصادرة، إلا المدارس الصغيرة، والكتاتيب الأولية؛ وتبع ذلك مصادرة العديد من أموال الأوقاف وإغلاق المدارس في أكثر من مكانٍ على طول اليمنِ الأسفل.^٢

وواصلَ الإمام أحمد نفسَ سياسةِ أبيه في تجهيلِ الشَّعبِ وتغييبه عن العالم من حوله، بمبررات وهميَّة لا تنطلي إلا على الجهلة من أتباعه، وذلك بحجة الحفاظ على الدين!

١ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاضي محمد بن علي الشوكاني، جمعه، محمد بن محمد بن يحيى زياره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٨ م، ٢/٢٣٢.

٢ - ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، إيلينا جولوبوفسكايا، دار ابن خلدون، بيروت، ط: ١، ١٩٨٢ م، ١٥٤.

م	اسم الخليفة	مدة الحكم بالميلادي	مدة الحكم بالميلادي
١	المنصور عمر بن علي بن محمد هارون "الرسول"	١٢٢٩-١٢٤٩ م	٦٢٦-٦٤٧ هـ
٢	المظفر يوسف بن المنصور عمر	١٢٤٩-١٢٩٥ م	٦٤٧-٦٩٤ هـ
٣	الأشرف عمر بن المظفر يوسف	١٢٩٥-١٢٩٧ م	٦٩٤-٦٩٦ هـ
٤	المؤيد داود بن المظفر يوسف	١٢٩٧-١٣٢١ م	٦٩٦-٧٢١ هـ
٥	المجاهد علي بن المؤيد داود	١٣٢١-١٣٦٣ م	٧٢١-٧٦٤ هـ
٦	الأفضل العباس بن المجاهد علي	١٣٦٣-١٣٧٦ م	٧٦٤-٧٧٨ هـ
٧	الأشرف إسماعيل "الأول" بن الأفضل العباس	١٣٧٦-١٤٠٠ م	٧٧٨-٨٠٣ هـ
٨	الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل "الأول"	١٤٠٠-١٤٢٤ م	٨٠٣-٨٢٧ هـ
٩	المنصور عبد الله بن الناصر أحمد	١٤٢٤-١٤٢٧ م	٨٢٧-٨٣٠ هـ
١٠	الأشرف إسماعيل "الثاني" بن الناصر أحمد	١٤٢٧-١٤٢٨ م	٨٣٠-٨٣١ هـ
١١	الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل "الأول"	١٤٢٨-١٤٣٨ م	٨٣١-٨٤٢ هـ
١٢	الأشرف الرابع إسماعيل بن الظاهر ^١	١٤٢٨-١٤٣١ م	٨٤٢-٨٤٥ هـ
١٣	المظفر يوسف الثاني بن عمر بن إسماعيل	١٤٣١-١٤٣٣ م	٨٤٥-٨٤٧ هـ
١٤	المسعود أبو القاسم بن إسماعيل "الثاني"	١٤٤٣-١٤٥٤ م	٨٤٧-٨٥٨ هـ

١ - انتهت الدولة الرسولية عمليا عند هذا الملك، ولم يبق إلا رسمها، وكثرت الفتن والفتاقل بعده، ولم يكن الخليفة الأخيرة إلا مجرد شكل لا قيمة له.

والخلاصة أن سلاطين وملوك حكام آل رسول كانوا علماء وأدباء وفقهاء؛ لذا كانوا يقدرون قيمة العلم وصاحبه، فازدهرت الحركة العلمية في عهدهم وتطورت وبغلت شهرتها الآفاق، كما وكيفما، وفي مختلف فنون العلم. وبهذه الفترة من الزمن تكون اليمن قد طويت حضارتها الباذخة ومجدها الباسق، لتدخل متوالية زمنية من ظلمات الإمامة التي أعقبت فترة الدولة الطاهرية، والتي لم نتكلم عنها هنا، كون فترتها فترة صراع سياسي من أولها حتى آخرها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

- ١- إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
- ٢- الآثار الباقية من القرون الخالية، أبوي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٨ م.
- ٣- أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، منال سعد سالم محمد، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠١ م.
- ٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٩١ م.
- ٥- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت.
- ٦- أحوال اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ظل دولة بني رسول، قايد عثمان غالب، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة.
- ٧- الأذواء والأقيال، دراسة في التاريخ اليمني القديم، أزهار كامل ناصر، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ٢٠١٤ م.
- ٨- ارتفاع الدولة المؤيدية، جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف الرسولي، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ط: ١، ٢٠٠٨ م.
- ٩- الأسلحة في اليمن القديم، نسخة إلكترونية بمكتبة رئاسة الجمهورية اليمنية، غير معروفة المؤلف.
- ١٠- الأشكال الحيوانية في الفن اليمني القديم، فتحي عبدالعزيز الحداد، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ١٩٩٢ م.

- ١١- أشكال الطيور في الفن اليمني القديم، دراسة فنية مقارنة، أدهم عبدالله محمد نجيم، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠١٢م.
- ١٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١.
- ١٣- أضواء على تاريخ اليمن البحري، حسن صالح شهاب، دار الفارابي - بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م.
- ١٤- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، د.ت.
- ١٥- أغاليط المؤرخين، محمد أبو اليسر عابدين، مكتبة الخانجي، ١٣٩١هـ.
- ١٦- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، إسحاق بن الحسين المنجم، عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ.
- ١٧- اكتشاف جزيرة العرب، جاكلين بيرين، ترجمة: قدرى قلعجي وحمد الجاسر، دار الكاتب العربي، بيروت، د. ت.
- ١٨- الإكليل، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوح الحوالي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- ١٩- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، د. حسن الباشا، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- ٢٠- الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دراسة من خلال النقوش والآثار، جمال محمد ناصر عوض الحسني، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٦م.
- ٢١- الإله عم وآلهة قتبان ٧٠٠ق.م - ١٧٠م، جمال محمد ناصر عوض الحسني، أطروحة دكتوراه، جامعة طنطا، ٢٠١٢م.
- ٢٢- آلهة اليمن القديم الرئيسة ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي، دراسة آثارية تاريخية "أطروحة دكتوراه" جامعة صنعاء، محمد سعد عبده حسن القحطاني، ١٩٩٧م.
- ٢٣- آلهة سبأ كما ترد في نقوش معبد بلقيس، إبراهيم صالح عامر صدقة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م.
- ٢٤- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٠م.

- ٢٥- الأمم السامية مصادرها وتاريخها وحضارتها، حامد عبد القادر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ط. د. ت.
- ٢٦- الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ. محمد بن محمد بن يحيى زبارة، مكتبة اليمن الكبرى، ١٩٨٤م.
- ٢٧- أهل اليمن في صدر الإسلام، د. نزار عبداللطيف الحديثي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د. ط.
- ٢٨- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، د. يوسف محمد عبدالله، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط: ٢، ١٩٩٠م.
- ٢٩- الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش، خلدون هزاع عبده نعمان، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، د. ط.
- ٣٠- البداية والنهاية، عمادالدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والإعلان، ط: ١، ١٩٩٧م.
- ٣١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاضي محمد بن علي الشوكاني، جمعه، محمد بن محمد بن يحيى زبارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.
- ٣٢- البرق اليماني في الفتح العثماني، قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، إشراف: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٧م.
- ٣٣- بلاد العرب، الأصفهاني، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، ١٩٦٨م.
- ٣٤- بلقيس امرأة الألغاز وشيطانة الجنس، زياد مني، رياض الريس للكتب والنشر، ط: ٢، ١٩٩٨م.
- ٣٥- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، دكتور محمد عبدالعال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م.
- ٣٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط: ٣، ١٩٨٣م.
- ٣٧- البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، بغداد، ١٩٦٠م.
- ٣٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملّقب بمرتضى الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت.

- ٣٩- تاريخ إب، دراسة تاريخية لمدينة إب وما حولها، الأستاذ الدكتور مظفر الأدهمي، منشورات جامعة إب، د. د. ت.
- ٤٠- تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ضبط: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، د. ط.
- ٤١- تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د. ط.
- ٤٢- تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: ١.
- ٤٣- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي، مكتبة الهلال، القاهرة، ط: ١، ١٩٣٩ م.
- ٤٤- تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، د. ط، ١٩٨٤ م.
- ٤٥- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط: ٢، ١٣٨٧ هـ.
- ٤٦- التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، أحمد محمد انديشة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ١٩٩٣ م.
- ٤٧- تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، ط: ٢، ٢٠٠١ م.
- ٤٨- تاريخ العرب قبل الإسلام، عبدالمملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، ط: ١، ١٩٥٩ م.
- ٤٩- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل إبراهيم السامرائي، د. عبد الواحد ذنون طه، د. ناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٠ م.
- ٥٠- التاريخ العربي القديم ديتلف نيلسون وفرتز هومل ول رودو كاناكيس وأدولف جرومان، ترجمة: د. فؤاد حسين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- ٥١- تاريخ المستبصر، ابن المجاور، مراجعة وضبط: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- ٥٢- تاريخ المغرب العربي، سعد زغلول عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ٥٣- تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، كلاوس شيبمان، ترجمة: د. فاروق إسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠٢ م.

- ٥٤- تاريخ الموسيقى العربية، هنري جورج فارمر، ترجمة حسين نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- ٥٥- تاريخ اليمن المسمى بمهجة الزمن في تاريخ اليمن، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، ط: ٢، ١٩٨٥م.
- ٥٦- تاريخ اليمن المعاصر، ١٩١٧ - ١٩٨٢م، تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيت، ترجمة: محمد علي البحر، مكتبة مدبولي.
- ٥٧- تاريخ اليمن في الإسلام، د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، ط: ٨، ٢٠١٣م.
- ٥٨- تاريخ اليمن في الدولة الرسولية، "مؤلف غير معروف". تحقيق: هيكوياشي باجيما.
- ٥٩- تاريخ حضارة اليمن القديم، زيد بن علي عنان، دار المطبعة السلفية، ط: ١، ١٣٩٦هـ.
- ٦٠- تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري الياضي، المطبعة السلفية، ط: ١، ١٣٥٤هـ.
- ٦١- تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، عبدالعزيز صالح. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.
- ٦٢- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، الأمير شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
- ٦٣- تاريخ مدينة صنعاء، للرازي، تحقيق ودراسة: د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سورية.
- ٦٤- تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين، د. صبحي عبدالمنعم، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٦٥- تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر محمد الحبشي الوصابي، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط: ٢، ٢٠٠٦م.
- ٦٦- تجارة البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، أسامة محمود عبدالمولى، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ٢٠١٣م.
- ٦٧- التجارة في ممالك جنوب الجزيرة العربية معين وسبأ وقتبان وأنظمتها من خلال نقوش المسند، تغريد سالم جابر الشمrani، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.
- ٦٨- التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، هشام عبدالعزيز ناشر، أطروحة دكتوراه، جامعة عدن، ٢٠٠٩م.

- ٦٩- التشريعات القتبانية والحضرية، دراسة تاريخية مقارنة، نعمان أحمد سعيد سالم العززي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١م.
- ٧٠- التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، د. نورة بنت عبدالله علي النعيم، الرياض، ٢٠٠٠م.
- ٧١- تقنية أنظمة الري القديمة في مملكتي قتبان وحضرموت في جنوب الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد دراسة مقارنة، حامد عبدالقادر أحمد بافقيه، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م.
- ٧٢- التقويم في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وجدان مصطفى عسيري، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٩م.
- ٧٣- التمدن الإسلامي، جورجى زيدان، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٢٢م.
- ٧٤- تمنع هجرة كحلان، دراسة تاريخية آثارية، أسوان محمد حسين عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٦م.
- ٧٥- التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، د. محمد سلطان العتيبي، ط: ١، ٢٠٠٧م.
- ٧٦- التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط: ٦، ١٩٩٧م.
- ٧٧- الثالث الإلهي في الأساطير اليمنية القديمة، دكتور جواد مطر الموسوي، PDF متوفر على النت.
- ٧٨- ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، إيلينا جولوبوفسكايا، دار ابن خلدون، بيروت، ط: ١، ١٩٨٢م.
- ٧٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢، ١٩٦٤م.
- ٨٠- الجامع.. جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الرشيد للنشر، د. ت.
- ٨١- الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، محمد حسين الفرخ، وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤م.

- ٨٢- الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة.. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيط، رضا عبد الجواد كمال رسلان.
- ٨٣- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٨٣م، ٤٣٠.
- ٨٤- جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، د. أحمد أمين سليم، دار المعرفة الجامعية، د. ط. ١٩٩٧م.
- ٨٥- جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، د. أحمد أمين سليم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م.
- ٨٦- حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، راشد البراوي، النهضة، القاهرة، ١٩٤٨م.
- ٨٧- الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، جمال سليمان علي عامر، "رسالة ماجستير" جامعة الزقازيق، مصر.
- ٨٨- حروب الردة، د. إلياس شوفاني، دار الكنوز الأدبية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٥م.
- ٨٩- الحضارات السامية القديمة، سبتينو موسكاتي، ترجمة: السيد يعقوب بدر، دار الكاتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
- ٩٠- حضارة الرافدين، د. أحمد سوسة، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٩١- حضارة العرب، د. جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ٢٠١٢م.
- ٩٢- الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى سبر في التاريخ القديم، فضل عبدالله الجثام اليافعي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط: ١، ١٩٩٩م.
- ٩٣- الحياة السياسية والدينية في اليمن القديم والحجاز، من القرن الرابع حتى السادس الميلاديين، علي صالح الكهالي، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٢م.
- ٩٤- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد اليمن في العصر الأموي، رحمة أحمد موسى الزهراني، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠٠٣م.
- ٩٥- دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، أ. د. اسمهان سعيد الجرو، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣م.
- ٩٦- دراسات في تاريخ الشرق القديم. د. أحمد فخري، مكتبة الانجلو المصرية، ط: ٢، ١٩٦٣م.

- ٩٧- دور القبائل العربية في صعيد مصر، د. ممدوح عبدالرحمن الريطي، مكتبة مدبولي، ط: ١، د. ت.
- ٩٨- دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، د. ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم الريطي، مكتبة مدبولي، د. ت.
- ٩٩- الدور اليمني في العصر العباسي، محمد حسين الفرخ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- ١٠٠- دور اليمنيين السياسي في الأندلس، كارم محمود إسماعيل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩١م.
- ١٠١- الدولة الرسولية في اليمن، دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، محمد بن يحيى الفيقي، الدار العربية للموسوعات، ط: ١، ٢٠٠٥م.
- ١٠٢- دولة سبأ مقوماتها وتطوراتها السياسية من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، نعمان أحمد سعيد العززي، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق.
- ١٠٣- دين الله واحد، عبدالله علي الحكيمي، مؤسسة الثورة للطباعة والنشر. صنعاء، ط: ٢، ٢٠٠٠م.
- ١٠٤- ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٤م.
- ١٠٥- ذو القرنين وسد الصين، محمد راغب الطباخ، عناية وتقديم: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار غراس للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠٠٣م.
- ١٠٦- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٠م.
- ١٠٧- رحلة السلطان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة، د. محمد عبدالرحمن راشد الثنيان.
- ١٠٨- رحلة في العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، منشورات المدينة، ط: ٢، ١٩٨٦م.
- ١٠٩- الروض المعطار في أخبار الأقطار، محمد بن عبدالمنعم الحميري، د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط: ٢، ١٩٨٤م.
- ١١٠- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سليمان بن الجون الأشعري، تحقيق: القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، القاضي محمد بن علي الأكواع الحوالي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- ١١١- الزخارف والمنحوتات الحجرية في الفترة الحميرية: ٥٢٥: ١١٥م، محافظة ذمار، فضل العميسي، رسالة ماجستير، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، المغرب، ٢٠٠٨م.
- ١١٢- الساميون ولغاتهم، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٠م.
- ١١٣- السلوك في طبقات العلماء والملوك، أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي، تحقيق: محمد علي الأكوغ الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
- ١١٤- السيرة النبوية لابن هشام، تعليق وتخرّيج: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٠م.
- ١١٥- الشرق العربي القديم وحضارته، د. حلمي محروس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧م.
- ١١٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٧- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- ١١٨- الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى السادس الميلادي، ذكرى عبدالملك المطهر، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م.
- ١١٩- الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه، عبدالله علي الفيش عطوش، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، ٢٠٠٨م.
- ١٢٠- صفة جزيرة العرب، لسان اليمن، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط: ١، ١٩٩٠م.
- ١٢٢- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٠م.
- ١٢٣- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صابر، بيروت، ط: ١، ١٩٦٨م.
- ١٢٤- طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت - لبنان، د. ط.
- ١٢٥- عثمان بن عفان شخصيته وعصره، د. علي محمد الصلابي، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط: ٢، ٢٠١٠م.

- ١٢٦- العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب يحيى، د. د. الاسكندرية، ط: ١، ١٩٨٨ م.
- ١٢٧- العرب في سوريا قبل الإسلام، رنيه دسو، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ١٢٨- العرب قبل الإسلام، جورجى زيدان، دار الهلال، د. ت. د. ن.
- ١٢٩- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، شمس الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الخزرجي الأنصاري، مخطوط، مصور.
- ١٣٠- عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع، مؤسسة هنداوي سي أي سي، د. ط.
- ١٣١- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن الخزرجي، عني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوغ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
- ١٣٢- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن، عبدالمعطي بن محمد عبدالمعطي سمس، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٠ هـ.
- ١٣٣- العُمَلات اليمنية القديمة، دراسة تحليلية للعلاقات الخارجية قديماً، نجيب علي صالح الويس، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م.
- ١٣٤- غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، دار المشرق، ط: ٤، د. ت.
- ١٣٥- الغناء اليمني القديم ومشاهيره، محمد مرشد ناجي، ط: ١، ١٩٨٣ م، د. د.
- ١٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، محمد فؤاد عبد الباقي، وتصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- ١٣٧- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، عبد الواحد ذنون طه، دار الرشيد للنشر، بغداد، د. ط، ١٩٨٢ م.
- ١٣٨- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٣٩- فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٧ م.
- ١٤٠- فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم، تقديم وتحقيق: محمد صبيح.

- ١٤١- فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
- ١٤٢- فجر الأندلس، د. حسين مؤنس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٨٥م.
- ١٤٣- الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، من ١٥٠٠ ق. م، إلى ٦٠٠ ميلادية، منير عبدالجليل العريقي، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م، ط: ١، ٢٠٠٢م.
- ١٤٤- فن النحت في الجزيرة العربية منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الثالث قبل الميلاد، أحمد محمد سعيد، أطروحة دكتوراه، جامعة حلوان، ٢٠٠٩م.
- ١٤٥- في العربية السعيدة، دكتور محمد عبدالقادر بافقيه، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م.
- ١٤٦- قبيلة الأشعرين ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، أزهار غازي مطر البهادلي، رسالة ماجستير، جامعة ديالي، العراق، ٢٠٠٥م.
- ١٤٧- قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون، أبو الضيا عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة أبي ذر الغفاري، ط: ٢، ١٩٨٨م.
- ١٤٨- قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، بيروت، تونس، د. ت.
- ١٤٩- قضايا يمنية، عبدالله البردوني، ط: ٥، ١٩٩٦م.
- ١٥٠- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٧م.
- ١٥١- كتاب التبصر بالتجارة، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، عناية وتصحيح: حسن حسني عبدالوهاب التونسي، المطبعة الرحمانية بمصر، ط: ٢، ١٩٣٥م.
- ١٥٢- كتاب التيجان في ملوك حمير، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية، ط: ١.
- ١٥٣- كتاب الجوهريتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق ودراسة: أ. د. أحمد فؤاد باشا، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩م.

١٥٤- كتاب العطايا السنوية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، الملك الأفضل العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي، دراسة وتحقيق: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، ٢٠٠٤م.

١٥٥- كنوز مدينة بلقيس مدينة سبأ الأثرية، ويندل فليس، دار العلم للملايين، بيروت.

١٥٦- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان ١٩٩٨م.

١٥٧- المجتمع اليمني القديم دراسة من خلال المناظر والنقوش، وائل فتحي مرسي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.

١٥٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٥٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

١٦٠- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، دار النفائس - بيروت، ط: ٦، ١٤٠٧هـ.

١٦١- محاضرات في العلاقات اليمنية الحبشية، عبدالله حسن الشيبية، صنعاء، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٦م.

١٦٢- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت.

١٦٣- المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي، دراسة عن المجتمع اليمني، د. حمود العودي، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، سبتمبر، ١٩٨٠م.

١٦٤- مدينة حيس اليمنية، تاريخها وآثارها الدينية، عبدالله عبدالسلام الحداد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٩م.

١٦٥- المرأة في اليمن القديم، فتحي عبدالعزيز الحداد، ٤٥٣. بي دي اف.

١٦٦- مروج الذهب ومعادن الجواهر، أبو الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعته: حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م.

١٦٧- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٩٩٠م.

١٦٨- مستوطنة أودية كور العوالق الجمهورية اليمنية محافظة شبوة دراسة تاريخية أثرية، فيصل حسين ناصر البعسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م.

١٦٩- مصر العربية الإسلامية، علي حسني الخربوطلي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٧٠- معالم عدن التاريخية، أحمد صالح رابضة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، ط: ١، ١٩٩٩م.

١٧١- معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صابر، بيروت، د. ط.

١٧٢- المعجم السبئي، بيستون، أ. ف، وآخرون، منشورات جامعة صنعاء، ودار نشر بيترز، لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.

١٧٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، د. ط: ٢، ١٩٩٣م.

١٧٤- المفيد في أخبار صنعاء وزيد، نجم الدين عمارة اليمني، تحقيق: القاضي محمد بن علي الأكوغ.

١٧٥- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

١٧٦- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، دار الوراق للنشر، ط: ١، ٢٠٠٩م.

١٧٧- الملابس في اليمن القديم.. دراسة من خلال التماثيل والآثار، محمد عوض منصور باعليان، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠٠٧م.

١٧٨- ملح الملاح في معرفة الفلاحة، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول، تحقيق: د. عبدالله محمد علي المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط: ١، ١٩٨٧م.

١٧٩- ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل، بيوتروفسكي، م. ب، ترجمة: شاهر جمال آغا، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٤م.

١٨٠- الملك الأفضل الرسولي جهوده السياسية والعلمية، يوسف بن عبدالعزيز بن محمد الحميدي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠٠٨م.

١٨١- الملكة بلقيس التاريخ والأسطورة والرمز، د. بلقيس الحضرائي. د. د. ط.

- ١٨٢- ملوك حمير وأقيال اليمن، قصيدة نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، ط: ٢، ١٩٧٨ م.
- ١٨٣- مملكة قتبان من القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، عبدالله حسين محمد العزي الذيف، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩ م.
- ١٨٤- المنسوجات اليمنية في العصر العباسي، علي سعيد سيف محمد، الندوة العلمية الخامسة، كلية الآداب، الرياض، ورقة عمل.
- ١٨٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ.
- ١٨٦- الموانئ اليمنية القديمة، دراسة تاريخية، ذكرى عبدالملك مطهر، أطروحة دكتوراه، جامعة عدن، ٢٠٠٨ م.
- ١٨٧- نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون، محمد بن علي الأهدل الحسيني اليمني الأزهرى، مطبعة زهران، مصر، ط: ١، د. ت.
- ١٨٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين، دار الكتب، مصر، د. ط.
- ١٨٩- نساء حكمن اليمن، عفت وصال حمزة، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩ م.
- ١٩٠- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان.
- ١٩١- نقوش مسندية وتعليقات، مطهر علي الإرياني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط: ٢، ١٩٩٠ م.
- ١٩٢- الهادوية بين النظرية السياسية والعقيدة الإلهية، ثابت الأحمدى، وزارة الثقافة اليمنية، ط: ١، ٢٠١٨ م.
- ١٩٣- هذه هي اليمن، عبدالله الثور، دار العودة، بيروت، ط: ٢، د. ت.
- ١٩٤- وادي جردان من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، دراسة تاريخية، محمد أحمد سعيد السدلة، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ٢٠١٣ م.
- ١٩٥- الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ، محمد علي الأكوغ الحوالي، المكتبة اليمنية، ط: ١، د. ت.

- ١٩٦- وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، دعبل بن علي الخزاعي، برواية علي بن محمد دعبل الخزاعي، تحقيق: د. نزار أباطة، دار البشائر، دمشق، ط: ١، ١٩٩٧م.
- ١٩٧- وصايا الملوك، أبو علي دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق: نزار أباطة، دار صادر بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.
- ١٩٨- يمانيون في موكب الرسول، محمد حسين الفرخ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- ١٩٩- اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله بن عبدالوهاب الشماحي، منشورات المدينة، بيروت - لبنان، ط: ٣، ١٩٨٥م.
- ٢٠٠- اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، ط: ٦، ٢٠٠٨م.
- ٢٠١- اليمن الخضراء مهد الحضارة، محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الجيل الجديد، ط: ٢، ١٩٨٢م.
- ٢٠٢- اليمن السعيد من بلقيس إلى علي، راضي دغفوس، ترجمة: محمود طرشونة، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط: ١، ٢٠١٥م.
- ٢٠٣- اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط: ٢، ١٩٦٤م.
- ٢٠٤- اليمن في العهد الأيوبي، د. جمال عبدولي، مركز النشر الجامعي، ط: ١، ٢٠١٥م.
- ٢٠٥- اليمن في تاريخ بن خلدون، محمد حسين الفرخ، وزارة الثقافة والسياحة، د. ط، ٢٠٠٤م.
- ٢٠٦- اليمن في عهد المكرب السبئي كرب إل وتر بن ذمر علي، القرن السابع قبل الميلاد، "أطروحة دكتوراه" ١٩٩٨م، جمال عبدالواسع قاسم الشرجي، جامعة بغداد.
- ٢٠٧- اليمن مكائنها في القرآن والسنة، عبد الملك الشيباني، مكتبة خالد بن الوليد، عالم الكتب اليمنية، د. ط، ٢٠٠٣م.
- ٢٠٨- اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط: ٣، ١٩٨٥م.
- ٢٠٩- اليمن هي الأصل.. الجذور العربية للأسماء، فرج الله صالح ديب، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط: ١، ١٩٨٨م.
- ٢١٠- اليمن والغرب ١٥٧١- ١٩٦٢م، إريك ماكرو، ترجمة د. حسين العمري، دار الفكر العربي، دمشق، ط: ٢، ١٩٨٧م.

- ٢١١- اليمن وحضارة العرب، الدكتور عدنان ترسيبي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. د.ن.
٢١٢- اليمن.. الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية، محمد الشعبي، ط: ١، ١٩٨٨ م.

دوريات عامة

- ٢١٣- صحيفة الثورة، بتاريخ ١٢/٤/١٩٨٦ م.
٢١٤- مجلة أدب الرفدين، العدد: ١٣، ١٩٨١ م.
٢١٥- المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد الرابع، العدد ٣، ٢٠١٠ م.
٢١٦- مجلة الإكليل العددان الأول والثاني ١٩٩٠ م.
٢١٧- مجلة الإكليل، العدد الأول ١٩٨٩ م.
٢١٨- مجلة الإكليل، العدد: ١، ١٩٨٧ م.
٢١٩- مجلة الإكليل، العدد: ١، ١٩٨٩ م.
٢٢٠- مجلة الإكليل، العدد: ١٨، ١٩٨٩ م.
٢٢١- مجلة الإكليل، العدد: ١٩، ١٩٨٩ م.
٢٢٢- مجلة الإكليل، العدد: ٢، ١٩٨٦ م.
٢٢٣- مجلة الإكليل، العدد: ٢٢، ١٩٩٢ م.
٢٢٤- مجلة الإكليل، العدد: ٢٨، ٢٠٠٤ م.
٢٢٥- مجلة الإكليل، العدد: ٢٨، ٢٠٠٤ م.
٢٢٦- مجلة الإكليل، العدد: ٣٥ و ٣٦، ٢٠١٠ م.
٢٢٧- مجلة الإكليل، العدد: ٣٧ و ٣٨، ٢٠١٠ م.
٢٢٨- مجلة الإكليل، العدد: ٤، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.
٢٢٩- مجلة الإكليل، العدد: ٧، ١٩٨٩ م.
٢٣٠- مجلة الإكليل، عدد: ١، ١٩٨٨ م.
٢٣١- مجلة الإكليل، عدد: ١، ١٩٨٧ م.
٢٣٢- مجلة الإكليل، عدد: ٢، ١٩٨٠ م.
٢٣٣- مجلة الحكمة، العدد ١٠٨، سبتمبر ١٩٨٣ م.
٢٣٤- مجلة الدارة السعودية
٢٣٥- مجلة الدارة السعودية، العدد: ٣، ١٤٣١ هـ.
٢٣٦- مجلة المؤرخ العربي، صادرة عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق.

- ٢٣٧- مجلة اليمن الجديد، العدد: ٧، ١٩٨٥م.
- ٢٣٨- مجلة اليمن الجديد، صنعاء، فبراير، ١٩٨٦م.
- ٢٣٩- مجلة بحوث جامعة تعز، العدد: ١، ١٩٩٨م.
- ٢٤٠- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ١٩٧٨م.
- ٢٤١- مجلة دراسات يمنية، العدد: ٤٢، ١٩٩٠م.
- ٢٤٢- مجلة دراسات يمنية، العدد: ٤٨، ١٩٩٢م.
- ٢٤٣- مجلة دراسات يمنية، العدد: ٤٨، أكتوبر، ١٩٩٢م.
- ٢٤٣- مجلة دراسات يمنية، العددان: ٢٣، ٢٤، ١٩٨٦م.
- ٢٤٤- مجلة سبأ، العدد: ٩، دار جامعة عدن، ٢٠٠٠م.

مواقع إلكترونية

- ٢٤٥- موقع اليمني الجديد، على الرابط:
<https://www.google.com.sa/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&ved=2ahUKEwiC9aPy5orjAhV9DmMB>
- ٢٤٦- موقع نشوان نيوز: <https://nashwannews.com>
- ٢٤٧- موقع جرش الأثري، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9
- ٢٤٨- موقع صفحة معمر الشرجي، على الرابط:
<https://www.facebook.com/groups/188231664638350/permalink/104/5047098956798>
- ٢٤٩- ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9
- ٢٥٠- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A8%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%AF%D8%A8&action=edit§ion=1

تم بحمد الله